تثبيت أفئدة المؤمنين

بذكر

مبشرات النصر والتمكين

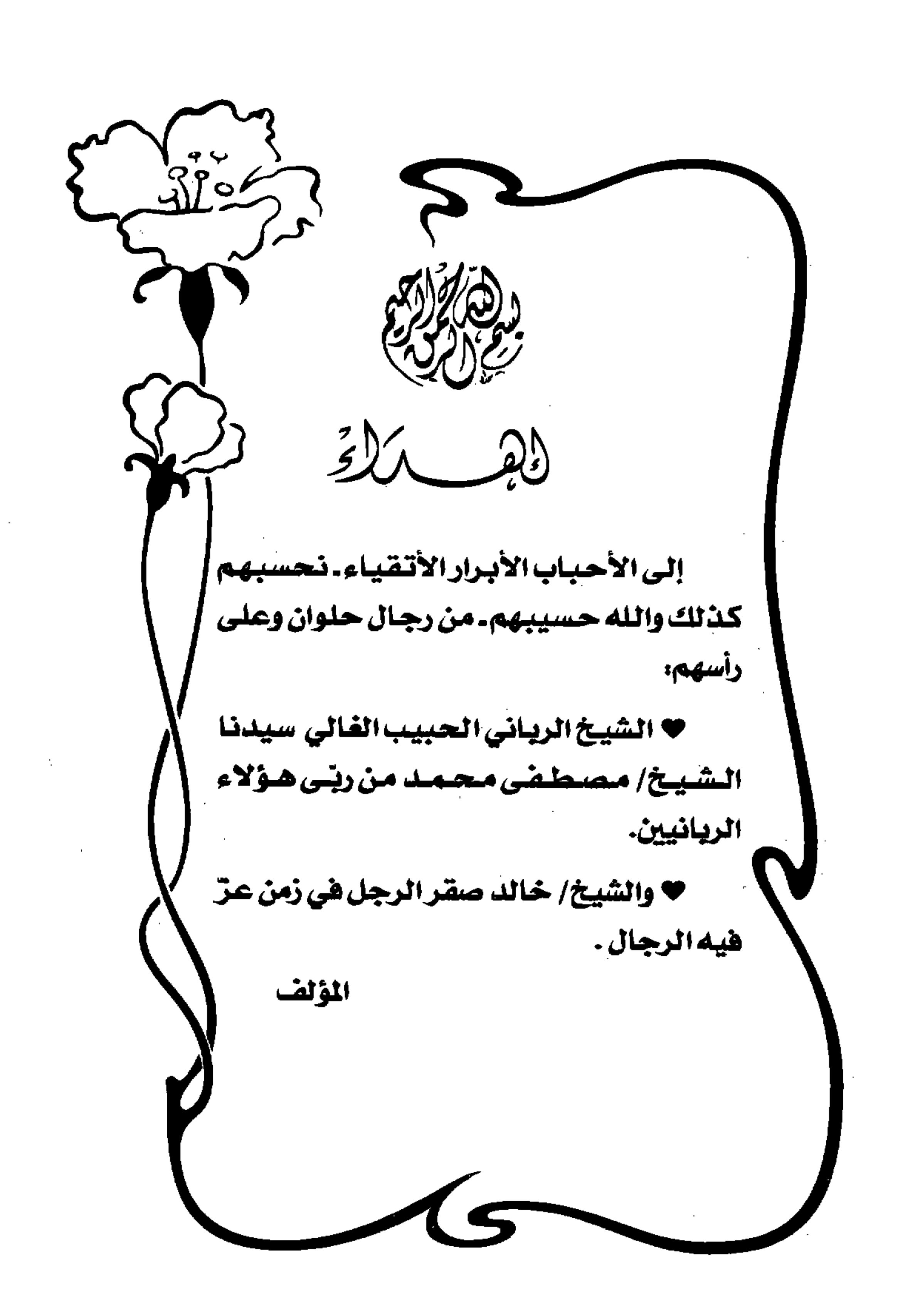
تقديم

الشيخ محمد صفوت نور الدين

تأليف

الدكتور سيد بن حسين العفاني

دار ماجد عسيري



بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى الأحباب الأبرار الأتقياء- نحسبهم كذلك والله حسيبهم- من رجال حلوان وعلى رأسهم:

♥ الشيخ الرباني الحبيب الغالي سيدنا الشيخ/ مصطفى محمد من ربّى هؤلاء الربانيين.

♥ والشيخ/ خالد صقر الرجل في زمن عزّ فيه الرجال.

المؤلف

تقديم بقلم فضيلة الشيخ

محمد صفوت نور الدين

الحمد للَّه رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلق اللَّه أجمعين محمد وآله وصحبه ومن تبعه إلى يوم الدين.

وبعد..

فلقد جعل اللَّه سبحانه بعد كل عسر يسرًا، بل مع كل عسر يسرًا، بل هما يسران فقال سبحانه: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ وإن تاريخ الدنيا شاهد على ذلك، وأوضح ذلك في ما نعلمه من تاريخ الإسلام وسيرة خير الأنام، فكان في عداء أهل مكة له ظهور الحجة الدامغة التي لم يستطيعوا الرد عليها، ولو استقبل أهل مكة الإسلام بالترحيب لقال القائل: «إنهم قوم تعصبوا لرجل منهم فأيدوا مقالته كما حدث من بني حنيفة لما قالوا عن مسيلمة الكذاب: «كذاب بني حنيفة خير من صادق مضر» وخاضوا معه المعارك والحروب.

لكن عداء أهل مكة جعل بين المسلمين قبل الهجرة حبشي ورومي ودوسي وأشعري وغفاري وغير ذلك من قبائل العرب من غير قريش. ولما زاد عداء قريش؛ هاجر فكانت الهجرة فتحًا جديدًا للإسلام وتمكينًا للمسلمين، وحماية للقبلة الأولى الكعبة - بيت اللَّه الحرام - حماه اللَّه أن تنصب حوله الحروب وتسفك عنده الدماء كما وقع في أحد والأحزاب وحصار بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة وغيرها من

الغارات التي تمت على المدينة؛ لذا اعتذر النبي ﷺ عن دخوله مكة بالسلاح فاتحًا بقوله: «**إن اللَّه أحلها لي ساعة من نهار وقد عادت اليوم كحرمتها بالأمس**». فكان عداء قريش تمكينًا للحجة، وكانت الهجرة تمكينًا للإسلام في وطن وجند ورجال ولو رحنا نستعرض ما كان في جميع أحوال النبي ﷺ وغزواته لعلمنا أن اللَّه عز وجل جعلها تمكينًا للإسلام في الأرض وتثبيتًا له في القلوب واللَّه متم نوره ولو كره الكافرون.

وإن ذلك الأمر لتستمر حلقاته فيما يحدث من أحداث نظنها مؤلمة يجعل اللَّه فيها مع كل عسر يسرين، وإنه من التحدث بنعم اللَّه رب العالمين أن نقول: إن نشأة جماعة أنصار السنة المحمدية بمصر حاملة دعوة التوحيد منذ ثلاثة أرباع القرن في وقت صارت فيه البدع سننًا والمعاصي طاعات والشرك قربات وظن الناس في الدجالين علماء ناصحين؛ فأقيمت الموالد وبنيت القبور على المساجد وجعلت لها المحافل ودعوا غير اللَّه عندها وذبحوا لها القرابين وعادت الجاهلية الأولى باسم الإسلام، وانتشر الشرك تحت شعار التوحيد.

وفي ذلك الوقت كان هناك شاب يقوم بدعوة الإسلام في مسجد بالقاهرة في حي عابدين يجاور القصر الملكي، فذهبت وشاية للقصر في حقه فأثمرت الوشاية فصله من مسجده. وكم من إمام صاحب دعوة كان أبين منه، وأكثر لفيفًا. لكن جعل اللَّه في فصله من مسجده وبعده عن دعوته أن تجمع بعض تلامذته حوله، وأنشئوا جماعة للدعوة يكون العمل فيها جماعيًا لا يزول بزواله ولا يتغير بتغيره، ثم كانت من بعد ذلك الأحداث المؤلمة الكثيرة التي جعلت دعوة التوحيد اليوم ليست قاصرة بفضل اللَّه على مؤسسات أنصار السنة بل لها انتشار واسع،

وقبول حسن والحمد للَّه رب العالمين.

ومن الحوادث المؤلمة التي شاهدها المعاصرون ما كان من حرب الخليج وسيئاتها واضحة لكل العيان، لكن ينبغي أن نعلم أن المولى سبحانه جعل لها ثمار خيرٍ، نذكر منها:

أن الغرب يربون أجيالهم على أن بلاد المسلمين قوم متوحشون يأكلون لحوم البشر ويقطعون الأيدي ويجلدون الأبدان في الشوارع ويرجمون بالحجارة، وهم قوم لا يستحقون الحياة. فلما قامت حرب الخليج، وإن كانت بتدبير منهم لكن كل ذلك لا يخرج عن قدر اللَّه سبحانه. جمع الغرب الصليبي الحاقد جنده ليدافع عن منابع البترول ويغتنمها فرصة لتكون له في تلك البلاد قدم. ولكن كيف يخرجون جندهم، وقد علموهم أن هؤلاء لا يستحقون الحياة؟! فاضطروا أن يقولوا لهم: إن في الإسلام معتدلين يستحقون أن نسفك دماءنا للدفاع عنهم.

إذا بهؤلاء المعتدلين هم الذين حول الكعبة حيث مهبط الوحي فبدأ الكثير منهم يفكر وينظر. هل في الإسلام اعتدال فتتجه أنظار الكثيرين منهم نحو تلك البلاد فيعودون لدراسة ما عندهم فينشط دعاة الإسلام في بلادهم فيجدون آذانًا مفتوحة وعقولاً صاغية فيفتح اللَّه سبحانه وتعالى قلوب من أحب منهم لذلك الدين.

ولو صرنا نتتبع كل دقيقة من ذلك لاحتاج الأمر إلى مجلدات طوال. ولكن هذه كلمات أقدم بها لذلك الكتاب الموسوعي المبارك لأخينا الحبيب صاحب القلم السيال/ الدكتور سيد حسين العفاني في كتابه الجديد «تثبيت أفئدة المؤمنين بذكر مبشرات النصر والتمكين»، وهو كتاب في موضوع ما

أحوجنا إليه لنعرف أن اللَّه سبحانه ينصر جنده بما يشاء، ولكن علينا أن نستمسك بالدين الذي أرسله، ونعمل به فنكون عند أوامره كلها من قوله: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ...﴾ وقوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾، وقوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾، وقوله: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ..﴾ فكلها أوامر من رب كريم ينصر من يشاء، يثبت أفئدة المؤمنين وينزل الرعب في قلوب الكافرين، واللَّه متم نوره ولو كره الكافرون.

واللَّه نسأل أن يتقبلنا في عباده الصالحين وأن يستعملنا في طاعته، وأن يقبضنا إليه غير مفتونين، وأن يمكن للإسلام وجنده، وأن يرد العصاة منا إلى الطاعة، وأن يرفع بنا كلمة التوحيد حتى ترفرف على ربوع الأرض، وأن يختم بالصالحات أعمالنا، وأن يجمعنا في الجنة مع الأنبياء والمرسلين والشهداء والصالحين، إنه على كل شيء قدير. والحمد للَّه رب العالمين.

* * *

✍ وكتبه

محمد صفوت نور الدين

مقدمة

« اللَّهم إليك تقصد رغبتي، وإليك أسأل حاجتي، ومنك أرجو نجاح طِلْبتي، وبيدك مفاتيح مسألتي، لا أسأل الخير إلا منك، ولا أرجوه من غيرك، ولا أيْأس من رَوْحك بعد معرفتي بفضلك»[١].

أسألك باسمك الأعظم الذي إذا دُعيت به أجبت.

اللَّهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السماوات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم.. اللَّهم صلِّ على عبدك ونبيك محمد وآله.

أسألك لهذه الرسالة أن تروي قلوبًا قد يعتريها الجفاف، فتنتعش بعد ظمأ، وتسقي ساحات العمل الإسلامي المبارك.

أسألك أن تتفجّر رقراقة غير ملوثة بفكر أرضي أو حثالة بدعية.

أسألك ان تكون عصارة قلب تسيل من قلمه الدمعات، لتبتسم على الورق الكلمات، لتمنح عيون الأعيان من دعاة الإسلام ـ وهم مظنة الفضل والعقل ـ دندنة وتحليقًا نحو المعالي رافعين راية الأمل لفجرنا المنشود.

وما أجمل أن تكون الكلمات عصارة قلب، فكل إنتاج لم تذب فيه حشاشة النفس، وكل قصيدة لم يدم لها القلب ضرب من العبث.

---

(١) من دعاء ذي النون المصري ـ انظر « حلية الأولياء» (٩/ ٣٣٣).

✍ أكتب هذه الرسالة ليكون تسكينها للقلب أعظم، وتسليتها للحزين اليائس أبلغ، ولتكون انتشالاً من وهدة، وتوجيهًا في ساعة حيرة، وأذانًا في نيام، وسلوة بين أحزان، ونبلاً عندما يسفل الواقع، وسموًّا إذا نطق الإغراء، ووفاءً في ساعة النكوص، واقتحامًا في مواطن الانخزال، ودفعًا للانزواء الذي كلكل على اليائسين القانطين، وترطيبًا للنفوس بعد اليبوسة والجفاف، وتثبيتًا لأفئدة المؤمنين، وبعثًا للأمل، وترجمانًا لأشواق الصحوة التي تسري في ضمير الأمة، كما تسري جداول المياه العذبة في الرمال العطشى.

✍ نُنَقِّبُ في الماضي نستخرج السوابق، وتسطر دمعات القلم العِبَر من نبع الكتاب والسنة الصافي لتجفّ دمعات قلوب التائهين البائسين اليائسين القانطين، ويكون ثَمَّ ابتسام وأمل في فجرنا الآتي المضمّخ بطيب القرآن غيث قلوبنا ﴿**فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ**﴾ [الرعد: ١٧].

يقولون إن المطرْ
يترجمُ أشواقه أنهُرا
يغوص ببطن التراب
ليسكن قلب الثرىٰ
ويخرج ينبوع ماء نمير
يفيض نماء
يفيض عطاءً
يعطر هام الروابي

ويبهجها منظرا منظرا

لقد جعل اللَّه هذا المطر

حياة لكل النفوس

مشاعًا لكل البشر

غديرًا. . . لتشرب منه الزهور

لتنقر منه الطيور

لتعكس فيه الضياء البدورُ

ليملأ تلك الجداول والأنهرا

فيا مطرًا غاب عن أرضنا أدهرَا

تحنّ إليك النفوس

ويشتاق كل الورى

تعالَ إلينا

تحنّ إليك ضروع اليباس

تحن إليك البذور بكل التراب

وكل ربوع اليباب

لتنقذها من جيوش التراب

وتغسل بالحب وجه الثرى

* * *

✍ أكتب هذه الرسالة ليعقل ساذج، ويتململ راقد، ويتنافس قاعِد، ويتأنى متهور، ويفرح هامد يائس بائس، لتغمر القلب برودة السكينة بوعد الله، بعد حرارة القلق، ولذعات الحيرة، ومرارة اليأس

والقنوط، وتنفرج أسارير الوجه عن ابتسام وضّاء، بعد عبوس أو ذهول.

✍ إن ابتسامة من يبتسم من الناس، وبثّ الأمل لن يأتي سهلاً أبدًا في هامد قانط، والذين ما زالت أفواههم تفغر حيرة ليسوا بقادرين على تصور ابتسامة تبتسمها الصفحات، ولا على فهم دور الأقلام المؤمنة ودموعها الباسمة في وجه قلم أسود مأجور غريق، تائه لا يبدو له طريق.

فدع عنك الكتابة لست منها ... ولو لطّخت وجهك بالمداد

اللَّهم اجعل لنا نصيبًا وافرًا في جهاد المنافقين المارقين والغلظة عليهم بهذا الأمل الذي نبثه في بني الإسلام لفجرهم المرتقب بذكر مبشراته وإرهاصاته، وتثبيت أفئدة المؤمنين بتجلية حقيقة هذا الدين العظيم وشرف الانتساب إليه، وقَدْر هذه الأمة العظيمة واصطفاء اللَّه لها وكرامتها عليه.

بنو الإنسان ينتظرون فجرًا ... بليل الوهم يخترق الضبابا
وقد لاحت أشعته وضاءً ... وإرهاصاته انطلقت شهابا
غدًا تمشي الشعوب على هداه ... ونور اللَّه يحدوها ركابا

✍ أما الشانئ الأبتر الذي يظن أن الإسلام لن تعلو له راية ولن تشرق له شمس مرة أخرى ولن يكون له فجر فنقول له: «اخسأ فلن تعدو قدرك».

✍ نقول له :

سنمضي والنجوم لنا دليل ... متى أصغى السحاب إلى النّباح
فقد ولّى زمانك يا أُبيّ ... كما ولّى زمانك يا سجاح

✍ ونقول له:

لا تهيئ كفني يا عاذلي فأنا لي مع الفجر مواثيقٌ وعهدُ

* * *

وآخر دعوانا أن الحمد للَّه رب العالمين..

✍ وكتبه

الفقير إلى رحمة ربه... الآمل

في روْح اللَّه ووعده لأمته

سيد بن حسين العفاني

* أخي: يا بن الإسلام:

● لا شيء في هذه الحياة يعدل ذلك الفرح الروحي الشفيف عندما نستطيع أن ندخل الثقة ونبث الأمل في نفوس المسلمين. وقد قال رسول الله ﷺ: «**أحب الناس إلى اللَّه أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى اللَّه عز وجل سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كُرْبة...**»[1].

✍ من يقيننا بوعد اللَّه ينبثق الفجر وينداح، نعيش لنرقب هذا الفجر الوضيء، والأفق العالي والمثال السامي.

إن الذي يعيش لنفسه يعيش صغيراً ويموت صغيراً، والذي يعيش يرقب ببصر فؤاده ذلك النور فإنه يعيش كبيراً.

✍ عندما نعيش مع هذا الفجر، ولهذا الفجر، ولمجد بني الإسلام، فإننا نعيش حياة مضاعفة بقدر ما يتضاعف إحساسنا بالمسلمين.

✍ عندما نعيش للإسلام فإن حياتنا تبدو طويلة عميقة، تبدأ من حيث بدأت البشرية وتمتد بعد مفارقتنا لوجه هذه الأرض.

* * *

(١) حسن: رواه ابن أبي الدنيا في «قضاء الحوائج»، والطبراني في «المعجم الكبير» عن ابن عمر، وحسّنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (٩٠٦)، و«صحيح الجامع» رقم (١٧٤).

تثبيت أفئدة المؤمنين
بذكر مبشرات النصر والتمكين

«أخذنا فألك من فيك»[١] .

● عن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - أن النبي ﷺ : «كان يعجبه الفأل الحسن، ويكره الطيرة»[٢] . و«كان ﷺ يتفاءل ولا يتطير، وكان يحب الاسم الحسن»[٣] .

فالفأل فيه تقوية للعزم، وباعث على الجدّ، ومعونة على الظَّفر، وهذا رزق حسن يُرزقه العبد، «**وخير الفأل: الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم**»[٣] .

وهذه القرائن لغة قائمة بذاتها لا يفهمها إلا أهلها الذين يرزقهم اللَّه إياها، وقاموسها ضخم، ونَحْوُها فيه رفع ونصب، وليس فيه خفض وكسر، والمبتلى بالموازين المادية هو عن هذا الذوق بمعزل. والحمد للَّه أن هذا الذوق ذوق سُني.

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود عن أبي هريرة، وابن السني، وأبو نعيم معًا في «الطب» عن كثير ابن عبداللَّه عن أبيه عن جده، والديلمي في «مسند الفردوس» عن ابن عمر، وأبو الشيخ في «أخلاق النبي»، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (٧٢٥)، و«صحيح الجامع» رقم (٢٢٣).

(٢) **صحيح**: رواه ابن ماجه عن أبي هريرة، والحاكم في «المستدرك»، وصححه عن عائشة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٤٨٦١).

(٣) **صحيح**: رواه أحمد في «مسنده» عن ابن عباس، وكذا رواه الطيالسي، وأبو الشيخ، والبغوي، والضياء في «المختارة»، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (٧٧٨)، و«صحيح الجامع» رقم (٤٧٨٠).

● وعن أنس ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت ذات ليلة فيما يرى النائم ـ كأنا في دار عقبة بن رافع، فأُتينا برطب من رطب ابن طاب[1]، فأوّلتُ: الرفعة لنا في الدنيا، والعاقبة في الآخرة، وأن ديننا قد طاب»[2].

●وقال رسول اللَّه ﷺ: «إن من الناس ناسًا مفاتيح للخير، مغاليق للشر، وإن من الناس ناسًا مفاتيح للشر، مغاليق للخير، فطوبى لمن جعل اللَّه مفاتيح الخير على يديه، وويل لمن جعل اللَّه مفاتيح الشر على يديه»[3].

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «عند اللَّه خزائن الخير والشر مفاتيحها الرجال، فطوبى لمن جعله اللَّه مفتاحًا للخير، مغلاقًا للشر، وويل لمن جعله اللَّه مفتاحًا للشر مغلاقًا للخير»[4].

* بشروا:

* وقد قال اللَّه عز وجل لنبيه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾ [الأحزاب: ٤٥].

---

(١) نوع من الرطب معروف يُقال له: رطب ابن طاب، وتمر ابن طاب، وابن طاب رجل من أهل المدينة.

(٢) رواه مسلم (٢٢٧٠).

(٣) حسن: رواه ابن ماجه عن أنس، وحسّنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (١٣٣٢)، و«صحيح الجامع» رقم (٢٢١٩).

(٤) حسن: رواه الطبراني في «المعجم الكبير»، والضياء في «المختارة» عن سهل بن سعد، وكذا أخرجه ابن ماجه، وأبو يعلى في «مسنده»، وابن أبي عاصم، والخرائطي، والطيالسي، والمروزي عن أنس، وحسنه الألباني في «تخريج السنة» رقم (٢٩٦، ٢١٩)، و«صحيح الجامع» رقم (٣٩٨٧).

* وقال تعالى: ﴿ وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ [الإسراء: ١٠٥].

● وقال رسول الله ﷺ: «**يسروا ولا تعسّروا، وبشروا ولا تنفروا**»(١).

● وعن أبيّ بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «**بشّر هذه الأمة بالسناء والدين والرفعة والتمكين في الأرض، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا؛ لم يكن له في الآخرة من نصيب**»(٢).

وعند البيهقي: «**بشّر هذه الأمة بالتيسير والسناء والرفعة بالدين والتمكين في البلاد والنصر، فمن عمل منهم بعمل الآخرة للدنيا، فليس له في الآخرة من نصيب**».

● وعن أبي عنبة الخولاني قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يزال الله يغرس في هذا الدين غرسًا، يستعملهم فيه بطاعته إلى يوم القيامة**»(٣).

هذا غرس الله، ومن أحسن من الله صبغة، ويأبى الغرس إلا طبيعته، والحمقى هم الذين يريدون أن يخرج هذا الغرس نكدًا، وكأنهم يقولون لشجر التفاح: لا تخرج إلا حنظلا.

---

(١) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم عن أنس.

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٥/ ١٣٤)، وابن حبان في «صحيحه»، والحاكم (٤/ ٣١١)، وصححه ووافقه الذهبي، ورواه البيهقي، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١/ ١٥ - ١٦)، و«صحيح الجامع» رقم (٢٨٢٢)، و«أحكام الجنائز» ص(٥٢).

(٣) **حسن**: أخرجه أحمد في «مسنده»، وابن ماجه، والبخاري في «التاريخ»، وحسّنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٤٤٢)، و«صحيح الجامع» (٧٥٦٩).

فهذا الغرس ليس له نظيرُ ... وحاشا أن يكون له نظيرُ؟
بماءِ الذكر يُسقى كل يوم ... وفي أحضانه تنمو البذور[١]

* * *

* أمل وضيء ومبشرات للغد الآتي:

نعم لأمل بسَّام نعيش به، ولا للمنى فهي رؤوس أموال المفاليس والنَّوكى[٢].

أمل وضيء في وسط ظلام واقعنا الحالك، يطمئن في وسط الزلازل، وثقة لا تتزعزع في وعد اللَّه.. نستشرف النصر من بعيد، ونراه رأي العين، ونوقن أن البشرية في طريقها إلى ربيعها المونق المزهر الذي يملأ حياتها بالعطر والدفء والنور.. ربيع الإسلام.

«ونكتفي في هذا الموضع بعرض عبرة من الواقع التاريخي للإسلام، لعلّها أنسب العبر في هذا المقام: بينما كان «سراقة بن مالك» يطارد رسول اللَّه ﷺ وصاحبه أبا بكر ـ رضي اللَّه عنه ـ وهما مهاجران خفية عن أعين قريش.. وبينما كان سراقة يعثر به فرسه كلّما همّ أن يتابع الرسول وصاحبه، طمعًا في جائزة قريش المغرية التي رصدتها لمن يأتيها بمحمد وصاحبه أو بخبر عنهما... وبينما هو يهمّ بالرجوع ـ وقد عاهد النبي ﷺ أن يكفيهما من وراءه..

في هذه اللحظة قال النبي ﷺ: **«يا سراقة، كيف بك وسواري**

---

(١) من قصيدة «نحن وهم» من ديوان «لأنك مسلم» لمحمود مفلح ص(٦١).
(٢) النوكي: الحمقى.

كسرى؟». يعده سواري كسرى شاهنشاه الفرس! (ملك الملوك!).

واللَّه وحده يعلم ما هي الخواطر التي دارت في رأس سراقة؛ حول هذا العرض العجيب، من ذلك المطارد الوحيد... إلاّ من صاحبه الذي لا يغني شيئًا عنه[1]، والمهاجر ـ سرًّا ـ معه!

ولكن الرسول ﷺ كان عارفًا بالحق الذي معه، معرفته بالباطل الذي عليه الجاهلية في الأرض كلها يوم ذاك... وكان واثقًا من أن هذا الحق لا بد أن ينتصر على هذا الباطل، وأنه لا يمكن أن يوجد «الحق» في صورته هذه، وأن يُوجد «الباطل» في صورته هذه، ثم لا يكون ما يكون.

كانت الشجرة القديمة قد تآكلت جذورها كلها، بحيث لا يصلها ريّ ولا سماد... كانت قد خبثت بحيث يتحتم أن تجتث... وكانت البذرة الطيبة في يده هي المعبّأة للغرس والنماء... وكان واثقًا من هذا كله ثقة اليقين»[2].

* وفي يوم الأحزاب، ويا له من يوم!! يقول اللَّه تعالى عنه: **﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾** [الأحزاب: ١٠ - ١١] في هذه الساعات الرهيبة والرسول مع الصحابة يسهم في حفر الخندق، وبهم من الخوف والجوع ما اللَّه به عليم، كان النبي ﷺ يستشرف النصر من بعيد، ويراه رأي العين في

---

(١) لا يغني عنه شيئًا أي: من حيث القوة المادية.

(٢) «المستقبل لهذا الدين» لسيد قطب (٩٣ ـ ٩٥).

ومضات الصخور على ضرب المعاول يحدّث النبي أصحابه عن الغد المأمول، والمستقبل المرجو بفتح بلاد كسرى، وبلاد قيصر، وبلاد اليمن حديث الواثق المطمئن الذي أثار أرباب النفاق عند الزلزلة، فقال أحدهم وهو معتب بن قشير أخو بني عمرو بن عوف في ضيق وحنق - مصوراً حالة المنافقين جميعًا -: «كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط!».

«نحن اليوم في مثل هذا الموقف بكل ملابساته، وكل سماته، مع الجاهلية كلها من حولنا، فلا يجوز - من ثم - أن ينقصنا اليقين في العاقبة المحتومة.. العاقبة التي يشير إليها كل شيء من حولنا؛ على الرغم من جميع المظاهر الخادعة التي تحيط بنا.

إن حاجة البشرية اليوم إلى هذا المنهج، ليست بأقل من حاجتها يومذاك.. وإن وزن هذا المنهج اليوم - بالقياس إلى كل ما لدى البشرية - من مناهج لا يقل عنه يومذاك ومن ثم ينبغي ألا يخالجنا الشك في أن ما وقع مرة في مثل هذه الظروف لا بد أن يقع»[1].

الإرهاصات في أن المستقبل للإسلام كثيرة، والمبشرات لفجر الإسلام ونصره نوقن بها أكثرمن يقيننا بوجودنا.

* * *

---

(١) «المستقبل لهذا الدين» لسيد قطب (٩٣ - ٩٥).

* لا تيأسوا من رَوح الله:

* قال تعالى: ﴿لا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

المؤمن أوسع الناس أملاً، وأكثرهم تفاؤلاً واستبشارًا، وأبعدهم عن التشاؤم والقنوط والضجر، كيف لا وهو مع اللَّه ذو القوة التي لا تحدّ، والرحمة الواسعة، والكرم السابغ.

سنستصحب الأمل فيهون الصعب، ويدنو البعيد، هذا الشعاع الذي يبزغ في دياجير الأحداث من القلوب الكبيرة المطمئنة، فينير الطريق، ويبدّد الظلام.. الأمل والإيمان بنصر اللَّه ﴿يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝ وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٥ ـ ٦].

نستمسك بوعد اللَّه لننهض من الكبوة، ونسترد الثقة والطمأنينة.

* قال تعالى: ﴿...وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦].

* وقال تعالى: ﴿لا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

نعرض مذاقًا يعرفه من ذاق مثله، والقلب الذي ذاق هذا المذاق لا تبلغ الشدائد منه مهما بلغت؛ لأنه قلب موصول باللَّه.. يحيا في ظل الاسترواح من الكرب الخانق بما ينسم على الأرواح من رَوح اللَّه النديّ.

والمؤمنون الموصولة قلوبهم باللَّه، النديّة أرواحهم بروحه، الشاعرون بنفحاته المُحيية الرخيّة، فإنهم لا ييأسون من روح اللَّه ولو

أحاط بهم الكرب، واشتد بهم الضيق... إنه في رَوْح من ظلال إيمانهم، وفي أنس من صلتهم بربهم، وفي طمأنينة من ثقتهم بمولاهم، وهم في مضايق الشدة ومخانق الكروب.

◘ قال أبو حاتم السجستاني:

إذا اشتملت على اليأس القلوب	وضاق لما به الصدر الرّحيبُ
وأوطأت المكاره واطمأنَّتْ	وأرست في أماكنها الخطوبُ
ولم تَرَ لانكشاف الضرّ وجها	ولا أغنى بحيلته الأريبُ
أتاك على قنوطٍ منك غَوْثٌ	يمنّ به اللطيف المستجيبُ
وكُلُّ الحادثات إذا تناهَتْ	فموصولٌ بها الفَرَج القريب[1]

● عن ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ أنه قال: «إن رجلاً قال: يا رسول اللَّه، ما الكبائر؟ قال: «**الشرك باللَّه، والإياس من رَوْحِ اللَّه، والقنوط من رحمة اللَّه**»[2].

◘ وقال ابن مسعود ـ رضي اللَّه عنه ـ: الكبائر الإشراك باللَّه، والأمن من مكر اللَّه، والقنوط من رحمة اللَّه واليأس من رَوْح اللَّه»[3].

* * *

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٥٢٦).

(٢) حسن: قال الهيثمي في «مجمع الزوائد»: رواه البزار، والطبراني، ورجاله موثقون، وحسّنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (٢٠٥١)، و«صحيح الجامع» رقم (٤٦٠٣).

(٣) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٠٤): إسناده حسن.

* يا فجرُ أقبلْ:

يا فَجْرُ أقبِلْ.. مُدَّ مِنْ فيءٍ وهاتِ مِن الظِلالِ
واسكبْ على فمي البَلا لَ ورَشْفةَ الماءِ الزُّلالِ
وَاسْقِ البواديَ مِنْ ندَا كَ وَمِنْ مَواطِرِكَ الثِّقالِ
واطْوِ السّرابَ عن الجِنا نِ.. عن الحقولِ.. عن الرمالِ
واملأ بنورِكَ كُلَّ دا جيةٍ مُرَوَّعَةِ الخيالِ
يا فجرُ..! قد شقَّ الهجيـ ـرُ وزادَ من شكوى الرِّحالِ

* * *

مبشرات النصر والتمكين من القرآن الكريم

مبشرات النصر والتمكين
من القرآن الكريم

لا يخالجنا الشك في نصر الإسلام...

✍ نحن نستيقن أن الناس كل الناس عائدون إلى اللَّه حتمًا، عائدون إلى منهجه، وأن المستقبل لهذا الدين مهما بذل أعداء الحياة لزحزحة الإسلام عن القيادة..

هذا اليقين الذي لا يخالجه الشك نبعه من القرآن والسنة والتاريخ والواقع والسنن الكونية الربانية، وتحتمه طبائع الأشياء، وحقائق الوجود والحياة، ودلالات الواقع البشري من هنا ومن هناك... إن رصيد الفطرة معنا... فطرة الكون وفطرة الحياة... وهو رصيد هائل ضخم.

✍ إن الإسلام أضخم حقيقة، وأصلب عودًا، وأعمق جذورًا من أن يجتثه أعداء الحياة من على الأرض... بل هم الذين يتردون في هاوية الدمار السحيقة ومزابل التاريخ.

*** والمبشرات بقدوم الفجر المؤمن ونصر الإسلام كثيرة:**

١ ـ مبشرات من القرآن الكريم.

٢ ـ مبشرات من السنة المطهرة.

٣ ـ مبشرات من التاريخ.

٤ ـ مبشرات من السنن الكونية الربانية.

٥ ـ مبشرات من الواقع.

فلنقف وقفة مع هذه المبشرات.

*** في سبيل الله أمضي:**

.. وعلى هدي كتاب اللَّه قد أحكمت نبضي

أرتدي الفجر وأمضي في سبيلي

.. فإذا الشمس دليلي

.. وإذا الأنجم في قلبي.. وأعراس النخيل

* * *

خارجًا من محنة الليل

.. ومن صمت القبورِ

* * *

نهشت أظفارهم وجهي

.. وفي جنبيّ عضّات الحصير

ممسكًا حفنة قمح.. رغم عصف الريح.. والأنواء.. والجُرح الخطير

* * *

وسطورًا من رحيق الذكر

.. أتلوها.. فيستيقظ سيف الحق

.. أتلوها.. فيصحو الشرق..

.. أتلوها فتجري للينابيع طيوري

.. وعلى هَدْي كتابي

أُبصر الأشياء من خلف الضباب

وأرى الأوجه من غير قناعات.. ومن غير خضابِ

وعلى هدْي كتابي
أزرع النخلة في القلب وأسقيها شبابي

* * *

أبصر النحلة.. تجتاز المسافات لتمتص رحيق الشمس من ثدي الرّوابي
أسمع الترنيمة الأولى لطير الفجر
والترجيعة الأولى لديك الفجر
بوح الغيث[1] للأرض اليباب[2]

* * *

وعلى هَدْي كتابي
.. أكتب الفصل الذي يأتي
.. وأخطو فوق حدّ السيف أستنطق عُرْي[3] البرق
.. كي أنقذ آلاف الرقابِ

* * *

قد تقولون بأن السيف في كفِّي أقالته المعاركْ
.. وبأن الليل هالك
وبأني لم أعد أُتقن شد القوس وتغريد النبالْ
والفتوحات التي أدمنها العُشّاق في السبعِ الطوالْ

(١) ظهور المطر.
(٢) الخراب.
(٣) يُقال: فرس عري: لا سرج له.

قد تقولون

.. وإفكًا ما يقولُ الزيف.. ضرب من خيالْ

قد تقولون مُحالْ

.. أن يجيء السيل دفّاقًا

.. وأن تجري مع السيل التلالْ

قد تقولون

.. ولكني أقول

.. وأنا جد خجول

وأنا أقرأ فاتحة العصر.. وأشواق الحقول

إن في الدرب الخيولْ

.. على وقع التلاوات ستخضرّ الفصول

ولنا الفجر الجميل

ولنا التكبيرة الأولى.. لنا الأفق.. لنا الرايات والصوت البديلْ

ولنا السيف الذي خبّأه البرق إلى اليوم الثقيل

ولنا الشجر الأخضر والماء الذي تجري إليه الطير.. والظل الظليل

ولنا قارورة العطر التي تسفحها الشمس على كف الأصيل[1]

* * *

(١) قصيدة (حينما تزهر الحروف) من ديوان «إنها الصحوة» لمحمود مفلح ص(٣٧ ـ ٣٩).

١ـ المبشرات من القرآن الكريم:

* قال تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٢ ـ ٣٣].

* قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: ٨ ـ٩].

□ قال ابن جرير الطبري: «يريد هؤلاء القائلون لمحمد ﷺ: هذا ساحر مبين يريدون ليبطلوا الحق الذي بعث اللَّه به محمدًا ﷺ بأفواههم يعني: بقولهم: إنه ساحر، وما جاء به سحر ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾ واللَّه معلن الحق ومظهر دينه، وناصر محمداً عليه الصلاة والسلام على من عاداه، فذلك إتمام نوره، وعُني بالنور في هذا الموضع الإسلام، وكان ابن زيد يقول: عُني به القرآن»[١].

□ ويقول ابن كثير ـ رحمه اللَّه ـ: «يقول تعالى: يريد هؤلاء الكفار من المشركين وأهل الكتاب ﴿أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ﴾ أي: الذي بُعث به رسول اللَّه ﷺ من الهدى ودين الحق بمجرد افترائهم، فمثلهم كمن يريد أن يُطفئ نور الشمس أو القمر بنفخة وهذا لا سبيل إليه؛ فكذلك ما أرسل به رسول اللَّه ﷺ لا بد أن يتم ويظهر. ولهذا قال تعالى مقابلاً لهم فيما أرادوه ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾،

---

(١) «جامع البيان» لابن جرير (١١/ ٨٨) طبع مصطفى الحلبي.

ثم قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ﴾ فالهدى هو ما جاء به من الإخبارات الصادقة والإيمان الصحيح والعلم النافع، ودين الحق هو الأعمال الصحيحة النافعة في الدنيا والآخرة ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ أي: على سائر الأديان»[1].

□ وقال ابن كثير: «يحاولون أن يردوا الحق بالباطل، ومثلهم في ذلك كمثل من يريد أن يُطفئ شعاع الشمس بفيه، وكما أن هذا مستحيل فذلك مستحيل»[2].

✍ «كم صدّوا عن سبيله صدّاً، ومنْ ذا يُدافع السيل إذا هدر؟ واعترضوه بالألسنة ردّاً، ولعمري مَن يردّ على اللَّه القدر؟ وتخاطروا له بسفهائهم كما تخاطرت الفحول بأذناب[3]، وفتحوا عليه من الحوادث كل شدق فيه من كل داهية ناب. فما كان إلا نور الشمس لا يزال الجاهل يطمع في سرابه، ثم لا يضع منه قطرة في سقائه، ويلقى الصبي غطاءه ليخفيه بحجابه، ثم لا يزال النور ينبسط على غطائه.

✍ كم أبرقوا وأرعدوا حتى سال بهم وبصاحبهم السيل، وأثاروا من الباطل في بيضاء ليلها كنهارها[4] ليجعلوا نهارها كالليل، فما كان لهم إلاّ ما قاله اللَّه: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ...﴾ [الأنبياء: ١٨].

---

(١) «تفسير ابن كثير».
(٢) «تفسير ابن كثير».
(٣) إذا تصاولت الفحول من الإبل تخاطرت بأذنابها كأنها يهدد بعضها بعضًا.
(٤) أي: في هذه الملّة السمحة.

✍ هل رأوا إلا دينًا يضيء الدنيا كالمصابيح، فعصفوا عليه بأفواههم كما تعصف الريح، يريدون أن يطفئوا نور اللَّه!!، وأين سراج النجم من نفخة ترتفع إليه كأنما تذهب تُطفيه، ونور القمر من كفٍّ يحسب صاحبها أنها في حجمه فيرفعها كأنما يُخفيه!! وهيهات هيهات دون ذلك دَرْج الشمس وهي أم الحياة في كفن، وإنزالها بالأيدي وهي روح النهار في قبر من كهوف الزمن»[1] .

لا جرم أن الإسلام من السماء فهو نور اللَّه في أفق الدنيا حتى تزول، ومعنى الخلود في دولة الأرض إلى أن تدول، وكذلك تمادى الكافرون في طغيانهم يعمهون، وظلّت آياته تلقف ما يأفكون، فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون.

✍ هذا الوعد الحق من اللَّه، الدال على سنته التي لا تتبدل في إظهار نوره بإظهار دينه ولو كره الكافرون، تطمئن له قلوب الذين آمنوا، فيدفعهم هذا إلى المضي في الطريق على المشقة واللأواء في الطريق، وعلى الكيد والحرب من الكافرين أهل الكتاب.. كما أنه يتضمن في ثناياه الوعيد لهؤلاء الكافرين وأمثالهم على مدار الزمان.

* قال تعالى: **﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾** [التوبة: ٣٣].

هذا توكيد لوعد اللَّه الأول: **﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾** فنور اللَّه الذي قرر سبحانه أن يتمه، هو دين الحق الذي

(١) «وحي القلم».

أرسل به رسوله ليظهره على الدين كله.

ولقد تحقق هذا مرة على يد رسول اللَّه ﷺ وخلفائه، ومن جاء بعدهم فترة طويلة من الزمان. وكان دين الحق أظهر وأغلب.

وكانت الأديان التي لا تخلص فيها الدينونة للَّه تخاف وترجف! ثم تخلى أصحاب دين الحق عنه.. ولكن هذه ليست نهاية المطاف.. إن وعد اللَّه قائم، ينتظر العصبة المسلمة، التي تحمل الراية وتمضي.

* المصباح الذي أناره محمد ﷺ تألب عليه «مليون» أبي لهب يطفئونه:

✍ إن هذا المصباح السماوي تألب عليه مليون أبي لهب.. مليون حيي بن أخطب مليون عبد اللَّه بن سبأ.. مليون فرناندو وإيزابيلا.. مليون أتاتورك، مليون طاغوت، ولكن هيهات هيهات.

شعلة الإسلام لن تطفئها نفخة العدوان.. أو عصف السَّخيمة

* * *

✍ وقف بنو إسرائيل في وجه الدين الجديد وقفة العداء والكيد والتضليل، وحاربوه بشتى الوسائل والطرق حربًا شعواء لم تضع أوزارها حتى اليوم. حاربوه بالاتهام، وحاربوه بالدس والوقيعة داخل المعسكر الإسلامي، للإيقاع بين المهاجرين والأنصار في المدينة، وبين الأوس والخزرج من الأنصار. وحاربوه بالتآمر مع المنافقين تارة ومع المشركين تارة. وحاربوه بالانضمام إلى معسكرات المهاجمين كما في غزوة الأحزاب، وحاربوه بالإشاعات الباطلة كما جرى في حديث الإفك على

يد عبد اللَّه بن أبي بن سلول، ثم ما جرى في فتنة عثمان على يد عدو اللَّه عبد اللَّه بن سبأ.

✍ وحاربوه بالأكاذيب والإسرائيليات التي دسّوها في الحديث وفي السيرة وفي التفسير حين عجزوا عن الوضع والكذب في القرآن الكريم.

✍ ولم تضع الحرب أوزارها لحظة واحدة حتى اللحظة الحاضرة. فقد دأبت الصهيونية العالمية والصليبية العالمية على الكيد للإسلام، وظلتا تغيران عليه، أو تؤلبان عليه في غير وناة ولا هدنة في جيل من الأجيال.

✍حاربوه في الحروب الصليبية في المشرق، وحاربوه في الأندلس في المغرب، وحاربوه في الوسط في دولة الخلافة الأخيرة حربًا شعواء حتى مزّقوها وقسموا تركة من كانوا يسمونه «الرجل المريض»... واحتاجوا إلى أن يخلقوا أبطالاً مزيّفين في أرض الإسلام يعملون لهم في تنفيذ أحقادهم ومكايدهم ضد الإسلام. فلما أرادوا تحطيم «الخلافة» والإجهاز على آخر مظهر من مظاهر الحكم الإسلامي صنعوا في تركيا «بطلاً»!.. وهو القزم كمال أتاتورك ونفخوا فيه. وتراجعت جيوش الحلفاء التي كانت تحتل الأستانة أمامه لتحقق منه بطلاً في أعين مواطنيه. بطلاً يستطيع إلغاء الخلافة وإلغاء اللغة العربية، وفصل تركيا عن المسلمين، وإعلانها دولة علمانية لا علاقة لها بالدين! وهم يكررون صنع هذه البطولات المزيفة كلما أرادوا أن يضربوا الإسلام في بلد من بلاد المسلمين، ليقيموا مكانه عصبية غير عصبية الدين! وراية غير راية الدين.

فهم يدسون ويكيدون محاولين القضاء على الدين، يحاولون إطفاء

نور اللَّه بنفخة من أفواههم وهم هم الضعاف المهازيل!

✍ ينفثون دخان قلوبهم السوداء، ويعملون كما تعمل الأعاصير على إهداء الوجوه والأعين والأنفاس صحفًا مُنشرة من غبار الأرض، إن لم تكن مرضًا فأذًى، وإن لم يكن أذى فضيق، وإن لم تكن ضيقًا فلن تكون شيئًا مما يُساغ، أو يُقبل أو يُحب!

سلكوا في الدعوة إلى الكفر والإلحاد شعابًا جُددًا، وللتشكيك في الدين طرائق قددًا. وهيهات أن ينالوا من نور اللَّه شيئًا.

* ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾:

✍ وصدق وعد اللَّه.. أتم نوره في حياة الرسول ﷺ فأقام الجماعة الإسلامية صورة حية واقعة من المنهج الإلهي المختار. صورة ذات معالم واضحة وحدود مرسومة، تترسمها الأجيال لا نظرية في بطون الكتب، ولكن حقيقة في عالم الواقع.

✍ وأتم نوره فأكمل للمسلمين دينهم وأتم عليهم نعمته ورضي لهم الإسلام دينًا يحبونه، ويجاهدون في سبيله، ويرضى أحدهم أن يُلقى في النار ولا يعود إلى الكفر، ولا يعلم في الأرض قوم غير المسلمين يعتصمون بدينهم وأيديهم في الأغلال، ويجنحون إليه بأعناقهم وهي في ربَق الملوك من الإذلال، ويخصونه بقلوبهم حتى يكون أملك بها، وأغلب عليها، ولا يحتملون فيه سخطة، ولا يؤثرون عليه رضى، ولا يعدلون به عِدلاً، ويتبرمون ولا يرضون المحنة في كل شيء إلا فيه.

فتمّت حقيقة الدين في القلوب وفي الأرض سواء. وما تزال هذه الحقيقة تنبعث بين الحين والحين، وتنبض وتنتفض قائمة على الرغم من

كل ما جُرِّد على الإسلام والمسلمين من حرب وكيد وتنكيل وبطش شديد؛ لأن نور اللَّه لا يمكن أن تطفئه الأفواه، ولا أن تطمسه كذلك النار والحديد، في أيدي العبيد! وإن خُيِّل للطغاة والجبارين، وللأبطال المصنوعين على أعين الصليبيين واليهود أنهم بالغو هذا الهدف البعيد.

✍ لقد جرى قدر اللَّه أن يظهر هذا الدين، فكان من الحتم أن يكون: ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾، وشهادة اللَّه لهذا الدين بأنه «الهدى ودين الحق» هي الشهادة، وهي كلمة الفصل التي ليس بعدها زيادة.

ولقد تمت إرادة اللَّه فظهر هذا الدين على الدين كله. ظهر في ذاته كدين، فما يثبت له دين آخر في حقيقته وفي طبيعته، فأما الديانات الوثنية فليست في شيء من هذا المجال، وأما الديانات الكتابية فهذا الدين خاتمتها، وهو الصورة الأخيرة الكاملة الشاملة منها، فهو هي، في الصورة العليا الصالحة إلى نهاية الزمان.

ولقد حُرّفت تلك الديانات وشُوِّهت ومُزِّقت وزيد عليها ما ليس منها، ونقصت من أطرافها وانتهت لحال لا تصلح معه لشيء من قيادة الحياة. وحتى لو بقيت من غير تحريف ولا تشويه فهي نسخة سابقة لم تشمل كل مطالب الحياة المتجددة أبدًا؛ لأنها جاءت في تقدير اللَّه لأمد محدود.

✍ فهذا تحقيق وعد اللَّه من ناحية طبيعة الدين وحقيقته.

✍ فأما من ناحية واقع الحياة، فقد صدق وعد اللَّه مرة، فظهر هذا الدين قوة وحقيقة ونظام حكم على الدين كله، فدانت له معظم الرقعة

المعمورة في الأرض في مدى قرن من الزمان. ثم زحف زحفًا سلميًّا بعد ذلك إلى قلب آسيا وأفريقية، حتى دخل فيه بالدعوة المجردة خمسة أضعاف من دخلوا في إبان الحركات الجهادية الأولى.. وما يزال يمتد بنفسه دون دولة واحدة منذ أن قضت الصليبية العالمية والصهيونية على الخلافة العثمانية على يد القزم أتاتورك، وعلى الرغم من كل ما يرصد له في كل أنحاء الأرض من حرب وكيد.

وما تزال لهذا الدين أدوار في تاريخ البشرية يؤديها، ظاهرًا ـ بإذن اللَّه ـ على الدين كله تحقيقًا لوعد اللَّه، الذي لا تقف له جهود العبيد المهازيل، مهما بلغوا من القوة والكيد والتضليل.

* قال تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا** ﴾ [الفتح: ٢٨]:

لقد ظهر دين الحق، لا في الجزيرة وحدها، بل ظهر في المعمور من الأرض كلها قبل مضي نصف قرن من الزمان، ظهر في إمبراطورية كسرى كلها، وفي قسم كبير من إمبراطورية قيصر، وظهر في الهند وفي الصين، ثم في جنوب آسيا «في الملايو» وغيرها، وفي جزر الهند الشرقية «أندونيسيا» وكان هذا هو معظم المعمور من الأرض في القرن السادس ومنتصف القرن السابع الميلادي.

✍ وما يزال دين الحق ظاهرًا على الدين كله ـ حتى بعد انحساره السياسي عن جزء كبير من الأرض التي فتحها وبخاصة في أوربا وجزر البحر الأحمر، وانحسار قوة أهله في الأرض كلها بالقياس إلى القوة التي ظهرت في الشرق والغرب في هذا الزمان.

أجل ما يزال دين الحق ظاهرًا على الدين كله، من حيث هو دين، فهو الدين القوي بذاته، القوي بطبيعته، الزاحف بلا سيف ولا مدفع من أهله! لما في طبيعته من استقامة مع الفطرة ومع نواميس الوجود الأصلية، ولما فيه من تلبية بسيطة عميقة لحاجات العقل والروح، وحاجات العمران والتقدم.

✍ وما من صاحب دين غير الإسلام ينظر في الإسلام نظرة مجردة من التعصب والهوى حتى يقرّ باستقامة هذا الدين وقوته الكامنة، وقدرته على قيادة البشرية قيادة رشيدة، وتلبية حاجاتها النامية المتطورة في يسر واستقامة﴿ **وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً** ﴾ .

✍ ولعل أهل هذا الدين هم وحدهم الذين لا يدركون هذه الحقيقة اليوم! فغير أهله يدركونها ويخشونها ويحسبون لها في سياساتهم كل حساب! .

* * *

* الإسلامُ كالشمس لا يغرُب مطلقا:

إن الإسلام كالشمس إذا غربت في جهة، طلعت في جهة أخرى فلا تزال طالعة.

إن الإسلام لم ينكَّب في ناحية من نواحي العالم، ولم يخسر في جانب دولة إلا وقامت له دولة في جانب آخر؛ ولم تسقط له راية إلا وخفقت له راية أخرى؛ ولم يغب له نجم، إلا وطلع له نجم آخر.

لقد كانت خسارة الأندلس الإسلامية كارثة كبيرة، ومصابًا عظيمًا،

ولكن عوّض الإسلام بها بدولة فتيّة من أعظم دول العالم، هي دولة آل عثمان في تركيا قامت في نفس القارة الأوربية، وجثمت على صدر الدول والأمم التي انتزعت الأندلس الإسلامية.

وكان سقوط غرناطة، وأوج الدولة العثمانية، في عهد سليمان القانوني، حادثين في عصر واحد.

ونُكِبَ العالم الإسلامي، ونُكبت بغداد بغارة التتار، وانطمست معالم الحضارة الإسلامية، وزلزل المسلمون زلزالاً شديدًا، ولكن في نفس هذه الفترة كانت الدولة المسلمة في الهند تتسع وتزدهر.

وهكذا لم يزل التاريخ الإسلامي متأرجحًا بين الأسفل والأعلى؛ فما تسفّل منه جانب إلا وترفّع جانب آخر، ولم تتوار شمسه في أفق إلا وبزغت في أفق آخر، وذلك لأن رسالة الإسلام رسالة اللَّه الأخيرة التي لا رسالة بعدها، وإذا ضاع المسلمون فقد ضاعت الرسالة، وإذا هلكوا فقد غرقت السفينة التي تحمل الذخيرة والخير كل الخير.

* وقال تعالى: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾ [النور: ٥٥].

◻ قال ابن كثير: «هذا وعد من اللَّه تعالى لرسوله ﷺ بأنه سيجعل أمته الولاة على الناس فتصلح بهم البلاد، وتخضع لهم العباد وليبدلنهم بعد خوفهم أمنًا وحكمًا، وقد فعله تبارك وتعالى وله الحمد

والمنة، فـفتح رسول اللّـه ﷺ مكة وخيبر والـبحرين وسائـر جزيرة العرب وأرض الـيمن بكامـلها، وأخذ الجـزية من مجوس هـجر، ومن بعض أطراف الشام وهاداه هرقل والمقوقس وملوك عمان والنجاشي ملك الحبشة الذي تملّك بعد النجاشي المسلم أصحمة ـ رحمه اللّه وأكرمه ـ.

✍ ثم تولـى أبو بكر الصديـق فلمّ شعث مـا وهى بعد موته عـليه الصلاة والسلام فمهّد الجزيرة العربيـة، وفتح طرفًا من فارس بقيادة خالد ابن الوليد، وفتح بصرى ودمشق وحـوران بقيادة أبي عبيدة ـ رضي اللّه عنهم أجمعين ـ، وألهم اللّه الصديق أن يستخلف عمر الفاروق الذي قام بعده بالأمر قيامًا تـامًّا فتمّ في أيامه فتح الشام ومصر وأكثر إقليم فارس وتقهقـر كسرى إلى أقصى مملـكته، وفرّ قيصر إلى الـقسطنطينـية وأنفق أموالهما في سبيل اللّه.

ثم امـتدت دولة عـثمـان إلى أقصـى مشارق الأرض ومـغاربـها، ففتـحت المغرب إلـى البحر المحيـط، ومن ناحيـة المشرق مدائـن العراق وخراسان والأهواز، وقتل المسلمون الترك مقتلة عظيمة جدًّا، وخذل اللّه ملكـهم (خاقان). فـها نحن نتـقلّب فيمـا وعدنا اللّـه ورسوله ﷺ، وصدق اللّه ورسوله ﷺ فنسأل اللّـه الإيمان به وبرسوله ﷺ والقيام بشكره على الوجـه الذي يرضيه عنا. فالصحابة ـ رضـي اللّه عنهم ـ لما كانوا أقوم الـناس بعد النبي ﷺ بـأوامر اللّه عز وجل وأطـوعهم له، كان نصرهم بحـسبهم، ولما قصّر الناس بعدهم فـي بعض الأوامر نقص ظهورهم بحسبهم.

● وقد ثبت في «الصحيحين» عن رسول اللّه ﷺ قال: «لا تزال

طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضـرهم من خذلهم ولا من خالفهم إلى يوم القيامة ـ وفي رواية ـ **حتى يأتي أمر اللَّه وهم على ذلك** ـ وفي رواية ـ **حتى يُقاتلوا الدجال** ـ وفي رواية ـ **حتى ينزل عيسى بن مريم وهم ظاهرون**» وكل هذه الروايات صحيحة ولا تعارض بينها.

✍ تكريم علـوي جليل يحتاج منـا إلى حس يقظ وبصيرة مـفتوحة لنتصـور معنى الاضطلاع بـأمانة الهداية إلى الـلَّه وحفظ العهـد مع اللَّه ليرتفع الإنسان على مقام الملائكة فما باله يشقي نفسه ويهبط من عليائه، ويخوض في الوحل والمستنقع الآسن العفن.

✍ عقد الاستخلاف وتمكين الدين في الـقلوب وتمكينه في تصريف الحياة وتدبيرها وهـيمنته على الأرض ـ قائم على تلـقي الهدى من اللَّه، والتقيد بمنهجـه في الحياة إيمانًا به يستغرق الإنسان كلــه، بخواطر نفسه، وخلجات قلبه وأشواق روحه، وميول فطرته، حركاته وسكناته، ولفتات جوارحه، وسلوكه مع ربـه في أهله والناس جميعًا ليحـققوا النهج الذي أراده اللَّه ويقرروا العدل الذي أراده اللَّه، ويسـيروا بالبشرية خطوات في طريق الكمال المقدر لها يوم أنشأها اللَّه.

لقد تحقق وعد اللَّه مرة، وظل متحققًا وواقعًا ما قام المسلمون على شرط اللَّه، ووعد اللَّه مذخور لكل مـن يقوم على الشرط من هذه الأمة إلى يوم القيامة، إنما يبطئ النصرَ والاستخلاف والتمكين والأمن لتخلف شرط اللَّه فـي جانب من جوانبـه الفسيحة، أو في تـكليف من تكـاليفه الضخـمة، حتى إذا انتـفعت الأمة بـالبلاء، وجازت الابتـلاء، وخافت فطلبت الأمن، وذلـت فطلبت العزة، وتخلفت فطـلبت الاستخلاف..

كل ذلك بوسائله التي أرادها اللَّه، وبشروطه التي قررها اللَّه، تحقق وعد اللَّه الذي لا يتخلف، ولا تقف في طريقه قوة من قوى الأرض جميعًا.

✍ إن الإسلام حقيقة ضخمة لا بد أن يتملاها من يريد الوصول إلى حقيقة وعد اللَّه في تلك الآيات، ولا بد أن يبحث عن مصداقها في تاريخ البشرية، وهو يدرك شروطها على حقيقتها، قبل أن يتشكك فيها أو يرتاب، أو يستبطئ وقوعها في حالة من الحالات.

إنه ما من مرة سارت هذه الأمة على نهج اللَّه، وحكّمت هذا النهج في الحياة وارتضته في كل أمورها إلا تحقق وعد اللَّه بالاستخلاف والتمكين والأمن. وما من مرة خالفت هذا النهج إلا تخلّفت في ذيل القافلة، وذلت، وطردت من الهيمنة على البشرية، واستبد بها الخوف، وتخطفها الأعداء.

ألا إن وعد اللَّه قائم، ألا وإن شرط اللَّه معروف. فمن شاء الوعد فليقم بالشرط ومن أوفى بعهده من اللَّه؟

☐ قال الإمام ابن القيم ـ رحمه اللَّه ـ: «يأبى عدل اللَّه أن يولي علينا أمثال معاوية فضلاً عن أبي بكر وعمر، فإن ولاتنا على قدرنا وولاة السلف على قدرهم، وكأن أعمالنا ظهرت في جنس عمّالنا».

* وقال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ**﴾ [الصافات: ١٧١ ـ ١٧٣].

الوعد واقع وكلمة اللَّه قائمة. ولقد استقرت جذور العقيدة في الأرض؛ وقام بناء الإيمان، على الرغم من جميع العوائق، وعلى الرغم

من تكذيب المكذبين، وعلى الرغم من التنكيل بالدعاة والمتبعين. ولقد ذهبت عقائد المشركين والكفار، وذهبت سطوتهم ودولتهم؛ وبقيت العقائد التي جاء بها الرسل تسيطر على قلوب الناس وعقولهم، وتكيّف تصوراتهم وأفهامهم. وما تزال على الرغم من كل شيء هي أظهر وأبقى ما يسيطر على البشر في أنحاء الأرض. وكل المحاولات التي بُذلت لمحو العقائد الإلهية التي جاء بها الرسل، وتغليب أي فكرة أو فلسفة أخرى قد باءت بالفشل. باءت بالفشل حتى في الأرض التي نبعت منها. وحقت كلمة اللَّه لعباده المرسلين. إنهم لهم المنصورون وإن جنده لهم الغالبون.

هذه بصفة عامة. وهي ظاهرة ملحوظة في جميع بقاع الأرض، في جميع العصور. وهي كذلك متحققة في كل دعوة للَّه، يخلص فيها الجند، ويتجرد لها الدعاة.

إنها غالبة منصورة مهما وُضعت في سبيلها العوائق، وقامت في طريقها العراقيل. ومهما رصد لها الباطل من قوى الحديد والنار، وقوى الدعاية والافتراء، وقوى الحرب والمقاومة، وإن هي إلا معارك تختلف نتائجها، ثم تنتهي إلى الوعد الذي وعده اللَّه لرسله. والذي لا يُخلف ولو قامت قوى الأرض كلها في طريقه، الوعد بالنصر والغلبة والتمكين.

✍ هذا الوعد سنة من سنن اللَّه الكونية. سنة ماضية كما تمضي هذه الكواكب والنجوم في دوراتها المنتظمة، وكما يتعاقب الليل والنهار في الأرض على مدار الزمان.

ولكنها مرهونة بتقدير اللَّه، يحققها اللَّه حين يشاء. وقد تبطئ آثارها الظاهرة بالقياس إلى أعمار البشر المحدودة، ولكنها لا تخلف أبدًا ولا تتخلّف، وقد تحقق في صورة لا يدركها البشر؛ لأنهم يطلبون المألوف من صور النصر والغلبة، ولا يدركون تحقق السنة في صورة جديدة إلا بعد حين!

وقد يريد البشر صورة معينة من صور النصر والغلبة كجند اللَّه وأتباع رسله، ويريد اللَّه صورة أخرى أكمل وأبقى، فيكون ما يريده اللَّه، ولو تكلف الجند من المشقة وطول الأمد أكثر مما كانوا ينتظرون.. لقد أراد المسلمون قُبيل غزوة بدر أن تكون لهم عير قريش، وأراد اللَّه أن تفوتهم القافلة الرابحة الهنية؛ وأن يقابلوا النفير وأن يقاتلوا الطائفة ذات الشوكة، وكان ما أراده اللَّه هو الخير لهم وللإسلام، وكان هو النصر الذي أراده اللَّه لرسوله وجنده ودعوته على مدى الأيام.

✍ وقد يهزم جنود اللَّه في معركة من المعارك، وتدور عليهم الدائرة، ويقسو عليهم الابتلاء؛ لأن اللَّه يعدهم للنصر في معركة أكبر ولأن اللَّه يهيئ الظروف من حولهم ليؤتي النصر يومئذ ثماره في مجال أوسع، وفي خط أطول، وفي أثر أدوم.

لقد سبقت كلمة اللَّه، ومضت إرادته بوعده، وثبتت سنته لا تتخلّف ولا تحيد.

* وقال تعالى: ﴿**إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ**﴾ [غافر: ٥١ ـ ٥٢].

«أما في الآخـرة فقد لا يجادل أحد مـن المؤمنين بالآخـرة في هذه النهاية.

وأما النصر في الحياة الدنيا فقد يكون في حاجة إلى جلاء وبيان.

إن وعد اللَّه قـاطع جازم: ﴿**إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾ بينما يشاهد الناس أن الرسل منهم من يُقتل، ومنهم من يهاجر من أرضه وقومـه مكذبًا مطرودًا، وأن المؤمـنين فيهم من يُـسام العذاب، وفيهم من يلقى في الأخدود، وفيهم من يستشهد، وفيهم من يعيش في كرب وشدة واضطـهاد.. فأين وعد اللَّه لهـم بالنصر في الحيـاة الدنيا؟ ويدخل الشيطان إلى النفوس من هذا المدخل، ويفعل بها الأفاعيل!

ولكن الـناس يقيـسون بظواهر الأمـور، ويغفلـون عن قيم كـثيرة وحقائق كثيرة في التقدير.

إن الناس يـقيسون بفـتـرة قصيرة مـن الزمان، وحيز مـحدود من المكان، وهي مقاييس بشرية صغيرة. فأما المقياس الشامل فيعرض القضية في الرقـعة الفسـيحة من الـزمان والمكان، ولا يـضع الحدود بين عـصر وعصر، ولا بين مكان ومكان.

ولو نظرنا إلى قضية الاعتقاد والإيمان في هذا المجال لرأيناها تنتصر من غير شك.

وانتصار قضيـة الاعتقاد هو انتصار أصحابها فـليس لأصحاب هذه القضية وجود ذاتي خارج وجودها. وأول ما يـطلبه منهم الإيمان أن يفنوا فيها ويختفوا هم ويبرزوها!

✍ والناس كذلك يقـصرون معنى النصر على صورة معـينة معهودة

لهم، قريبة الرؤية لأعينهم. ولكن صور النصر شتى. وقد يتلبس بعضها بصور الهزيمة عند النظرة القصيرة.. إبراهيم عليه السلام وهو يُلقى في النار فلا يرجع عن عقيدته ولا عن الدعوة إليها.. أكان في موقف نصر أم في موقف هزيمة؟ ما من شك - في منطق العقيدة - أنه كان في قمة النصر وهو يُلقى في النار. كما أنه انتصر مرة أخرى وهو ينجو من النار. هذه صورة وتلك صورة. وهما في الظاهر بعيد من بعيد. فأما في الحقيقة فهُما قريب من قريب!..

والحسين - رضوان اللَّه عليه - وهو يستشهد في تلك الصورة العظيمة من جانب، والمفجعة من جانب؟ أكانت هذه نصرًا أم هزيمة؟ في الصورة الظاهرة وبالمقياس الصغير كانت هزيمة. فأما في الحقيقة الخالصة وبالمقياس الكبير فقد كانت نصراً.

فما من شهيد في الأرض تهتز له الجوانح بالحب والعطف، وتهفو له القلوب وتجيش بالغيرة والفداء كالحسين - رضوان اللَّه عليه -.

وكم من شهيد ما كان يملك أن ينصر عقيدته ودعوته ولو عاش ألف عام، كما نصرها باستشهاده. وما كان يملك أن يودع القلوب من المعاني الكبيرة، ويحفز الألوف إلى الأعمال الكبيرة، بخطبة مثل خطبته الأخيرة التي يكتبها بدمه، فتبقى حافزًا محركًا للأبناء والأحفاد، وربما كانت حافزًا محرّكًا لخطا التاريخ كله مدى أجيال.. ما النصر؟ وما الهزيمة؟ إننا في حاجة إلى أن نراجع ما استقرّ في تقديرنا من الصور ومن القيم قبل أن نسأل: أين وعد اللَّه لرسله وللمؤمنين بالنصر في الحياة الدنيا؟!

على أن هناك حالات كثيرة يتم فيها النصر في صورته الظاهرة القريبة. ذلك حين تتصل هذه الصورة الظاهرة القريبة بصورة باقية ثابتة.. لقد انتصر محمد ﷺ.. في حياته لأن هذا النصر يرتبط بمعنى إقامة هذه العقيدة بحقيقتها الكاملة في الأرض، فهذه العقيدة لا يتم تمامها إلا بأن تهيمن على حياة الجماعة البشرية وتصرفها جميعًا من القلب المفرد إلى الدولة الحاكمة، فشاء اللَّه أن ينتصر صاحب هذه العقيدة في حياته، لتتحقق هذه العقيدة في صورتها الكاملة، ويترك هذه الحقيقة مقررة في واقعة تاريخية مشهودة ومن ثم اتصلت صورة النصر القريبة بصورة أخرى بعيدة، واتحدت الصورة الظاهرة مع الصورة الحقيقية وفق تقدير اللَّه وترتيبه»[1].

* النصر الداخلي على الذات والشهوات قبل النصر الخارجي:

«وهناك اعتبار آخر تحسن مراعاته كذلك. إن وعد اللَّه قائم لرسله وللذين آمنوا.. ولا بد أن توجد حقيقة الإيمان في القلوب التي ينطبق هذا الوعد عليها. فتتجه للَّه وحده، وتتوكل عليه وحده، وتطمئن إلى قضاء اللَّه وقدره، وتغمر القلوب الطمأنينة والثقة والرضى والقبول، حين تصل القلوب إلى هذه الدرجة فلن تقدم بين يدي اللَّه، ولن تقترح عليه صورة معينة من صور النصر أو صور الخير.. فسيكِلُ هذا كله للَّه، ويلتزم، ويتلقى كل ما يصيبه على أنه الخير.. وذلك معنى من معاني

(١) «الظلال» (٥/ ٣٠٨٥ ـ ٣٠٨٦).

النصر. . النصر على الذات والشهوات، وهو النصر الذي لا يتم نصر خارجي بدونه بحال من الأحوال».

* الأمة المسلمة فوق الأمم في الدنيا والآخرة:

* قول الله تعالى لعيسى عليه السلام:

﴿ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾

[آل عمران: ٥٥].

◻ قال الحافظ ابن كثير في «تفسيره»: «لما بعث اللَّه محمدًا ﷺ فكان كل من آمن به يؤمن باللَّه وملائكته وكتبه ورسله على الوجه الحق، فكان أتباع محمد هم أتباع كل نبيّ على وجه الأرض؛ لأنه دعاهم إلى التصديق بجميع الحق فكانوا أولى بكل نبي من أمته الذين يزعمون أنهم على ملته وطريقته، فلهذا ولما كانوا هم المؤمنين بالمسيح حقًّا، سلبوا النصارى بلاد الشام، وألجؤوهم إلى الروم، فلجأوا إلى مدينتهم القسطنطينية، ولا يزال الإسلام وأهله فوقهم إلى يوم القيامة.

✍ وقد أخبر الصادق المصدوق ﷺ أمته بأن آخرهم سيفتحون القسطنطينية ويستفيئون ما فيها من الأموال، ويقتلون الروم مقتلة عظيمة جدًّا لم ير الناس مثلها ولا يرون بعدها نظيرها، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ وكذلك فعل بمن كفر من اليهود، أو غلا فيه أو أطراه من النصارى، عذّبهم في الدنيا بالقتل والسبي وإزالة الأيدي من الممالك، وفي الدار الآخرة عذابهم أشق.

وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم، أي في الدنيا بالنصر والظفر، وفي الآخرة بالجنات العاليات».

الذين آمنوا فوق الذين كفروا في واقع الحياة كلما واجهوا بحقيقة الإيمان.

* وقال تعالى: ﴿ **زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...** ﴾ [البقرة: ٢١٢].

◻ قال ابن كثير: «فوق أولئك في محشرهم ومنشرهم ومسراهم ومأواهم فاستقروا في الدرجات في أعلى عليين وخلد أولئك في الدركات في أسفل سافلين».

يمد المؤمن بصره إلى آفاق بعيدة، ينشد منها أن يقرّ في الأرض منهجًا، وأن يقود البشرية إلى ما هو أرفع وأكمل، وأن يركز راية اللَّه فوق هامات الأرض والناس ليتطلع إليها البشر في مكانها الرفيع وليمدوا بأبصارهم وراء الواقع الزهيد المحدود الذي يحيا له من لم يهبه الإيمان رفعة الهدف، وضخامة الاهتمام، وشمول النظرة.

✍ وينظر الصغار الغارقون في وحل الأرض، المستعبدون لأهداف الأرض، ينظرون للذين آمنوا فيرونهم يتركون لهم وحلهم وسفاسفهم ومتاعهم الزهيد، ليحاولوا آمالاً كباراً لا تخصهم وحدهم، ولكن تخص البشرية كلها، ولا تتعلّق بأشخاصهم إنما تتعلق بعقيدتهم؛ ويرونهم يعانون منها المشقات، ويقاسون فيها المتاعب، ويحرمون أنفسهم اللذائذ التي يعدّها الصغار خلاصة الحياة وأعلى أهدافها المرموقة ينظر الصغار المطموسون إلى الذين آمنوا فلا يدركون سر اهتماماتهم العليا عندئذ

يسخرون منهـم؛ من حالهم، ويسخرون من تصوراتـهم، ويسخرون من طريقهم الذي يسيرون فيه وهم أحق بالرثاء والإشفاق والذين اتقوا فوقهم بشهادة اللَّه أحكم الحاكمين.

واللَّه يدّخر لهم ما هو خير، ومـا هو أوسع من الرزق، يهبهم إياه حيث يختار، واختياره للأخيار هو الأبقى والأعلى، يرفعهم عن سفساف الحياة وأعراض الأرض، واهتمامات الصغار، ويصبحون سادة الحياة، لا عبيدًا للحياة كما قال ربعي بن عامر: «إن اللَّه ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة رب العـباد، ومن ظلم الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة».

وسيظل المؤمنـون ينظرون من علٍ إلى أولئك الهابـطين مهما أوتوا من المتاع والأعراض الذين زينت لهم الحياة الدنيا، واستعبدتهم أعراضها وقيمها، وشدّتهم أوهامهم إلى الطين فلصقوا به لا يرتفعون!

* أنتم الأعلون:

* وقـال تعـالـى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

«الحالة الدائـمة التي ينبغي أن يـكون عليها شعور المـؤمن وتصوره وتقديره للأشياء والأحداث والقيم والأشخاص سواء.

الاستـعلاء بالإيمان عـلى قوى الأرض الحائـدة عن منهـج الإيمان، وعلى قيم الأرض التـي لم تنبثق من الإيمان، وعلى تـقاليد الأرض التي لم يصغها الإيمان، وعلى قوانين الأرض الـتي لم يشرعها الإيمان، وعلى

أوضاع الأرض التي لم ينشئها الإيمان.

✍ الاستعلاء مع ضعف القوة، وقلة العدد، وفقر المال، كالاستعلاء مع القوة والكثرة والغنى على السواء.

والاستعلاء بالإيمان ليس مجرد عزمة مفردة، ولا نخوة دافعة، ولا حماسة فائرة، إنما هو الاستعلاء القائم على الحق؛ لأنه موصول بالحي الذي لا يموت.

✍ إن المؤمن هو الأعلى.. الأعلى سندًا ومصدرًا.. فما تكون الأرض كلها؟ وما يكون الناس؟ وهو من اللَّه يتلقى، وإلى اللَّه يرجع وعلى منهجه يسير؟

✍ وهو الأعلى إدراكًا وتصورًا لحقيقة الوجود لإيمانه باللَّه حين يُقاس إلى ذلك الركام من العقائد الوثنية والكتابية المحرّفة، وما اعتسفته المذاهب المادية الكالحة.

✍ وهو الأعلى تصوّرًا للقيم والموازين التي توزن بها الحياة والأحداث والأشياء والأشخاص لا الموازين المختلفة في أيدي البشر الذين لا يدركون إلا ما تحت أقدامهم، ولا يثبتون على ميزان واحد في الجيل الواحد، بل في الأمة الواحدة، بل في النفس الواحدة من حين إلى حين.

✍ وهو الأعلى ضميرًا وشعورًا وخُلُقًا وسلوكًا عنده الرفعة والطهارة والعفة والتقوى وطمأنينة القلب.

✍ وهو الأعلى شريعة ونظامًا بدلاً من محاولات الأطفال وخبط العميان والشقوة والضلال، وهكذا كان المسلمون الأوائل يقفون أمام

المظاهر الجوفاء والقوى المنتفخة، يضج الباطل ويصخب ويرفع صوته، وينفش ريشه، وتحيط به الهالات المصطنعة التي تغشى على الأبصار والبصائر فلا ترى ما وراء الهالات من قبح شائه دميم، وفُجْر كالح لئيم.. وينظر المؤمن من علٍ إلى الباطل المنتفش فلا يهن ولا يحزن ولا ينتقص إصراره على الحق الذي معه، وثباته على المنهج الذي يتبعه.

✍ ويغرق أهل الباطل في شهواتهم الهابطة، ويمضون مع نزواتهم الخليعة، ويلصقون بالوحل والطين، يظنون أنهم ينطلقون من القيود، وتعزّ في مجتمعهم كل متعة بريئة ولا يبقى إلا المشروع الآسن، وإلا الوحل والطين.

✍ وينظر المؤمن من علٍ إلى الغارقين في الوحل اللاصقين بالطين، وهو مفرد وحيد فلا تراوده نفسه أن يخلع رداءه النظيف الطاهر، وينغمس في الحمأة، وهو الأعلى بمتعة الإيمان ولذة اليقين.

✍ ويقف المؤمن قابضًا على دينه كالقابض على الجمر، ويقف الشاردون عن دين اللّه، وعن الفضيلة، والقيم العليا، والاهتمامات النبيلة، وعن كل ما هو طاهر نظيف جميل، هازئين بوقفته، ساخرين من تصوراته، ضاحكين من قيمه... فما يهن المؤمن وهو ينظر إلى الساخرين، والهازئين والضاحكين، وهو يقول كما قال واحدٌ من الرهط الكرام الذين سبقوه في موكب الإيمان العريق الوضيء، في الطريق اللاحب الطويل.. نوح عليه السلام: ﴿**قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ**﴾ [هود: ٣٨]، وهو يرى نهاية الموكب الوضيء.. ونهاية القافلة البائسة في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ**

آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المطففين: ٢٩ ـ ٣٦].

* وقديمًا قصّ علينا القرآن قول الكافرين للمؤمنين: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ [مريم: ٧٣].

إنه منطق الأرض، منطق المحجوبين عن الآفاق العليا في كل زمان ومكان، والمؤمن لا يستمد قيمه وتصوراته وموازينه من الناس حتى يأسى على تقدير الناس، إنما يستمدها من رب الناس وهو حسبه وكافيه.. إنه لا يستمدها من شهوات الخلق حتى يتأرجح مع شهوات الخلق، إنما يستمدها من ميزان الحق الثابت الذي لا يتأرجح ولا يميل.

إنه لا يتلقاها من هذا العالم الفاني المحدود، إنما ينبثق في ضميره من ينابيع الوجود..

فأنّى يجد في نفسه وَهَنًا، أو يجد في قلبه حزنًا وهو موصولٌ برب الناس وميزان الحق وينابيع الوجود.

إنه على الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال؟ وليكن للضلال سلطانه، وليكن له هيله وهيلمانه، إن هذا لا يغيّر من الحق شيئًا، إنه على الحق وليس بعد الحق إلا الضلال»[1].

(١) مختصراً من فصل (استعلاء الإيمان) من كتاب «معالم في الطريق».

*** ومن المبشرات في القرآن:**

* قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٥ ـ ٥٦].

اللَّه سبحانه يريد من المسلم أن يسلم لمجرد أن الإسلام خير! لا لأنه سيغلب، أو سيمكن له في الأرض؛ فهذه ثمرات تأتي في حينها؛ وتأتي لتحقيق قدر اللَّه في التمكين لهذا الدين؛ لا لتكون هي بذاتها الإغراء على الدخول في هذا الدين..

والغلب للمسلمين لا شيء منه لهم، لا شيء لذواتهم وأشخاصهم، وإنما هو قدر اللَّه يجريه على أيديهم ويرزقهم إياه لحساب عقيدتهم لا لحسابهم!

فيكون لهم ثواب الجهد فيه؛ وثواب النتائج التي تترتب عليه من التمكين لدين اللَّه في الأرض، وصلاح الأرض بهذا التمكين.

✍ كذلك قد يعد اللَّه المسلمين الغلب لتثبيت قلوبهم، وإطلاقها من عوائق الواقع الحاضر أمامهم ـ وهي عوائق ساحقة في أحيان كثيرة، فإذا استيقنوا العاقبة قويت قلوبهم على اجتياز المحنة؛ وتخطي العقبة، والطمع في أن يتحقق على أيديهم وعد اللَّه للأمة المسلمة، فيكون لهم ثواب الجهاد، وثواب التمكين لدين اللَّه. وثواب النتائج المترتبة على هذا التمكين.

فغلبة حزب اللَّه قاعدة؛ لا تتعلق بزمان ولا مكان، نطمئن إليها

بوصفه سنة من سنن اللَّه التي لا تتخلف، وإن خسرت العصبة المؤمنة بعض المعارك والمواقف، فالسنة التي لا تنقض هي أن حزب اللَّه هم الغالبون... ووعد اللَّه القاطع أصدق من ظواهر الأمور في بعض مراحل الطريق! وأن الولاء للَّه ورسوله والذين آمنوا هو الطريق المؤدي لتحقق وعد اللَّه في نهاية الطريق.

* وعلى الطرف الآخر قال اللَّه تعالى عن حزب الشيطان: ﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [المجادلة: ١٩].

إن الخير بخير، وإن الشر بشر، والشر الخالص ينتهي إلى الخسران الخالص.

● قال رسول اللَّه ﷺ: «**كما لا يجتنى من الشوك العنبُ، كذلك لا ينزل الفجّارُ منازل الأبرار، فاسلكوا أي طريق شئتم، فأي طريقٍ سلكتم وردتم على أهله**»[(١)] .

● وعن أبي ذر - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**كما لا يُجتنى من الشوك العنبُ كذلك لا يَنزِلُ الفجارُ منازل الأبرار، وهما طريقان فأيهما أخذتم أدركتم إليه**»[(٢)] .

---

(١) حسن: رواه أبو نعيم في «الحلية»، عن يزيد بن مرثد، وحسّنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (٢٠٤٦)، و«صحيح الجامع» رقم (٤٥٧٥).

(٢) صحيح: أخرجه ابن عساكر عن أبي ذر، وكذا رواه أبو نعيم، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (٢٠٤٦)، و«صحيح الجامع» رقم (٤٥٧٦).

* وقال تعـالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ فِي الأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢٠ ـ ٢١].

هذا وعد اللَّه الصادق الذي كان والـذي لا بدّ أن يكون على الرغم مما قد يبدو أحيانًا من الظاهر الذي يُخالف هذا الوعد الصادق.

فالـذي وقع بالـفعل أن الإيمـان والتوحـيد قد غـلبا عـلى الكـفر والشرك. واستقرت العقيدة في اللَّه في هذه الأرض، ودانت لها البشرية بعد كل ما وقف في طـريقها من عقبات الشرك والوثنـية، وبعد الصراع الطويل مع الكفر والشرك والإلحاد.

وإذا كانت هناك فـترات عاد فيها الإلحاد أو الشرك إلـى الظهور في بعض بقاع الأرض كالدول المـلحدة والوثنية والشيوعية، فـإن العقيدة في اللَّه ظلّت هي المسيطرة بصفة عامة. فضلاً على أن فترات الإلحاد والوثنية إلى زوال مؤكد؛ لأنها غـير صالحة للبقاء. والمؤمن يتعـامل مع وعد اللَّه على أنه الحقيـقة الواقعة، فإذا كان الواقع في جيـل محدود أو في رقعة محدودة يخالف تلك الحقيقة، فهذا الواقع هو الباطل الزائل الذي يوجد فترة في الأرض لحكـمة خاصة لعلها استجاشة الإيمان وإهاجته لـتحقيق وعد اللَّه في وقته المرسوم.

وحين ينظر الإنسان اليوم إلى الحرب الهائلة التي شنّها أعداء الإيمان على أهل الإيمـان في صورها المتنوّعـة، من بطش ومن ضغـط ومن كيد بكل صنوف الكيـد في عهود متطاولة، بلغ في بعضهـا من عنف الحملة على المؤمنين أن قُـتِّلوا وشرّدوا وعُذّبوا وقطعت أرزاقهم وسُلِّـطت عليهم جميع أنـواع النكاية، ثم بـقي الإيمان في قلوب المـؤمنين، يحميـهم من

الانهيار، ويحمي شعوبهم كلها من ضياع شخصيتها وذوبانها في الأمم الهاجمة عليها ومن خضوعها للطغيان الغاشم إلا ريثما تنقضّ عليه وتحطمه.. حين ينظر الإنسان إلى هذا الواقع في المدى المتطاول يجد مصداق قول اللَّه تعالى، يجده في هذا الواقع ذاته بدون حاجة إلى الانتظار الطويل!!

وعلى أية حال فلا يخالج المؤمن شك في أن وعد اللَّه هو الحقيقة الكائنة التي لا بد أن تظهر في الوجود، وأن الذين يحادون اللَّه ورسوله هم الأذلون، وأن اللَّه ورسله هم الغالبون، وأن هذا هو الكائن والذي لا بد أن يكون ولتكن الظواهر غير هذا ما تكون!

* القصص القرآني عن الرسل والمكذبين، وكون العاقبة دومًا للمتقين:

يقص اللَّه علينا القصص الحق وأحسن القصص في كتابه الكريم لتثبيت أفئدة المؤمنين وتسلية لهم في هجير الدنيا الكالح قال تعالى: ﴿وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ١٢٠].

* العاقبة للرسل والمتقين:

رؤية الصالحين لحقائق الوجود الكبير أن العاقبة للمتقين.. طال الزمن أم قصر فلا يخالج قلوب الداعين إلى رب العالمين قلق على المصير ولا يخايل لهم تقلب الذين كفروا في البلاد فيحسبونهم باقين.

ومهما ظن أعداء الرسل أن الواحد منهم مكين في الأرض غير مزحزح عنها فمالك الأولى والآخرة رب السماوات والأرضين هو الذي يقرر متى يطردهم منها ﴿إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨].

* ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩].

* ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣].

يقص اللَّه قصص الرسل وموكبهم الإيماني الجليل يهتف بالبشرية الضالة، يذكرها وينذرها ويحذرها سوء المصير، والبشرية الضالة تلوي وتعاند، وتواجه الدعوة الخيّرة بالعناد والتمرد، ثم بالطغيان والبطش، وقلوب الفاسقين غافية لا تستيقظ ولا تستجيب، ولا تنظر إلى سنن اللَّه، ولا تنتبه جبلاّتهم السادرة في جاهليتها، ولا تهديهم مصارع الغابرين - وهم في ديارهم يسكنون وهي خير مذكّر ومنذر -. ومصارع العتاة البغاة المكذبين للرسل على مدار القرون معروضة، ومشاهدهم تزحم النفس والخيال بعد أن عطّلوا مداركهم، وتولوا عن الهدى وكذبوا بالآيات، واستهزءوا بالوعيد، فصاروا إلى ما صاروا إليه ظالمين لأنفسهم.

* قال تعالى: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ۝٤ فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا إِلاَّ أَن قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤، ٥]، وقال تعالى: ﴿فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ

حَاصِباً وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿ **وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ** ﴾، وقال تعالى: ﴿ **ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ** ﴾ [هود: ١٠٠].

ما الأقوام؟ إن هم إلا حقول من الأناسي كحقول النبات، غرس منها يزكو وغرس منها خبيث، وغرس منها ينمو، وغرس منها يموت.

* وقال تعالى: ﴿ **وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا** ﴿٨﴾ **فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا** ﴾ [الطلاق: ٨ ـ ٩].

كثيرة كثيرة تلك القرى التي عتت عن أمر ربها، ثم كان مصيرها البائس، وهي سننٌ متكررة وعبر أمام الناظرين، سنة اللَّه هي سنة اللَّه في الجميع، وسنة اللَّه حق ثابت يقوم عليه هذا الوجود، بلا محاباة لجيل من الناس، وكشف مصائر الغابرين الماضية عن مصائر خلفائهم الآتية: ﴿ **أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ** ﴿٩﴾ **ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَىٰ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ** ﴾ [الروم: ٩ ـ ١٠].

لا بد من إدراك لحقيقة الحياة، وحقيقة الإنسانية الموحدة المنشأ والمصير على مدار القرون، كي لا ينعزلِ جيل من الناس بنفسه وحياته

وقيمه وتصوراته، ويغفل عن الصلة الوثيقة بين أجيال البشر جميعًا، وعن وحدة السنّة التي تحكم هذه الأجيال جميعًا، ووحدة القيم الثابتة في حياة الأجيال جميعًا، والقرآن الكريم يدعو المكذبين المستهزئين بالرسل أن يسيروا في الأرض، وأن يتدبروا عاقبة أولئك المكذبين ويتوقعوا مثلها، وأن يدركوا أن سنة اللَّه واحدة وأنها ماضية في المكذبين الذين لم تتفتح بصائرهم ولم يصل ضمائرهم نور الإيمان.

سنة اللَّه لا تحابي أحدًا. وحدة العاقبة النكدة لأجيال البشرية الضالة لا بد أن يطبع في قلب المؤمن وعقله، وما أكثر حديث القرآن عن مصير المكذبين.

* قال تعالى: ﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [الزخرف: ٢٥].

* وقال تعالى: ﴿فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٧].

* وقال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [الأنعام: ١١].

* وقال تعالى عن قوم لوط: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٤].

* وقال تعالى: ﴿وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ٨٦].

* وقال عن قوم فرعون: ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٠٣].

* وقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: ٣٩].

* وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾ [محمد: ١٠].

* وقال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [النمل: ٦٩].

وفي قصة نبي اللَّه موسى عليه السلام مع فرعون أعظم العظات وترجمة صادقة لحال الرسل وعاقبة أمرهم وعاقبة الذين حادوا اللَّه ورسله.

* قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٤) وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (٥) وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ (٦) وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٧) فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ [القصص: ٤ ـ ٨].

ولد موسى عليه السلام والموت يتلفت عليه، والشفرة مشرعة على عنقه، تهم أن تحتز رأسه، وها هي ذي أمه حائرة به، خائفة عليه قلقة ملهوفة، ترجف أن تتناول عنقه السكين. ها هي ذي بطفلها الصغير في قلب المخافة عاجزة عن حمايته، عاجزة عن إخفائه، عاجزة عن حجز صوته الفطري أن ينمّ عليه، فيلقي اللَّه في روعها ويلهمها أن تلقيه في اليم بدلاً من أن تضمه إلى صدرها.. يا سبحان اللَّه!!.

اليم..؟! في رعاية اللَّه الذي لا أمْن إلا في جواره، من جعل النار على إبراهيم بردًا وسلامًا ويجعل من ثَبَج البحر لموسى ملجأ ومنامًا، ويتهادى التابوت بموسى ليصل إلى قصر فرعون، وهل كانت أم موسى ترجف وتخشى عليه إلا من فرعون وآله، فها هي قدرة اللَّه تلقي في يد فرعون بالطفل الذي يكون هلاكه على يده مجردًا من كل قوة ومن كل حيلة، عاجزًا عن أن يدفع عن نفسه، أو حتى يستنجد!، ها هي ذي تقتحم به على فرعون حصنه وهو الطاغية المتجبر، ولا تتعبه في البحث عنه في بيوت بني إسرائيل، وفي أحضان نسائهم الوالدات.

واقتحمت به يد القدرة على فرعون قلب امرأته، بعد ما اقتحمت به عليه حصنه. لقد حمته بالمحبة ذلك الستار الرقيق الشفيف، لا بالسلاح ولا بالجاه ولا بالمال، حمته بالحب الحاني في قلب امرأة، وتحدّت به قسوة فرعون وغلظته وحرصه وحذره.. وهان فرعون على اللَّه أن يحمي منه الطفل الضعيف بغير هذا الستار الشفيف! **﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾**.

✍ يا لقدرة اللَّه التي تجعل من المحبة الهينة اللينة درعًا تتكسر عليه

الضربات وتتحطم عليه الأمواج، وتعجز قوى الشر كلها أن تمسّ حاملها بسوء، ولو كان طفلاً رضيعًا لا يصول ولا يجول بل لا يملك أن يقول..

رحمة ممثلة في المحبة لا في صيال أو نزال ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾. وما من شرح يمكن أن يضيف شيئًا إلى ذلك الظل الرفيق اللطيف العميق، وكيف يصف لسان بشري، خلقًا يصنع على عين اللَّه؟ إن قصارى أي بشر أن يتأمله ويتملاه.. إنها منزلة وإنها كرامة أن ينال إنسان لحظة من العناية، فكيف بمن صُنع صنعًا على عين اللَّه؟ انظر كم قتل فرعون من أجل ذبح موسى، والقدر يقول له: لا نربّيه إلا في حجرك ليكون على يديه هلاكك.

موسى الذي تُخَبِّئ لآل فرعون الأقدار من ورائه ما حذروا منه طويلاً.

وأم موسى التي ألقت بفلذة كبدها إلى الماء، التي فعلت ما لم تفعله أم من قبل، وطلبت له السلامة في هذه المخافة. يحرم اللَّه عليه المراضع ليعود الطفل الغائب لأمه الملهوفة معافى في بدنه، مرموقًا في مكانته، يحميه فرعون!، وترعاه امرأته، وتضطرب المخاوف من حوله، وهو آمن قرير، وترضع أم موسى ولدها وتأخذ أجرًا على ذلك، فيا لتدبير اللَّه العجيب!.

ثم انظر إلى السحرة الذين كانوا يعدون القرب من فرعون نهاية آمالهم ويقسمون بعزته كما قال تعالى عنهم: ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (٤١) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾.

وقول اللَّه عنهم: ﴿ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٤٤].

ثم يمسّ الحق قلوبهم فيحوّلها تحويلاً، يصل الإيمان إلى أعماق نفوسهم وقرارة قلوبهم، فأزال عنها ركام الضلال، وجعلها صافية حية خاشعة للحق، في لحظات قصار.

ويأتي تهديد فرعون السفاح بلا تحرج من قلب أو ضمير.

* ﴿ قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴾ [طه: ٧١].

فتكون كلمة القلب الذي وجد اللَّه فلم يعد يحفل ما يفقد بعد هذا الوجدان، القلب الذي اتصل باللَّه فذاق طعم العزة.

* ﴿ قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٧٢) إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ [طه: ٧٢، ٧٣].

يا للَّه! يا لروعة الإيمان إذ يشرق في الضمائر، وإذ يفيض على الأرواح وإذ يسكب الطمأنينة في النفوس، وإذ يرتفع بسلالة الطين إلى أعلى عليين. وإذ يملأ القلوب بالغنى والذخر والوفر، فإذا كل ما في الأرض تافه حقير زهيد.

إنها لمسة الإيمان في القلوب التي كانت منذ لحظة تعنو لفرعون وتعد القربى منه مغنمًا يتسابق إليه المتسابقون، فإذا هي بعد لحظة تواجهه

في قوة، وترخص ملكه وزخرفه وجاهه وسلطانه بعد أن تفتحت لهذه القلوب الآفاق المشرقة الوضيئة.

وألهم السحرة الذين آمنوا بربهم أن يقفوا من فرعون موقف المعلم المستعلي ﴿إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَىٰ﴾.

وهزأت القلوب المؤمنة بتهديد فرعون، وواجهته بكلمة الإيمان القوية، وباستعلاء الإيمان الواثق.

وكان ما كان.

* ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَؤُلاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلاَّ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٥٢ ـ ٦٢].

يبلغ الكرب مداه ويقول موسى عليه السلام كلمته، لا يشك لحظة وملء قلبه الثقة بربه، واليقين بعونه والتأكد من النجاة، وإن كان لا يدري كيف تكون، فهي لا بد كائنة.

لن نكون مُدْرَكين، لن تكون هالكين، لن نكون ضائعين.. يقولها بالجزم والتأكيد واليقين.

وينبثق الشعاع المنير في ليل اليأس والكرب.

* ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ

كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الآخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الآخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٦٣ - ٦٧].

* ومن المبشرات في القرآن: معية الله للمؤمنين وولايته ووعده بإنجاء المؤمنين ونصرهم والدفاع عنهم:

من كان اللَّه معه فمن عليه؟!

* قال تعالى: ﴿وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١٩].

من وجد اللَّه فماذا فقد! ومن فقد اللَّه فماذا وجد؟! ما لأحدٍ باللَّه من طاقة معية اللَّه الخاصة لعباده الصادقين وهي: معية النصر والتأييد والعون.

* قالها رسول اللَّه ﷺ لصاحبه أبي بكر الصديق: ﴿لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، وقال موسى عليه السلام: ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٢].

* وقال تعالى: ﴿فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾ [محمد: ٣٥].

* وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

* وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨].

* وقال تعالى: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة: ١٢٣].

* وقال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٦٦].

* وقال تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٤].

* وقال تعالى: ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

فالصالحون في صحبة العلي الجبار القادر القهار وهو لهم نصير حاضر معهم يدافع عنهم ليس هناك إلا حماية اللَّه، وإلاّ حِماه، وإلاّ ركنه القوي الأمين.

وهذه الحقيقة الضخمة ثابتة في نفوس المؤمنين، وهم بها أقوى من جميع القوى التي وقفت في طريقهم، داسوا بها على كبرياء الجبابرة في الأرض، ودكُّوا بها المعاقل والحصون.

لقد استقرت هذه الحقيقة الضخمة في كل نفس، وعمرت كل قلب، واختلطت بالدم، وجرت معه في العروق.

معية اللَّه هي المعية، وولاية اللَّه وحدها هي الولاية، وما عداها فهو واهن ضئيل هزيل.. إنها العنكبوت.. وما تملك من القوى ليست سوى خيوط العنكبوت ﴿ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤١] عنكبوت تحتمي بخيوط العنكبوت!.

* الله ولي الذين آمنوا:

* قال تعالى: ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

* وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد: ١١].

ومن كان اللَّه مولاه وناصره فحسبه، وفيه الكفاية والغناء، ومن لم يكن اللَّه مولاه فلا مولى له، ولو اتخذ الإنس والجن كلهم أولياء، فهو في النهاية مضيّع عاجز ولو تجمعت له كل أسباب الحماية وكل أسباب القوة التي يعرفها الناس.

قديمًا قالوها في أحد: اعل هبل، فأتاهم نداء الإيمان: اللَّه أعلى وأجلُّ. قديمًا نعقوا بها: لنا العزى ولا عزى لكم، وأجابهم نداء الإيمان: اللَّه مولانا ولا مولى لكم.

* ويدافع عنهم:

* قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحج: ٣٨].

ومن يدافع اللَّه عنه فهو ممنوع حتمًا من عدوه، وظاهر حتمًا على عدوه، فماذا بعد هذا الخير الثمين؟!

* وهو ناصرهم:

* قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلاً إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

سبحان من أوجب على نفسه نصر المؤمنين! وجعله لهم حقًّا، فضلاً وكرمًا، وأكده لهم في هذه الصيغة الجازمة، وهو أصدق القائلين وهو القوي العزيز الجبار المتكبر القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير لا

تردّ إرادته، ولا تتخلّف سنته، وناموسه يحكم الوجود.

وقد يبطئ النصر أحيانًا ـ في تقدير البشر ـ لأنهم يحسبون الأمور بغير حساب اللّه، ويقدرون الأحوال لا كما يقدرها اللّه، واللّه هو الحكيم الخبير، يصدق وعده في الوقت الذي يريده ويعلمه وفق مشيئته وسنته، وقد تتكشف حكمة توقيته وتقديره للبشر وقد لا تتكشف، ولكن إرادته هي الخير، وتوقيته هو الصحيح، ووعده القاطع واقع عن يقين، يرتقبه الصابرون واثقين مطمئنين.

* وقال تعالى: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ [الحج: ٤٠ ـ ٤١].

✍ وعد اللّه مؤكد وثيق متحقق لا يتخلف.. ولكن للنصر تكاليفه وأعباؤه حين يتأذن اللّه به بعد استيفاء أسبابه وأداء ثمنه، وتهيؤ الجو حوله لاستقباله واستبقائه فلا يعطى لأحد جزافًا ولا محاباة، ولا يبقى لأحد لا يحقق غايته ومقتضاه.

✍ والأمة التي تقوم على دعوة اللّه في حاجة إلى حشد كل قواها، وتوفر كل استعدادها، وتجمع كل طاقاتها، كي يكمل نضجها، وتتهيأ لحمل الأمانة الضخمة والقيام عليها.

والنصر السريع الذي لا يكلف عناء، والذي يتنزل هينًا لينًا على القاعدين المستريحين، يعطل تلك الطاقات عن الظهور؛ لأنه لا يحفزها ولا يدعوها.

✍ والنصـر السريع الهـين اللين يسهـل فقدانه وضيـاعه. أولاً لأنه رخيص الثمن لم تـبذل فيه تضحيات عزيزة، وثانيًـا لأن الذين نالوه لم تدرب قواهم على الاحتفاظ به ولم تشحذ طاقاتهم وتحشد لكسبه فهي لا تتحفز ولا تحتشد للدفاع عنه.

✍ وقد يبطئ النصـر لأن بنية الأمة المؤمنة لم تنضج بـعد نضجها، ولم يتم بعد تمامهـا، فلو نالت النصر حينئذ لفقدته وشـيكًا لعدم قدرتها على حمايته طويلاً.

✍ وقد يبطئ النـصر حتى تبذل الأمة المؤمنة آخر مـا في طوقها من قوة، وآخر ما تملكـه من رصيد، فلا تستبقي عزيزًا ولا غـاليًا، لا تبذله هيّنًا رخيصًا في سبيل اللَّه.

✍ وقد يبطئ النصر حتى تجـرب الأمة المؤمنة آخر قواها، فتدرك أن هذه القوى وحدها بدون سند من اللَّه لا تكـفل النصر، إنما يتنزل النصر من عند اللَّـه عندما تبذل آخر ما فـي طوقها، ثم تكل الأمر بـعدها إلى اللَّه وتزيد صلتها باللَّه حتى تستقيم على النهج بعد النصر عندما يتأذن به اللَّه فلا تطغى ولا تنحرف عن الحق والعدل الذي نصرها اللَّه به.

✍ وقد يبطـئ النصر لأن الأمة المؤمنة لـم تتجرد بعدُ في بذلـها للَّه ولدعوته.

✍ وقد يبطئ النصر لأن في الشر التي تكافحه الأمة المؤمنة بقية من خير، يريد الـلَّه أن يجرد الشر منهـا ليتمحض خالصًـا، ويذهب وحده هالكًا، لا تتلبس به ذرة من خير تذهب في الغمار!

✍ وقد يبطئ النصر لأن الباطل الذي تحاربه الأمة المؤمنة لم ينكشف

زيفه للناس تمامًا، فلو غلبه المؤمنون حينئذ فقد يجد له أنصارًا من المخدوعين فيه، فتظل له جذور في نفوس الأبرياء الذين لم تنكشف لهم الحقيقة، فيشاء اللَّه أن يبقى الباطل حتى ينكشف عاريًا للناس، ويذهب غير مأسوف عليه من ذي بقية!

✍ وقد يبطئ النصر لأن البيئة لا تصلح بعد لاستقبال الحق والخير والعدل.

✍ فيبطئ حتى تتهيأ النفوس من حوله لاستقباله ولاستبقائه ولكنه آت ﴿ **بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝ وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ** ﴾ [الروم: ٥ ـ ٦].

* وقال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلاً إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [الروم: ٤٧].

❏ قال ابن كثير: «أي حق أحقّه على نفسه الكريمة تكرمًا منه وتفضلاً كقوله تعالى: ﴿ **كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ** ﴾».

سبحان الذي أوجب على نفسه نصر المؤمنين؛ وجعله لهم حقًّا، فضلاً وكرمًا، وأكّده لهم في هذه الصيغة الجازمة التي لا تحتمل شكًّا ولا ريبًا.

وكيف والقائل هو اللَّه القوي العزيز الجبار المتكبر، القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير؟ يقولها سبحانه وإرادته لا تردّ، وسنته لا تتخلّف، وناموسه يحكم الوجود.

* وقال تعالى: ﴿ **أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ**

خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [البقرة: ٢١٤].

إن هذا السؤال من الرسول ﷺ، والمؤمنين الذين آمنوا بالله «متى نصر الله؟» ليصوّر مدى المحنة التي تزلزل مثل هذه القلوب الموصولة المطمئنة الموقنة، ولن تكون إلاّ محنة فوق الوصف، تُلقي ظلالها على مثل هاتيك القلوب، فتبعث منها ذلك السؤال المكروب: «متى نصر الله؟».

وعندما تثبت القلوب على مثل هذه المحنة المزلزلة.. عندئذ تتم كلمة الله، ويجيء النصر من الله ﴿أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾.

✍ إنه مدّخر لمن يستحقونه، ولن يستحقه إلا الذين يثبتون حتى النهاية.. الذين يثبتون على البأساء والضراء، الذين يصمدون للزلزلة، الذين لا يحنون رؤوسهم للعاصفة، الذين يستيقنون أن لا نصر إلا من الله، وعندما يشاء الله، حتى حين تبلغ المحنة ذروتها، فهم يتطلعون فحسب إلى «نصر الله». بهذا يستحق المؤمنون النصر، بعد الجهاد والامتحان، بعد الصبر والثبات، والتجرد لله وحده، والشعور به وحده، وإغفال كل ما سواه وكل من سواه.

✍ إن الصراع والصبر عليه يهب النفوس قوة، ويرفعها على ذواتها، ويطهرها من بوتقة الألم، فيصفو عنصرها ويضيء، ويهب العقيدة عمقًا وقوة وحيوية، فتتلألأ حتى في أعين أعدائها وخصومها، وعندئذ يدخلون في دين الله أفواجًا كما وقع، وكما يقع في كل قضية حق، يلقى أصحابها ما يلقون في أول الطريق، حتى إذا ثبتوا للمحنة انحار

إليهم من كانوا يحاربونهم، وناصرهم أشد المناوئين وأكبر المعاندين. .

✍ على أنه - حتى إذا لم يقع هذا - يقع ما هو أعظم منه في حقيقته، يقع أن ترتفع أرواح أصحاب الدعوة على كل قوى الأرض وشرورها وفتنتها، وأن تنطلق من إسار الحرص على الدعة والراحة، والحرص على الحياة نفسها في النهاية. . وهذا الانطلاق كسب للبشرية كلها، وكسب للأرواح التي تصل إليه عن طريق الاستعلاء، كسب يرجح جميع الآلام وجميع البأساء والضراء التي يعانيها المؤمنون، المؤتمنون على راية اللَّه وأمانته ودينه وشريعته.

هذا هو الطريق: إيمان وجهاد. . ومحنة وابتلاء. . وصبر وثبات. . وتوجه إلى اللَّه وحده. . ثم يجيء النصر - ثم يجيء النعيم.

* وقال تعالى: ﴿**حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ**﴾ [يوسف: ١١٠].

▭ قال الشيخ محمد نسيب الرفاعي في كتابه «تيسير العليّ القدير لاختصار تفسير ابن كثير» (٢/ ٥٠٤ - ٥٠٥): «يذكر تعالى أن نصره رسله صلوات اللَّه وسلامه عليهم أجمعين عند ضيق الحال وانتظار الفرج من اللَّه في أحوج الأوقات كقوله تعالى: ﴿**وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ**﴾ الآية، وفي قوله تعالى: ﴿**كذبوا**﴾ قراءتان: إحداهما بالتشديد ﴿**قد كُذّبوا**﴾، وكذلك كانت عائشة - رضي اللَّه عنها - تقرؤها، والأخرى بالتخفيف، وفيه أيضًا روايتان عن ابن عباس، ورواية ابن مسعود، وقد أنكرت ذلك عائشة على مَن فسّرها بالتخفيف، وانتصر لها ابن جرير فقد روى

البخاري عن عـروة ابن الزبير عن عائشـة أنها قالت له وهو يسـألها عن قوله اللَّه تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ...﴾، قال: قلت: أكُذِّبوا أم كُذِبوا؟ قالت عائشة: كذِّبوا، قلت: فقد استيقنوا أن قومهم كذّبوهم فما هو الظـن؟ قالت: أجل ـ لعمـري ـ لقد استيقـنوا بذلك، فقلـت لها: ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا﴾ قالت: معاذ اللَّه! لم تـكن الرسل تظن ذلك بربها. قلت: فـما هذا الآية؟ قالت: هم أتباع الرسل الـذي آمنوا بربهم وصدّقوهم فطال عليهم البـلاء واستأخر عنهم النصر ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ﴾ ممن كذبهم من قومهم، وظنت الرسل أن أتباعهم قد كذّبوهم، جاءهم نصر اللَّه عند ذلك.

وحدثنا أبـو اليمان، أنبأنا شـعبة عن الزهري قال: أخـبرنا عروة: فقلت لها: لعلها قد كُذِبوا مخفّفة؟ قالت: معاذ اللَّه!.

❑ وقال ابن جـريج: عن عروة عـن عائشة أنـها خالفـت ـ القول بالتخفيـف ـ وأبته، وقالت: ما وعد اللَّه محـمدًا ﷺ إلا قد علم أنه سيكون حتى مات، ولكنه لم يزل البلاء بالرسل حتى ظنوا أن من معهم من المؤمنـين قد كذبوهم. قال ابن أبـي مليكة من حديـث عروة: كانت عائشة تـقرؤها ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا﴾ مثقّلة من التـكذيب، وانتصر لعائـشة ابن جرير، ووجّـه المشهور عـن الجمهور، وزيّف الـقول الآخر بالكلية، وردّه وأباه ولم يقبله ولا ارتضاه. واللَّه تعالى أعلم».

✍ يا له من كرب مـزلزل وحرج وضيق وهول فوق ما يطـيقه بشر في هذه اللحظة التي يستحكم فيها الكرب.. يجيء النصر كاملاً حاسمًا فاصلاً.

تلك سنة اللَّه في الدعوات، لا بد من الشدائد، ولا بد من الكروب حتى لا تبقى بقية من جهد، ثم يجيء النصر بعد اليأس من كل أسبابه الظاهرة التي يتعلق بها الناس، يجيء النصر من عند اللَّه، ويحلّ بأس اللَّه بالمجرمين مدمرًا ماحقًا.

ذلك لكي لا يكون النصر رخيصًا فتكون الدعوات هَزْلاً، فلو كان النصر رخيصًا لقام في كل يوم دعيّ بدعوة لا تكلفه شيئًا، أو تكلّفه القليل. ودعوات الحق لا يجوز أن تكون عبثًا ولا لعبًا، والأدعياء لا يتحملون تكاليف الدعوة؛ لذلك يشفقون أن يدّعوها، فإذا ادّعوها عجزوا عن حملها وطرحوها، وتبين الحق من الباطل على محك الشدائد التي لا يصمد لها إلا الواثقون الصادقون، الذين لا يتخلون عن دعوة اللَّه.

والصفوة المختارة هي التي تؤثر حقيقة هذا الدين على الراحة والسلامة، وعلى كل متاع هذه الحياة الدنيا..

* وقال تعالى: ﴿**ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [يونس: ١٠٣].

❑ قال ابن كثير: «هذا حق أوجبه اللَّه تعالى على نفسه الكريمة كقوله عز وجل ﴿**كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ**﴾.

ينجي اللَّه المؤمنين.. ينجيهم مثلما نجّى إبراهيم من النيران، وموسى وهو على ثبج البحر وفي حجر فرعون، ويونس وهو في بطن الحوت.

تبقى البذرة المؤمنة وتنبت وتنجو بعد كل إيذاء وكل خطر، وبعد

كل تكـذيب، وكل تعذيـب ففي بقائهـا بقاء الحياة فـي طهرها ونقـائها وجوهرها.

ولكن معنى الحياة
وجوهرها أروع
تجف لعمقها الأدمع
وذلك أن عيون الحياة
تظل تفجّر عبر القفار
وعبر دروب الضياع
وعبر الضنى والدمار
وعبر صنوف الصراع
وعبر.. وعبر.. وعبر
تظلّ تفجّر معنى الحياة

* * *

لذلك كان الربيع وقطر الندى
يعودان بعد الشتاء
وبعد ظلام بعيد المدى
وبعد الأسى والعناء
وبعد.. وبعد.. وبعد
يعودان رغم مغيب السماء
فيشرق نور القمر
على جنبات المساء
وينساب روح عميق الجوى.. عبقريّ الصفاء

وتفنى الغيوم
تبدّد عند حدود الفضاء
وبعد رياح الجليد
تضوّع عطر الزّهَر
وتبعث أنفاسها من جديد
تعانق خضر الشجر

* * *

من الليل ينساب ضوء الشروق
ويركض خلف الظلام
ليجلوه عن مسرح الكائنات
ومن باكيات الغمام
تشق الورود الطريق
فيزهر درب الحياة!!

* * *

* مكر العزيز القهار بالكافرين الضعاف المهازيل:

ومن المبشرات في القرآن بنصر الإسلام وعد اللّه بإحباط كيد الكافرين ومكرهم. ويا ذلة مَن يمكر اللّه به!

* قال تعالى: ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٣٠].

أين هؤلاء البشر الضعاف المهازيل من قدرة اللّه الجبار، القاهر فوق عباده، الغالب على أمره، وهو بكل شيء محيط؟!

* وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ [الطارق: ١٥ - ١٧].

إيناس وودٌ ونسائم رحمة تنسم على القلوب وتمسح على الكرب والشدة والعناء والكيد فتنمحي كلها وتذوب ويبقى العطف الودود، هؤلاء الذين خُلِقوا من ماء مهين دافق يكيدون ويكيد بهم رب العالمين، القادر القاهر، رب السماء والطارق، يمهلهم الحكيم قليلاً. . والحكمة وراء الإمهال.

يكيدون كيدًا، ويكيد اللَّه كيدًا، يمكرون ويمكر اللَّه.

مثلما مكر بفرعون وربّى موسى في حجره ليكون هلاكه على يديه. .

وكذا تُربى الصحوة الإسلامية في حجر الصليبية العالمية واليهودية. . يكيدون لها واللَّه مطلع عليهم يمكر بهم من حيث لا يعلمون.

* وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦].

هذا شأن الكافرين دائمًا في كل أرض وفي كل حين ينفق الكافرون أموالهم ويبذلون جهودهم في الصد عن سبيل اللَّه، وفي إقامة العقبات في وجه هذا الدين، وفي حرب العصبة المسلمة، وستعود عليهم أموالهم بالحسرة وتضيع، ويُغلبوا هم وينتصر الحق في هذه الدنيا.

* وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ

مِن قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [المجادلة: ٥].

* وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ فِي الأَذَلِّينَ ﴾ [المجادلة: ٢٠].

هؤلاء المجادلون المشاقون المتبجحون لهم الكبت والقهر والذل، كتب اللَّه عليهم الذلة والهزيمة وسيذهبون إلى مزابل التاريخ وسيتبعون في هذه الدنيا بلعنات الصالحين وهم يوم القيامة من المقبوحين.

* وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾ [يونس: ٨١ ـ ٨٢].

* مصارع الأحزاب الغابرين:

* قال تعالى: ﴿ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الأَحْزَابِ ﴾ [ص: ١١].

ما يزيدون على أن يكونوا جندًا مهزومًا ملقى هنالك بعيدًا، لا يقرب من تصريف هذا المُلك وتدبير خزائن ملك السماوات والأرض هم منكرون هينو الشأن، الهزيمة صفة لازمة لهم، لاصقة بهم، مركبة في كيانهم! ﴿ مِّنَ الأَحْزَابِ ﴾ المختلفة الاتجاهات والأهواء مهما تبلغ قوتهم، ويتطاول بطشهم فهم عجزة ضعاف، مهاريل لا يملكون مثقال ذرة في ملك اللَّه، قضى اللَّه بهزيمتهم واندحارهم واندثارهم.

* وقال تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لأُوْلِي الأَبْصَارِ ﴾ [آل عمران: ١٢ ـ ١٣].

قال ابن كثير: «قل يـا محمد، للكافرين: ستغلـبون في الدنيا، وتحشرون يوم القيامة إلى جهنم وبئس المهاد.

يعز اللَّه المؤمنين ويذل الكافرين وفي ذلك عبرة لمن له بصيرة وفهم ليهتدي به إلى حـكم اللَّه وأفعاله وقدره الجاري بنصر عـباده المؤمنين في هذه الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد.

* وقال تعـالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ﴾ [الرعد: ١٧].

قال ابن كثير: «اشتملت هذه الآية الكريمة على مثلين مضروبين للحق في ثباته وبقائه، والباطل في اضمحلاله وفنائه...

﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ﴾ أي: إذا اجتـمعا، لا ثـبات للباطل ولا دوام له».

ذلك مثل الحق والباطل في هذه الحياة، فالباطل يطفو ويعلو وينتفخ ويبدو رابيًـا طافيًا ولكنه بعـدُ زبد، أو خبث، ما يلبث أن يـذهب جفاء مطروحًا لا حـقيقة له ولا تماسك فـيه، والحق يظل هادئًا سـاكنًا. وربما يحسبه بعـضهم قد انزوى أو غار أو ضاع أو مات ولكنـه هو الباقي في الأرض كالماء المحيـي السارب الساكن الـهادئ الذي يحمل الخـير والحياة وكالمعدن الصريح، ينفع الناس، ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ﴾ وكذلك يقـرر مصائر الدعـوات، ومصائر الاعـتقـادات، ومـصـائر الأعمـال والأقوال.

❑ ولله در القائل:

زبد البحر أنت أنت قذى البحر ... وما أنت دُرُّهُ والجواهرْ

إن تكن قد كسوت من صفحة الـ ... ماء وهوّمت بالعباب الزاخرْ

بعض ريح أتى بوفْرك يوما ... بعض ريحٍ يزيل ذاك الوافرْ

إنّ ما ترى تجارة بغي ... ذل في عصرها نقاء الحرائر

وخطاب علا بثغر كريهٍ ... ثم دانت له جميع المنابر

* ومن المبشرات:

* قول اللَّه عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤].

إن اختيار الكريم المنان للعصبة المؤمنة لتكون أداة القدر الإلهي في إقرار دين اللَّه في الأرض، وتمكين سلطانه في حياة البشر، وتحكيم منهجه، وتنفيذ شريعته، وتحقيق الصلاح والخير والطهارة والنماء في الأرض بذلك المنهج ـ إن هذا الاختيار للنهوض بهذا الأمر فضل عظيم من اللَّه ومنّة كبيرة، فمن شاء أن يرفض هذا الفضل وأن يحرم نفسه هذه المنّة.. فهو وذاك، واللَّه غني عنه وعن العالمين، واللَّه يختار من عباده من يعلم أنه أهل لذلك الفضل العظيم والعطاء الواسع.

* وقال تعالى: ﴿...وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨].

إن اختيار اللَّه للدعاة وللمؤمنين لحمل دعوته تكريم ومَنٌّ وعطاء، لأنها عزيزة شريفة كريمة رفيعة، لا يتصدى بها لمن يعرض عنها، ومن يعرض عن هذا التكريم موكوس مطموس منكوس، هي فقط لمن يعرف كرامتها ويطلب التطهر بها ويحمل لواءها.

فإذا لم يحاول المرء أن يكون أهلاً لهذا الفضل، وإذا لم ينهض بتكاليف هذه المكانة، وإذا لم يدرك قيمة ما أعطي فيهون عليه كل ما عداه.. فإن اللَّه يسترد ما وهب، ويختار آخرين لهذه المنّة ممن يقدّر فضل اللَّه.

* ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾.

وإنها لنذارة رهيبة لمن ذاق حلاوة الإيمان، وأحس بكرامته على اللَّه، وبمقامه في هذا الكون، وهو يحمل هذا السر الإلهي العظيم.. ويمشي في الأرض بسلطان اللَّه في قلبه، ونور اللَّه في كيانه، ويذهب ويجيء وعليه شارة مولاه.. وما يطيق الحياة وما يطعمها إنسان عرف حقيقة الإيمان وعاش بها ثم تسلب منه، ويطرد من الكَنَف، وتوصد دونه الأبواب.. لا بل إن الحياة لتغدو جحيمًا لا يطاق عند من يتصل بربه ثم يطبق دونه الحجاب.

□ يقول ابن كثير: « يقول تعالى مخبرًا عن قدرته العظيمة: إنه من تولّى عن نصرة دينه، وإقامة شريعته بأن اللَّه سيستبدل به من هو خير لها منه، وأشد منعة وأقوم سبيلاً»[1].

وللَّه ما أحلى صفات هذه العصبة التي ستحمل دين اللَّه:

الحب والرضى والمتبادل هو الصلة بينهم وبين اللَّه عز وجل، وهذا

(١) «تفسير ابن كثير» (٢/٦٩ ـ ٧٠) طبعة الحلبي.

الحب أمر قلما استطاعت العبارة أن تصوره.

✍ ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾.. وأخوة ترفع الحواجز فكلهم لإخوانهم إلا ما حرمه اللَّه ورسوله ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾، وهي العزة للعقيدة، والاستعلاء للراية التي يقفون تحتها في مواجهة الكافرين.. إنها الثقة بأن ما معهم هو الخير، وأن دورهم هو أن يطوّعوا الآخرين للخير الذي معهم لا أن يطوعوا الآخرين لأنفسهم، ولا أن يطوعوا أنفسهم للآخرين، وما عند الآخرين! ثم هي الثقة بغلبة دين اللَّه على الهوى، وبغلبة قوة اللَّه على تلك القوى فهم الأعلون.

✍ وهم يجاهدون في سبيل اللَّه؛ لا في سبيل أنفسهم، ولا في سبيل قومهم، ولا في سبيل وطنهم، ولا في سبيل جنسهم «لا يردهم عما هم فيه من طاعة اللَّه، وإقامة الحدود وقتال أعدائه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا يردهم عن ذلك راد، ولا يصدهم عنه صاد، ولا يحيك فيهم لوم لائم، ولا عذل عاذل»[1]. فيم الخوف من لوم الناس، وهم قد ضمنوا حب رب الناس؟ ومن يستمد قوته وعزته من اللَّه، فما يبالي ما يقول الناس وما يفعلون. كائنًا هؤلاء الناس ما كانوا، وكائنًا واقع هؤلاء الناس ما كان.

*** إنه الحق:**

ومن المبشرات:

* قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٦٩ - ٧٠) طبعة الحلبي.

أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣].

إنه وعد اللَّه لعباده ـ بني الإنسان ـ أن يطلعهم على شيء من خفايا هذا الكون، ومن خفايا أنفسهم على السواء. حتى يتبين لهم أنه الحق.. هذا الدين، وهذا الكتاب، وهذا القول ومن أصدق من اللَّه حديثًا؟

ووعد اللَّه ما يزال قائمًا..

والشطر الأخير من الوعد قد بانت طلائعه منذ مطلع هذا القرن بشكل ملحوظ. فموكب الإيمان يتجمّع من فجاج شتى. وعن طريق العلم المادي وحده يفد كثيرون! وهناك أفواج وأفواج تتجمّع من بعيد. ذلك على الرغم من موجة الإلحاد التي كادت تغمر هذا الكوكب في الماضي، ولكن هذه الموجة تنحسر الآن. تنحسر ـ على الرغم من جميع الظواهر المخالفة ـ وقد لا يتم تمام هذا القرن العشرين الذي نحن فيه، حتى يتم انحسارها أو يكاد إن شاء اللَّه، وحتى يحق وعد اللَّه الذي لا بد أن يكون، وقال اللَّه تعالى: **﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾** [سبأ: ٦].

ها هم كبار رجال العلم في كل فن يخرون للأذقان سجدًا لربهم ويعلمون أن القرآن هو الحق.. وإليك نماذج منهم يجمعون على أن هذا القرآن لا يمكن أن يكون من البشر.

❑ البروفيسور كيث مور صاحب كتاب «أطوار خلق الإنسان»، وهذا الكتاب من أهم المراجع في «التشريح وعلم الأجنة»، وهو مترجم إلى ثماني لغات. واختير هذا الكتاب من قبل لجنة في أمريكا كأحسن كتاب في العالم.

□ قال الأستاذ كيث مور: التقسيم الذي جاء في القرآن عن أطوار الجنين، والذي يعتمد على الأشكال المتميزة الجلية: النطفة - العلقة - المضغة - العظام - كساء العظام باللحم - النشأة خلقًا آخر: «هي تقسيمات علمية دقيقة، وتقسيمات سهلة ومفهومة ونافعة.

وقال: «لقد كشفت الدراسات المكثفة للقرآن والحديث خلال السنوات الأربع الأخيرة جهاز تصنيف الأجنة البشرية الذي يعتبر مدهشًا حيث إنه سجل في القرن السابع بعد الميلاد فيما يتعلق بما هو معلوم من تاريخ علم الأجنة لم يكن يُعرف شيء عن تطور، وتصنيف الأجنة البشرية حتى حلول القرن العشرين، ولهذا السبب فإن أوصاف الأجنة البشرية في القرآن الكريم لا يمكن بناؤها على المعرفة العلمية للقرن السابع. الاستنتاج الوحيد المعقول هو أن هذه الأوصاف قد أوحيت إلى محمد ﷺ من اللَّه، إذ ما كان له أن يعرف مثل هذه التفاصيل؛ لأنه كان أميًّا».

«ولقد نشرت بعض الصحف الكندية كثيرًا من تصريحات البروفيسور كيث مور. وأخيرًا قدّم كيث مور ثلاث حلقات في التليفزيون الكندي عن التوافق بين ما ذكره القرآن قبل ١٤٠٠عام، وما كشف عنه العلم في هذا الزمان، وعلى أثر هذا وُجِّه له هذا السؤال: يا أستاذ مور معنى ذلك أنك تؤمن بأن القرآن كلام اللَّه؟

فأجاب: لم أجد صعوبة في قبول هذا.

فقيل له: كيف تؤمن بمحمد وأنت تؤمن بالمسيح؟

فأجاب: أعتقد أنهما من مدرسة واحدة[1].

---

(١) انظر كتاب «إنه الحق» كتاب هيئة الإعجاز العلمي من ص(١١ - ٢٩).

□ وفي المؤتمر الطبي السعودي الثامن بالرياض يقف البروفيسور تاجاتات ـ رئيس قسم التشريح والأجنة في جامعة شاينج ماي بتايلاند والآن عميد كلية الطب بها ـ ويقول: «إنني أومن أن كل شيء ذُكر في القرآن منذ ١٤٠٠ سنة لا بد أن يكون صحيحًا، ويمكن إثباته بالوسائل العلمية، وحيث إن النبي ﷺ لم يكن يستطيع القراءة والكتابة فلا بد أن محمداً ﷺ جاء بهذه الحقيقة، لقد بُعث إليه هذا عن طريق وحي من خالق عليم بكل شيء، هذا الخالق لا بد أن يكون هو اللَّه، ولذلك فإنني أعتقد أنه حان الوقت لأن أشهد أن لا إله إلا اللَّه وأن محمداً رسول اللَّه»[1] .

□ وقال البروفيسور كرونر ـ وهو من أشهر علماء العالم في الجيولوجيا ـ: «إن كثيراً من القضايا المعروضة في ذلك الوقت لم يكن من الممكن إثباتها، ولكن الوسائل العلمية الحديثة الآن في وضع تستطيع فيه أن تثبت ما قاله محمد ﷺ منذ ١٤٠٠ سنة»[2] ، ويعني بذلك قول اللَّه تعالى: ﴿**أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ...**﴾ [الأنبياء: ٣٠].

□ والبروفيسور هاي وهو من أشهر علماء البحار في أمريكا يسأل عن الحواجز المائية بين البحار المختلفة، والحواجز بين مياه البحار والأنهار، وقول اللَّه تعالى: ﴿**مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لاَّ يَبْغِيَانِ**﴾، فيقول: «أعتقد أنه لا بد أن يكون من اللَّه».

(١) «إنه الحق» ص(٣٥).
(٢) «إنه الحق» ص(٣٧).

❑ والبروفيسور برسود ـ رئيس قسم التشريح بكندا ـ يقول عن حديث رسول اللَّه ﷺ : «إنني لا أجد صعوبة في أن أوافق في عقلي أن هذا الإلهام إلهي أو وحي قاده إلى عرض القضايا»(١) .

❑ وقال البروفيسور بالمار ـ وهو من أشهر علماء الجيولوجيا في الولايات المتحدة الأمريكية ـ: «إن اللَّه قد أرسل من خلال محمد ﷺ مقادير ضئيلة من علمه اكتشفناها فقط في الأزمنة الحديثة»(٢) .

❑ والبروفيسور درجا برساد راو ـ أستاذ علم جيولوجيا البحار ـ لما سمع المعاني المتعلقة بقول اللَّه عز وجل: ﴿**أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ**﴾ [النور: ٤٠]، ولما استمع إلى الإعجاز العلمي المتعلق بهذه الآية قال: «من الصعب أن نفترض أن هذا النوع من المعرفة كان موجودًا في ذلك الوقت منذ ١٤٠٠ سنة هجرية، ولذلك فمن المؤكد أن هذا ليس علمًا بشريًا بسيطًا لا يستطيع الإنسان العادي أن يشرح هذه الظواهر بذلك القدر من التفصيل، ولذلك فقد فكرت في قوة خارقة للطبيعة خارج الإنسان، لقد جاءت المعلومات من مصدر خارق للطبيعة»(٣) .

❑ ونختم بما قاله العالم الهندي الدكتور عناية اللَّه المشرقيّ عن السير جيمس جينز ـ الفلكي المشهور والأستاذ بجامعة كمبردج ـ لما قرأ

---

(١) «إنه الحق» ص(٧٠).
(٢) «إنه الحق» ص(٨١).
(٣) «إنه الحق» ص(١٠٨).

عليه قول اللَّه عز وجل: ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٧ ـ ٢٨]، فصرخ السير جيمس قائلاً: «ماذا قلت؟! إنما يخشى اللَّه من عباده العلماء؟! مدهش! وغريب، وعجيب جدًّا!! إن الأمر الذي كشفت عنه بعد دراسة ومشاهدة استمرت خمسين سنة، من أنبأ محمدًا به؟ هل هذه الآية موجودة في القرآن حقيقة؟ لو كان الأمر كذلك، فاكتب شهادة مني أن القرآن كتاب اللَّه موحى من عند اللَّه».

ويستطرد السير قائلاً: «لقد كان «محمد» أميًّا، ولا يمكنه أن يكشف عن هذا السر بنفسه، ولكن «اللَّه» هو الذي أخبره بهذا السر.. مدهش..! وغريب وعجيب جدًّا!!»ا.هـ[1].

والمئات بل الآلاف من الوقائع لسجود كبار العلماء للَّه عز وجل، واعترافهم بالقرآن كتاب اللَّه المعجز وبرسول اللَّه ﷺ تبشر بأن المستقبل لهذا الدين.

* **أخي:**

غدًا سيشرق فجر الإسلام حاملاً معه أغلى الأماني:

أمنيات عطّرت حقل الرجا	فتمطّى الزهر في تحنانه
ألهمتني من معانيها هدى	زاد روحي اليوم من إيقانه
وبقلبي عنفوان جارف	يحمل العزة من إيمانه

(١) «الإسلام يتحدى» لوحيد الدين خان.

وبه النور كدفّاق السنا يحمل الخير إلى وديانه

ويقين شامخ نفحتهُ الصبح ومن نشوانه

عاد ما غاب بأذيال المسا وتجلّى العيد في أزمانه

* * *

المبشّــرات
في
السُّـــنَّة المطهَّرة

المبشِّرَات في السُّنَّة المُطَهَّـرة

✍ بأبي أنـت وأمي يا رسول اللَّـه. . جرعة من نبـعك السلسـبيل تروي العقل والقلـب وتبث الأمل في القلوب اليائسة والأنـفس البائسة، ولكم ربيّت أصحابك على الأمل واليـقين في الغد المشرق والفجر القادم لأمتنا. . ولله درها الأحاديث التي عطرّت أفئدتنا بذكر المبشرات.

● عن خبـاب بن الأرت أنه قال: أتيـت النبي ﷺ وهو مـتوسّد بردة، وهو فـي ظل الكعبة ـ وقـد لقينا مـن المشركين شدة ـ فقـلت: يا رسول اللَّه ألا تدعو اللَّه لنا، فقعد وهو مُحمر وجهه فقال: **«لقد كـان من قبلكم ليمـشط بمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم أو عصـب ما يصرفه ذلك عن دينـه، وليتمـن اللَّه هـذا الأمر حتى يـسير الراكـب من صنـعاء إلى حضـرموت لا يخاف إلا اللَّه»**[1] .

● وفي رواية قال: **«قد كان من قبلكم يُؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها، ثم يـؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نـصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحـمه وعظمه ما يصـده ذلك عن دينه، واللَّـه ليتمنّ اللَّه تـعالى هذا الأمر حتـى يسير الراكب مـن صنعاء إلى حضـرموت فلا يخاف إلا اللَّـه والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون»**.

□ قال الـشيخ الألبـاني ـ رحمه الـلَّه ـ في«الـسلسلـة الصحيـحة» (١/٦):

* قال اللَّـه عز وجل: ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ**

---

(١) رواه البخاري (٧/ ٢٠٢) في: «مناقب الأنصار»، وأحمد (٥/ ١٠٩).

﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾.

● تبشرنا هذه الآية الكريمة بأن المستقبل للإسلام بسيطرته وظهوره وحكمه على الأديان كلها، وقد يظن بعض الناس أن ذلك قد تحقق في عهده ﷺ وعهد الخلفاء الراشدين والملوك الصالحين، وليس كذلك، فالذي تحقق إنما هو جزء من هذا الوعد الصادق، كما أشار إلى ذلك النبي ﷺ بقوله: «**لا يذهب الليل والنهار حتى تُعبد اللات والعزّى، فقالت عائشة: يا رسول اللَّه إن كنت لأظن حين أنزل اللَّه ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ أن ذلك تامًّا؛ قال: إنه سيكون من ذلك ما شاء اللَّه**»[1].

١- مبشرات من السنة بانتشار الإسلام في أرجاء البسيطة:

● عن تميم الداري - رضي اللَّه عنه - قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**ليبلغنّ هذا الأمرُ ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك اللَّه بيت مدر ولا وبر إلا أدخله هذا الدين بعزّ عزيز، أو بذل ذليل، عزًّا يعزّ اللَّه به الإسلام، وذلاً يذل به الكفر**»[2].

✍ وبيت مدر هي: البيوت التي من حجر وهي بيوت الحواضر،

---

(١) رواه مسلم (١٦/ ٣٢) كتاب «الفتن وأشراط الساعة»، والحاكم (٤/ ٤٤٦، ٤٤٧، ٥٤٩).

(٢) **صحيح**: رواه أحمد في «مسنده» (٤/ ١٠٣)، وابن حبان في«صحيحه» (١٦٣١، ١٦٣٢)، والحاكم (٤/ ٤٣٠- ٤٣١)، وقال صحيح على شرط الشيخين، وأبو عروبة في «المنتقى من الطبقات»، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ١٤): رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح، وصححه الألباني في«السلسلة الصحيحة» رقم(١) وفي«تحذير الساجد» (صـ ١١٩).

وبيت وبر هي: بيوت البوادي التي من وبر وشعر سيدخلها الإسلام جميعًا... وصل الإسلام إلى أرجاء البسيطة كلها، وإنا ننتظر المزيد، وما ذلك على الله بعزيز.

٢ـ ومن المبشرات ورود الأحاديث التي تدل على اتساع ملك المسلمين في المشارق والمغارب:

● فعن ثوبان ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله زَوى**[1] **لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زُوي لي منها**»[2].

ولقد وصل ملك المسلمين إلى سانس جنوب باريس، وإلى سيبيريا وجبال الصين، وأندونيسيا وجزر الملايو، والفلبين ووسط أفريقيا، وهو بالغ بإذن الله ما هو أوسع من ذلك مما قد لا يتصوره يائس متواكل هدّه الواقع يرضى بالجحور وكأنه قد سئم حياة النسور.

٣ـ ومن المبشرات الواردة في السنة فتح روما إن شاء الله:

● عن أبي قبيل قال: كنا عند عبد الله بن عمرو بن العاص، وسُئل أي المدينتين تُفتح أولاً القسطنطينية أو رومية؟ فدعا عبد الله بصندوق له حلق، قال: فأخرج منه كتابًا قال: فقال عبد الله: بينما نحن حول

---

(١) زوى: أي جمع وضمّ.

(٢) رواه مسلم (٨/ ١٧١)، وأبو داود (٤٢٥٢)، والترمذي (٢/ ٢٧) وصححه، وابن ماجه (٢٩٥٢)، وأحمد (٥/ ٢٧٨، ٢٨٤) من حديث ثوبان، وأحمد أيضًا من حديث شداد بن أوس إن كان محفوظًا.

رسول اللَّه ﷺ نكتب، إذ سئل رسول اللَّه ﷺ: أي المدينتين تفتح أولاً، أقسطنطينية أو رومية؟ فقال رسول اللَّه ﷺ: «**مدينة هرقل تفتح أولاً. يعني قسطنطينية**»(١).

و«رومية» هي: روما كما في معجم البلدان، وهي عاصمة إيطاليا اليوم.

◘ وقد تحقق الفتح الأول على يد السلطان العثماني البطل: محمد الفاتح وهو ابن ثلاث وعشرين سنة في يوم الثلاثاء ٢٠ من جمادى الأولى سنة ٨٥٧هـ، ٢٩ مايو سنة ١٤٥٣م، وذلك بعد أكثر من ثمانمائة سنة من إخبار النبي ﷺ وسيتحقق الفتح الثاني بإذن اللَّه ولابد، ولتعلمن نبأه بعد حين.

◘ قال الشيخ الألباني: «ولا شك أيضًا أن تحقق الفتح الثاني يستدعي أن تعود الخلافة الراشدة إلى الأمة المسلمة، وهذا ما يبشرنا به ﷺ»(٢).

٤ ـ عودة الخلافة الراشدة على منهاج النبوة إن شاء اللَّه:

● عن حذيفة بن اليمان ـ رضي اللَّه عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**تكون النبوة فيكم ما شاء اللَّه أن تكون، ثم يرفعها اللَّه إذا شاء أن يرفعها، ثم**

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٢/ ١٧٦)، والدارمي(١/ ١٢٦)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٤٧/ ١٥٣/ ٢)، وأبو عمرو الداني في «السنن الواردة في الفتن»، والحاكم(٣/ ٤٢٢، ٤/ ٥٠٨) وعبد الغني المقدسي في «كتاب العلم» (٢/ ٣٠/ ١) وقال: حديث حسن الإسناد، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي وهو كما قالا.

(٢) «السلسلة الصحيحة» (١/ ٨).

تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكًا عاضًا فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون ملكًا جبريًا فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، ثم سكت»[(١)] .

٥ـ ومن المبشرات عودة الرخاء والأمن إلى أرض العرب:

● عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجًا وأنهارًا»[(٢)] .

□ قال الشيخ الألباني ـ رحمه الله ـ:

«وقد بدأت تباشير هذا الحديث تتحقق في بعض الجهات من جزيرة العرب بما أفاض الله عليها من خيرات وبركات وآلات ناضحات تستنبط الماء الغزير من بطن أرض الصحراء، وهناك فكرة بجرّ نهر الفرات إلى الجزيرة كما قرأناها في بعض الجرائد المحلية، فلعلها تخرج إلى حيّز

(١) صحيح: رواه أحمد (٤/ ٢٧٣)، ومن طريق أحمد رواه الحافظ العراقي في «محجة القرب إلى محبة العرب» (١٧/ ٢)، وقال: هذا حديث صحيح، ورواه الطيالسي في «مسنده» (٤٣٨)، وقال الهيثمي في «المجمع» (٥/ ١٨٩): «رواه أحمد والبزار أتم منه، والطبراني ببعضه في «الأوسط» ورجاله ثقات»، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (٥).

(٢) رواه مسلم (٣/ ٨٤)، وأحمد (٢/ ٧٠٣ و٤١٧)، والحاكم (٤/ ٤٧٧). جاء في كتاب «إنه الحق» ص(٣٩ ـ ٤١). قال البروفيسور ألفريد كرونر وهو من أشهر علماء العالم في الجيولوجيا ـ لما سُئل هل كانت بلاد العرب بساتين وأنهارًا؟ فأجاب: نعم.
فسُئل: متى كان هذا؟ قال: في العصر الجليدي الذي مرّ بالأرض. إن الجليد يتراكم في القطب الشمالي ثم يزحف نحو الجنوب، فإذا اقترب من جزيرة العرب قربًا نسبيًا طبعًا تغيّر الطقس، وتكون بلاد العرب بساتين وأنهارًا.
فسُئل: وهل ستعود بلاد العرب بساتين وأنهارًا؟ قال: نعم. هذه حقيقة علمية. =

الوجود، وإن غدًا لناظره قريب»[١] .

● وعن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ : **«لا تقوم الساعة حتى يكثر فيكم المال فيفيض، حتى يُهم ربَّ المال من يقبل منه صدقته، وحتى يعرضه فيقول الذي يعرضه عليه: لا أرب لي»**[٢] .

● وعن حارث بن وهب مرفوعًا: **«تصدّقوا، فإنه يأتي عليكم زمان يمشي الرجل بصدقته فلا يجد من يقبلها، يقول الرجل: لو جئت بها بالأمس لقبلتها، فأما اليوم فلا حاجة لي بها»**[٣] .

● وعن أبي موسى مرفوعًا: **«ليأتين على الناس زمان يطوف الرجل فيه بالصدقة من الذهب! ثم لا يجد أحدًا يأخذها منه»**[٤] .

٦ ـ ومن المبشرات ظهور المجددين في كل قرن:

● قال رسول اللَّه ﷺ : **«إن اللَّه يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدّد لها دينها»**[٥] .

= فتعجب منه سائلوه كيف يقول: هذه حقيقة علمية وهي مسألة تتعلق بالمستقبل. وسئل لماذا؟ قال: لأن العصر الجليدي قد بدأ، فهذه الثلوج تزحف من القطب المتجمد الشمالي مرة ثانية نحو الجنوب، وهي في طريقها لتقترب من المناطق القريبة من بلاد العرب.

ثم قال: إن من أدلتنا على ذلك ما تسمعون عنه من العواصف الثلجية التي تضرب في كل شتاء المدن الشمالية في أوربا وأمريكا. هذه من أدلة العلماء على ذلك. لهم أدلة كثيرة أنها حقيقة علمية. ولما علم أن هناك حديث لرسول اللَّه ﷺ عن هذا ـ وهو حديثنا الذي ذكرناه ـ قال: إن هذا لا يمكن أن يكون إلا بوحي ... من أعلى.

(١) «السلسلة الصحيحة» (١/ ١٠).

(٢) متفق عليه: انظر «اللؤلؤ والمرجان» (٥٩٤).

(٣) متفق عليه: انظر «اللؤلؤ والمرجان» (٥٩٢).

(٤) متفق عليه: انظر «اللؤلؤ والمرجان» (٥٩٣).

(٥) صحيح: رواه أبو داود، والحاكم في «المستدرك»، والبيهقي في «المعرفة» عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (١٨٧٤)، و«السلسلة الصحيحة» رقم (٥٩٩).

□ قال المناوي: «أي يقيّض لها على رأس كل مائة سنة من الهجرة أو غيرها، والمراد الرأس تقريبًا، رجلاً أو أكثر يبين السنة من البدعة، ويكثر العلم وينصر أهله ويكسر أهل البدعة ويذلهم.

قالوا: ولا يكون إلا عالمًا بالعلوم الدينية الظاهرة والباطنة.

□ قال ابن كثير: «قد ادّعى كل قوم في إمامهم أنه المراد بهذا الحديث، والظاهر أنه يعم جماعة من العلماء من كل طائفة وكل صنف؛ مفسّر ومحدّث وفقيه ونحويّ ولغوي وغيرهم»[1] انتهى.

□ قال ابن القيم: «ولولا ضمان اللَّه أن يحفظ دينه، وتكفله بأن يقيم له من يُجدّد أعلامه ويحيي منه ما أماته المبطلون، وينعش ما أخمله الجاهلون لهدّمت أركانه، وتداعى بنيانه، ولكن اللَّه ذو فضل على العالمين»[2].

□ قال أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي في «عون المعبود شرح سنن أبي داود»: «المراد من التجديد إحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة، والأمر بمقتضاهما وإماتة ما ظهر من البدع والمحدثات»[3].

□ قال في «مجالس الأبرار»: وإنما كان التجديد على رأس كل مائة سنة لانخرام العلماء فيه غالبًا، واندراس السنن، وظهور البدع. فيحتاج حينئذ إلى تجديد الدين، فيأتي اللَّه تعالى من الخلق بعوض من السلف إما واحدًا وإما متعددًا. انتهى.

---

(١) «فيض القدير» للمناوي (٢/ ٢٨١ ـ ٢٨٢).

(٢) «مدارج السالكين» (٢/ ٧٩).

(٣) «عون المعبود شرح سنن أبي داود» (١١/ ٣٩١).

□ وقال القاري في «المرقاة»: «أي يبيّن السنة من البدعة، ويُكثر العلم ويُعِزُّ أهله، ويقمع البدعة ويكسر أهلها».

رزق اللَّه هذه الأمة بجبال مُلئوا خشية وعلموا وجددوا دينها ـ للَّه درهم ـ: عمر بن عبد العزيز، والشافعي، والغزالي، وأحمد بن تيمية، وفي مجال الجهاد نور الدين محمود زنكي، وصلاح الدين الأيوبي.

وفي الحديث في عصرنا محدث أهل الشام الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ـ رحمه اللَّه ـ، وإمام العصر بقية السلف فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز ـ رحمه اللَّه ـ.

٧ـ ومن المبشرات بقاء الطائفة المنصورة:

● عن عمر بن الخطاب ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، حتى تقوم الساعة»**[١].

● عن المغيرة بن شعبة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين، حتى يأتيهم أمر اللَّه وهم ظاهرون»**[٢].

● وعن ثوبان ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر اللَّه، وهم كذلك»**[٣].

---

(١) **صحيح**: أخرجه الحاكم (٤/٤٤٩)، والطيالسي ص(٩) رقم (٣٨)، وعنه الدارمي (٢/٢١٣)، والضياء (١٢٠، ١٢١). وقال الحاكم: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في «السلسة الصحيحة» رقم (١٩٥٦)، و«صحيح الجامع» رقم (٧١٦٤).

(٢) **متفق عليه**.

(٣) **صحيح**: رواه مسلم، والترمذي، وابن ماجه، عن ثوبان، وكذا رواه أحمد، وأبو داود، والحاكم.

● وعن معاوية ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر اللَّه، لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم، حتى يأتي أمر اللَّه، وهم ظاهرون على الناس**»(١).

● وعن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي قوَّامة على أمر اللَّه، لا يضرها من خالفها**»(٢).

● وعن قرة بن إياس ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي منصورين، لا يضرهم خذلان من خذلهم، حتى تقوم الساعة**»(٣).

● وعن جابر ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق، ظاهرين إلى يوم القيامة، فينزل عيسى ابن مريم، فيقول أميرهم: تعال صل لنا، فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمير، تكرمة اللَّه لهذه الأمة**»(٤).

● وعن عمران بن حصين ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق، ظاهرين على مَن ناوأهم، حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال**»(٥).

---

(١) أخرجه أحمد، والبخاري، ومسلم عن معاوية.

(٢) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه (١/٧) عن أبي هريرة، قال الألباني في «الصحيحة» رقم (١٩٦٢): وهذا سند حسن إن شاء اللَّه تعالى، رجاله رجال الصحيح، غير نصر بن علقمة، وقد وُثّق.

(٣) أخرجه ابن ماجه، وابن حبان في «صحيحه» عن قرة بن إياس، وصححه الترمذي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٧١٦٩).

(٤) أخرجه أحمد، ومسلم عن جابر.

(٥) **صحيح**: أخرجه أبو داود (١/ ٣٨٨ ـ ٣٨٩)، والحاكم (٤/ ٤٥٠)، وأحمد (٤/٤٢٩)، =

● وعن عقبة بن عامر ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ : «**لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على الحق، لا يضرهم من خالفهم، حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك**»(١) .

● وعن عقبة بن عامر ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ : «**لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أمر اللَّه، قاهرين لعدوهم، لا يضرهم من خالفهم، حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك**»(٢) .

● عن سلمة بن نفيل أنه أتى النبي ﷺ فقال: «إني سئمت الخيل، وألقيت السلاح، ووضعت الحرب أوزارها»، قلت: لا قتال، فقال له النبي ﷺ : «**الآن جاء القتال، لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الناس، يزيغ اللَّه قلوب أقوام يقاتلونهم، ويرزقهم اللَّه منهم حتى يأتي أمر اللَّه عز وجل وهم على ذلك، ألا إن عقر دار المؤمنين بالشام، والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة**»(٣) .

وفي رواية أخرى: «**ولا يزال من أمتي أمة يقاتلون على الحق، ويزيغ اللَّه لهم قلوب أقوام، ويرزقهم منهم حتى تقوم الساعة، وحتى يأتي وعد اللَّه**»(٤) .

= ٤٣٧)، وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وقال الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (١٩٥٩): وهو كما قالا.

(١) أخرجه مسلم.

(٢) أخرجه مسلم، والحاكم.

(٣) إسناده حسن: أخرجه أحمد (٤/ ١٠٤)، وقال الألباني في «الصحيحة» رقم (١٩٦١): وهذا إسناد شامي حسن، رجاله كلهم موثقون.

(٤) إسناد صحيح على شرط مسلم: أخرجه النسائي (٢/ ٢١٧ ـ ٢١٨)، وابن حبان (١٦١٧)، وأحمد (٤/ ١٠٤)، وابن سعد في «الطبقات» (٧/ ٤٢٧ ـ ٤٢٨)، والحربي في «غريب الحديث»، والطبراني في «الكبير» (٦٣٥٧، ٦٣٥٨، ٦٣٥٩)، عن سلمة بن نفيل، وقال الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (١٩٣٥): إسناد صحيح على شرط مسلم.

وهذه الطائفة هم أصحاب الحديث. وهذا قول عبد اللَّه بن المبارك، وعليٍّ بن المديني، وقال أحمد بن حنبل: «إن لم تكن هذه الطائفة المنصورة أصحاب الحديث فلا أدري من هم. وقال البخاري: يعني أصحاب الحديث، وقال أيضًا: وهم أهل العلم. ولله در الخطيب البغدادي حين يقول في كتابه: «شرف أصحاب الحديث»: وقد جعل اللَّه أهله أركان الشريعة، وهدم بهم كل بدعة شنيعة، فهم أمناء اللَّه في خليقته، والواسطة بين النبي ﷺ وأمته، والمجتهدون في حفظ ملته، أنوارهم زاهرة، وفضائلهم سائرة، وآياتهم باهرة، ومذاهبهم ظاهرة، وحججهم قاهرة. وكل فئة تتحيّز إلى هوى ترجع إليه، وتستحسن رأيًا تعكف عليه، سوى أصحاب الحديث، فإن الكتاب عدتهم، والسنة حجتهم، والرسول فئتهم، وإليه نسبتهم، لا يعرِّجون على الأهواء، ولا يلتفتون إلى الآراء، يُقبل منهم ما رووا عن الرسول، وهم المأمونون عليه العدول، حفظة الدين وخزنته؛ وأوعية العلم وخزنته، إذا اختُلِف في حديث كان إليهم الرجوع، فما حكموا به فهو المقبول المسموع. منهم كل عالم فقيه وإمام رفيع نبيه، وزاهد في قبيلة، ومخصوص بفضيلة» ا.هـ أولئك حزب اللَّه.. ولا تموت أمة هم فيها فلن تخلو الأرض من قائم لله بحجة، ولا يزال في هذه الأمة أهل علم يدعون من ضل إلى الهدى، ويُبَصِّرون بنور اللَّه أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضال تائه قد هَدوه. ينفون عن كتاب اللَّه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين.

وهذا إن دلّ فإنما يدل على بقاء الخيرية في هذه الأمة وعدم انقطاعها.

● قال رسول اللَّه ﷺ: «**مثل أمتي مثل المطر، لا يُدرَى أوله خير أم آخره**»[١].

● ولا يعارض هذا حديث رسول اللَّه ﷺ: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم...**»[٢].

❑ فإن الأخير يدل على أن الصحابة خير القرون وخير الناس وأنهم مثل المطر لخامة الزرع في أول نبتها، فالمطر كله خير، ولكن يصح النبات بالمطر في أول عهده وزراعته، وحاجة الزرع إلى المطر الأول ليس مثل حاجته إلى المطر في نهاية نموه..

والحديث الذي قبله يدل على دوام الخيرية في هذه الأمة وعدم انقطاعها.

● عن ثوبان ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**عصابتان من أمتي أحرزهما اللَّه من النار، عصابة تغزو الهند، وعصابة تكون مع عيسى ابن مريم**»[٣].

● وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**بعثت بجوامع الكلم،**

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد، والترمذي عن أنس، وأحمد عن عمار، وأبو يعلى في «مسنده» عن علي، والطبراني في «الكبير» عن ابن عمر، وعن ابن عمرو، والطيالسي، وابن عدي، وابن عساكر عن أنس، وابن حبان في «صحيحه» عن عمار، وأبو نعيم في «الحلية» والقضاعي عن ابن عمر، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (٢٢٨٦)، و«صحيح الجامع» رقم (٥٧٣٠).

(٢) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم، والترمذي عن ابن مسعود.

(٣) **صحيح**: أخرجه أحمد في «مسنده»، والنسائي، والضياء، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم(١٩٣٤)، و «صحيح الجامع» رقم (٣٩٠٠).

ونُصِرت بالرعب، وبينا أنا نائم أُتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوُضعت في يدي».

● قال أبو هريرة: فذهب رسول اللَّه ﷺ، وأنتم تنتقلونها»[١].

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «إنكم مفتوح عليكم، منصورون ومصيبون، فمن أدرك ذلك منكم فليتق اللَّه...»[٢].

٨- ومن المبشرات في السنة نزول المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام:

تواترت الأحـاديث عن رسول اللَّه ﷺ أنـه أخبر بنزول عـيسى عليه السـلام قبل يوم القيامة إمامًـا عادلاً وحكمًا مقسطًـا، وهي متواترة تواترًا معنويًّا يفيد القطع بثبوت مضمونها.

✍ وممّن صرح بتواتره العلامة الطبري، والنووي، والقاضي عياض، وابن حجـر وابن تيمية، وابـن القيم، والذهـبي، وابن كثير، والـعلاّمة الآبّي، وابن عـطية، وأبو حـيان الأندلسـي، والشوكانـي، والألوسي، ومحمد صديق حسن خان، ومحمد حبيب اللَّه الشنقيطي، والسفاريني، والكتاني، والكشـميري في كتابه «التصريح بما تـواتر في نزول المسيح»، والألباني، والشيخ أحمد شاكر، والكوثري، والغماري.

وقد ادعـى بعضـهم أن هذه أحاديـث أحاد، وأحاديـث الآحاد لا يؤخذ بها في مجال العقيدة..

أما قولهم أنها أحاديث آحاد فهذا غلط لا يحتاج إلى بيان.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٩٩٨).

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (١/ ٤٠١).

وأما قولهم بأن أحاديث الآحاد لا يؤخذ بها في الاعتقاد فهذه دعوى أوسع من الغبراء وأكبر من أن تظلها الخضراء، وهي دعوى لردّ النصوص، ومقتضى صنيع المحدثين كأحمد، والبخاري، ومسلم، وابن خزيمة وأصحاب السنن على خلاف قولهم، وأن خبر الواحد يؤخذ به في العقيدة.. فكيف والخبر متواتر، والمؤمن الحق لا يسعه إلا التسليم للَّه ولرسوله ﷺ في كل أمر، وفي أمر نزول هذا النبي الكريم ليحكم بين الناس بشريعة الإسلام ولينشر العدل على البسيطة، وليدحر الكافرين.. سينزل كما أخبر رسول اللَّه ﷺ ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾، وهناك آيات في نزول عيسى عليه السلام.

* قال تعالى: ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: ٤٦].

* وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً﴾ [المائدة: ١١٠].

□ قال ابن جرير: «قال ابن زيد: قد كلمهم عيسى في المهد، وسيكلمهم إذا قتل الدجال وهو يومئذ كهل»(١).

□ وقال ابن جرير: قال الحسين بن الفضل البجلي: إن المراد بقوله ﴿وكهلاً﴾ أن يكون كهلاً بعد أن ينزل من السماء في آخر الزمان ويكلّم الناس ويقتل الدجال.

(١) «جامع البيان» للطبري (٦/ ٤٢٠).

□ قال الحسين بن الفضل: وفي هذه الآية نص في أنه عليه الصلاة والسلام سينزل إلى الأرض.

□ وقال ثعلب في قوله: ﴿وكهلاً﴾: ينزل عيسى إلى الأرض كهلاً» ا. هـ[١].

وإلى هذا ذهب عامة أهل التفسير كابن كثير، وابن الجوزي، والزمخشري، والألوسي[٢].

والكلام من الكهل أمر مألوف معتاد فلا يحسن الإخبار به لا سيما في مقام البشارة إلا إذا كان آية.

* قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً﴾ [النساء: ١٥٩].

وأولى الأقوال بالصحة في هذه الآية كما قال ابن جرير هو كون الضمير في قوله: ﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ لعيسى عليه السلام، وأنه حين ينزل لا يبقى أحد من أهل الكتاب الموجودين في ذلك الزمان إلا آمن به وصدّقه؛ لأنه يضع الجزية ولا يقبل إلا الإسلام.

* قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلاَ تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [الزخرف: ٦١].

أي وإن عيسى لعلم للساعة تُعلَم بنزوله فلا تشكنّ فيها، وبهذا فسّرها النبي ﷺ.

(١) «جامع البيان» (٦/ ٤٥٧).

(٢) انظر: «تفسير ابن كثير» (١/ ٣٦٤)، و«روح المعاني» (٤/ ١٧٩)، و«زاد المسير» (١/ ٣٩٦)، و«الكشاف» (١/ ١٩٢).

● عن ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ عن النبي ﷺ في قوله: ﴿ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ ﴾ قال: «نزول عيسى ابن مريم من قبل يوم القيامة»[١].

وهذا قول ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة والضحّاك وابن زيد.

وإليك جملة من الأحاديث في نزول عيسى عليه السلام النبي والصحابي، ذكره الذهبي في الصحابة، فقال في «التجريد» عيسى ابن مريم نبي وصحابي، فإنه رأى النبي ﷺ فهو آخر الصحابة موتًا.

● عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«والذي نفسي بيده ليُوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا عدلاً فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها»**[٢].

● وعند مسلم: **«والذي نفسي بيده ليوشكن[٣] أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا مقسطًا فيكسر الصليب[٤]، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية[٥]، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد»**.

---

(١) **إسناده صحيح**: رواه ابن حبان في «صحيحه» (٨/ ٢٨٨) باب ذكر البيان أن نزول عيسى ابن مريم من أعلام الساعة.

(٢) رواه البخاري واللفظ له في كتاب البيوع: باب قتل الخنزير (٤/ ٤١٤)، وكتاب المظالم: باب كسر الصليب وقتل الخنزير (٥/ ١٢١)، وكتاب الأنبياء: باب نزول عيسى ابن مريم (٦/ ٤٩٠)، ومسلم في كتاب الإيمان: باب نزول عيسى ابن مريم حاكمًا بشريعة نبينا محمد ﷺ، وابن منده في كتاب الإيمان (١/ ٥١٣).

(٣) أي: لا بد من ذلك سريعًا.

(٤) أي: يبطل دين النصرانية بأن يكسر الصليب حقيقة، انظر: «الفتح» (٦/ ٤٩٢).

(٥) يضع الجزية: أي لا يقبل من النصارى غير الإسلام، أو القتل.

ثم قال أبو هـريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ: «واقـرءوا إن شئتم ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً﴾.

● عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عـنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم**[1] ؟»[2].

● وعن جابر بن عبـد اللَّه ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال سـمعت النبي ﷺ يـقـول: «**لا تزال طائفـة من أمتي يقاتـلون على الحق ظاهـرين إلى يوم القيامة، قال فينزل عيسى ابن مريم ﷺ فيقول أميرهم تعال صل لنا فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمـراء تكرمة اللَّه لهذه الأمة**» رواه مسلم. وقـد مرّ هذا الحديث من قبل.

● وعن أبي هـريرة ـ رضي اللَّه عـنه ـ عن رسول الـلَّه ﷺ أنه قال: «**والذي نفسي بيده ليُهلن**[3] **ابن مريم بفج الروْحَاء**[4] **حاجًا أو معتمرًا أو**

---

(١) الإمام المذكور هو المهدي محمد بن عبد اللَّه.
قال ابن حجر في «الفتح» (٦/ ٤٩٣): «الحكمة في نزول عيسى دون غيره من الأنبياء الرد على اليهود في زعمهم أنهم قتلوه فبيّن اللَّه تعالى كذبهم، وأنه الذي يقتلهم.
قال ابن الجوزي: «لو تقدّم عيسى إمامًا لوقع في النفس إشكال، ولقيل: أتراه تقدّم نائبًا أو مبتدئًا شرعًا فصلى مأمومًا لئلا يتدنس بغبار الشبهة. وجه قوله: «لا نبي بعدي».
قال الحافظ في «الفتح» (٦/ ٤٩٤): «وفي صلاة عيسى خلف رجل من هذه الأمة مع كونه في آخر الزمان، وقرب قيام الساعة دلالة للصحيح من الأقوال أن الأرض لا تخلو من قائم للَّه بحجة واللَّه أعلم.

(٢) رواه البخاري (٦/ ٤٩١) كتاب الأنبياء: باب نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام، ومسلم: كتاب الإيمان: بـاب نزول عيسى ابن مريم، وأحمـد (٢/ ٣٣٦)، وابن حبان (٨/ ٢٨٤)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» ص(٤٢٤)، وابن منده في «الإيمان» (١/ ٥١٥).

(٣) ليهلن: أي يرفع صوته بالتلبية يقول: لبيك اللهم لبيك.

(٤) فج الروحاء: الفج الطريق بين الجبلين، والروحاء طريق يبعد عن المدينة ستة أميال.

ليثنينّهما[١] »[٢] .

● وعن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ : **«ينزل عيسى ابن مريم فيقتل الخنزير ويمحو الصليب وتجمع له الصلاة، ويعطي المال حتى لا يُقبل، ويضع الخراج وينزل بالروحاء فيحج منها، أو يعتمر، أو يجمعهما»**، قال: وتلا أبو هريرة ﴿ **وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ** ﴾[٣] الآية [النساء: ١٥٩] فزعم حنظلة أن أبا هريرة قال: يؤمن به قبل موت عيسى فلا أدري هذا كله حديث النبي ﷺ أو شيء قاله أبو هريرة.

● وعن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - أن النبي ﷺ قال: **«الأنبياء إخوة لعلاّت[٤] أمهاتهم شتى ودينهم واحد، وإني أولى الناس بعيسى ابن مريم؛ لأنه لم يكن نبي بيني وبينه، وإنه نازل فاعرفوه رجل مربوع[٥] إلى الحمرة والبياض عليه ثوبان ممصّران[٦] كأن رأسه يقطر إن لم يصبه بلل، فيدق الصليب،**

---

(١) ليثنينهما: أي: يحرم بالحج والعمرة معًا.

(٢) رواه مسلم في كتاب الحج: باب إهلال النبي ﷺ وهديه ح(٢١٦)، وأحمد (٢/ ٢٤٠، ٢٧٢، ٥٤٠)، وابن منده في «الإيمان» (١/ ٥١٧).

(٣) **إسناده صحيح**: رواه أحمد (٢/ ٢٩٠)، وابن جرير (٦/ ٤٥٨)، ولفظه: «ليُهبطنّ اللَّه عيسى ابن مريم. . .»، وفيه «وليسلكن الروحاء حاجًا أو معتمرًا، أو ليثنين بهما جميعًا».

وصحح سند أحمد وابن جرير الشيخ أحمد شاكر في «المسند» (٧٨٩٠)، والطبري (٦/ ٤٥٨).

(٤) علاّت: أي ضرائر.

إخوة لعلاّت: قال ابن الأثير في «النهاية» (٣/ ٢٩١): أولاد العلات الذين أمهاتهم مختلفة وأبوهم واحد. يعني إيمانهم واحد وشرائعهم مختلفة».

(٥) مربوع: يقال: رجل ربعة ومربوع يعني: معتدل القامة بين الطويل والقصير.

(٦) ممصّران: أي: فيهما صفرة خفيفة.

ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويدعو الناس إلى الإسلام، ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام، ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال، ثم تقع الأمانة[١] على الأرض حتى ترتع[٢] الأسود مع الإبل، والنمار مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيّات لا تضرّهم فيمكث أربعين سنة، ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون»[٣] .

● وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «طوبى لعيش بعد المسيح[٤] يُؤذنُ للسماء في القَطْر[٥] ، ويؤذن للأرض في النبات، حتى لو بذرت حبك على الصفا[٦] لنبت. وحتى يمر الرجل على الأسد فلا يضره، ويطأ على الحية فلا تضرّه ولا تشاحّ[٧] ولا تحاسد، ولا تباغض»[٨] .

---

(١) الأمانة: أي: الأمن والسلام.

(٢) ترتع: أي: تلعب.

(٣) **سنده صحيح**: رواه أحمد رقم (٩٢٥٩)، وأبو داود (٤/ ١١٧)، وابن جرير (٩/ ٣٨٨)، وابن حبان (٨/ ٢٧٧)، والحاكم (٢/ ٥٩٥)، وصححه ووافقه الذهبي، وابن أبي شيبة (١٥/ ١٥٨)، وصحح سند أحمد والطبري الشيخ أحمد شاكر.

(٤) أي: بعد نزول المسيح، وقتله للدجال.

(٥) القطر: المطر.

(٦) الصفا: الصخرة الملساء.

(٧) لا تشاح: أي: لا معاداة.

(٨) **إسناده صحيح**: رواه أبو سعيد النقاش في «فوائد العراقيين»، وأبو بكر الأنباري في «حديثه»، ومن طريق الأنباري رواه الديلمي (٢/ ١٦١)، وابن المحب في «صفات رب العالمين» (١/٤٢٧)، وقال: «هذا على شرط البخاري».
قال الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (١٩٢٦):
قلت: «جعفر بن محمد بن شاكر لم يخرج له البخاري، ولا غيره من الستة، وهو ثقة، وقد ترجمه الخطيب (٧/ ١٨٥ ـ ١٨٧)، وفي «التهذيب» أيضًا، ولم يرمز له بشيء.
ورواه الضياء في «المنتقى من مسموعاته بمرو»: . . . قلت: فالإسناد صحيح». وصححه أيضًا في «صحيح الجامع» رقم (٣٨١٤).

● وعن أنس ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**من أدرك منكم عيسى ابن مريم، فليقرئه مني السلام**»[١].

● وعن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى تنزل الروم بالأعماق، أو بدابق[٢] فيخرج إليهم جيش من المدينة[٣] من خيار أهل الأرض يومئذ، فإذا تصافوا قالت الروم: خلّوا بيننا وبين الذين سُبُوا منا[٤] نقاتلهم، فيقول المسلمون: لا واللَّه لا نخلي بينكم وبين إخواننا فيقاتلونهم فيهزم ثلث لا يتوب اللَّه عليهم أبداً، ويُقتل ثلثهم ـ أفضل الشهداء عند اللَّه ـ، ويفتح الثلث لا يفتنون فيفتحون قسطنطينية[٥]، فبينما هم يقسمون الغنائم قد علّقوا سيوفهم بالزيتون[٦] إذ صاح فيهم الشيطان: إن المسيح[٧] قد خلفكم[٨] في أهليكم فيخرجون وذلك باطل[٩]، فإذا جاءوا[١٠] الشام خرج فبينما هم يُعِدّون للقتال يسوون الصفوف إذ أقيمت الصلاة فينزل عيسى ابن مريم فيؤمهم[١١] فإذا**

---

(١) حسن: رواه الحاكم في «المستدرك»، وحسنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (٢٣٠٨)، و«صحيح الجامع» رقم (٥٨٧٧).
(٢) الأعماق ودابق: موضعان بالقرب من مدينة حلب.
(٣) المدينة: المراد بها حلب أو دمشق، وقيل المراد بها المدينة النبوية.
(٤) سُبُوا: أي: أسروا، وأخذوا منا ثم آمنوا، وقاتلونا معكم.
(٥) قسطنطينية: هي إسطنبول كما في معجم البلدان.
(٦) الزيتون: أي: أشجار الزيتون.
(٧) المسيح: هو الدجال الأكبر، وقد لقّبه النبي في حديث آخر بمسيح الضلالة.
(٨) خلفكم: أي: خرج وعاث في الأرض.
(٩) باطل: أي: أن هذا القول الذي قاله الشيطان إنما كان باطلاً.
(١٠) جاءوا: من القسطنطينية إلى بلاد الشام، ودخلوا القدس.
(١١) فأمّهم: يعني: أمر إمامهم بالإمامة.

رآه عدو اللَّه ذاب كما يذوب الملح في الماء فلو تركه لذاب حتى يهلك، ولكن اللَّه يقتله بيده[١] فيريهم دمه في حربته»[٢] .

● عن ابن مسعود ـ رضي اللَّه عنه ـ عن رسول اللَّه ﷺ قال: «لقيت ليلةَ أُسْرِي بي إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، فتذاكروا أمر الساعة فردوا أمرهم إلى إبراهيم فقال: لا علم لي بها، فردّوا أمرهم إلى موسى فقال: لا علم لي بها، فردّوا أمرهم إلى عيسى فقال: أما وجْبَتُها فلا يعلم بها أحد إلا اللَّه، وفيما عهد إليّ ربي عز وجل أن الدجال خارج ومعي قضيبان[٣] ، فإذا رآني ذاب كما يذوب الرصاص[٤] قال: فيهلكه اللَّه إذا رآني، حتى إن الحجر والشجر يقول: يا مسلم إن تحتي كافراً فتعال فاقتله، ثم يرجع الناس إلى بلادهم وأوطانهم فعند ذلك يخرج يأجوج ومأجوج، وهم من كل حدب ينسلون، فيطئون بلادهم، فلا يأتون على شيء إلا أهلكوه، ولا يمرّون على ماء إلا شربوه، قال: ثم يرجع الناس يشكونهم فأدعو اللَّه عليهم فيهلكهم ويميتهم حتى تَجْوَى[٥] الأرض من نتن ريحهم، ويُنزِل اللَّه المطر فيجترف[٦] أجسادهم حتى يقذفهم في البحر، ففيما عهد إليّ ربي عز وجل أن ذلك إذا كان كذلك أن الساعة كالحامل المُتِم[٧] لا يدري

---

(١) بيده: أي: بيد عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام.

(٢) رواه مسلم: في كتاب الفتن: باب فتح القسطنطينية ح (٢٨٩٧)، وابن أبي شيبة (١٥/ ١٥٧ ـ ١٥٨)، والحاكم (٤/ ٤٨٢).

(٣) قضيبان: أي: سيفان.

(٤) ذاب كما يذوب الرصاص: كناية عن هروبه واختفائه.

(٥) تجوى الأرض: أي: لا يطيق الإنسان المعيشة عليها من نتن رائحتهم.

(٦) يجترف: أي: يحملها ويلقيها.

(٧) كالحامل المتم: أي: التي على وشك الوضع.

أهلها متى تفاجئهم بولادها ليلاً أو نهاراً»[١] .

● عن عبد اللَّه بن عمرو ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ : «يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين لا أدري أربعين يومًا، أو أربعين شهرًا، أو أربعين عامًا فيبعث اللَّه تعالى عيسى ابن مريم كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه، ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة...»[٢] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : «ليقتُلَنَّ ابنُ مريم الدجال بباب لُدٍّ»[٣] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : «يقتل ابن مريم الدجال بباب لد»[٤] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : «ينزل عيسى ابن مريم عند المنارة البيضاء شرقي دمشق»[٥] .

● وعن حذيفة بن أسيد الغفاري ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: أشرف علينا رسول اللَّه ﷺ من غرفة، ونحن نتذاكر الساعة فقال: «لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات: طلوع الشمس من مغربها، والدخان، والدابة، وخروج يأجوج ومأجوج، ونزول عيسى ابن مريم، والدجال، وثلاثة خسوف:

---

(١) رواه أحمد (١/ ٣٧٥)، وابن ماجه (٤٠٨١)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٨٤)، وصححه ووافقه الذهبي، وقال البوصيري في «الزوائد»: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات.

(٢) رواه مسلم: كتاب الفتن ـ باب خروج الدجال ومكثه بالأرض، والحاكم (٤/ ٥٥٠).

(٣) صحيح: رواه أحمد في «مسنده» عن مجمع بن جارية، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥٣٣٨).

(٤) صحيح: رواه الترمذي عن مجمع بن جارية، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٧٩٨٢).

(٥) صحيح: رواه الطبراني في «المعجم الكبير» عن أوس بن أوس، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٢٥ : ٨).

خسف بالمشرق وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، ونار تخرج من قعر عدن تسوق أو تحشر الناس تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا»[١] .

● وفي حديث النواس بن سمعان: «... فبينما هو كذلك إذ بعث اللَّه المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعًا كفّيه على أجنحة ملَكَيْن، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدّر منه جمان كاللؤلؤ، فلا يحلّ لكافر يجد ريحه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله» . . . وفيه: «ثم يقال للأرض أنبتي ثمرتك وردّي بركتك فيومئذ تأكل العصابة[٢] من الرّمانة ويستظلون بقحفها ويبارك في الرِّسْل[٣] حتى إن اللقحة[٤] من الإبل لتكفي الفئام[٥] من الناس واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ[٦] من الناس...»[٧] .

● وعن أبي أمامة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: «يا أيها الناس! إنها لم تكن فتنة على وجه الأرض، منذ ذرأ اللَّه ذرية آدم أعظم من فتنة الدجال...» وفي الحديث: «وإمامهم رجل صالح، فبينما إمامهم قد تقدّم يصلي بهم الصبح، إذْ نزل عليهم عيسى ابن مريم الصبح، فرجع ذلك الإمام ينكص يمشي القَهقَرى

(١) رواه مسلم: كتاب الفتن. . باب في الآيات التي تكون قبل الساعة، ورواه أحمد (٤/ ٧)، والترمذي (٢١٨٣)، وابن ماجه (٤٠٥٥)، وأبو داود (٤٣١١)، والطيالسي (١٠٦٧)، وأبو بكر بن أبي شيبة (١٥/ ١٣٠)، (١٥/ ١٦٣).

(٢) العصابة: الجماعة.

(٣) الرسل: اللبن.

(٤) اللقحة: اللبون.

(٥) الفئام: الجماعة.

(٦) الفخذ: من الناس دون القبيلة.

(٧) رواه مسلم في كتاب الفتن: باب ذكر الدجال وصفته، وأبو داود مختصراً (٤٣٢١)، والترمذي (٢٢٤٠)، وابن ماجه (٤٠٧٥)، والحاكم (٤/ ٤٩٢).

ليتقدم عيسى، فيضع عيسى يده بين كتفيه، ثم يقول له: تقدّم فصلِّ؛ فإنها لك أُقيمت، فيُصلِّي بهم إمامهم، فإذا انصرف[1] قال عيسى: افتحوا الباب، فيفتحون ووراءه الدجال، معه سبعون ألف يهودي، كلهم ذو سيف محلّى وساجٍ، فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء، وينطلق هاربًا... فيدركه عند باب لُدّ الشرقي فيقتله، فيهزم اللَّه اليهود، فلا يبقى شيء مما خلق اللَّه عز وجل يتواقى به يهودي، إلا أنطق اللَّه ذلك الشيء، لا حجر ولا شجر ولا حائط ولا دابة إلا الغرقدة، فإنها من شجرهم لا تنطق، إلا قال: يا عبد اللَّه المسلمَ هذا يهودي فتعال اقتله.

فيكون عيسى ابن مريم في أمتي حكمًا عدلاً، وإمامًا مقسطًا يدقّ الصليب، ويذبح[2] الخنزير، ويضع الجزية، ويترك الصدقة، فلا يُسعى على شاة ولا بعير، وتُرفع الشحناء والتباغض، وتُنزع حُمَة كلّ ذات حمة، حتى يُدخل الوليد يده في الحيّة فلا تضرّه، وتضرّ الوليدة الأسدَ فلا يضرّها، ويكون الذئب في الغنم كأنه كلبها، وتملأ الأرض من السِّلم كما يملأ الإناء من الماء، وتكون الكلمة واحدة، فلا يعبد إلا اللَّه، وتضع الحرب أوزارها، وتُسلب قريش ملكها، وتكون الأرض كفاثور[3] الفضة، تنبت نباتها بعهد آدم حتى يجتمع النفر على القِطف من العنب فيشبعهم، ويجتمع النفر على الرمانة فتشبعهم، ويكون الثور بكذا وكذا من المال، ويكون الفرس بالدريهمات...»[4].

---

(١) قال الشيخ الألباني: قلت فيه اختصار، تقديره فإذا انصرف إلى بيت المقدس، والمسلمون فيه محاصرون قال... كما يدل عليه بعض الأحاديث الأخرى.

(٢) قال الشيخ الألباني: كذا في هذا الحديث، والصحيح: «ويقتل» كما في الأحاديث الأخرى.

(٣) فاثور: الطَّسْتُ، والجفنة، والخِوانُ من رخام ونحوه.

(٤) صحيح: رواه ابن ماجه، وابن خزيمة، والحاكم في «المستدرك»، والضياء عن أبي أمامة، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (٢٤٥٧)، و«صحيح الجامع» رقم (٧٧٥٢).

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «**كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فأمَّكُم**[(١)]»[(٢)].

□ قال ابن كثير في «تفسيره» (١/ ٥٨٢): «فهذه أحاديث متواترة عن رسول اللَّه ﷺ من رواية أبي هريرة وابن مسعود، وعثمان بن أبي العاص، وأبي أمامة، والنواس بن سمعان، وعبد اللَّه بن عمرو بن العاص، ومجمع ابن جارية، وحذيفة بن أسيد ـ رضي اللَّه عنهم ـ وفيها دلالة على صفة نزوله ومكانه من أنه الشام بل دمشق عند المنارة الشرقية، وأن ذلك يكون عند إقامة الصبح» ا.هـ.

٩ـ ومن المبشّرات ظهور المهدي المنتظر:

□ قال الشيخ عبد العزيز بن باز ـ رحمه اللَّه ـ: «أما إنكار المهدي المنتظر بالكلية كما زعم ذلك بعض المتأخرين فهو قول باطل؛ لأن أحاديث خروجه في آخر الزمان، وأنه يملأ الأرض عدلاً وقسطًا كما ملئت جورًا، قد تواترت تواترًا معنويًّا، وكثرت جدًّا واستفاضت كما صرّح بذلك جماعة من أهل العلم بينهم أبو الحسن الآبري السجستاني من علماء القرن الرابع، والعلاّمة السفاريني، والعلامة الشوكاني وغيرهم، وهو كالإجماع من أهل العلم»[(٣)].

✍ وممن أثبت أحاديث المهدي وصححها من العلماء السابقين:

العقيلي، والآبري، والسهيلي، والخطابي، والبيهقي، وابن الأثير، والهيثمي، وابن حبان، وابن الجوزي، والمنذري، وابن تيمية، والذهبي،

(١) أمَّكُم: أمكم بكتاب ربكم وسنة نبيكم.

(٢) رواه مسلم عن أبي هريرة.

(٣) جريدة عكاظ ١٨ محرم ١٤٠٠هـ.

وابن القيم، وابن كثير، وابن حجر العسقلاني، والسيوطي، والسخاوي، والقسطلاني، والكشميري، ومنهم القرطبي، وابن العربي، والمناوي، وابن حجر الهيثمي، والزرقاني والصبان.

ومنهم علي بن سلطان القاري، والسفاريني، والبوصيري، والشوكاني، والصنعاني، والمباركفوري، وشمس الحق أبادي، والعجلوني، والسندي، ومحمد صديق حسن خان، والكتاني، وأبو السعود، ومحمد بشير السهسواني، ومحمد الأمين الشنقيطي، وأحمد محمد شاكر، والألباني، وأبو شهبة، وحمود التويجري، وابن باز، ومحمد حسنين مخلوف وسيد سابق.

✍ وخرّج أحاديث المهدي الإمام أحمد، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وابن أبي شيبة، والدارقطني، وابن خزيمة، والطبراني، والحاكم، والبيهقي، وأبو نعيم، وأبو يعلى، والبزار، ونعيم ابن حماد، والخطيب، والروياني، وعبد بن حميد، والحارث بن أبي أسامة، وأبو عوانة، وعبد الرزاق الصنعاني.

✍ وقد صرّح كثير من العلماء في الأحاديث الواردة في شأن المهدي بأنها متواترة - تواترًا معنويًّا - ومنهم الآبري كما نقله كثير من العلماء كالقرطبي، والحافظ ابن حجر، وابن القيم، والسخاوي، والسيوطي، والزرقاني، وأقروه عليه، وكذا قال الشوكاني، وصديق حسن خان، والسفاريني، والكتاني. فثبت تواتره ولله الحمد.

وأما قولهم إنه من أحاديث الآحاد، وإنها لا تفيد عقيدة فهذا قول باطل.

وكل أحادي صحيح تلقته الأمة بالقبول من غير نكير، فإنه يفيد العلم واليقين واختار هذا ابن الصلاح، ووافقه ابن كثير، وابن حجر، والسيوطي[١] .

✍ «وخبر الآحاد يعمل بها في أصول الدين وحكى ابن عبد البر الإجماع على ذلك»، كما قال السفاريني. ولله در محدث ديار الشام حين أفرد رسالته الماتعة في «وجوب الأخذ بحديث الآحاد في العقائد».

✍ وإثبات حقيقة المهدي من عقيدة أهل السنة والجماعة وقد أفرد له كثير من أهل العلم مصنفات في ذلك، منهم السيوطي في «العَرْف الوردي في أخبار المهدي»، والشوكاني في «التوضيح في تواتر ما جاء في المهدي المنتظر والدجّال والمسيح». ومنهم الشيخ عبد المحسن العباد في «عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر».

وهذه بعض أحاديث المهدي:

● قال رسول الله ﷺ: «**المهدي من عترتي**[٢] **من ولد فاطمة**»[٣] .

● وقال رسول الله ﷺ: «**المهدي منا أهل البيت، يصلحه الله**[٤] **في ليلة**»[٥] .

---

(١) انظر: رسالة شيخنا محمد إسماعيل المقدم «المهدي حقيقة لا خرافة».

(٢) نسلي وعشيرتي.

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود، وابن ماجه، والحاكم عن أم سلمة، وقال الشيخ الألباني: «هذا سند جيد رجاله كلهم ثقات» وصححه في «صحيح الجامع» رقم(٦٦١٠).

(٤) يصلحه: قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (١/ ٤٣): «أي: يتوب عليه ويوفقه ويلهمه رشده بعد أن لم يكن كذلك».

(٥) **صحيح**: رواه أحمد في «مسنده»، وابن ماجه عن علي، وكذا رواه ابن عدي، وأبو نعيم والعقيلي، ورمز السيوطي لحسنه، وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر «المسند» ح (٦٤٥)، والألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦٦١١).

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «المهدي مني، أجلى[1] الجبهة، أقنى[2] الأنف، يملأ الأرض قسطًا وعدلاً، كما مُلئت جورًا وظلمًا، يملك سبع سنين»[3] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «لتُملأنّ الأرضُ جورًا وظلمًا، فإذا ملئت جورًا وظلمًا، يبعث اللَّه رجلا مني، اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي، فيملؤها عدلاً وقسطًا، كما مُلئت جَوْرًا وظلمًا، فلا تمنع السماء شيئًا من قطرها، ولا الأرض شيئًا من نباتها، يمكث فيكم سبعًا، أو ثمانيًا، فإن أكثر فتسعًا»[4] .

● وعن أبي سعيد ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «لتُملأن الأرضُ ظلمًا وعدوانًا، ثم ليخرجنّ رجل من أهل بيتي، حتى يملأها قسطًا وعدلاً، كما مُلئت ظلمًا وعدوانًا»[5] .

● وعن ابن مسعود ـ رضي اللَّه عنه ـ عن النبي ﷺ أنه قال: «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم، لطوّل اللَّه ذلك اليوم حتى يُبعث فيه رجل مني أو من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي، يملأ الأرض قسطًا وعدلاً كما مُلئت ظلمًا وجورًا»[6] .

---

(١) أي: منحسر شعره عن مقدم رأسه.

(٢) يعني: طويل مع دقة فيه.

(٣) حسن: رواه أبو داود، والحاكم عن أبي سعيد، وقال ابن القيم: رواه أبو داود بإسناد جيد، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٦١٢)، وتخريج «المشكاة» (٥٤٥٤).

(٤) صحيح: رواه البزار والطبراني في «الكبير»، وابن عدي، وأبو نعيم عن أبي سعيد الخدري، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٩٤٩)، و«السلسلة الصحيحة» (١٥٢٩).

(٥) صحيح: رواه الحارث واللفظ له، وأحمد في «مسنده»، وابن حبان، والحاكم في «المستدرك»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٤٩٥٠) و «السلسلة الصحيحة» رقم (١٥٢٩).

(٦) صحيح: رواه أبو داود، والترمذي وقال: حسن صحيح، وصححه الألباني في «تحقيق المشكاة» (٥٤٥٢)، و «صحيح الجامع» (٥١٨٠).

● وعن علي ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لو لم يبق من الدهر إلا يومٌ، لبعث الله رجلا من أهل بيتي، يملؤها عدلاً، كما مُلِئت جوراً»[١].

● وعند أحمد عن علي ـ رضي الله عنه ـ بلفظ: «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لبعث الله عز وجل رجلاً منا يملؤها عدلاً كما مُلِئت جوراً»[٢].

● وعن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تذهب الدنيا، ولا تنقضي، حتى يملك رجل من أهل بيتي، يواطئ[٣] اسمه اسمي»[٤].

● وعند أحمد بلفظ: «لا تقوم الساعة حتى يلي رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي»[٥].

● وعند أحمد أيضًا بلفظ: «لا تنقضي الأيام ويذهب الدهر حتى يملك...»[٦].

● وعند الحاكم بلفظ: «لا تذهب الأيام والليالي حتى يملك رجل من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي، فيملأ الأرض قسطًا وعدلاً، كما مُلِئت جوراً وظلمًا».

---

(١) صحيح: رواه أحمد في «مسنده» وأبو داود عن علي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥١٨١).

(٢) إسناده صحيح: قال الشيخ أحمد محمد شاكر: إسناداه صحيحان (٢/ ١١٧) رقم(٧٣٣).

(٣) أي: يوافق.

(٤) صحيح: رواه أحمد في «مسنده»، وأبو داود والترمذي، وابن حبان، والحاكم في «المستدرك» وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٧١٥٢) و«تخريج المشكاة» (٥٤٥٢).

(٥) قال الشيخ شاكر: إسناده صحيح. انظر «المسند» ح رقم (٣٥٧١)، (٥/ ١٩٦).

(٦) قال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح، انظر «المسند» (٥/ ١٩٩) حديث رقم (٣٥٧٢).

● وعن أبي سعيد الخدري ـ رضي اللَّـه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ : **«يخرج في آخر أمتي المهدي يسقيه اللَّه الغيث، وتخرج الأرض نباتها، ويعطي المال صحاحًا، وتكثر الماشية، ويعيش سبعًا أو ثمانيًا»** يعني: حججًا[1].

● وعن عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ قالت: قال رسول اللَّه ﷺ : **«المهدي رجل مِن عترتي يقاتل على سنتي كما قاتلت أنا على الوحي»**[2].

● وقال رسول اللَّه ﷺ : **«يكون في آخر الزمان خليفة، يقسم المال ولا يَعُدّه»**[3].

● وقال رسول اللَّه ﷺ : **«يكون في آخر أمتي خليفة، يحثي[4] المال حثيًا، ولا يعدّه عدًّا»**[5].

● وقال ﷺ : **«من خلفائكم خليفة، يحثو المال حثيا، لا يعدّه عدًّا»**[6].

● وعن أبي سعيد الخدري ـ رضي اللَّـه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ : **«أبشّركم بالمهدي، يبعث على اختلاف من الناس وزلازل، فيملأ الأرض قسطًا وعدلاً كما مُلئت جوراً وظلمًا، يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض، يقسم المال صحاحًا»** قال له رجل: ما صحاحًا؟ قال: **«بالسّويّة بين**

---

(١) **صحيح الإسناد:** أخرجه الحاكم وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرّجاه» ووافقه الذهبي. وقال الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (٧١١): سنده صحيح، رجاله ثقات.

(٢) **إسناده جيد:** رواه نعيم بن حماد في كتاب «الفتن» بإسناد جيد انظر «مشكاة المصابيح» (٣/ ٢٩).

(٣) رواه أحمد ومسلم عن أبي سعيد وجابر.

(٤) يحثي المال: أي: يغرف منه غرفًا.

(٥) رواه أحمد ومسلم عن جابر.

(٦) رواه مسلم عن أبي سعيد.

الناس، ويملأ اللَّه قلوب أمة محمد ﷺ غناء ويسعهم عدله حتى يأمر مناديًا فيقول: «من له في مال حاجة؟» فما يقوم من الناس إلا رجل واحد فيقول: «أنا» فيقول: «ائت السدّان» يعني: الخازن، فقل له: «إن المهدي يأمرك أن تعطيني مالاً»، فيقول له: «احث» حتى إذا جعله في حِجْره، وانتزره ندم. فيقول: «كنت أجشع أمة محمد ﷺ، أو عجز عني ما وسعهم؟»، قال: «فيردّه، فلا يُقبل منه، فيقال له: «إنا لا نأخذ شيئًا أعطيناه» فيكون كذلك سبع سنين أو ثمان أو تسع سنين، ثم لا خير في العيش بعده» أو قال: «ثم لا خير في حياة بعده»[1].

● وعن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ أن النبي ﷺ قال: «يكون في أمتي المهدي إن كثر فسبع وإلا ثمان وإلا فتسع، تنعم أمتي فيها نعمة لم ينعموا مثلها يرسل السماء عليهم مدرارًا، ولا تدّخر الأرض شيئًا من النبات، والمال كُدُوس[2] يقوم الرجل يقول: يا مهدي أعطني، فيقول: خذ»[3].

● عن جابر أن النبي ﷺ قال: «ينزل عيسى ابن مريم، فيقول أميرهم المهدي: تعال صل بنا، فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمير، تكرمة اللَّه لهذه الأمة»[4].

---

(١) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٣١٤): رواه الترمذي وغيره باختصار كثير، ورواه أحمد بأسانيد وأبو يعلى باختصار كثير، ورجالهما ثقات ا. هـ. وقال السيوطي في «الحاوي» (٢/ ١٦٢): وإسنادهما جيد، وضعف الحديث الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» رقم (٣٨)، وقال الغماري: خرجه أحمد بأسانيد صحيحة، وأبو يعلى بإسناد صحيح أيضًا.

(٢) كدوس: مجتمع.

(٣) رواه الطبراني في «الأوسط»، وقال الهيثمي: ورجاله ثقات (٧/ ٣١٧)، وقال الشوكاني: رواه البزار أيضًا ورجاله ثقات، ورواه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٥٥٨)، وابن ماجه (٢/ ٥١٨) عن أبي سعيد.

(٤) إسناده جيد: رواه الحارث بن أبي أسامة في «مسنده» وأبو نعيم، وقال ابن القيم في «نقد المنقول» ص(٧٧) بعد ذكره لحديث الحارث: وهذا إسناد جيد.

١٠ـ الانتصار على اليهود:

نوقن بهذا أكثر من يقيننا بوجودنا يوم أن يستيقظ المارد النائم ليصب على الأمة الغضبية جام غضب الله، يومها سيكون القتال في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا، ليس قتالاً قوميًّا رغم أنف الرفاق والعلمانيين والقوميين وأذنابهم، فلن يقدر على ردع الشيطان اليهودي سوى نور القرآن يحرقه.

✍ أما الخريطة التي نقشوها على باب «الكنيست» فلن يكون لها وجود إلا في عقولهم المحنطة، وقلوبهم القاسية. وإليكم وعد الله على لسان رسوله للمؤمنين بالنصر على اليهود:

● قال رسول الله ﷺ: **«تقاتلون اليهود، فتسلطون عليهم، حتى يختبئ أحدهم وراء الحجر، فيقول الحجر: يا عبد الله هذا يهودي ورائي فاقتله»**[١].

● ويقول رسول الله ﷺ: **«لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود، حتى يقول الحجر وراءه اليهودي: يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله»**[٢].

● وقال رسول الله ﷺ: **«لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم! يا عبد الله! هذا يهودي خلفي، فتعال فاقتله إلا الغرقد[٣]؛ فإنه من شجر اليهود»**[٤].

---

(١) رواه البخاري، ومسلم، والترمذي عن عبد الله بن عمر.

(٢) رواه البخاري، ومسلم عن أبي هريرة.

(٣) الغرقد: شجيرة ارتفاعها من متر إلى ثلاثة، بيضاء السوق والفروع، تؤكل أزهارها البيضاء المخضرة المخروطية.

(٤) رواه مسلم عن أبي هريرة.

وفهم ديّان ما لم يفهمه علمانيو العرب:

هذا موشى ديّان وزير الدفاع اليهودي السابق دخل يزور إحدى القرى في فلسطين وأخذ يصافح الشباب المسلم في هذه القرية، ورفض شاب مؤمن من هذه القرية أن يمدّ يده ليصافحه وقال له: أنتم أعداء أمتنا تحتلون أرضنا وتسلبون حريتنا، ولكن يوم الخلاص منكم لا بد آت بإذن اللَّه لتتحقق نبوءة رسول اللَّه ﷺ: «**لتقاتلن اليهود أنتم شرقي النهر وهُمْ غربيّه**»[1] فابتسم ديّان وقال: حقًّا سيأتي يوم نخرج فيه من هذه الأرض، وهذه نبوءة نجد لها في كتبنا أصلا ولكن متى؟

إذا قام فيكم شعب يعتزّ بتراثه، ويحترم دينه، ويقدّر قيمه الحضارية، وإذا قام فينا شعب يرفض تراثه ويتنكّر لتاريخه عندها تقوم لكم قائمة، وينتهي حكم إسرائيل.

* * *

«فيا فلسطينُ مَن يهديك أغنيةً
ومَن يعيدُ لكِ البيت الذي خَرِبا
شُرِّدت فوق رصيف الدمع باحثةً
عن الحنان ولكن ما وجدت أبًا»
وستجدُه يومًا..

---

(١) وفي رواية البزار ـ ورجالها ثقات رجال «الصحيح» كما جاء في «مجمع الزوائد» للهيثمي في المجلد السابع ـ: «أنتم شرقيّ الأردن وهم غربيّه» ويعقب راوي الحديث فيقول: ولم نكن نعرفُ أين الأردن من الأرض يومذاك.
انظر: كتاب «الإسلام ومستقبل البشرية» للدكتور عبد اللَّه عزام ص(٣٨).

وجيشُ محمدٍ سيعودُ في عِزٍّ وفي غَلَبِ
وإنَّ الغَرْقَدَ الملعون مقطوعٌ بلا نَسَبِ
وإنِ السامِريَّ سيوقد النيران فوق مفاوز العربِ
ويمضي مثلما وَلَّتْ
جميع كتائب الإفرنج من حقب
ويبقى تائهًا في الأرض
يعبُد عجله الذهبي[1]

١١ ـ ومن المبشرات في السنة فتح القسطنطينية مرة ثانية:

يظن الناس أن الدين إلى انحسار حتى خروج المهدي مع أن المهدي قبل عيسى بقليل، وقبل ذلك يعم الإسلام العالم، وتفتح روما، والقسطنطينية اليوم مسلمة وكانت كافرة ففُتحت، وقد أخبر الرسول ﷺ بالفتح الأول، ولكن يبدو أن القسطنطينية سترجع كافرة مرة ثانية، وتفتح من جديد، وفتحها الثاني يكون قُبيل المسيح بقليل، والناس لا يُفرّقون بين فتحها الأول والثاني»[2] . وقد بشرت به السنة أيضًا.

● قال رسول اللَّه ﷺ : «**عمرانُ بيت المقدس خراب يثرب، وخراب يثرب خروج الملحمة، وخروج الملحمة فتح القسطنطينية، وفتح القسطنطينية خروج الدجال**»[3] .

(١) من قصيدة «من قلب التنور» من ديوان «تراتيل للغد الآتي» لوليد قصّاب.
(٢) «الإسلام» للأستاذ سعيد حوّى (٤/ ٨٥).
(٣) صَحيح: رواه أحمد في «مسنده»، وأبو داود عن معاذ، وصححه الألباني في «تخريج المشكاة» (٥٤٢٤)، و«صحيح الجامع» رقم (٣٩٧٥).

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «تكون بينكم وبين بني الأصفر هدنة، فيغدرون بكم، فيسيرون إليكم في ثمانين غاية، تحت كل غاية منهم اثنا عشر ألفًا»(١) .

● وقال ﷺ: «ستصالحون الروم صلحًا أمنًا، فتغزون أنتم وهم عدوًا من ورائهم، فتسلمون وتغنمون، ثم تنزلون بمرج ذي تُلول، فيقوم رجل من الروم فيرفع الصليب، ويقول: غلب الصليب! فيقوم إليه رجل من المسلمين فيقتله، فيغدر القوم، وتكون الملاحم، فيجتمعون لكم فيأتونكم في ثمانين غاية مع كل غاية عشرة آلاف»(٢) .

□ وقد مر بنا حديث فتح القسطنطينية من قبل:

● قال رسول اللَّه ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق، فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ، فإذا تصافوا، قالت الروم: خلّوا بيننا وبين الذين سُبُوا منا نقاتلهم، فيقول المسلمون: لا واللَّه لا نخلي بينكم وبين إخواننا، فيقاتلونهم فينهزم ثلث لا يتوب اللَّه عليهم أبدًا، ويقتل ثلثٌ هم أفضل الشهداء عند اللَّه، ويَفْتتح الثلث، لا يُفْتنون أبدًا، فيفتتحون القسطنطينية، فبينما هم يقتسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون، إذْ صاح فيهم الشيطان: إن الدجال قد خلفكم في أهليكم، فيخرجون وذلك باطل، فإذا جاؤوا الشام خرج، فبينما هم يَعدّون للقتال، يسوون الصفوف، إذ أقيمت

(١) صحيح: رواه ابن ماجه عن عوف بن مالك، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٢٩٨٨).

(٢) صحيح: رواه أحمد في «مسنده»، وأبو داود، وابن ماجه، وابن حبان في «صحيحه» عن ذي مخمر، وصححه الألباني في «تخريج المشكاة» (٥٤٢٨)، و«صحيح الجامع» (٣٦٠٦).

الصلاة، فينزل عيسى ابن مريم، فأمّهم، فإذا رآه عدو اللَّه ذاب كما يذوب الملح في الماء، فلو تركه لانذاب حتى يهلك، ولكن يقتله اللَّه بيده، فيريهم دمه في حربته»[١] .

◻ وهذا الفتح الثاني إنما يكون بالتهليل والتكبير:

● قال رسول اللَّه ﷺ : «سمعتم بمدينة جانب منها في البرّ وجانب في البحر؟ لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفًا من بني إسحاق[٢] ، فإذا جاءوها نزلوا فلم يُقاتلوا بسلاح، ولم يرموا بسهم، قالوا: لا إله إلا اللَّه واللَّه أكبر، فيسقط أحد جانبيها الذي في البحر، ثم يقولون الثانية: لا إله إلا اللَّه واللَّه أكبر، فيسقط جانبها الآخر، ثم يقولون الثالثة: لا إله إلا اللَّه واللَّه أكبر، فيفرج لهم، فيدخلونها، فيغنمون، فبينما هم يقتسمون المغانم إذ جاءهم الصريخ[٣] ، فقال: إن الدجّال قد خرج، فيتركون كل شيء ويرجعون»[٤] .

١٢ـ وأخيرًا غزو الدجال وقتله بيد عيسى ابن مريم عليه السلام:

عن نافع بن عتبة قال: قال رسول اللَّه ﷺ : «تغزون جزيرة العرب فيفتحها اللَّه، ثم فارس، فيفتحها اللَّه. ثم تغزون الدجال، فيفتحه اللَّه»[٥] .

---

(١) مرّ تخريجه من قبل.
(٢) المراد: العرب، والمحفوظ: «من بني إسماعيل». والمدينة: القسطنطينية.
(٣) الصريخ: المنادي.
(٤) رواه مسلم عن أبي هريرة.
(٥) رواه مسلم (٢٩٠٠).

❑ ولله در القائل:

ماذا تُعدُّ لنا الغيوب؟ كأنني ... أرنو فأبصر ثَمَّ فجرًا مؤمنًا
وتشعُّ ملءَ عيونه آمالُنا ... مجدًا.. تُسطِّره السماء.. مُمَكَّنَا
وخيولنا أبدًا.. تتوق إلى الذرى ... وكتابنا شمسٌ تضيء على الدُّنَى[1]

ستخضرّ أغراسنا في التيه.. تنفحنا نشوة علوية.. يسمو بها طهر بلابل تصدح في خاطرنا، مع الآمال وريف الظلال والأضواء وعطر كل شيء طاهر سيعود حين يعود مجد الإسلام.

كالشعاع المضيء.. يمنح للدُّنـ ... ـيا سناهُ.. ويملأ الأرض ريًّا
يغتذي بالهدى.. ويشدو البرايا ... صادق النهج.. هاديًا مهديًّا

❑ نعم نعم سيتهاوى الظلام.. ويشعشع وجه النهار.. وتضحك عين الرمال.

ستشب كالبركان.. يقظة أمّةٍ ... والفجر من خلف الدياجي مقبلُ

* * *

(١) «جراح وكلمات» لأحمد محمد الصديق ص (٤٨).

* أحاديث أسيء فهمها:

هناك أحاديث أُسيء فهم معناها، فأسقط في أيدي الجهّال، وكان هذا الفهم السقيم ذريعة «للمثّاقلين» و«المبطئين» والمستطارين الذين تهزّهم الشاردة والواردة. ومن هذه الأحاديث:ـ

● «**لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم**»(١).

☐ قال الألباني في «الصحيحة» (١/ ١٠):

«رواه البخاري في «الفتن» من حديث أنس مرفوعًا.

فهذا الحديث ينبغي أن يفهم على ضوء الأحاديث المتقدمة وغيرها مثل أحاديث المهدي ونزول عيسى عليه السلام؛ فإنها تدل على أن هذا الحديث ليس على عمومه بل هو من العام المخصوص، فلا يجوز إفهام الناس على أنه على عمومه، فيقعوا في اليأس الذي لا يصح أن يتصف به المؤمن ﴿**إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ**﴾. أسأل اللَّه أن يجعلنا مؤمنين به حقًّا» ا. هـ.

«يتخذ بعض الناس من هذا الحديث تُكأة للقعود عن العمل، ومحاولة الإصلاح والإنقاذ، مدّعيًا أن الحديث يدل على أن الأمور في تدهور دائم، وسقوط مستمر وهُويّ متتابع، من دركٍ إلى دركٍ أسفل منه، فهي لا تنتقل من سيئ إلا إلى أسوأ، ولا من أسوأ إلاّ إلى الأسوأ منه. حتى تقوم الساعة على شرار الناس.

---

(١) رواه البخاري بسنده إلى الزبير بن عدي، قال: أتينا أنس بن مالك فشكونا إليه ما نلقى من الحجّاج، فقال: اصبروا، فإنه لا يأتي عليكم زمان إلا الذي بعده شر منه، حتى تلقوا ربكم، سمعته من نبيكم ﷺ.

✍ وهذا الفهم السقيم للحديث يردّه أن بعض الأزمنة تكون في الشر دون التي قبلها، ولو لم يكن في ذلك إلا زمن عمر بن عبد العزيز، وهو بعد زمن الحجاج ـ الذي عمّت الشكوى منه ـ بيسير، وقد اشتهر الخير الذي كان في زمن عمر بن عبد العزيز، بل قيل: إن الشر اضمحل في زمانه، فضلاً عن أن يكون شرًّا من الذي قبله.

وقد أجاب العلماء عن هذا الحديث بعدة أجوبة منها:

✍ حمل الحديث على الأكثر الأغلب وهذا قول الحسن البصري، فقد سُئل عن عمر بن عبد العزيز بعد الحجاج، فقال: لا بدّ للناس من تنفيس.

◘ قال ابن مسعود ـ رضي اللَّه عنه ـ: «لا يأتي عليكم زمان إلاّ وهو أشرّ مما كان قبله، أما إني لا أعني أميرًا خيرًا من أمير، ولا عامًا خيرًا من عام، ولكن علماؤكم وفقهاؤكم يذهبون، ثم لا تجدون منهم خلفًا، ويجيء قوم يفتون برأيهم»، وفي لفظ عنه: «فيثلمون الإسلام ويهدمونه»، ورجّح الحافظ في «الفتح» تفسير ابن مسعود لمعنى الخيرية والشرية هنا، قائلاً: وهو أولى بالاتباع.

فالنصوص تدل على أن في الغيب أدوارًا للإسلام ترتفع فيها رايته وتعلو كلمته.

والتاريخ يثبت أنه قد جاءت فترات ركود وجمود في العالم أعقبتها أزمنة حركة وتجديد، ويكفي أن نذكر مثلاً مَن ظهر في القرن الثامن من العلماء والمجددين ـ بعد سقوط الخلافة الإسلامية في بغداد، وتدهور الأوضاع في القرن السابع ـ مثل: شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن

القيم، وسائر تلاميذه في الشام، والشاطبي في الأندلس، وابن خلدون في المغرب، وغيرهم ممن ترجم لهم ابن حجر في كتابه «الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة».

وفي العصور التي تلت ذلك نجد مثل ابن حجر، والسيوطي في مصر، وابن الوزير والشوكاني والصنعاني في اليمن، والدهلوي في الهند، وابن عبد الوهاب في نجد.

وهذا ما جعل الإمام ابن حبان في «صحيحه» يرى أن حديث أنس ليس على عمومه، مستدلاً بالأحاديث الواردة في المهدي، وأنه يملأ الأرض عدلاً، بعد أن مُلئت جوراً.

✍ وأرجح التفسيرات لهذا الحديث ما ذكره الحافظ في «الفتح» بقوله: « ويحتمل أن يكون المراد بالأزمنة المذكورة أزمنة الصحابة، بناءً على أنهم المخاطبون بذلك، فيختص بهم، فأمّا مَن بعدهم فلم يقصد في الخبر المذكور، لكن الصحابي فَهِم التعميم ـ فلذلك أجاب من شكا إليه الحجاج بذلك وأمرهم بالصبر، وهم ـ أو جلّهم ـ من التابعين»[١] .

وعلى هذا التفسير يحمل كلام ابن مسعود أيضًا، فهو خاص بأزمنة من كان يخاطبهم من الصحابة والتابعين»[٢] .

* **حديث: «بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا، كما بدأ، فطوبى للغرباء»**[٣] :

---

(١) «فتح الباري» (١٦/ ٢٢٨) ـ طبعة الحلبي.

(٢) بتصريف من «المبشرات بانتصار الإسلام» للقرضاوي ص(١٢٦ ـ ١٢٩).

(٣) رواه مسلم وابن ماجه عن أبي هريرة، والترمذي وابن ماجه عن ابن مسعود، وابن ماجه عن أنس، والطبراني عن سلمان وسهل بن سعد، وابن عباس.

✍ هل يعني هذا الحديث ضعف الإسلام وأفول نجمه؟!

✍ هل هذه الغربة عامة وشاملة ودائمة، أم هي غربة جزئية ومؤقتة؟ فقد تكون في بلد دون آخر، وفي زمن دون آخر، وبين قوم دون غيرهم، كما ذكر ذلك المحقق ابن القيم ـ رحمه اللَّه ـ.

والإسلام يعرض له ما يعرض لكل الدعوات والرسالات من القوة والضعف، والامتداد والانكماش، والازدهار والذبول، وفق سنن اللَّه التي لا تتبدل، فهو كغيره خاضع لهذه السنن الإلهية.

✍فالحديث ينبئ عن ضعف الإسلام في فترة من الفترات، ولكنه سرعان ما ينهض من عثرته، ويقوم من كبوته، ويخرج من غربته، كما فعل عند ظهوره. فقد بدأ غريبًا، ولكنه لم يستمر غريبًا، ولقد كان ضعيفًا ثم قوي، مستخفيًا ثم ظهر، محدودًا ثم انتشر، مضطهدًا ثم انتصر.

وسيعود غريبًا كما بدأ، ضعيفًا ليقوى، ثم يقوى، مطاردًا ليظهر ثم يظهر على الدين كله، مُلاحَقًا مضطهدًا لينتشر وينتشر، ثم ينتصر وينتصر.

فلا دلالة في الحديث على اليأس من المستقبل إن أَحْسَنّا فهمه. ويدل على ذلك ما جاء في بعض الروايات من وصف لهؤلاء الغرباء من أنهم يصلحون ما أفسد الناس من السُّنّة، ويحيون ما أماته الناس منها.

❑ قال الإمام ابن القيم ـ رحمه اللَّه ـ:

«هذه الغربة قد تكون في مكان دون مكان، ووقت دون وقت، وبين قوم دون قوم، ولكن أهل هذه الغربة هم أهل اللَّه حقًّا، فإنهم لم يأووا إلى غير اللَّه، ولم ينتسبوا إلى غير رسوله ﷺ، ولم يدعوا إلى غير ما جاء به، وهم الذين فارقوا الناس أحوج ما كانوا إليهم. فإذا

انطلق الناس يوم القيامة مع آلهتهم بقوا في مكانهم. فيقال لهم: «ألا تنطلقون حيث انطلق الناس؟ فيقولون: فارقنا الناس، ونحن أحوج إليهم منا اليوم، وإنا ننتظر ربنا الذي كنا نعبده».

فهذه الغربة لا وحشة على صاحبها، بل هو آنس ما يكون إذا استوحش الناس، وأشد ما تكون وحشته إذا استأنسوا. فوليه اللَّه ورسوله والذين آمنوا، وإن عاداه أكثر الناس وجفوه..

ومن هؤلاء الغرباء: مَن ذكرهم أنس في حديث عن النبي ﷺ: «**رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على اللَّه لأبرّه**»[1].

◘ وقال الحسن: المؤمن في الدنيا كالغريب، لا يجزع من ذلها، ولا ينافس في عزها، للناس حال وله حال. الناس منه في راحة، وهو من نفسه في تعب..

كان المستجيبون لدعوة الإسلام نزّاعًا من القبائل، بل آحادًا منهم، تغرّبوا عن قبائلهم وعشائرهم، ودخلوا في الإسلام فكانوا هم الغرباء حقًّا حتى ظهر الإسلام، وانتشرت دعوته، ودخل الناس فيه أفواجًا، فزالت تلك الغربة عنهم، ثم أخذ في الاغتراب والترحّل، حتى عاد غريبًا كما بدأ، بل الإسلام الحق ـ الذي كان عليه رسول اللَّه ﷺ وأصحابه ـ هو اليوم أشد غربة منه في أول ظهوره، وإن كانت أعلامه ورسومه الظاهرة مشهورة معروفة.

---

(١) **صحيح**: رواه البزار عن ابن مسعود بلفظ: «رب ذي طمرين لا يُؤبه له، لو أقسم على اللَّه لأبرّه». وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٤٨٧). ورواه أحمد، ومسلم عن أبي هريرة بلفظ: «رب أشعث مدفوع بالأبواب، لو أقسم على اللَّه لأبرّه».

فالإسلام الحقيقي غريب جداً، وأهله غرباء أشد الغربة بين الناس»[١].

● قال رسول الله ﷺ:

«إن من ورائكم زمان صبر، للمتمسك فيه أجر خمسين شهيداً منكم»[٢].

* * *

(١) «مدارج السالكين» لابن القيم (١/ ١٩٤ ـ ٢٠٠).

(٢) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير» عن ابن مسعود. وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (٤٩٤)، و«صحيح الجامع» رقم (٢٢٣٤).

مبشرات من التاريخ

لم تزل صورة الرجال طيوفًا

غافيات كالحُلم في الأجفانِ

تلك أيامهم حكايا كأسطو

رةِ فخْرٍ تحدو مع الركبان

مبشرات من التاريخ

✍ إن دراسة التاريخ دراسة متأنيّة، واستخلاص العِبر منه يثبِّت أفئدة المؤمنين ويعطي ويُبقي ويولّد فينا أبدًا يقظة الروح وأشواق الحياة مضمّخة.. كنفح الروض.. علوية.

*** ماضي المسلمين أنقى من الزهر.. أروع من رؤيا الفجر.. أطيب من أريج السحر:**

تاريخ هو النور والطيب والطهر.. وأيام واللَّه أروع من الخيال.. ما عرفت البشرية تاريخًا مثل تاريخها مع المسلمين في عزهم الغابر.

✍ كان التاريخ واقفًا لا يتزحزح، ضيقًا لا يتسع، جامدًا لا ينمو حتى جاء المسلم أخو الشمس(١) .. مثلما تشرق الشمس على الدنيا، أطلّ المسلم على الدنيا فعطّرها وتزين التاريخ بهذه الأمة التي كانت أيامها من التاريخ محل العقد من الجيد.. أبهى من اللآلئ، وأرق من نسيم الفجر، وأطهر من الثلج، وأجمل من ابتسامة الفجر الوليد، وأطيب من شذا الورود..

❑ **يقول حاديهم:**

أنت تدري أيها الحيران عنّا ... كيف فوق الشمس أزمانًا حللنا

❑ **فيجيبه الثاني:**

كنا جبالاً في الجبال وربما ... سرنا على موج البحار بحارا

❑ **ويردد الثالث:**

عرف العالم عنهم نبأً ... أُفعِمت آياته بالعَجَبِ

(١) أي: في نوره ونفعه وإشراقه مثل الشمس.

لم يزل في خاطري أن الذي ... قوّض الرومان بالرمح أبى
وجواداً قبّلت حافره ... لجةُ البحر تُجاه المغربِ
وملوك الصين تهدي تربها ... لفتانا في صحاف الذهبِ
أي روح من هداها انبجستْ ... هذه الأضواء مثل الشُّهب
أي إشراقة نفس رفعت ... هذه الأمجاد فوق الكوكب
إنها قصة بعث كُتبت ... بحروفٍ من سنا، من لهب
نهضةٌ بالذين شادوا صرحها ... ثابت الركن، قوي الطنَب[1]

□ للّه درك هاشم الرفاعي من قائل:

ملكنا هذه الدنيا القرونا ... وأخضعها جدود خالدونا
وسطّرنا صحائف من ضياء ... فما نسي الزمان ولا نسينا
وما فتئ الزمان يدور حتى ... مضى بالمجد قوم آخرونا
وأصبح لا يُرى في الركب قومي ... وقد كانوا أئمته سنينا
وآلمني وآلم كل حر ... سؤال الدهر أين المسلمونا
تُرى هل يرجع الماضي فإني ... أذوب لذلك الماضي حنينا
وهاتوا لي من الإيمان نوراً ... وقوّوا بين جنبيّ اليقينا
أمدّ يدي فأنتزع الرواسي ... وأبنِ المجد مؤتلقًا مبينا[2]

* * *

(١) لهاشم الرفاعي.
(٢) من قصيدة «شباب الإسلام» ـ من ديوان هاشم الرفاعي ص(١٩٦) . . قالها في جمعية الشبان المسلمين ٩ فبراير سنة ١٩٥٩، ونسبها بعضهم خطأً لإقبال.

*** وعلى مدار التاريخ حقيقة ناصعة: «إن اللَّه لا يُضيِّع أهله»:**

قالتها أم إسماعيل لخليل الرحمن إبراهيم عليه السلام في جبال فاران موضع مكة الآن: آللَّه أمرك بهذا؟ قال: نعم. قالت: إذن لا يضيعنا.

وقال جبريل الأمين من هو عند ذي العرش مكين لأم إسماعيل: «لا تخشي الضيعة.. إن اللَّه لا يضيع أهله».

ما ضيّع اللَّه نوحًا ولا إبراهيم ولا صالحًا ولا شعيبًا ولا يونس ولا موسى ولا رَكْبَ النبيين والموحدين الكرام.

ما ضيّع اللَّه إبراهيم وهو في النيران، ولا موسى وهو على ثَبَج البحر، ولا يونس وهو في بطن الحوت.

«لا تخشي الضيعة؛ إن اللَّه لا يضيع أهله» هذا إرث جبريل الأمين لأم إسماعيل، وإرث أم إسماعيل للتاريخ.

*** وحقيقة أخرى من المبشرات: «نزول النصر تُكَحَّلُ به عيون الأمة ـ أحوج ما تكون إليه:**

عندما يشتد الكرب، ويفقد الناصر والمعين.. ويعز كل سند من أسباب الأرض، وتستغيث الأمة بربها وتدعوه دعاء المضطر.. وتُعلق الآمال باللَّه وحده، وتوقن أن النصر من عنده وحده.. وتنطرح الأمة على عتبة العبودية سائلة مولاها: نسألك بعزك وذلنا، وبغناك وفقرنا، إلا نصرتنا، هذه نواصينا الكاذبة الخاطئة بين يديك.. نسألك سؤال المسكين، ونبتهل إليك ابتهال الخاضع الذليل.. سؤال من رغم لك أنفه،

وذلت لك رقبته، ودان لك في جميع أمره.. انصر عبادك.

وبعد ظلمة الليل ينبثق نور الفجر.. وكلما اشتد الظلام اقترب الضياء.

إنني رغم ظلام قاتل	لأرى النور خلال السُّحُبِ
وأحس النصر يسري في دمي	ويحيّي في الحنايا أربي
إنها الرؤيا أتت صادقة	ليس من أضغاث حلم مجدب

* وهذه أمثلة من التاريخ:

١ـ أثناء هجرة الحبيب ﷺ :

حين يشتد الكرب ويبلغ مداه بالنبي ﷺ المطارد من كل قوى الشرك، يطول سراه بالليل، ويأوي إلى الغار بالنهار بعد أن عزّ الناصر، وانقطعت أسباب الأرض للنصرة والحماية.. ويكاد الصدّيق يحبس أنفاسه وهو يرى قرب المشركين من رسول اللَّه ﷺ : «يا رسول اللَّه لو نظر أحدهم تحت قدميه لأبصرنا»، فيقول النبي ﷺ : «**يا أبا بكر ما ظنك باثنين اللَّه ثالثهما؟**»[1] .

يرتبط قلب رسولنا ﷺ الكبير باللَّه وحده، ويرجو النصر من اللَّه وحده الذي بيده نواميس الكون، وتفيض السكينة على قلب نبينا ﷺ ، ومعه الطمأنينة والثقة، فيسكن قلبه إلى اللَّه، ويستند إليه، ويخلع السكون إلى الأسباب، ويلقي أمره كله إلى اللَّه طلبًا واختياراً، يعلم عظم رحمة ربه وتمام كفايته ﴿**أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ**﴾ وحسن

(١) رواه البخاري (٣٦٥٣)، ومسلم (٢٣٨١).

ولايته، وتدبيره له، ومعيته، يرى كوى النور تتفتّح في دياجير الظلام، ويبصر الآفاق المشرقة، ويستروح أنسام الأنس والقربى، ويوقن أن اللَّه الذي يهدي السبيل، ومالك الملوك لا بد أن ينصر ويعين.

واللَّه إن كلمات الدنيا كلها لتعجز أن تصور كرب هذه اللحظات ووقعها على قلب الصديق ـ رضي اللَّه عنه ـ، وكأن وجيب قلبه وخفقه دموع تنسكب تملأ بحار الدنيا كلها خوفًا على رسول اللَّه ﷺ.. يترقب الخطر في كل التفاتة.. وكيف وقد رأى «سراقة» وهو يطاردهما.. رأى المشركون وقد وصلوا إلى باب الغار.. ولكنها المعيّة.

سلم الأمر تجدهم ... هم أولى بك منكا

* قال تعالى: ﴿ إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٤٠].

كان النصر المؤزر من عند اللَّه بجنود لم يرها الناس، وكانت الهزيمة، والذل والصغار للكافرين.

وهذا مثل من الواقع والتاريخ لمن هو في حاجة بعد قول اللَّه إلى مثال ودليل.

* وفي يوم بدر:

* قال اللَّه تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [آل عمران: ١٢٣].

* وقال تعالى: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ۞ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ [الأنفال: ٥ ـ ٦].

إنما خرجوا لملاقاة الفئة التي تحرس العير، فكيف بهم وقد رأوا قريشًا قد نفرت بخيلها ورجلها، وشجعانها وفرسانها، ويقول بعض الصحابة: «ما لنا طاقة بقتال العدو».

عن عمر بن الخطاب ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: «لما كان يوم بدر نظر النبي ﷺ إلى أصحابه وهم ثلاث مئة ونيف، ونظر إلى المشركين، فإذا هم ألف وزيادة. فاستقبل النبي ﷺ القبلة، وعليه رداؤه وإزاره، ثم قال: **«اللَّهم أنجز لي ما وعدتني.. اللَّهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام فلا تُعبد في الأرض أبدًا»**، قال: فما زال يستغيث ربه ويدعوه، حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر، فأخذ رداءه فردّاه، ثم التزمه من ورائه، ثم قال: يا نبي اللَّه، كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك»[1].

* فأنزل اللَّه عز وجل: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ۞ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٩، ١٠].

لا تعبير أدق من التعبير القرآني، وهو يصور ضعف المسلمين قبل

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده»، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح (١/ ٣٠ ـ ٣١) ح(٢٠٨)، ورواه مسلم (١٧٦٣).

بدر وفي وقتها: التربص، والوجل، والترقب، والخوف، والفزع.

* قال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٦].

وحالة أهل الكفر وبطرهم، يقول أبو جهل: «لا واللَّه لا نرجع حتى نرد بدرًا، فنقيم ثلاثًا، ننحر الجزر، ونطعم الطعام، ونشرب الخمر، وتعزف القيان علينا، فلن تزال العرب تهابنا أبدًا»، ويقول أيضًا: «واللات والعزى لا نرجع، حتى نقرن محمدًا وأصحابه في الحبال، فلا تقتلوهم وخذوهم أخذًا»(١).

* وأمر الشيطان أمر آخر، قال تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ...﴾.

* وموقف ثالث للمنافقين، والذين في قلوبهم مرض: لما رأوا قلة المسلمين وضعف عدتهم، وكثرة المشركين، قالوا مقالتهم التي يقصها اللَّه علينا: ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَؤُلاءِ دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤٩].

✍ وأمر آخر قصّه علينا ابن عباس:

قال علي بن طلحة، عن ابن عباس قال: نزل النبي ﷺ حين سار إلى بدر، والمشركون بينهم وبين الماء رملة وعصة، وأصاب المسلمين ضعف شديد، وألقى الشيطان في قلوبهم الغيظ يوسوس بينهم:

---

(١) «دلائل النبوة» للبيهقي (٣/ ٥٣).

«تزعمون أنكم أولياء اللَّه تعالى وفيكم رسوله، وقد غلبكم المشركون على الماء، وأنتم تصلّون مجنبين».

والماء في الصحراء مادة الحياة فضلاً على أن يكون أداة النصر، وما ظنك بالجيش الذي يفقد الماء في الصحراء قبل أن يواجه عدوه؟ هذه الحالة النفسية، ووسوسة الشيطان، وحالة التحرج من أداء الصلاة على غير طهر لعدم وجود الماء، (ولم يكن قد رخص لهم بعد في التيمم، فقد جاء هذا متأخرًا في غزوة بني المصطلق في السنة الخامسة) وهنا تثور الهواجس والوساوس، ويقع حرج النفوس ووجل القلوب، وهنا يجيء المدد وتجيء النجدة ﴿**إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ**﴾ [الأنفال: ١١].

لما فزع المسلمون وهم يرون أنفسهم قلة في مواجهة خطر لم يحسبوا حسابه ولم يتخذوا له عدته، فإذا النعاس يغشاهم، ثم يصحون منه، والسكينة تغمر نفوسهم، والطمأنينة تفيض على قلوبهم.

ويأتي الماء مددًا آخر من أمداد اللَّه للعصبة المسلمة قبيل المعركة، ويتم المدد الروحي بالمدد المادي، وتسكن القلوب بوجود الماء، وتطمئن الأرواح بالطهارة.

□ يقول ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ: «فأمطر اللَّه عليهم مطرًا شديدًا، فشرب المسلمون وتطهروا، وأذهب اللَّه عنهم رجز الشيطان، وثبت الرمل حين أصابه المطر، ومشى الناس عليه والدواب، فساروا إلى القوم، وأمدّ اللَّه نبيه ﷺ بألف من الملائكة، فكان جبريل في

خمسمائة مجنبة، وميكائيل في خمسمائة مجنبة».

المدد الذي لا يتخيله البشر..

● عن معاذ بن رفاعة الزرقي، عن أبيه - وكان أبوه من أهل بدر - قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ - فقال: **«ما تعدّون أهل بدر فيكم؟»** قال: **«من أفضل المسلمين»** - أو كلمة نحوها - قال: **«وكذلك من شهد بدراً من الملائكة»**[1].

* معية اللَّـه سبحانه: ﴿ **فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾.

تدبير فوق تدبير البشر، وقوة قاهرة فوق قوة البشر، إن لهذا الدين ربًا يتولى أصحابة متى أخلصوا له وتوكلوا عليه واستغاثوا به وعلموا أن النصر منه.

لقد قالها المشركون لحليفهم: «فلعمري لئن كنا إنما نقاتل الناس فما بنا من ضعف عنهم، ولئن كنا إنما نقاتل اللَّه - كما يزعم محمد - فما لأحد باللَّه من طاقة».

إنها ليست فلتة عابرة، ولا مصادفة عارضة أن ينصر اللَّـه العصبة المسلمة ويثبتها متى أيقنت أن النصر منه، فاستغاثت به وفوضت أمرها إليه وتوكلت عليه وحده واستقامت على الطريق، واطمأنت إلى ربها، ووقف أعداء اللَّه موقف المشاقة له ولرسوله، فيكون الذل والصغار لهم، ويوهن اللَّه كيدهم.

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه»، باب شهود الملائكة بدراً.

كانت بدر ملحمة لا غنيمة، معركة بين الحق والباطل ليحق اللَّه الحق ويبطل الباطل، ويزهقه، ويذل كبرياء رؤوس الكفر، ويخضّد شوكتهم، وتعلو راية الإسلام، ومضت بدر في التاريخ كله قصة عقيدة، وفرقانًا بين الحق والباطل، قصة انتصار الحق على أعدائه المدججين بالسلاح، المزودين بكل زاد، وكفتهم راجحة رجحانًا ظاهرًا، والحق في قلة من العدد، وضعف في الزاد والراحلة.

تمضي بدر مثلاً في التاريخ، وكتابًا مفتوحًا تقرؤه الأجيال في كل زمان ومكان، وآية من آيات اللَّه، وسنَّة من سننه الجارية في خلقه ما دامت السماوات والأرض.

* غزوة الأحزاب مثل ثالث لهذه الحقيقة:

* قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا**﴾ [الأحزاب: ٩ ـ ١١].

خرجت قريش في عشرة آلاف من أحابيشهم، ومن تبعهم من بني كنانة، وأهل تهامة، وأقبلت غطفان، ومن تبعهم من أهل نجد، وقد حال الخندق بينهم وبين المدينة، وأمر النبي ﷺ بالذراري والنساء فجعلوا في الآطام «الحصون» ونقضت بنو قريظة عهدها مع رسول اللَّه ﷺ. وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف، وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم.

☐ قال محمد بن مسلمة وغيره: كان ليلنا بالخندق نهارًا، وكان المشركون يتناوبون، فيغدوا أبو سفيان بن حرب في أصحابه يومًا، ويغدو خالد بن الوليد يومًا، ويغدو عمرو بن العاص يومًا، ويغدو هبيرة بن أبي وهب يومًا، ويغدو عكرمة بن أبي جهل يومًا، ويغدو ضرار بن الخطاب يومًا، حتى عظم البلاء وخاف الناس خوفًا شديدًا.

☐ قالت أم سلمة ـ رضي اللَّه عنها ـ: شهدت مع رسول اللَّه ﷺ مشاهد فيها قتال وخوف: المريسيع، وخيبر، وكنا بالحديبية، وفي الفتح، وحنين، لم يكن من ذلك أتعب لرسول اللَّه ﷺ ولا أخوف عندنا من الخندق، وذلك أن المسلمين كانوا في مثل الحرجة، وأن قريظة لا نأمنها على الذراري، فالمدينة تُحرس حتى الصباح، نسمع فيها تكبير المسلمين حتى يصبحوا خوفًا، حتى ردّهم اللَّه بغيظهم لم ينالوا خيرًا.

✍ وانظر إلى كرب الموقف يصوره لنا الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان ـ رضي اللَّه عنه ـ عن محمد بن كعب القرظي قال:

«قال رجل من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان: يا أبا عبد اللَّه، أرأيتم رسول اللَّه ﷺ وصحبتموه؟ قال: نعم يا بن أخي. قال: فكيف كنتم تصنعون؟ قال: واللَّه، لقد كنا نجهد. فقال: واللَّه، لو أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض ولحملناه على أعناقنا. قال: فقال حذيفة: يا بن أخي، واللَّه لقد رأيتنا مع رسول اللَّه ﷺ بالخندق، وصلى رسول اللَّه ﷺ هويًا من الليل؛ ثم التفت إلينا فقال: **«مَنْ رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم، ثم يرجع، يشرط له رسول اللَّه الرجعة، أسأل اللَّه تعالى أن يكون رفيقي في الجنة؟»**، فما قام منا رجل من شدة الخوف،

وشدة الجزع، وشدة البرد».

❑ وعند الحاكم:

«ثم كان منا ما كان يوم الأحزاب في ليلة باردة مطيرة، وما أتت علينا قط أشد ظلمة ولا أشد ريحًا في أصوات ريحها مثل الصواعق، وهي ظلمة ما يرى أحدنا أصبعه».

وفي رواية: «فقال النبي ﷺ: «**مَن رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم أضمن له رجوعه سالمًا؟**»، قال: فوالله ما قام منا أحد ورسول الله أحب إليهم من أعينهم. فقال رسول الله ﷺ: «**مَنْ رجل ينظر ما فعل القوم ثم يرجع ويضمن له الرجعة؟**» فقال: «**أسأل الله أن يكون رفيقي في الجنة**»، فما قام رجل من القوم من شدة الخوف، وشدة الجوع وشدة البرد»[1].

✍ أي كرب شديد يمنع الصحابة ورسول الله ﷺ أحب إليهم من الدنيا وما فيها وأحب إليهم من أنفسهم ـ فلا يقومون بتنفيذ أمره لأول وهلة، وهو يضمن لهم الرجوع والرفقة للنبي ﷺ في الجنة؟.

✍ وأي كرب شديد يجعل الرسول والصحابة لا يصلون العصر حتى يقول النبي ﷺ: «**شغلنا المشركون عن صلاة العصر، ملأ الله أجوافهم وقلوبهم نارًا**»؟.

✍ ونجم النفاق، ووجد المنافقون في الكرب المزلزل، والشدة الآخذة بالخناق فرصة للتوهين، والتخذيل، وبث الشك والريبة في وعد الله

(١) رواه أحمد (٥/ ٣٩٢)، ومسلم (١٧٨٨)، والحاكم (٣/ ٣١)، وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي، والبيهقي في «الدلائل».

ووعد رسوله؛ حتى قال معتب بن قشير أخو بني عمرو بن عوف: «كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط».

✍ هول وكرب وشدة وضيق.. ومعه صورة وضيئة في وسط الظلام، مطمئنة في وسط الزلزال، واثقة بالله، راضية بقضاء الله، مستيقنة نصر الله، مع كل هذا الخوف والكرب.

✍ إلى جانب الزلزلة وزوغان الأبصار، وكرب الأنفاس.. كان إلى جانب هذا كله الصلة التي لا تنقطع بالله، والإدراك الذي لا يضل عن سنن الله، والثقة التي لا تتزعزع بثبات هذه السنن، وتحقق أواخرها متى تحققت أوائلها، ومن ثم اتخذ المؤمنون من شعورهم بالزلزلة سببًا في انتظار النصر ذلك أنهم صدّقوا قول الله سبحانه من قبل: ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ**﴾ [البقرة: ٢١٤]، ومن ثمّ قالوا: ﴿**هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا**﴾ [الأحزاب: ٢٢] هذا الهول، وهذا الكرب، وهذه الزلزلة، وهذا الضيق. وُعدنا عليه النصر.. فلا بد أن يأتي النصر. لقد كانوا مرتبطين بالعروة الوثقى التي تشدهم إلى الله وتجدّد فيهم الأمل، وكانوا بهذا نموذجًا فريدًا في البشرية لم يعرف له نظير في تاريخ العصور.

✍ سبحان الله.. حين تتخذ قمم البشرية من أصحاب الرسول ﷺ الزلزال بشيرًا بالنصر فثبتوا واطمأنوا.

أولئك مَن سطّروا للعلا أجل الصفات وأغلى السِّيَرْ
رسول أبيٌّ كريم الطباع وأصحابه حوله كالدرر
تنام المعالي على طرفه وتصحو على صوته في السحر

❑ أين هم وأين زمانهم؟:

أين الألى رفعوا ذرا ك فطاولتْ أفق السحابِ
قد كان طائر أنسها يشدو ويصدحُ في الروابي
والحق منتشر الظلا لِ على السهول على الشعاب
وقوافل الإيمان تطوى دونها بُسُط الرِّحابِ

ويكون النصر العاقبة التي تُصدّق ظن المؤمنين بربهم، وضلال المنافقين والمرجفين.

وانتهت المعركة إلى نهايتها، وزمامها في يد اللّه، تقريراً للحقيقة وتثبيتًا لها في القلوب.

* قال تعالى: ﴿ **وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا** ﴾ [الأحزاب: ٢٥].

ونصر اللّه المؤمنين بالريح.. ما اطمأنت للأحزاب قدر، وما قامت لهم نار، وما استمسك لهم بناء، وهلك الكراع والخف[1].

ولم تدر الدائرة على قريش وغطفان وحدهم، بل كذلك على يهود بني قريظة حلفاء المشركين.

* قال تعالى: ﴿ **وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ**

(١) يعني: الخيل والجمال.

وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢٦ ـ ٢٧].

*السلطان ألب أرسلان وجيش الأكفان ونصر في «ملاذكرد» لا ينسى مدى الأزمان:

□ قال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٢/١٠٧ ـ ١٠٨) في أحداث سنة ٤٦٣هـ: «وفيها أقبل ملك الروم أرمانوس في جحافل أمثال الجبال من الروم والكرج والفرنج، وعدد عظيم وعُدَد، ومعه خمسة وثلاثون ألفًا من البطارقة، مع كل بطريق ما بين ألفَيْ فارسٍ إلى خمسمائة فارس، ومعه من الفرنج خمسة وثلاثون ألفًا، ومن الغز الذين يكونون وراء القسطنطينية خمسة عشر ألفًا، ومعه مائة ألف نقاب وحفّار، ومعه أربعمائة عجلة تحمل النعال والمسامير، وألفا عجلة تحمل السلاح والسّروج والعرادات والمجانيق، منها منجنيق يُمدُّه ألف ومائتا رجل، ومن عَزْمه ـ قبّحه اللَّه ـ أن يبيد الإسلام وأهله، وقد أقطع بطارقته البلاد حتى بغداد، واستوصى نائبها بالخليفة خيرًا، فقال له: ارفق بذلك الشيخ، فإنه صاحبنا، ثم إذا استوثقت ممالك العراق وخراسان لهم، مالوا على الشام وأهله ميلة واحدة، فاستعادوه من أيدي المسلمين، والقدر يقول: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢]. فالتقاه السلطان ألب أرسلان في جيشه وهم قريب من عشرين ألفًا، بمكان يقال له: الرهوة، في يوم الأربعاء لخمسٍ بقين من ذي القعدة، وخاف السلطان من كثرة جند الروم».

◻ يقول ابن النحاس: «خرج ملك الروم من القسطنطينية في ستمائة ألف، خارجًا عن المطوّعة، فكانوا لا يدركهم الطّرْف ولا يحصرهم العدد، بل كتائب متواصلة وعساكر متزاحمة، وكراديس يتلو بعضها بعضًا كالجبال الشوامخ، وقد أعدوا من السلاح والكراع والآلات لفتح الحصون ما يعجز الوصف عنها، واقتسموا الدنيا، فجعلوا لكل مائة ألف قطرًا، العجم والعراق لملك، وديار مضر وربيعة لملك، ومصر والمغرب لملك، والحجاز واليمن لملك، والهند والصين لملك، والروم لملك، فاضطربت ممالك الإسلام، واشتد وجلهم، وكثر جزعهم، وهرب بعضهم من أيديهم، وكان السلطان ألب أرسلان التركي ـ سلطان العراق والعجم يومئذ ـ قد جمع وجوه مملكته، وقال: «قد علمتم ما نزل بالمسلمين، فما رأيكم؟ قالوا: رأينا لرأيك تبع، وهذه الجموع لا قِبل لأحد بها. قال: وأين المفرّ، لم يبق إلا الموت، فموتوا كرامًا أحسن. قالوا: أما إذا سمحْتَ بنفسك، فنفوسنا لك الفداء، فعزموا على ملاقاتهم، وقال: نلقاهم في أول بلادي، فخرج في عشرين ألفًا من الأمجاد الشجعان المُنتخبين، فلما سار مرحلة، عرض عسكره، فوجدهم خمسة عشر ألفًا، ورجعت خمسة، فلما سار مرحلة ثانية، عرض عسكره، فإذا هم اثنا عشر ألفًا، فلما واجههم عند الصباح، رأى ما أذهل العقول وحيّر الألباب، وكان المسلمون كالشامة البيضاء في الثور الأسود»[1].

---

(١) «مشارع الأشواق إلى مصارع العشّاق» لابن النحاس (١/ ٥٥١ ـ ٥٥٢) ـ طبع دار البشائر.

✍ «ولما اصطدم الجبلان، طلب السلطان الهدنة، قال أرمانوس: لا هُدنة إلا ببذل الريّ. فحمي السلطان، وشاط فقال إمامه[1]: إنك تقاتل عن دين وعد اللَّه بنصره، ولعلّ هذا الفتح باسمك، فالْقَهم وقت الزوال ـ وكان يوم جمعة ـ قال: فإنه يكون الخطباء على المنابر، وإنهم يدعون للمجاهدين. فصلَّوا، وبكى السلطان، ودعا وأمَّنوا، وسجد، وعفّر وجهه، وقال: «يا أمراء من شاء فلينصرف، فما ها هنا سلطان. وعقد ذنب حصانه بيده، ولبس البياض وتحنّط»[2].

وقال: «ليودِّع كل واحد صاحبه، وليُوصِ. ففعلوا ذلك، فقال: إني عازم على أن أحمل فاحملوا معي».

✍ تواقف الفريقان وتواجه الفتيان، نزل السلطان عن فرسه وسجد للَّه عز وجل، ومرّغ وجهه في التراب، ودعا اللَّه واستنصره، فأنزل نصره على المسلمين ومنحهم أكتافهم، فقتلوا منهم خلقًا كثيرًا وأُسِر ملكهم أرمانوس».

❑ قال ابن النحاس: «وجلس ألب أرسلان على كرسي الملك في سرادقه على فراشه، وأكل من طعامه، ولبس من ثيابه، وأحضر الملك بين يديه، وفي عنقه حبل، فقال: ما كنت صانعًا لو ظفرت بي؟ قال: أوَ تشك أنت في قتلك حينئذ؟ قال ألب أرسلان: وأنت أقلّ في عيني من أن أقتلك. اذهبوا فبيعوه، فطافوا به على جميع العسكر، والحبل في

---

(١) هو الفقيه أبو نصر محمد بن عبد الملك البخاري.
(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٨/ ٤١٤ ـ ٤١٦).
(٣) «مشارع الأشواق» (١/ ٥٥١ ـ ٥٥٣).

عنقه، يُنادى عليه بالدراهم والفلوس، فما يشتريه أحد، حتى انتهوا في آخر العسكر إلى رجل فقال: إن بعتُمونيه بهذا الكلب أشتريه، فأخذوه وأخذوا الكلب، وأتوا بهما إلى ألب أرسلان، وأخبروه بما صنعوا به، وبما دُفع فيه، فقال: الكلب خير منه؛ لأنه ينفع، وهذا لا ينفع، خذوا الكلب وادفعوا له هذا الكلب - يعني: الملك - ثم إنه بعد ذلك أمر بإطلاقه وأن يُجعل الكلب قرينه مربوطًا في عنقه، ووكّل به من يُوصله إلى بلاده، فلما وصل عزلوه وكحلوه»[1].

✍ وفي «البداية والنهاية» (١٢/١٠٨): «لما أُوقف[2] بين يدي الملك ألب أرسلان، ضربه بيده ثلاثة مقارع، وقال: لو كنتُ أنا الأسير بين يديك، ما كنت تفعل؟ قال: كل قبيح. قال: فما ظنك بي؟ قال: إما أن تقتل وتشهِّرني في بلادك، وإما أن تعفو وتأخذ الفداء وتُعيدني. قال: ما عزمتُ على غير العفو والفداء، فافتدى نفسه منه بألف ألف دينار وخمسمائة ألف دينار[3]، فقام بين يدي الملك، وسقاه شربة من ماء، وقبّل الأرض بين يديه، وقبّل الأرض إلى جهة الخليفة إجلالاً وإكرامًا، وأطلق له الملك عشرة آلاف دينار ليتجهز بها، وأطلق معه جماعة من البطارقة، وشيّعه فرسخًا، وأرسل معه جيشًا يحفظونه إلى بلاده، ومعهم راية مكتوب عليها: لا إله إلا اللَّه محمد رسول اللَّه».

* وحقيقة أخرى: قوة الإسلام عند الشدائد:

إن عنصر القوة كامن في الإسلام، كامن في استعلائه بأهله على

---

(١) «مشارع الأشواق» (١/٥٥٣). كحلوه، أي: سملوا عينيه.

(٢) أي: الملك أرمانوس.

(٣) في «السير» (١٨/٤١٦): «وإطلاق كل أسير في بلاده».

الضعف، ومن ثم لا تقع الهزيمة طالما عمّر الإسلام القلب والضمير، وإن وقعت الهزيمة الظاهرية في بعض الأحايين.

للَّه درها من أمة هي الأمة الإسلامية بما تدخّر من طاقات روحية لا تبرز إلا في الأهوال والمحن.

تراها أصلب ما تكون عودًا، وأعظم ما تكون صمودًا، وأصلب ما تكون قوة، وأقدر ما تكون على الصمود، تقاوم فتصمد، بل تغالب فتغلب، وإذا الضعف الظاهر قد استحال إلى قوة تصنع الأعاجيب..

يرتفع صوتها عند النوائب دائمًا.

لا تهيئ كفني يا عاذلي   فأنا لي مع الفجر مواثيق وعهد

❑ قوة الأمة عند الشدائد تبدو واضحة بضرب المثال:

✍ في بدر وما أدراك ما بدر.. ظن شيطان الإنس وفرعون هذه الأمة أنه سيأتي بالنبي ﷺ وأصحابه مقرنين في الحبال.. فإذا بشباب الإسلام يذهب برأسه إلى أمه الهاوية.

❑ وفي حروب الردة:

ارتدت الجزيرة العربية كلها عدا المدينة، ومكة والطائف، وظهر مسيلمة والأسود العنسي وطليحة الأسدي وسجاح من أدعياء النبوة، وأحاطت جيوش المرتدين بالمدينة وهددت أهلها، وقال بعض الصحابة لأبي بكر: يا خليفة رسول اللَّه، لا طاقة لك بحرب العرب جميعًا، الزم بيتك، وأغلق بابك، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين، ولقد اختار القدر الصدّيق البكاء الرحيم ليواجه جلائل الأمور وعظائم المستقبل.

❑ قال ابن مسعود ـ رضي اللَّه عنه ـ عن يوم الردة: «لقد قمنا بعد

رسول اللَّه ﷺ مقامًا كدنا نهلك فيه، لولا أن من اللَّه علينا بأبي بكر».

لقد لاقى الصديق حين ارتد العرب ما تضعضع له الجبال الرواسي. .للَّه دره وهو يجهز جيش أسامة ويبعثه، والعرب من كل حدب وصوب تكاد تفتك بأهل المدينة. .للَّه دره وهو يقول: «واللَّه لو منعوني عقال بعير كانوا يؤدونه إلى رسول اللَّه ﷺ، لحاربتهم على منعه» وبعدها قال الفاروق ـ رضي اللَّه عنه ـ: «لو أطاعنا أبو بكر لكفرنا».

✍ إن اللَّه أعز الإسلام برجلين لا ثالث لهما: أبو بكر يوم الردة، وأحمد بن حنبل يوم المحنة. فللَّه من خلقه رجال تتحول المحن بين أيديهم إلى منح، والكوارث إلى ربيع تملؤه الحياة!! وأبو بكر سيد هؤلاء الرجال.

فخلال هذه المحنة الصاهرة التي ألمّت بالإسلام، تكشّفت كل جوانب الضعف في البناء البشري للإسلام، وهبّ الرجل الحكيم القويّ!! من فوره، فرأب الصدع.. وكانت حظوظ الإسلام وافية، ومقاديره سعيدة، إذ جاءته هذه المحنة وأبو بكر حامل الراية وقائد الأمة. .وبفضل من اللَّه ورحمة، تفوّق الرجل الكبير، والخليفة المؤمن، على أخطار كانت حَرِيّة بأن تُداعي بناء إمبراطورية شامخة راسية، فما البال بدين ناشئ غض جديد؟!

وكانت تلك الأيام المُزلزِلة أعظم أيام الإسلام بعد رسول اللَّه ﷺ وأخصبها وأكثرها بركة عليه، وخيرًا لمصيره. .لقد تمزّق المرتدون

بدءًا كبقايا زوبعة ضالة، وولّوا أمام الحق نائحين، وصار حالهم مثلما قال أحد نصارى العرب بعد ذلك:

ألا فاسقياني قبْل خَيْل أبي بكر ... لعل منايانا قريب ولا ندري

«خيل أبي بكر»؟!! لقد صارت هذه العبارة كقعقعة الهول في أسماع الذين أرادوا أن يُخضعوا الحق للباطل»[1] .

كيف استطاع في أقلّ من سنتين أن يُدمر جيوش المرتدين، بعد أن كانت محاصرة للمدينة، وقد نهاه كبار الصحابة قبلها عن حربهم، فكيف يقوم في وجه العرب كلهم، وبعد هذا لم يمت إلا وجيوشه تحاصر أعظم إمبراطوريتيْن في ذلك الوقت، وتُنزل بها أفظع الهزائم.. كيف استطاع أن يُنجز ما ظنه الناس خيالاً لا يُنْجَز.. إنه الإسلام العظيم المتجسد في شخص الصدّيق العظيم.

* الحروب الصليبية واسترداد القدس على يد صلاح الدين:

أتى الصليبيون إلى الشرق.. واحتلوا أكثر مدن الشام يقودهم ملوك الغرب ورهبانه والقساوسة بقضهم وقضيضهم، وثالوثهم وصليبهم، وعاثوا في بلاد المسلمين فسادًا، وقتلوا النساء والرضع واستباحوا الحرمات.

وكم من مسجد جعلوه ديرا ... على محرابه رُسم الصليبُ
دم الخنزير فيهم لهم خلوفٌ ... وتحريق المصاحف فيه طيبُ

---

(١) «خلفاء الرسول» لخالد محمد خالد ص(٧٨ ـ ٨٠) طبع دار الجيل.

وسقطت القدس في أيديهم، وغاص القائد ريموند في دماء المسلمين إلى ركبتيه، ورفعوا الصليب على قبة الصخرة، واتخذوا من المحراب مشتى لخيولهم وخنازيرهم، وغطت جثث المسلمين ساحات المسجد الأقصى ومدينة القدس.. قتلوا ما يقرب من تسعين ألفًا.. ومن سلّموا لهم غدورا بهم.. بل وأكلوا لحوم المسلمين بعد شيّها بمجرد موتها وهذا ثابت تاريخيًّا.. فعلوا من الجرائم ما لا يخطر على بال أحد وما تشيب لذكره الولدان وتقشعر له الأبدان.. كل هذا بسبب خيانة الفاطميين وانتشار الفكر الباطني والبدع، والخلافات بين الحكام الذين ما كان لهم همّ إلا الرئاسة وشهوة السلطان حتى ولو على حساب دين اللَّه.. فكان ما كان واستمر حكمهم لديار الشام أكثر من مائتي عام.. وأقاموا الإمارات والممالك الصليبية حتى ظن الناس أن هذا الظلام الصليبي ليس له آخر، حتى أنه في سنة ٥٢٣ حاول الإسماعيلية تسليم مدينة دمشق للصليبيين، مقابل أن يسلمهم الصليبيون مدينة صور.. وبلغ الهوان والضعف بالمسلمين كل مبلغ.

وفي وسط هذا الظلام الدامس واليأس الذي يقتات كل أمل.. قيّض اللَّه عماد الدين الأتابك زنكي فجابه الفرنجة ودوّخهم، فأخذ منهم حصن «الأثارب» الذي يقع بين حلب وأنطاكية، وذلك لشدة ضرره على المسلمين، وكان النصر للمسلمين، وهي أول وقعة لعماد الدين مع الصليبيين، ومن هنا استدار الزمان، وقوي المسلمون بتلك الأعمال، وضعفت قوى الكافرين، وعلموا أن البلاد جاءها ما لم يكن بالحسبان وصار قُصاراهم حفظ ما في أيديهم بعد أن كانوا

قد طمعوا في ملك الجميع.

وفي سنة ٥٣٤ هـ سار زنكي إلى بلاد الفرنج وأغار عليها، واجتمع ملوك الفرنج وساروا إليه ونصره اللَّه عليهم.. ثم بعد ذلك تسلّم حصن بارين بالأمان، واستراح المسلمون ما بين حلب وحماة من شرِّهم، فقد كان حصن بارين من أضر بلاد الفرنج على المسلمين، فإن أهله كانوا أخربوا ما بين حماة وحلب من البلاد ونهبوها، وانقطعت السبل، فأزال اللَّه بهذا الملك المجاهد هذا الضرر العظيم.

ثم توّج انتصاراته على الفرنج بفتح الرها أشرف المدن عند النصارى في جمادى الآخرة سنة ٥٣٩ هـ، فاستباحها، ونكّس صلبانها، وأباد قُسوسها ورهبانها، وقتل شجعانها وفرسانها، وعادت المدينة إلى حكم الإسلام، وكان فتحًا عظيمًا، طار في الآفاق ذكره، وطاب بها نشره وعادت الثقة إلى نفوس المسلمين، ولكن التجديد الجهادي كان على يد ابنه نور الدين ومن بعده صلاح الدين.

كسر نور الدين الفرنج مرات، ودوّخهم وأذلهم.

❏ قال أبو شامة عن نور الدين: «أطربني ما رأيت من آثاره، وسمعت من أخباره مع تأخر زمانه، ثم وقفت بعد ذلك على سيرة سيد الملوك بعده الملك الناصر صلاح الدين، فوجدتهما في المتأخرين كالعُمرَيْن - رضي اللَّه عنهما - في المتقدمين، فللَّه درهما من ملكين تعاقبًا على حسن السيرة وجميل السريرة، والفضل للمتقدم - نور الدين - فإنه أصل ذلك الخير كله، مهد الأمور بعدله وجهاده وهيبته في جميع بلاده، ولكن صلاح الدين أكثر جهادًا وأعم بلاءً، صبر وصابر، وذخر

اللَّه له من الفتوح أنفسه، وهو الذي فتح الأرض المقدسة»[١] .

وكان لنور الدين النصر العظيم في وقعة حارم سنة ٥٥٩ هـ فقُتل من الفرنج في معركة واحدة عشرون ألفًا، وأُسر من نجا، وكان من بينهم جميع ملوكهم، وكان منحًا عظيمًا وفتحًا مبينًا بعد أن جاء الفرنج بحدّهم وحديدهم وملوكهم وفرسانهم ثم إن الفرنج أرسلوا إلى نور الدين في المهادنة فلم يجبهم إليها.

✍ انتصر نور الدين بتقواه وإسلامه في حارم. . . «لما التقى الجمعان أو قُبيله، انفرد تحت تل حارم، وسجد لربه عز وجل، ومرّغ وجهه وتضرّع وقال: يا رب هؤلاء عبيدك، وهم أولياؤك، وهؤلاء عبيدك، وهم أعداؤك، فانصر أولياءك على أعدائك، أيش فضل محمود في الوسط. . . ووحّد نور الدين مصر والشام سنة ٥٦٤هـ وكان إرجاع مصر إلى السنة وطَرْدُ الفاطميين على يديه ويد عامله صلاح الدين.

✍ وتسير بكلمات ابن زنكي الركبان على مدار الأيام: «إني لأستحيي من اللَّه أن يراني مبتسمًا والمسلمون محاصرون بالفرنج»[٢] .

وأمر بصنع منبر يكون معه عند فتحه للقدس ولكن عاجلته المنية، ويثيبه اللَّه على شرف النيّة وحسن الطوية.

كم قيصر للروم رُمتَ بَقْسرِه ... إرواء بيض الهند من تاموره
أُوتيت فتح حصونه وملكتَ عقـ ... ـر بلاده وسبيْت أهل قصوره
أوَ ما وعدت القدس أنك منجزٌ ... ميعاده في فتحه وظهوره

(١) «الروضتين في أخبار الدولتين» (١/ ٤).
(٢) «عيون الروضتين» (١/ ٢٩٨ ـ ٢٩٩).

فمتى تجير القدس من دَنَسِ العِدَا   وتُقدِّسُ الرحمن في تطهيره

✍ ثم قيض اللَّه من بعده نائبه وتلميذه البطل المسلم الكردي صلاح الدين ـ السلطان العظيم الذي يحمل جبلاً في فكره.. ويا لطيب أيامه.

ذكرتُ فيها صلاح الدين غُرّتُه   بيضاء كالصبح تأبى ذلّة فينا
فيها التقى والنَّقا يا حُسنَ طلعته   وكفّه قد بنت أمجاد ماضينا
وسيفه عاف غمداً لا يعودُ له   يخوض للَّه والإسلام حطينا[1]

وكانت حطين مجزرة للصليبيين سنة ٥٨٣هـ منحه اللَّه أكتاف الفرنج عباد الطاغوت وضلال الناسوت، فقُتل منهم ثلاثون ألفًا، وأسِر ثلاثون ألفًا من شجعانهم وفرسانهم، وكان في جملة من أُسر جميع ملوكهم، واستلبهم صلاح الدين صليب الصلبوت، ولم يُسمع بمثل هذا اليوم في عز الإسلام وأهله، ودفع الباطل وحزبه، حتى ذُكِر أن بعض الفلاحين رآه بعضهم يقود نيّفًا وثلاثين أسيرًا من الفرنج، وقد ربطهم بطنب خيمة، وباع بعضهم أسيرًا بنعل ليلبسها في رجله، وجرت أمور لم يسمع بمثلها إلا في زمن الصحابة والتابعين كما قال الحافظ ابن كثير[2].

ولقد فتح صلاح الدين بعد كسرة حطين، وقبل فتح بيت المقدس أكثر من خمسين بلدة ومدينة، وفتح عكا وصلى فيها الجمعة بعد غياب اثنتين وسبعين سنة. ورفع المسلمون رءوسهم، وعرفوا نفوسهم.

ثم كان فتح بيت المقدس سنة ٥٨٣هـ، وتطّهر بيت المقدس مما كان فيه من الصلبان، والنواقيس والقساقس والرهبان، ورجع إلى أهل

(١) من قصيدة «ذكريات المجد والعار في أرض الأبرار» ليوسف العظم.
(٢) «البداية والنهاية» (١٢/ ٣٤٢).

الإيمان، وأذّن فيه المؤذنون وخرس القسيسون، وزال البؤس، وطابت النفوس بعد غياب الأقصى واحدًا وتسعين عامًا.

هذي الفتوحُ فتوح الأنبياء وما	لها سوى الشكر بالأفعال أثمان
تسعون عامًا بلاد اللّه تصرخ والإ	سلام نُصّاره صم وعميان
فالآن لبى صلاح الدين دعوتهم	بأمر من هو للمعوان معوانُ
في نصف شهرٍ غدا للشرك مُصْطَلِمًا	فطُهِّرَت منه أقطارٌ وبلدانُ

لن تخمد جذوة الإسلام أبدًا، وحين تظن الدنيا نهاية المسلمين يقف المسلم في أحلك اللحظات قائلاً: ها أنذا إني لم أمت.. الإسلام باقٍ ما بقيت دنيا الرحمن.

* في حروب التتار:

لقد فعل التتار بديار المسلمين ما لا يستطيع قلم أن يصفه.. دمروا دولة الخلافة، وقتلوا الخليفة رفسًا بعد وضعه في جوال، وقذفوا بالآف الكتب في نهر دجلة، وقتلوا من الرجال والنساء والأطفال الألوف المؤلفة، واجتاحوا ديار المسلمين سلبًا ونهبًا وهدمًا، ولم يقف أمام سيلهم الجارف الكاسح أحد حتى وصلوا إلى الشام. وما تصوّر الناس وما جال بخاطرهم أنه سيأتي يوم الخلاص من هؤلاء، وكأن القدر قد خبأ لهذه المهمة فارسًا مجاهداً عظيمًا تكون له اليد البيضاء في جهاد التتار، وغسل هذا العار، ألا وهو السلطان المظفر قطز. الذي لما علم أن التتار عازمون على دخول ديار مصر بادرهم قبل أن يبادروه، وبرز إليهم ونازلهم في «عين جالوت» يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان سنة ٦٥٨هـ، فهزمهم المسلمون هزيمة هائلة، وقُتل أمير المغول «كتبغا» يُذكر عن قطز

أنه يوم عين جالـوت، لما أن رأى انكشافًا في المسلـمين، رمى عن رأسه الخوذة وحمل، ونزل النصر.

لما عُقر جواده، وهـو في القلب، ترجّل وبقـي واقفًا على الأرض ثابتًا، والقـتال دائر، ولامه بعض الأمراء، وقال يا خـوند: لم لا ركبت فرس فلان؟ فلو أن بـعض الأعداء رآك لقتلك وهلك الإسـلام بسببك، فقال: «أما أنا فكنت أروح إلى الجنـة، وأما الإسلام فله رب لا يضيّعه، قد قُتل فلان وفلان وفلان.. حتى عدّ خـلْقًا من الملوك ـ فأقام للإسلام من يحفظه غيرهم، ولم يضيّع الإسلام»[1].

وثأر قطز لدماء المسلمين وأعراضـهم، وهزموا التتار هزيمة لا تجبر، وسجد قطز لـلّه شكرًا لما علم بقـتل كتبغا، وقال: أنام طـيبًا؛ كان هذا سعادة التتـار وبقتله ذهب سعدُهـم، وهكذا كان كما قال، ولم يـفلحوا بعده أبدًا.

ولن ينـسى التاريـخ مقالة قـطز ونشيـده المدوي في معـركة «عين جالوت»: «وا إسلاماه».

وعين جالوت هل أبصرت ساحتها وقُـطْـز يـغـرسـهـا غـاراً ونـسـريـنًـا
لـكننا في زمان القـحط نـحصـده لما نـسـيـنـاه أشـواكًا وغِـسـلـيـنـا

* الإسلام هو الأقوى:

«لقد صمد الإسلام في حياته المديدة، لما هو أعنف وأقسى من هذه الضربات الوحشية، التي توجه اليوم إلى طلائع البعث الإسلامي في كل

---

(١) «البداية والنهاية» (١٣/ ٢٣٨).

مكـان. وكافح ـ وهو مـجرد من كـل قوة غيـر قوته الذاتـية ـ وانتـصر وبقي.. وهو مجرّد من السلاح.

المماليك الذين حـموا هذه البقعة من التتار، لم يـكونوا من جنس العرب، إنما كانوا من جنس التتار! ولكنهم صمدوا في وجه بني جنسهم المهاجمـين، حميّة للإسلام؛ لأنهم كـانوا مسلمين! صمدوا بـإيحاء من العقيدة الإسلامية، وبقيادة روحية إسـلامية من الإمام المسلم «ابن تيمية» الذي قاد التـعبئة الروحية، وقاتـل في مقدمة الصفـوف كان الإسلام في ضميـر صلاح الدين هو الـذي كافح الصليـبيين، كما كـان الإسلام في ضمير الظاهـر بيبرس، والمظفر قطز، والملك النـاصر.. هو الذي كافح التتار المتبربرين.

✍ والإسلام هو الـذي كافح في الجزائر مـئة وخمسين عـامًا، وهو الذي استبقى أروقة العـروبة فيها. حتى بعد أن تحطمت مقومـاتها الممثلة في اللغـة والثقافة، هنالك قـام الإسلام ـ وحده ـ في الضميـر، يكافح الغـزاة، ويسـتعـلي عـليهـم، ولا يحـني رأسـه لهـم؛ لأنهـم أعداؤه «الصلـيبيون»! وبهـذا ـ وحده ـ بقيت روح المـقاومة في الجزائـر، حتى أزكتها من جديد الحـركة الإسلامية التي قام بها عبد الحـميد بن باديس، فأضاءت شعـلتها من جديـد.. وهذه الحقيقة الـتي يحاول أن يطمـسها المغـفلون والمضـللون، يعـرفها الفـرنسيون والـصليبـيون جيدًا؛ لأنـهم «صليبيون».

✍ والإسلام هو الذي هبّ في السودان في ثورة المهدي الكبير على الاحتلال البريطاني للقسم الشمالي من الوادي «مصر» ثم القسم الجنوبي

«السودان» ومراجعة إعلانات «المهدي» الكبير، ورسائل «عثمان دقنة» لكتشنر وكرومر وتوفيق، تشهد بحيوية هذا الباعث الأصيل.

✍ والإسلام هو الذي كافح في برقة وطرابلس ضد الغزو الطلياني، وفي أربطة السنوسية وزواياها نمت بذرة المقاومة، ومنها انبثق جهاد عمر المختار الباسل النبيل»[١].

✍ الإسلام كان في ضمير عبد الكريم الخطابي وهو يواجه الصليبيين في المغرب إنه الإسلام العظيم الباقي الكامن في نفوس أبنائه حتى وإن حاول أعداء دين اللَّه إبعادهم عن هذا الدين العظيم.

ونذكر هنا «حادثة طريفة جرت في فرنسا، وهي أن فرنسا من أجل القضاء على القرآن في نفوس شباب الجزائر قامت بتجربة عملية، قامت بانتقاء عشر فتيات مسلمات جزائريات، أدخلتهن الحكومة الفرنسية في المدارس الفرنسية، وألبستهن الثياب الفرنسية، فأصبحن كالفرنسيات تمامًا.

وبعد أحد عشر عامًا من الجهود هيأت لهن حفلة تخرّج رائعة، دعي إليها الوزراء والمفكرون والصحفيون.. ولما ابتدأت الحفلة، فوجئ الجميع بالفتيات الجزائريات يدخلن بلباسهن الإسلامي الجزائري.. فثارت ثائرة الصحف الفرنسية وتساءلت: ماذا فعلت فرنسا في الجزائر إذن بعد مرور مائة وثمانية وعشرين عامًا؟!! أجاب لاكوست، وزير المستعمرات الفرنسي: «وماذا أصنع إذا كان القرآن أقوى من فرنسا»[٢].

---

(١) «المستقبل لهذا الدين» لسيد قطب ص(٩٠ ـ ٩١) باختصار.

(٢) «قادة الغرب يقولون» ص(٦٩) نقلاً عن جريدة الأيام عدد (٧٧٨٠).

* التاريخ الإسلامي بأنواره ولآلئه يعطي الأمل واليقين في الغد المشرق:

هذا التاريخ النيّر كل حادثة فيه تصيح ملء فيها: أمة هذا تاريخها لا لن تموت.

✍ أمة أخرجت الصديق ثاني اثنين، والفاروق الذي أوحدت به أمه، والذي يفرّ الشيطان منه، وعثمان ـ رضي اللَّه عنه ـ الزاهد الأواب الرحيم والفتوح في عهده كالماء المنهمر، وعلي بن أبي طالب صاحب الراية في يوم خيبر، محارب المارقين من الخوارج، ومعاوية بن أبي سفيان خال المسلمين، وأعدل ملوكهم وأحلمهم، والوليد بن عبد الملك الذي فُتحت الفتوحات العظيمة في عهده كأيام عمر بن الخطاب، وعمر ابن عبد العزيز أشج بني أمية الخليفة الراشد الزاهد في الحطام الفاني.. وهارون الرشيد الخليفة المفترى عليه الذي يحج عامًا ويغزو عامًا سلوا عنه «نقفور» كلب الروم.

فرأيت هارون الرشيد	يقول في عزّ الوفاق
لسحابة مرّت ولم	تُمطر ولم تجر السواقي
أنّى هطلت فسوف يأ	تيني الخراج إلى العراق

❑ والمعتصم فاتح عمورية:

رب «وامعتصماه» انطلقت	ملء أفواه الصبايا اليُتَّمِ
صادفت أسماعنا لكنها	لم تصادف نخوة المعتصم

✍ والخليفة المعتضد قاتل الأسد، والقادر باللَّه المتهجد العالم،

وفاتح الهند أبو القاسم محمود بن سبكتكين، ومن قبله موسى بن نصير فاتح المغرب، ومولاه طارق فاتح الأندلس، وصقر قريش عبد الرحمن الداخل، وهشام بن عبد الرحمن الداخل شبيه عمر بن عبد العزيز في سيرته، وعبد الرحمن الناصر مؤدب ملوك النصارى، والحاجب المنصور وغزوه لشنت ياقب أعظم مدن النصارى سنة ٣٨٧هـ، ويوسف بن تاشفين أمير المؤمنين بطل موقعة «الزلاّقة».

✍ والسلطان يوسف بن عبد المؤمن يحفظ صحيح البخاري، ويدوّخ النصارى في معاركه، والسلطان العظيم يعقوب بن يوسف بطل معركة «الأرك» التي لم يُسمع في بلاد الأندلس بكسرة مثلها، فهي تضاهي «الزلاّقة» وبيبرس قاهر الصليبيين ومدمّر أنطاكية وغازي المغول في بلادهم.

✍ والملك أشرف خليل فاتح عكا سنة ٦٩٠هـ.

✍ والناصر محمد قلاوون وله في موقعة «شقحب» اليد البيضاء وبها انتهى أمر التتار إلى الأبد..

✍ ومظفر الحليم الكجراتي سلطان الهند مثل عظيم للملوك، والسلطان أورنك زيب عالمكير ملك الهند الزاهد العابد لا نظير له في علو الهمة وقوة الإرادة في ملوك العالم.

✍ والسلطان فتح علي خان «سلطان تيبو» يقول للإنجليز: «يوم من حياة الأسد خير من مائة سنة من حياة ابن آوى».

✍ ومن تركيا.. يلوح نور السلطان مراد فاتح جميع الأراضي البلغارية وبطل «قوصوه» ومؤدب أمراء البوسنة والهرسك.

✍ وبايزيد الصاعقة، ومحمد الفاتح فاتح القسطنطينية، والسلطان الغازي سليمان القانوني فاتح بلغراد سنة ٩٢٧هـ، وفاتح بلاد المجر، المحاصر لفيينا عاصمة النمسا.

✍ وسلطان الفلبين «لابو لابو» قاتل الصليبي «ماجلان» جزاء غطرسته.

✍ وملك المغرب العظيم «مولاي عبد الملك» يقود جيشه وهو محمول على محفّة في معركة «وادي المخازن» سنة ٩٨٦هـ.

✍ تاريخ الإسلام العظيم الذي عطّر الدنيا بشذا حمزة وخالد بن الوليد والمثنى بن حارثة، والسرماري شيخ البخاري وقاتل الألف تركي، ومسلمة بن عبد الملك، والجراح الحكمي قائد جيوش الأمويين ومؤدب الروم، وغيرهم وغيرهم من القمم خير شاهد على مستقبل هذه الأمة، وأن هذه الأمة ضاربة جذورها وأوتادها في الأرض لا تزول حتى تزول هذه الأرض.. وسواها من الأمم لا تدانيها لا تساويها.

كل أمجاد أمة ذكروها ... فهي من روح مجدنا ورقات
كلّما لاح في ذرى الغرب نجم ... حجبته شموسنا الساطعات[1]

* * *

(١) من قصيدة «سيرة الأبطال» للشيخ عائض القرني.

مبشــرات
من الســنن الإلهيــة

مبشرات من السنن الإلهيـــة

الأمور لا تمـضي في الـناس جزافًـا، والحياة لا تجـري في الأرض عبثًا، فهناك نواميس ثابتة تتحقق، لا تتبدل ولا تتحول. «وسنة اللَّه هي الطريقة المتبعة فـي معاملة اللَّه تعالى للبشر بناء علـى سلوكهم وأفعالهم وموقفهم من شرع اللَّه وأنبيائه وما يـترتب على ذلك من نتائج في الدنيا والآخرة»[١] .

* وسنة اللَّه مطردة عامة ثابـتة لا تتغير، قال تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً﴾ [الأحزاب: ٦٢]، وقال تعالى: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً﴾ [فاطر: ٤٣].

* يقرر اللَّه هـذه الحقيقة، ويعلمـها للناس ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً﴾ [النساء: ١٢٢] - كي لا ينظروا الأحداث فرادى، ولا يـعيشوا الحياة غافلين عن سنـنها الأصيلة، محصورين في فترة قصيرة من الـزمان، وحيز محدود من المكان، ويرفع تصورهـم لارتباطات الحيـاة وسنن الوجود، فيوجـههم دائمًا إلـى ثبات السـنن واطراد النواميس ويوجـه أنظارهـم إلى مصداق هـذا فيمـا وقع للأجيال قبلهم، ودلالة ذلك الماضي على ثبات السنن واطراد النواميس.

ومعرفة سنن اللَّه جزء من معرفة الدين، أو معرفة لجزء من الدين، وهي معرفة ضرورية.

* قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً

---

(١) «السنن الإلهية» للدكتور عبد الكريم زيدان ص(١٣) مؤسسة الرسالة.

وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

❑ قال الألوسي ـ رحمه الله ـ : «والمراد من كل شيء: ما يتعلق بأمور الدين، أي بيانًا بليغًا لكل شيء يتعلق بذلك، ومن جملته أحوال الأمم مع أنبيائهم»(١) .

وهناك مبشرات من سنن اللَّه في الخلق تبشر بنهاية الغرب الكالح ووثنيته المادية، فهذه الحضارة المادية خبثت، ويأبى عدل اللَّه إلا أن تجتث.

* سنة التغيير:

وهذه سنة ثابتة نجدها في صف المسلمين ونعدّها من المبشرات، قال تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٥٣ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ [الأنفال: ٥٣ ـ ٥٤].

لقد آتاهم اللَّه من نعمته، ورزقهم من فضله، ومكن لهم في الأرض فغيّرتهم النعمة والقوة وصاروا جبابرة وطواغيت كفرة فجرة، أنكروا وبطروا، انحرفت نواياهم وانحرفت خطاهم. واللَّه هو العدل يلازم بين عمل الأمم وجزائها، فهم أهل لأن يعمل اللَّه فيهم بسنته ويغيِّر ما بهم.

* قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

(١) «روح المعاني» للألوسي (١٤/ ٢١٤).

«فنعم اللَّه تعالى على الأقوام والأمم منوطة ابتداءً ودوامًا بأخلاق وصفات وعقائد وعوائد وأعمال تقتضيها، فما دامت هذه الأشياء لاصقة بأنفسهم متمكنة فيها كانت النعم ثابتة بثباتها حسب سنة اللَّه تعالى العامة في خلقه، فإذا هم غيّروا ما بأنفسهم من تلك العقائد والأخلاق وما يترتب عليها من محاسن الأعمال غيّر اللَّه عندئذ ما بأنفسهم وسلب نعمته منهم فصار الغني فقيرًا، والعزيز ذليلاً والقوي ضعيفًا. هذا هو الأصل المطرد في الأقوام والأمم وهو كذلك في الأفراد»[1] .

* وهذه النعم التي أغدقها اللَّه عز وجل على الغرب هي فتنة لهم ﴿ فَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [الزمر: ٤٩ ـ ٥٠].

* وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلاَّ أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوْا وَّقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُم بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٤ ـ ٩٥].

* قال تعالى: ﴿ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ .

* سنة الله في المعرض عن هداه:

هدى اللَّه هو الإسلام وهو الهدى الحق وكل ما عداه ليس بهدى إنما هو هوى.

---

(١) «تفسير المنار» (١٠/ ٣٧).

* قال تعالى: ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى﴾ [البقرة: ١٢٠]. وقال تعالى: ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق﴾ [الفتح: ٢٨].

* والمعرض عن هذا للَّه سنة فيه، قال تعالى: ﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ [طه: ١٢٤].

* وقال تعالى: ﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين ﴿٣٦﴾ وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون﴾.

* سنة الله في الترف والمترفين:

والترف: التنعم والتوسع في ملاذّ الدنيا وبطر النعم والطغيان بسبب النعمة.

* وللَّه سنة لا تتغير في المترفين قال تعالى: ﴿وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين ﴿١١﴾ فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون ﴿١٢﴾ لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون﴾ [الأنبياء: ١١ ـ ١٣].

◻ وللَّه سنة فيمن بطر نعمته أن يبتليه بالفقر وتخريب الديار.

* قال تعالى: ﴿وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون﴾ [النحل: ١١٢].

* وقال تعالى: ﴿وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا وكنا نحن الوارثين﴾ [القصص: ٥٨].

✍ وما قوم سبأ من الناس ببعيد..

* قال تعالى عنهم: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الْكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٥: ١٧].

* وقال تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً﴾ [الإسراء: ١٦].

* سنة الله في الظالمين هلاكهم:

* قال تعالى: ﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٥].. ولا أظلم من الكافر. فكيف إذا جمع مع الكفر الظلم؟ وهلاك الأمم بظلمها سنة من سنن اللَّه، قال تعالى: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، وقوله تعالى: ﴿هَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾ [يونس: ١٣].

وكلمة «لما» ظرف يدل على وقوع فعل لوقوع غيره مما هو سبب له.

* وقال تعالى: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْماً آخَرِينَ﴾ [الأنبياء: ١١].

* وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن

دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [هود: ١٠٠ـ١٠٢].

قال ابن تيمية: «وأمور الناس إنما تستقيم في الدنيا مع العدل الذي قد يكون فيه الاشتراك في بعض أنواع الإثم أكثر مما تستقيم مع الظلم في الحقوق، وإن لم تشترك في إثم، ولهذا قيل: إن اللَّه ليقيم الدولة العادلة، وإن كانت كافرة، ولا يقيم الظالمة، وإن كانت مسلمة. ويقال: «الدنيا تدوم مع العدل والكفر ولا تدوم مع الظلم والإسلام»[1].

فكيف إذا جمع الغرب وروسيا الكفر مع الظلم؟!

* قال تعالى: ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [النمل: ٥٢].

قال القرطبي: «إن الجور والظلم يخرّب البلاد بقتل أهلها، وانجلائهم منها، وترفع من الأرض البركة»[2].

* من سنن الله «عقاب الظالم بتسليط ظالم عليه»:

* قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢٩].

قال القرطبي: «نسلّط بعض الظلمة على بعض فيهلكه ويذله. وهذا تهديد للظالم إن لم يمتنع من ظلمه سلّط اللَّه عليه ظالمًا آخر»[3].

قال الرازي: «الآية تدل على أن الرعية متى كانوا ظالمين فاللَّه تعالى يسلط عليهم ظالمًا مثلهم، فإن أرادوا أن يتخلصوا من ذلك الأمير

---

(١) «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» لابن تيمية ص(٤) تحقيق صلاح الدين المنجد.
(٢) «تفسير القرطبي» (٩/ ٣٣٤).
(٣) «تفسير القرطبي» (٧/ ٨٥).

الظالم فليتركوا الظلم»[1] .

وتاريخ الغرب الكافر والشرق الملحد مكتوب بدماء الأبرياء وآهات الثكالى والضعفاء وأنين الشيوخ. أذلوا الشعوب وبلغوا من الظلم والتكبر فوق ما يتصوره العقل.

انظر إلى ما حدث في محاكم التفتيش، وما فعلته الحروب الصليبية والصليبيون مع المسلمين، وما فعله هيلاسلاسي مع مسلمي الحبشة..

انظر ما فعلوه حتى مع من كانوا على ملتهم: «قلوب أقسى من الحجارة أصحابها لا يرجون للَّه وقارا»

✍ كتب الصحفي المعروف «علي أمين» في كتابه «أفكار للبيع» تحت عنوان «أنصار الطغاة» ص(١٤١): في كتاب (ماذا يحدث للشيوعيين؟) الذي ألّفه الكاتب الروسي «ميشيلياديف» إحصاء غريب عن عدد الذين أعدمهم ستالين من أنصاره بعد وفاة لينين.

✍ فقد أعدم ستالين جميع أعضاء أول مجلس إدارة للحزب اجتمع بعد وفاة لينين، وأجمع على انتخاب ستالين!!

✍ وأعدم كل وزراء لينين واتهمهم بالخيانة.

✍ وأعدم ٨٠ بالمائة من سكرتيري اتحادات العمال الذين اجتمعوا وباركوا انتخابه.

✍ وأعدم ١٥ عضواً من الـ ٢٧ الذين تألفت منهم اللجنة التي وضعت دستور ١٩٣٦.

✍ وأعدم ٤٣ سكرتيراً من الـ ٥٣ الذين يشرفون على تنظيمات الحزب الشيوعي.

✍ وأعدم ٧٠ من ٨٠ عضواً من أعضاء مجلس الدفاع السوفيتي.

---

(١) «تفسير الرازي» (١٣/ ١٩٤).

✍ وأعدم ثلاثة مارشالات من خمسة مارشالات في الجيش الأحمر.

✍ وأعدم ٩ وزراء من الـ ١١ وزيراً الذين كان يتألف منهم مجلس وزرائه عام ١٩٣٦.

✍ وأعدم ٦٠ بالمائة من قوّاد الجيش الأحمر، وثلاثين ألف موظف من موظفي الحكومة».

وهكذا أكل النظام الشيوعي الظالم نفسه بنفسه وذهبت روسيا إلى مزبلة التاريخ.

✍ إن كان هذا فعل الشيوعيين بالشيوعيين، فماذا فعلوا بالمسلمين المستضعفين؟ يكتب لينين في بعض رسائله إلى مسكيم جوركي: «إن قتل ثلاثة أرباع العالم يهون في سبيل أن يصبح الربع الباقي شيوعياً».

وانظر ماذا فعل أولئك الملاحدة الظلمة بأهل الشيشان، وما فعل الصرب الملاعين بمسلمات البوسنة، وما فعل الصليبيون بالمسلمين المستضعفين في كل مكان.

وبعد..

وبعد ما رأيت ما رأيت

وبعد ما عرفت ما عرفت

الموت حينما دنت مخالبه

والليل حينما اعتدى على الصباح ضاريًا يُغالبه

الموت كان أمنية

والموت كان للجراح أغنية..

واختار من صفوفنا..

أحبَّ من رأت عيوننا..

واختار من صفوفنا الكبار..

واختار من صفوفنا الرجال صانعي النهار..
واختار للذرى أحبة كرام
تحية لهم سلام
عيناي تسبحان في الشرود من يومها
من يوم أن تحرّك الفناء فوق كل أخضر
يا واحة الأمان أقفري
قد استبيحت الحُرَم
وسيقت النساء والأطفال للحُمم
ليطعموا لوحشة الظُّلَم
ليطفئوا ابتسامة الصغير
ليهتكوا قداسة الحرم
وضجّت الأصوات تستغيث ربَّها
في الليلة التي بكى الحصنُ من شهقة الدماء
وحُمِّلَت رياحها بألف آه..
الكون كله يقول آه..
ويا لذلة تراد بالجباه!
تكسري سنابل العطاء واسجدي
ومرِّغي تيجانك الشمّاء في الثرى
يا خضرة الزيتون..
فلترتدي السواد فوق كل عود أثمرا
ويا مدامع السحاب طوفي على الديار
وأودعي بكل شبر دمعة من السماء

وأكثري على المحارم البكاء. . أكثري البكاء. .
ويا شذا الريحان قبلها تفوح بالعبير
يا شذا الريحان أودُّ أن أذكِّرك. .
بأنهم لحظة من الظما تفقدوا ولم يكن هناك ماء. .
وأنك ارتويت يومها بأقدس الدماء. .
الحرّة الطَّهور
بالحرمة الطهور
تعذَّب الذبول في ملامح الزهور. .
الحرة التي تداس يا لهولها. .
عويلها. .
يحرِّك الصخور في جبالها
فيصرخ المَلَكْ. .
يهتزّ في انتظار ومضة لمن ملك
سألت خالقي وكلّنا سألْ:
لمن لمن تركتنا؟
سألت خالقي إلى متى؟
ستطعم الذئاب ما وهبتنا؟
الهول يا لقسوته. .
محافلٌ تضمُّ ألف سوط. .
والموت قادمٌ. . يدوس فوق موت.
وبعد. .
وبعد ما رأيت ما رأيت. .

عرفتُ كيف يقهرُ الرجال بالضنى
وفي مواقعٍ من الأسى بكيتْ
تحرّك الشيطان حاملاً سلاحه
ومضمراً لكل بسمة للنور في صدورنا نواحه
وأطلق الدخان غاضبًا . .
واستجمع القوى . .
وبكل حقده الذي يضمّه هوى
رأيت . .
رأيت كبوة الجواد مضنية
رأيت دمعة الجسور مُبكية
وبعدما رأيت . . هل تعود للطريق؟ . . هل تعود؟!
وقبل أن أجيب
تحرّكت مدامعي هديّةً لمن مضى
وأرهفت مسامعي . .
لأستعيد من مواطن الغيوب . .
وصيةً سمعتها . . في لحظة من الرِّضى
واهتزَّ قلبي الذي قد هدّه العذاب
أحسست رعشة بجسمي الذي يخاف عضّة الذئاب
وجاء ضعفي الكئيب جاء . .
عرفته في كل لحظة من الضَّنى قد عشتها
أتى يقدِّم الرجاء . .

* * *

* سنة الله في الكفار واحدة...عاقبة الكفر واحدة:

﴿ أكفاركم خير من أولئكم؟ ﴾

❑ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وهو سبحانه وتعالى كما يفرّق بين الأمور المختلفة، فإنه يجمع ويسوي بين الأمور المتماثلة فيحكم في الشيء خلقًا وأمرًا بحكم مثله، فلا يفرّق بين المتماثلين ولا يسوّي بين غير متماثلين. وقد بيّن سبحانه وتعالى أن السنة لا تتبدل ولا تتحول في غير موضع»[1].

* قال تعالى: ﴿ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَائِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴾ [القمر: ٤٣].

* وقال تعالى: ﴿ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ... ﴾.

* وقال تعالى: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾.

* وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴾ [الأنعام: ٦].

* وقال تعالى: ﴿ سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [البقرة: ٢١١].

❑ قال الإمام القرطبي: ﴿ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ ﴾ لفظ

---

(١) «مجموع فتاوى ابن تيمية» (١٣/ ١٩).

عام لجميع الناس، فاللفظ منسحب على كل مبدل نعمة الله»[1] .

✍ والمقصود بالنعمة هنا هي نعمة الإيمان.

* وقال تعالى: ﴿ **أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ** ﴾ [الدخان: ٣٨].

* وقال تعالى: ﴿ **فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ** ﴾ [الزخرف: ٨].

«جعلناهم عبرة لمن بعدهم من المكذبين أن يصيبهم ما أصابهم أي ما أصاب من سبقهم من المكذبين»[2] .

* وقال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ** ﴾ [القمر: ٥١].

«ولقد أهلكنا أمثالكم في الكفر من الأمم السابقة فهل من معتبر بذلك؟».

* وقال تعالى: ﴿ **أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا** ﴾ [محمد: ١٠].

«أي: لهم أمثال عاقبة تكذيب الأمم السالفة إن لم يؤمنوا»[3] .

* وقال تعالى: ﴿ **أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ (١٦) ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ (١٧) كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ** ﴾ [المرسلات: ١٦ ـ ١٨].

* وقال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ**

---

(١) «تفسير القرطبي» (٣/ ٢٨).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٤/ ١٢٣).

(٣) «تفسير القرطبي» (١٦/ ٢٢٤)، و«روح المعاني» (٢٦/ ٤٥).

كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ [الأحقاف: ٢٦].

* ﴿ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَائِكُمْ ﴾ قد كان لأهل الكفر إبداع مادي كما قال اللَّه تعالى: ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ [الشعراء: ١٢٨ ـ ١٣٤].

* وقال تعالى: ﴿ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ [الشعراء: ١٤٦ ـ ١٥٠].

* وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ [الأنعام: ٤٤].

* وقال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ ﴾ [يونس: ٢٤].

فلما عتوا وتجبروا وكفروا وظلموا أخذهم اللَّه.

□ هذه السنن كلها تبشر أن ظلام الغرب سيزول وأن هذه الحضارة الكاذبة ستذهب إلى مزبلة التاريخ.

* الاتحاد السوفيتي إلى مزبلة التاريخ ولعنات البشر:

من كان يظن أن الاتحاد السوفيتي ثاني أعظم قوة في العالم.

صاحب أعظم ترسانة نووية والإمكانيات المادية الهائلة يزول ما بين يوم وليلة، وتقهره أفغانستان المسلمة وتنتصر عليه... ويتفكك هذا الاتحاد إلى دويلات صغيرة.. ويصيبهم اللَّه بالفقر المدقع بإلحادهم وكفرهم بما جعلهم يتسولون الدول.

✍ وقد توقع هذا كله «محمد أسد» في كتابه المشهور «الإسلام في مفترق الطرق» الذي كتبه في دلهي عام ١٩٣٤ تكلم عن صعود الإسلام مقابل انحطاط الحضارة الغربية المادية التي تشمل الاتحاد السوفيتي.

«بدت تلك الرؤيا غير دقيقة لمدة ستين عامًا، فبعد الحرب العالمية الثانية، بدلاً من أن ينهار الغرب، انقسم إلى معسكرين، ظهر أنهما يوازنان بعضهما البعض لعصور قادمة.

واليوم، بعد إفلاس النظام والعقيدة الشيوعية منذ ١٩٩٠، وعلامات الخطر بأزمة روحية أخلاقية في الغرب، تمر المسيحية بتغيير في المشروع، وما كان يسمى «مشروع التحديث»، يتساقط أمام أعيننا.

✍ بدأ منظِّرو وعلماء الغرب يشكّون إذا كانت افتراضاتهم الأساسية صحيحة»[1].

البشرية تدلف إلى الهاوية، مقودة بسلاسل هذه الحضارة المادية البرّاقة، وهي في كل لحظة تقترب من الهوة الرهيبة..

لم يكن بدٌّ وقد شرد الإنسان عن ربه ومنهجه وهداه، وعبد الإنسان نفسه واتخذ إلهه هواه، ومن المادة إلهًا، ومن الجنس إلهًا،

---

(١) كتاب «الإسلام عام ٢٠٠٠» لمراد هوفمان ترجمة عادل المعلم ص(١٨) ـ دار الشروق.

وجهل نفسه، وراح يخبط في التيه بلا دليل، واعتدى على فطرته التي فطره اللَّه عليها، في حموة الشرود عن ربه وفطرته ومنهجه، لم يكن بد وقد كبت الجوانب الحية المرفرفة اللطيفة في حسه أن تحل به عقوبة الفطرة، وأن يؤدي ضريبة المخالفة عن ندائها العميق، وأن يؤديها فادحة مدمرة وقد كان. . .

أدّاها من نفسه وأعصابه، ومن بدنه وعافيته، ومن سعادته وطمأنينته ومن مواهبه وخصائصه فينتكس إلى البربرية، وأدى الضريبة فادحة صارمة حروبًا رهيبة ضحاياها بالملايين قتلى وجرحى ومشوهين ومعتوهين ومعذبين.

* ضلال إنسان الغرب:

يضل إنسان الغرب عن ربه رغم غرقه في متاع الدنيا، وهذا المتاع نفسه شقوة، شقوة في الدنيا وفي الآخرة، وغصص وعقابيل تتبعه. . يضلّ فيتخبّط في القلق والحيرة والتّكفّؤ والشقاء ولو كان في المرتع الممرع.

حياته مقطوعة الصلة باللَّه ورحمته الواسعة، وكلها ضنك. . ضنك الانقطاع عن اللَّه والاطمئنان إلى حماه، وضنك الحيرة، وضنك الحرص والحذر. . فالحرمان من طمأنينة القلب والحرمان من الإيمان شقوة لا تعدلها أي شقوة، وطمأنينة الإيمان تضاعف الحياة طولاً وعرضًا وعمقًا وسعة.

* ظلام من الغرب..بل موت يتبعه ألف موت:

الفكر الغربي مادي، يحتقر الروحيات، حسي لا يحفل بالمعنويات، واقعي لا يؤمن بالمثاليات.

❑ يقول «ليوبولد فايس» النمساوي الذي أسلم وتسمى باسم «محمد أسد» في كتابه «الإسلام في مفترق الطرق»:

«إن المدنية الغربية لا تجحد اللَّه ألبتة، ولكنها لا ترى مجالاً ولا فائدة «للَّه» في نظام فكرها الحالي».

«إن الأوربي الحديث.. سواء عليه أكان ديمقراطيًّا أم فاشيًّا، رأسماليًّا أم بلشفيًّا، صانعًا أم مفكرًا.. يعرف دينًا إيجابيًّا واحدًا هو التعبد للرقي المادي»[١] .

❑ يقول الأستاذ «جود» الإنجليزي:

«إن نظرية الحياة التي تسود هذا العصر وتحكم عليه: هي النظرة في كل مسألة وشأن من ناحية المعدة والجيب»[٢] .

❑ ويقول الصحفي الأمريكي المشهور «جون جنتر» في كتابه «في داخل أوربا»:

«إن الإنجليز إنما يعبدون بنك انجلترا ستة أيام في الأسبوع، ويتوجهون في اليوم السابع إلى الكنيسة»[٣] .

✍ والمسيحية عند هؤلاء «شعار يرتبطون به» و«صليب يتجمعون حوله» ونزهة إلى «الكنيسة»، وليست لهم عقائد يخضعون لها ولا قيم يؤمنون بها.

*** أخي:**

تعال معي إلى حياة أهل الغرب، وَدَعْ الأرقام والإحصائيات تتكلم:

---

(١) «الإسلام في مفترق الطرق» ص(٤١).

(٢، ٣) «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين» لأبي الحسن الندوي ص(١٥٧) الطبعة الثانية.

١ـ الانحلال الخلقي:

في تقرير نشرته كل صحف بريطانيا في إبريل سنة ١٩٦٤، أصدرته الهيئة الطبية في كتيب تخطفته الأيدي فور صدوره في لندن أن ثلث الفتيات اللائي يتزوجن قبل العشرين، يتزوجن «وهن حاملات»(١) !!.

وما وثيقة مؤتمر السكان الذي عقد في القاهرة ١٩٩٤ منا ببعيد هذه الوثيقة الفاجرة التي أباحت الإجهاض الذي يذهب ضحيته حسب إحصائيات الأمم المتحدة ٥٣ مليونًا من الأجنّة: ٢١ مليونًا في السر، ٣٢ مليونًا في العلانية.

✍ وأقرّت هذه الوثيقة الفاجرة كافة أنماط الأسرة بمفهومها الغربي: مثل زواج الجنس الواحد.

* الشذوذ الجنسي:

اعترف رئيس أمريكا السابق كارتر بحقوق ومتطلبات ٢٠ مليون أمريكي من الجنسين يمارسون اللواط والسحاق والشذوذ الجنسي بكل أنواعه..

وذلك بعد مقابلة وفد يضم ٢٠ شخصًا يمثلون منظمات اللواطة والسحاق في أمريكا مع السيدة «مرغريث» مساعدة الرئيس كارتر للعلاقات العامة.

□ من بين كل عشرة أطفال يعتدى على واحد منهم كل يوم

«قام نحو ٢٠٠ من المخنثين في جميع أنحاء إيطاليا بمسيرة في روما للمطالبة باعتراف القانون بهم كنساء، وانتهت المسيرة خارج مجلس النواب الإيطالي، حيث اجتمع الوفد بالسيد «نيلدي جوني» رئيس المجلس الذي وعدهم بالنظر في مظالمهم»(٢).

---

(١) نقلا عن مجلة «المسلمون» العدد الثامن (مايو ١٩٦٤).

(٢) مجلة المجتمع (٥٠٣) ص(٢٩).

☐ تقول مجلة (الريدر زوايجست) في عددها الصادر في أغسطس ١٩٨٣ تحت عنوان (أطفال للبيع): «إن استخدام الأطفال جنسيًّا لم يعد أمرًا شاذًّا ولا أمرًا شخصيًّا، وإنما أصبح تجارة منظمة ويبلغ دخلها ما بين خمسمائة إلى ألف مليون دولار، ويعمل فيها آلاف المصورين والكتاب بل والأطباء وعلماء النفس».

وفي لوس أنجلوس تقوم جمعية «رين جيون» التي يدعمها خمسة آلاف عضو بما فيهم بعض الأطباء وعلماء النفس بل وبعض الأدباء الذين يعتقدون أن الجنس نافع للأطفال. وترفع هذه الجمعية شعارها في كل مكان «الجنس في الثامنة وإلا فقد فات الأوان»

"sex by eight or else its Loolate".

ويتاجر هؤلاء بدعارة الأطفال «وصورهم العارية والرجال يفعلون بهم الفاحشة»، وما قضية القسيس «دونالد جيس» واعتدائه الجنسي على الطفل «جوني أثود» بمجهولة في الإعلام.

✍ منحت السلطات الفرنسية لجماعات الشذوذ الجنسي ترخيصًا بإذاعة خاصة بهم.

✍ في الولايات المتحدة الأمريكية تعتبر مدينة سان فرانسيسكو بولاية كاليفورنيا عاصمة الشاذين جنسيًّا، وأصوات هؤلاء الشاذين تمثل ربع ناخبي المدينة تقريبًا.

وتقدر نسبة اللوطيين والسحاقيات بواحد من كل عشرة أمريكيين في الولايات المتحدة الأمريكية[١].

---

(١) مجلة المجتمع (٦٣٧/ ٣٢).

✍ الآداب اليونانية تمدح الشذوذ الجنسي وتشيد به.

✍ هناك معابد وكنائس خاصة في الولايات المتحدة تقوم بتزويج الرجال للرجال، والنساء للنساء.

✍ ولما نشرت مجلة اللوطية في بريطانيا هجومًا شديدًا على الدين المسيحي؛ لأنه يحرّم الشذوذ الجنسي فردّ عليها أحد كبار الكرادلة في بريطانيا قائلاً: «إن الكنيسة الإنجليكانية هي في حالة مخاض الآن، وإنه عما قريب ستعترف الكنيسة بالشذوذ الجنسي.. وأنه شخصيًّا يعتبر الشاذ جنسيًّا إنسانًا عاديًّا، وأنه لا يمانع إذا أراد مثل ذلك الشخص أن يصبح قسيسًا أو أي شيء آخر»[١].

✍ ذكرت الديلي ميل والديلي ميرور أن ٤٠٪ من الرهبان يمارسون الشذوذ الجنسي وأن ٨٠٪ منهم زناة[٢].

✍ خصصت بعض الجامعات الأمريكية منحًا دراسية خاصة للشاذين جنسيًّا، ومن تلك الجامعات جامعة (سير جورج وليامز) التي تخصص كثيرًا من منحها الدراسية للشاذين جنسيًّا[٣].

✍ افتخر ثلاثة وزراء بكندا في مقاطعة كويبك بأنهم شاذون جنسيًّا، ورئيس حزب الأحرار البريطاني السابق كان يفخر بشذوذه الجنسي.

✍ موجة الشذوذ الجنسي هذه ترجع إلى كتابات وأبحاث ثلاثة من أدعياء العلم هم فرويد وتلميذه هاملك أليس وألفرد كينس. يقول

---

(١) «أفول شمس الحضارة الغربية من نافذة الشذوذ الجنسي» لمصطفي فوزي غزال ص(٢٤).
(٢) المصدر السابق ص(٢٥).
(٣) المصدر السابق ص(٢٤).

فرويد: «إن الإنسان يُولد شاذًّا جنسيًّا».

✍ أكبر تجمعات الشاذين جنسيًّا في المدن الكبيرة مثل نيويورك، لوس أنجلوس، شيكاغو، ولندن، وباريس، وأمستردام، وأوسلو.

✍ والغريب حقًّا أن يقوم قسيس في الولايات المتحدة عام ١٩٧٠ بإصدار كتاب أسماه «المسيح شاذ جنسيًّا» عليهم لعائن اللَّه ﴿ **كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا** ﴾.

✍ في جريدة الفاتيكان اليومية «أوبزر فاتور رومانو» الناطقة باسم الكنيسة الكاثوليكية نشرت مقالاً موقعًا من الرئيس الإيطالي لمعهد روما للاهوت الخلقي «نومينيكو كابوني» يقول فيه: «إن البعض أصبح مقتنعًا إقتناعًا فوق كل دليل بأنه ليس ثمة خطيئة ما في الشذوذ الجنسي»... ثم يقول: «من هذه المسألة أعتقد أن الأفضل هو عدم التحول إلى الجمود في تمحيصنا للحقيقة حتى نتفادى تحطيم أولئك الذين يجدون أنفسهم ضحايا الاضطراب الخَلْقي سواءً كانوا مذنبين أم لا، وأضفنا مسحة من الكآبة على الكنيسة وعلى القوانين الدينية».

✍ نشرت مجلة المجتمع في عددها ٤٧٠ ص(٣٥) بأن اليهود في نيويورك عينوا حاخامًا شاذًّا لكنيس يفخر بخدماتهم للصهيونية، والشذوذ الجنسي.

✍ وتنشر صحيفة اليمامة (٨٢٥/٧٣) تقريرًا عن لجنة الشباب والثقافة والتعليم بالبرلمان الأوربي جاء فيه أنه يوجد نحو ٦٠٠ جمعية في دول السوق الأوربية المشتركة من بينها «جمعية أبناء الرب» يمارس أعضاؤها جميع أنواع الرذيلة الجنسية.



◻ يقول الدكتور محمد علي بار: «حتى الحيوانات لم تسلم، للكلاب هناك دور في لعق فروج ربّات الأسر»[1] .

ويؤيد كلام الدكتور محمد علي ما قالته المغنية الساقطة «مادونا» عن كلبها.

✍ «وفي تقرير فرنسي من عدة سنوات ذكر: أن في فرنسا سبعة ملايين من الكلاب في شعب عدده ٥٢ مليونًا!»[2] .

* نكاح ذوي القربى:

انظر يا أخي إلى الحضارة التي بنيت على الإباحية، والتي ستنهار سريعًا.

«شكلت الحكومة السويدية لجنة عام ١٩٧٧ لإعادة النظر في المخالفات الجنسية، وتقدمت بتقريرها الذي تضمّن أن يكفّ القانون السويدي عن التدخل في العلاقات الجنسية التي تقوم طوعًا بين البالغين حتى لو كانوا مرتبطين برباط قربى»[3] .

✍ في عام ١٩٧٤ «وافق البرلمان الإسوجي (السويدي) على زواج الأشقاء، وباركت الكنيسة هذا العمل، وكان «لايف» قد تزوّج بشقيقته لأمه «اتفريد» وكان الرفض مفتاح علاقتهما الجنسية حيث يزيدهما قربًا والتصاقًا.

◻ وقالت القسّة بعد موافقة المحكمة الإسوجية على الزواج: «لقد

(١) مجلة المجتمع (٦٥١/ ٤١).
(٢) «الإسلام حضارة الغد» للقرضاوي ص(٤٦).
(٣) مجلة المجتمع (٦١٤/ ٣٠).

كافحتما خمس عشرة سنة، ودافعتما عن حبكما ضد المتزمتين، وضد القوانين، فالحب بين جميع البشر أمام اللَّه واحد»[١] !.

□ ويكتب أحد الأطباء النفسانيين في مجلة علم النفس الطبي البريطاني، أن بعض النساء الأيرلنديات اللائي كن على صلة جنسية مع آبائهن في طفولتهن وتزوجن فيما بعد، ذكرن له بأنهن غير نادمات على ما فعلن، وأنهن تلذذن بهذه الصلة، وأنهن على يقين من حب آبائهن لهن.

ثم يقول: «إن العلاقات الجنسية بين بعض الآباء وبناتهم يجب أن لا ينظر إليها كنوع من أنواع الشذوذ الجنسي من ناحية الآباء، بل يمكن اعتبارها سلوكًا مقبولاً من ناحية القيم الأخلاقية لهؤلاء الآباء أصحاب النشاط الجنسي المرتفع. كما أنه لم يجد أي اضطراب نفسي وعقلي بين معظم الشابات وأشقائهن الذين اتصلوا بهن جنسيًا»[٢] .

□ في مجلة «التايمز الأمريكية» في ١٤/ ٤/ ١٩٨٠م قال أستاذ جامعي: «إن تجارب الطفل الجنسية مع أحد أقاربه الكبار، أو غيرهم من البالغين لا يشكل بالضرورة ضررًا على الطفل».

ويقول جيمس رامزي: «إن مزيدًا من الاتصال الجنسي بين أفراد الأسرة سيحقق الدفء وسيخفف من هذا السعار الجنسي المحموم في سن المراهقة».

ويقول لاري قسطنطين الأستاذ المساعد في قسم الأمراض النفسية

---

(١) مجلة المجتمع (٩٠٢/ ١٢).

(٢) مجلة المجتمع (٩١٠/ ٢٤).

في جامعة «تفتس» بالولايات المتحدة: «إن للأطفال الحق في أن يعبروا عن أنفسهم جنسيًّا مع أي فرد حتى ولو كان أحد أفراد عائلتهم»[١].

✍ صدرت الأوامر للجنرال الألماني الأعزب «كيسلينغ مساعد القائد العام لحلف الأطلسي بالتقاعد المبكر لشذوذه الجنسي».

مثلما حدث في عام ١٩٣٨ أقال هتلر قائد الجيش الجنرال «فون فوتيش» بتهمة الشذوذ الجنسي[٢].

* الأسرة الوحيدة التكوين:

لا تعجب فما زال في الجعبة الكثير:

«أنشأ مليونير أمريكي من كاليفورنيا - وهو الدكتور «روبرت جراهام» مصرفًا من نوع غريب يعرف بـ «مصرف نوبل للسائل المنوي»!، ويقوم هذا المصرف بجمع هذه المادة من الأشخاص الحائزين على جائزة نوبل وتخزينها، لأجل إخصاب النساء، وإنجاب مواليد يتمتعون بذكاء فوق العادة!.

واتصلت بالمصرف المذكور الدكتورة «آفتون بلاك» من كاليفورنيا، وهي تبلغ أربعة وأربعين عامًا، وأشير عليها بالحصول على السائل المنوي «رقم ٢٨» طبقًا للمواصفات التي كانت تطلبها في مولودها، والجدير بالذكر أن مواد السائل المنوي التي تم تخزينها في المصرف لا تُعرف بأسماء أصحابها، وإنما لكل منها رقم معين.

---

(١) مجلة المجتمع (٦٥١/ ٤١).

(٢) انظر جريدة الشرق الأوسط (٢٨/ ١/ ١٩٨٤/ ١١).

وأصبحت الدكتورة «بلاك» حاملاً، ووضعت طفلاً في موعده، وسمي هذا الطفل «دورون»، وتعني باليونانية «الهدية»، وأدخل الطفل في سن الرابعة من عمره إلى المدرسة.

وقابل «إيان برودي» مراسل صحيفة «ديلي تلغراف» اللندنية أم الطفل في بيتها «بلوس أنجلوس» وعلى حد تعبير المراسل: «السعادة التي كانت تغمر الدكتورة «بلاك» بدأت تتحول تدريجيًّا إلى الشقاء؛ وذلك لأن ولادة طفل بدون أب وضعتها في مأزق، ومن المشكلات العديدة التي تواجهها الدكتورة «بلاك» أن المولود قد تعلّم الكلام، وهو يسأل مرارًا وتكرارًا «أين أبي؟»، وأخبرت الدكتورة «بلاك» المراسل الصحفي البريطاني: «لقد تضايق مني «دورون» ذات مرة، وقال: إنه سيغادر البيت ليعيش مع أبيه!!»[1].

* بيع الأطفال:

هل هناك أسمى وأبقى وأخلد من عاطفة الأُبوّة والأمومة؟ تلك العاطفة التي لم يُحرم منها الحيوان الأعجم، بله الإنسان المكرم فكيف طغت المادية على تلك العاطفة الجميلة الأصيلة فجعلت الآباء والأمهات يبيعون أبناءهم وبناتهم؟!

كتب أحمد بهاء الدين رئيس تحرير جريدة الأهرام ٢٦/ ١٢/ ١٩٥٩:

«قرأت هذا الأسبوع تقريرًا أليمًا، نشرته بعض الصحف البريطانية، يقول باختصار: «إن بريطانيا تنتشر فيها ظاهرة بيع الآباء والأمهات

(١) عن كتاب «المرأة بين شريعة الإسلام والحضارة الغربية» لوحيد الدين خان نشر دار الصحوة ـ القاهرة.

لأطفالهم، في سبيل شراء أشياء مختلفة: بيت صغير، أو تليفزيون، أو ثلاجة كهربائية، والذين باعوا أطفالهم بيعًا خلال سنة ١٩٥٩ في بريطانيا وصل عددهم إلى ثلاثة آلاف».

✍ ويقول التقرير مفصلاً: «إن الآباء والأمهات الذين باعوا أولادهم كلهم أزواج شرعيون، وليسوا من المطلقين والمطلقات أو الأرامل».

إن الآباء والأمهات لم يبيعوا فلذات أكبادهم طلبًا لغذاء يسدّ جوعتهم، ولا لكساء يستر عورتهم، ولا لضرورة من ضرورات الحياة، بل باعوهم من أجل أشياء كمالية، يعيش كثير من الناس بدونها، من أجل ثلاجة أو جهاز تليفزيون، فما أغلى المبيع وما أرخص العوض!!

✍ وفي المجتمع الغربي ظهرت مشكلة الأولاد المحرومين من عواطف الأمومة والأبوّة بسبب خروج الأبوين معًا للعمل، وهو ما أطلق عليه بعض الكاتبين عنوان: «أطفال بلا أسر».

✍ وفي المجتمع الأمريكي الذي يسير نحو الهاوية، نشرت مجلة «نيوزويك» في مايو سنة ١٩٧٨ عن نتائج استطلاعها لآراء القرّاء حول الحياة العائلية الأمريكية، فإن نصف الزيجات في الولايات المتحدة تنتهي إلى الطلاق.

* أغرب من الخيال.. هدية لمن يردن مساواة الرجال.. رجال يعيشون عالة على زوجاتهم المطلقات:

ابتزاز الرجال للنساء عند وقوع طلاق الزوج الفقير أو المتوسط من زوجة غنية.. قالت الصحفية المصرية «مها عبد الفتاح» في رسالتها من أمريكا إلى صحيفة أخبار اليوم في ١٩٩٤/٨/٦:

«في الأعوام الأخيرة زادت نسبة النساء ذوات الدخول الكبيرة زيادة ملحوظة.. ممثلات.. مانيكانات.. مصممات أزياء.. مذيعات.. صحفيات.. محاميات.. عضوات مجالس إدارة صعدن السلم الوظيفي.. بطلات رياضيات.. سيدات أعمال وشركات وإعلانات.. والواحدة منهن ستواجه محنة فيما لو انتهت علاقتها الزوجية لسبب، أو لآخر وكان الزوج أقل منها دخلاً.. سيطالبها.. غالبًا ـ «أن تعوله!».

وأقسم باللَّه أن هذا هو التعبير المستخدم اجتماعيًّا وقانونيًّا "To support Him" وعلى ذات المستوى الذي تعوّد عليه معها!! والقضاة يطبقون على النساء حاليًا ذات القوانين التي تُطبّق على الرجال في حالة إعالتهم للمرأة، فإذا كانت الزوجة هي الأكبر دخلاً في شركة الزواج، فلماذا لا تعول الرجل، أو تدفع له نفقة تساعده في حياته الجديدة من بعدها.. وما دام القانون في معظم الولايات الأمريكية يبيح للزوجة أن تحصل على نصف ثروة زوجها، ويظل يدفع لها نفقة طالما لم تتزوج، فلماذا تُستثنى من ذلك المرأة ذات الإمكانيات.. إن النساء هن اللاتي دفعن إلى ذلك بفتح باب المساواة على مصراعيه.. خذن إذن.. اشربن من كأس الرجل.. وادفعن من دم قلوبكن وعرقكن.

«ولهذا يشجعون النساء ذوات الدخول الكبيرة أن يحتطن للمستقبل.. وهو أن يعقدا تسوية للطلاق ويوقعان عليها من قبل الزواج.

سنجد باقة من أشهر الشخصيات والأسماء:

✍ من مذيعة التلفزيون المشهورة التي تقدم برنامج «صباح الخير أمريكا» في شبكة «أي بي سي» واسمها «جون لاندن» إلى الممثلة الشهيرة

«جين ميمور» و«جـين فوندا» و«كيم باسنجـر» و«روزان» و«جون كولنز» ومصممة الأزيـاء «ماري ماك فادن» والذي أثار هذا الموضـوع لأكتب فيه هو قضيـة جديدة رفعها هذا الأسـبوع ممثل معروف اسمـه «توم أرنولد» ضد زوجـته الممثـلة المشهـورة «روزان» أشهر كومـيديانة فـي التلفـزيون الأمريكي يـطالبها فيهـا بنفقة شهرية قـدرها مائة ألف دولار، ليسـتطيع العيش في نفـس المستوى الذي تعوّد عليه معـها!.. وهي لا تزال تدفع نفقة لزوجها الأسبق!!.

✍ والمذيـعة المشـهورة «جون لانـدن» والتي يبـلغ دخلـها السـنوي ٢مليـون دولار.. فوجئت بزوجهـا يطالبها بـنفقة إعالة! ورفـضت في البداية، ثم اضطرت للموافقة وديًّـا على أن تعطيه شـيكًا من ستة أرقام ليمـضي عنها، ولكـنه رفض، ولجأ إلى المحكـمة فحكم له قـاضي في نيويورك بثمانية عشرة آلاف دولار.

✍ ومصممة الأزياء «ماري ماك فادن» التي تزوجت من شاب عمره ٢٤ عامًا، ولـم يستمر زواجهـما أكثر من ٢٢ شـهرًا بادر بعدها بـطلب الطلاق والنـفقة، والمستحـقات فقد طالبـها بنفقة سـبعة آلاف دولار في الشـهر، بالإضافـة إلي مصـاريف الجامعـة، وإيجار الـسكن، ونفـقات المحامين، غير حصة في شركة «ماك فادن» لـلأزياء باعتباره شريكًا سابقًا في حياتها الزوجية!! وحكم القاضي بنفقة قدرها ٦٠٠ دولار في الشهر لمدة أربع سـنوات مع اعطائه مبـلغًا على سبـيل التسوية، أو المـؤخر في حدود مائة ألف دولار عن زواج دام ٢٢ شهرًا فقط لا غير!

✍ والممـثلـة المشـهورة «جـون كولـنز» أصـرت عنـد زواجهـا في الثمانينات من شاب سويدي يصغـرها بأربعة عشر عامًا أن يوقع أوّلاً من

قبل الزواج على اتفاق الطلاّق!، فقد كانت «جون كولنز» لا تزال تدفع نفقة زوج أسبق.. وقد نفعها اتفاق الطلاق من قبل الزواج؛ لأنه عندما رفع عليها الزوج السويدي قضية نفقة مستعجلة، قدّمت هي للمحكمة ذلك الاتفاق فرفضت طلبه، وقد كان يطالبها بمبلغ ٨٠ ألف دولار نفقة شهرية مؤقتة، بالإضافة إلى نصف دخلها من عملها السينمائي والتلفزيوني خلال الثلاثة عشر شهرًا زواجًا!!.

✍ والممثلة «كيم باسنجر» اقتسمت عقاراتها مع زوجها «الماكيير» الذي تزوجته لثماني سنوات وطالبها بنفقة لا تقل عن ١٢ ألف دولار شهريًّا!

✍ و«جين فوندا» دفعت لزوجها السابق عشرة ملايين دولار «مؤخر»؛ لأنها كانت تكسب خلال الزواج خمسين مليون دولار في العام.

✍ وحتى العلاقات بين اثنين من جنس واحد، كما في قضية لاعبة التنس العالمية «مارتينا نافراتيلوفا»، إذ رفعت ضدها صديقتها السابقة قضية تطالبها فيها بالنفقة عن سبع سنوات عِشْرة!!، واضطرت بطلة التنس المليونيرة أن تتنازل لها عن عزبة قيمتها عشرة ملايين دولار وعقار، وموافقة على حق الصديقة في نشر كتاب عن قصتهما معًا!! وباعت الصديقة ملخصًا للحكاية إلى «جريدة ديلي ميرور» البريطانية، وتقاضت عنها ٦٥ ألف دولار..!!».

* الأسرة الوحيدة الجنس:

أي التي تتكون من رجلين أو من امرأتين..

تُقنّن الحضارة الغربية اللواط والسحاق.. وهذا منتشر في

المجتمع الغربي.

تعيش المرأة مع المـرأة كزوج وزوجة مثلما كان من أمر الـهولنديتين «باولا ديجز» ٣٩ سـنة، و«جانين هاكسـمان» ٣٨ سنة، ثم والكـثيرات والكثيرات وتبارك الكنائس ذلك.

✍ في بـلاد الغـرب وحضـارة الغـرب «الأم المسـتأجـرة» أو «الأم بالوكالة» أي يُستأجر رحم المرأة نظير جُعل مادي ويـتم حقن رحم هذه المرأة بالسـائل المنوي لرجل غيـر زوجها وبعد وضع المولـود تأخذ الأجر وتدفع المولود للعائلة التي تريده..

* الشيخوخة محتقرة:

«في سـويسـرا[1] معظم الذيـن بلغوا سن/الستين لا مـكان لهم في منزل الأسرة، وإنما يـنقلون بسرعة إلى مـنازل العجائز شبه المـعزولة عن المجتمع ليعيشوا بقية عمرهم محرومين من العطف الأسري، إذ إن زيارة الأهل والأصدقاء تقل تدريجيًّا عامًا بعد عام، حتى تنعدم تمامًا، وبيوت العجائز تقام على مشارف المدينة»[2].

❑ وتجارة بيـع الأطفال كرقـيق واختطافـهم رائجة فـي دول الغرب وحضارة الغرب فما بعد هذا إلا الانهيار التام..

* حضارة الجريمة والخوف:

على الخوف ينام الغرب ـ إن نام ـ وعلى الخوف يصحو قال تعالى:

---

(١) بل في الغرب كله.

(٢) جريدة الأهرام ١٦ ذي القعدة ١٣٩٤هـ.

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢].

✍ نقلت مجلة «أيس نيوزآند وورلد ريبورت» أرقامًا عن معدل الجريمة في أمريكا مستقاة من مكتب التحقيقات الجنائية خلال عام ١٩٧٩ تقول:

«إن جريمة خطيرة تُرتكب كل ثانيتين ونصف، وحادث سرقة كل ثلاث ثوان، وسطو كل عشر ثوان، وجريمة عنف كل ٢٧ ثانية، وسرقة سيارة كل ٢٩ ثانية، واعتداء على أشخاص لأي سبب أو بلا سبب كل ٥١ ثانية، واغتصاب كل سبع دقائق، وجريمة قتل كل ٢٤ دقيقة.

✍ وانظر إلى هذه الصورة المرعبة التي ينقلها وزير العدل الأمريكي «وارن بيرجر» فقد قال: في شهر فبراير سنة ١٩٨١ وفي أعقاب قيام رئاسة جديدة وحكومة جديدة في أمريكا: «إن هناك حكمًا من الإرهاب يسود المدن الأمريكية، ثم يتساءل: «ألسنا رهائن داخل حدود بلادنا المستنيرة المتحضّرة»؟!

◻ ويقول مدير شركة «هوستون» الأمريكية بولاية «تكساس» الأمريكية: «الخوف من الجريمة يهدد تدريجيًّا بشلل الحياة في المجتمع الأمريكي. لقد سمحنا لأنفسنا بالتحلل والتفسّخ إلى الحدّ الذي أصبحنا فيه نعيش مثلما تعيش الحيوانات. فنحن نعيش وراء قضبان حديدية تحمينا من وصول اللصوص إلينا، ومجموعة من الأقفال المثبتة في الأبواب وأجهزة الإنذار، ثم نرقد على الفراش وبجوارنا مسدس محشو

بالـرصاص، وبعد هـذا نحاول أن نحـصل علـى شيء من الراحـة. . يا للسخرية!

«ورئيس شرطة «هـوستون» يعرف عن أي شيء يتـحدث، لأنه هو نفسه يحتفظ بعدة مسدسات محشوة بالرصاص في غرفة نومه!».

وفي «تقرير فيجـي» عن أثر الجريمة على الحالة النفسـية للأمريكيين ظهر أن:

✍ أربعة مـن كل عشرة مـواطنين يشـعرون أنهم مُـعرّضون للـقتل والاعتداء والسـرقة والاغتصاب، وهو شعـور دائم يلازمهم في حـياتهم اليومية.

✍ ٥٢٪ من الناس في المدن الكبيرة يعيشون في خوف دائم، وتهبط هذه النسـبة إلى ٤١٪ في المدن الصـغيرة، وإلى ٣١٪ في الـضواحـي الصغيرة والمناطق الريفية.

✍ ٥٢٪ من مجموع من جرت عليهم هذه الدراسة يمتلكون أسلحة للدفاع عن أنفسهم.

✍ سبعة مـن كل عشرة يغلقـون أبواب السيارات من الـداخل أثناء قيادتهم لها، وستة مـن بين كل عشرة يتصلون تـليـفونيًا بأصدقـائهم أو أقاربهم الذيـن كانوا في زيارتهم ليطمـئنوهم على وصولهم إلـى بيوتهم سالمين.

«إن أمريكا تعيش اليوم في قبـضة خوف جديد. . تزداد ضغطًا مع الوقت. . الخوف مـن أن تقع ضحية لجريمة. . الخـوف من الإصابات. . الخوف من ضياع ما يملكون. . إن الأمريكـيين اليوم يعيشون في خوف، بعضهم من بعض».

✍ في أمريكا السائقون السكارى يقتلون على الطرق ما يزيد على ٢٠,٠٠٠ شخص في العام الواحد.

✍ وفي ألمانيا تضاعفت جرائم القتل الناري عشرة أضعاف.

وفي فرنسا زادت نسبة الجريمة ٣٢٪ لا سيما عمليات السطو المسلح.

* جرائم النساء أكثر مع نمو حركات التحرر النسائية:

نشرت (النيويورك تايمز) تحقيقًا مذهلاً اعتمد فيه على تقارير من مكتب التحقيق الفيدرالي تقول فيه: «خرج أخيرًا تقرير من مكتب التحقيقات الفيدرالية يشير إلى أن معدل الجريمة بين السيدات، ارتفع ارتفاعًا مذهلاً مع نمو حركات التحرير النسائية».

وقال التقرير: «إن الاعتقالات بين النساء زادت بنسبة ٩٥٪ من عام ١٩٦٩ بينما زادت الجرائم الخطيرة بينهن بنسبة ٥٢٪».

ويقول التقرير: «إن أخطر عشرة مجرمين مطلوب القبض عليهم كلهم من السيدات، ومن بينهن شخصيات ثورية اشتركن في حركة التحرر النسائية مثل جين ألبرت وبرناردين دورن.

وتقول الصحيفة: «وراء ربط ارتفاع نسبة الجريمة بين النساء بحركات التحرر النسائية وجهة نظر تقول: إن منح المرأة حقوقًا متساوية بالرجل يشجعها على ارتكاب نفس الجرائم التي يرتكبها الرجل بل إن المرأة التي تتحرر تصبح أكثر ميلاً لارتكاب الجريمة»[1].

(١) «أفول شمس الحضارة الغربية من نافذة الجرائم» لمصطفى فوزي غزال ص(١٦ ـ ١٧).

* البطالة:

نشرت جريدة الشرق الأوسط تقريرًا عن البطالة فقالت:

«تفشّت مشكلة البطالة بين الشباب الأمريكي الأسود لدرجة بات معها الإجرام مصدر دخل رئيسي لقطاع كبير من فئة العمر بين ١٥ و٢٤ سنة» ثم تقول: «إن ربع دخل الشبان في فئة العمر المذكورة بات مصدره الجريمة» كما يقول أستاذ بجامعة ديول الأمريكية، وكذا يقول البروفيسور فيسكوسي»[1].

✍ بل وازدادت حوادث القتل داخل كنائس أمريكا.. وفي مدينة باترسون في نيوجرسي قُتل قسيس كاثوليكي عمره ٧٩سنة.. وهذا ما دفع الكثير من رجال الدين إلى الاحتماء بالحرس، وأجهزة الإنذار الأوتوماتكية لحماية أنفسهم من الجرائم»[2].

* الخطف:

أما الخطف فحدّث ولا حرج:

✍ في دول أمريكا اللاتينية لا يزال ٧٥ ألف شخص في عداد المفقودين.

✍ وفي أمريكا الوسطى عدد المفقودين في غواتيمالا وهندوراس والسلفادور ونيكاراغوا والتي يصل عدد سكانها مجتمعة ١٩,٢ مليون نسمة يزيد عدد المفقودين عن ٤٢ ألف و٢٢٤ شخصًا في الحالات التي

---

(١) جريدة الشرق الأوسط» (١٨٥٩)، الصفحة الأخيرة.

(٢) المجتمع (٢٧١/ ٢٢).

اعترفت بها السلطات.

✍ شهدت إيطاليا في النصف الأول من العام الماضي جريمة قتل كل ساعتين وجريمة سرقة في كل دقيقة[١].

* الانتحار:

الإنسان الغربي غريب معزول عن أعماق ذاته فقَدَ كُلَّ ما يربطه باللَّه...

✍ فقد ذكرت مجلة «تايم» في تحقيق صحفي بعنوان «انتحار المراهقين» بأن الولايات المتحدة تشهد زيادة مستمرة في حوادث انتحار صبيان وفتيان تتراوح أعمارهم ما بين عشرة وعشرين سنة! وقد ارتفعت هذه الحوادث إلى ثلاثة أضعاف عمّا كانت عليه حتى عام ١٩٥٠، ففي عام ١٩٨٥ أقدم على الانتحار ستون مراهقًا ومثلهم من الكهول من بين كل مائة ألف شخص».

✍ وتحظى الولايات المتحدة الأمريكية بنصيب الأسد في عدد المقدمين على الانتحار بسبب الفشل، فقد بلغ عددهم خلال عام واحد ما يقارب الربع مليون شخص أي بمعدّل ١٢٠ شخصًا يوميًّا، وهذا بدون شك يفوق عدد جرائم القتل التي تقع في نفس الفترة الزمنية.

✍ «أما في بريطانيا وحدها فقد بلغ عدد ضحايا الانتحار ٤٠ ألف شخص خلال عام واحد.

وأصدرت المنظمة العالمية للصحة تقريرًا في هذا المجال ذكرت أن

---

(١) المجتمع (٢٤٢/٣٩).

هيئاتها قد سجلت ثلاثة ملايين ونصف مليون حادثة انتحار خلال عام ١٩٦٩/ ١٩٧٠»[١] .

❑ قالت مجلة المجتمع :

«إن إحصائيات الانتحار في الدول الإسكندنافية في الآونة الأخيرة، أذهلت المفكرين الاجتماعيين، فالمعروف أن هذه الدول تُعتبر من أرقى بلاد العالم من حيث الرفاه الاقتصادي والاجتماعي، ويشتهر أهلها بدماثة الخلق والوداعة، إلا أن بعض المفكرين يعزون هذه الظاهرة إلى الحرية الجنسية الكبيرة جداً في تلك البلاد»[٢] .

❑ وتقول المجتمع أيضًا :

«وهكذا نجد أن أكبر نسبة للانتحار هي في أكثر الدول رُقيًا ماديًا كالسويد وسويسرا، وترى الوجودية تشجع على الانتحار للخلاص من الحياة التي هي عبث وسأم وغثيان ولقد كان آخر إنجار لهذا الاضطراب في بلدان الكفر هو ذلك الانتحار الجماعي الذي صدم العالم ببشاعته حيث أشرف زعيم جماعة «هيكل الشعب» الكاهن «جيمس جونز» على انتحار حوالي تسعمائة شخص من أتباعه بالسم، وأنبأهم بقراءات من رسالة بولس الرسول ثم أطلق الرصاص على صدغه، فلحق بهم إلى لعنة اللَّه وغضبه . .

وهناك جماعة أخرى ظهرت في بريطانيا شعارها «تخلّص من حياتك بإرادتك وبطريقة سهلة»، وتلقى هذه الجماعة رواجًا ضخمًا حتى

---

(١) مجلة المجتمع (٤٤/ ٢٤).

(٢) مجلة المجتمع (٢٨٥/ ٤٨).

تضاعف عدد أعضائها خلال شهرين من ٢٠٠٠ إلى أربعة آلاف، خصوصًا بعد إصدار كتاب جديد يتضمن نصائح عن أفضل طرق الانتحار»[١] .

✍ انتشر الانتحار بصورة مرعبة في أمريكا تفوق ما عُرف عن السويد والدول الإسكندنافية. والغريب أن يستشري الانتحار بين النساء أكثر من الرجال، وخاصة في ولاية كليفورنيا، الولاية الثانية في أمريكا من حيث عدد السكان، وذلك من جراء التمزق النفسي.

✍ وما انتحار أشهر ممثلات أمريكا «مارلين مونرو» من الناس ببعيد،

وكذا إقدام «بارجيت باردو» صناعة فرنسا الأولى التي فاقت مبيعات سيارات «رينو» وتصدّرت صورها أغلفة المجلات ٢٩,٣٤٥ مرة كما تقول ريدرز دايجست مايو ١٩٨٦ ومحاولتها الانتحار للخواء الروحي والقلق الداخلي وقسوة العزلة.

* القلق النفسي واليأس والاكتئاب:

◻ يقول «ليبولد فلم دانز» في كتابه «الإنسان والضمير المأسوي الممزّق»: «إن الإنسان المنتمي إلى عصرنا لا يؤمن بشيء، ولا يُفكر، أو إنه لم يفكّر بعد، ولكنه يعلم كثيرًا أن نهاية المسيحية تشمل أيضًا نهاية الأيدولوجيات الأخرى كالماركسية التي تجتاز من أجل ذلك أزمة عميقة، وأن هذه الأزمة ليست أبدًا علامة حياة بل علامة موت»[٢] .

---

(١) المجتمع (٤٧٠/ ٣٤).

(٢) من كتاب «الإسلام أيدلوجية المستقبل» للدكتور مهدي عبود.

❑ ويقول المفكر «لاموني»:

«إن الجنس البشري بكامله يمشي بخطا حثيثة إلى الهلاك إنه في النزع الأخير، كذلك الإنسان الجريح المسكين الذي لا يرجى له شفاء، فكثرة الأخطاء في حضارتنا تجرّها إلى الغرق»[1].

❑ ويقول ألكسيس كاريل في كتابه «الإنسان ذلك المجهول»: «إن القلق والهموم التي يعاني منها سكان المدن العصرية تتولد عن نظمهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فإن البيئة التي أوجدها العلم للإنسان لا تلائمه؛ لأنها أُنشئت دون اعتبار ذات الإنسان»[2].

❑ ويقول «برتراند رسل» عن شقاء الإنسان:

«إن حيوانات عالمنا يغمرها السرور والفرح على حين كان الناس أجدر من الحيوان بهذه السعادة، ولكنهم محرومون من نعمتها في العالم الحديث، واليوم أصبح من المستحيل الحصول على هذه النعمة والسعادة»[3].

✍ بعد إلحاد الغرب ماذا تنتظر؟.. انظر إلى «نيتشه» الناطق بلسان الغرب، والمتكلم بلسان حضارتهم من خلال فلسفته «هكذا تكلم «زرادشت» عن موت الإله ونشوء الإنسان السوبر مان»، وصاح «نيتشه»: «مات اللَّه وقد قتلناه، وإن الإنسانية تشيعه بمأتم حافل، ما الإيمان باللَّه إلا ضعف ونتيجة ضعف»[4].

---

(١) عن كتاب «الغرب» للأستاذ راشد الغنوشي رئيس تحرير «المعرفة» التونسية.

(٢) كتاب «طريقنا إلى النصر» لراشد الغنوشي ص(٢٧).

(٣) «الإسلام يتحدى» لوحيد الدين خان.

(٤) «الغرب» لراشد الغنوشي ص(٢٢).

🖎 «الإيمان بالله شك بالإنسان، والإنسان يكفي ذاته بذاته».

❑ ويقول ماكينل:

«إن الحضارة الغربية في الطور الأخير من أطوار حياتها لأشبه بالوحش الذي بلغت شراسته النهاية في انتهاكه لكل ما هو معنوي، وبلغ اعتداؤه على تراث السلف وعلى كل مقدّس ومحرّم قمته ثم أغاص مخالبه في أمعائه فانتزعها وأخذ يمزقها ويلوكها بين فكّيه بمنتهى الغيظ والتشفي».

❑ يقول أرثر شوبنهار في كتابه «العالم كإرادة وتصور»:

«إن الحياة تتأرجح من اليمين إلى اليسار من الألم إلى الملل».

🖎 «لقد خنقت مداخن المصانع الروح الإنسانية في الغرب».

🖎 «لقد تكوّمت أكداس النقود على القلب الغربي فخنقته، لقد انطلق إشعاع الذرة فأباد الرحمة والخلق في أعماق الإنسان»[1].

🖎 وانظر إلى كتابات كُتّاب الغرب وخاصة الكُتّاب الطليعيين أو رُوّاد مسرح اللامعقول من الوجوديين ترى القلق والضنك من خلال أسطرهم التي تفحّ بالآلام وتختصر بالأسى.

إن اليأس، والقلق، والأسى، والألم، والصدمة، والملل، والعبث، والتمرّد، والتمزّق، والمأساة، والشقاء. هذه العبارة لا تكاد تخلو منها صفحة واحدة من صفحات هؤلاء الكُتّاب.

❑ يقول الكاتب الفرنسي «كامي»:

«ينبغي ألا نؤمن بشيء في هذا العالم سوى الخمر، إن صيحته

---

(١) «الإسلام ومستقبل البشرية» للدكتور/ عبد الله عزّام ص(١٩) ـ دار ابن حزم ـ بيروت.

هي: الموت للعالم، حطّموا كل شيء، يجب أن نلغي كل شيء، الإلغاء والإطاحة هو إنجيلي»[١].

□ ويقول آرثر ميللر الأمريكي:

«إن أكثر الأماكن براءة في بلدي هو مصحَّة الأمراض العقلية، وكمال البراءة هو الجنون»[٢].

□ ويقول «سلاكرو» الفرنسي:

«إن الآلهة لا عمل لها إلا أن تعبث بحطام الإنسان»[٣].

□ ويقول إيونسكو الفرنسي: «الواقع كابوس مؤلم لا يطاق»[٤].

□ ويقول هيدجر: «إن الحياة الحقة تكون في اليأس».

□ أما سارتر [٥] فيرى: «أن الحياة الحقة تكون فيما وراء اليأس، بل ويقول: «الإنسان في صميمه قلق».

□ ويرى «نيتشه» الفيلسوف الألماني أن الإنسان بين التسليم والتمرّد فوجوده تمزّق وسلب، وهو العالم اللامعقول، ولا يجد الخلاص إلا بالجنون الذي يُخلّصه من تعاسته الحاضرة، ويرى نيتشه أن اليأس والقلق شرطان دائمان للفطرة؟ أم للعظمة الإنسانية.

---

(١) نقلا عن كتاب «فوضى العالم في المسرح الغربي المعاصر» لعماد الدين خليل ص(١٣٠-١٣١).

(٢) في مسرحيته «بعد السقوط» - «فوضى العالم» ص(٢٢).

(٣) «فوضى العالم» ص(١٥٥).

(٤) «فوضى العالم» ص(١٣٥).

(٥) واقرأ له «جلسة سرية»، «موتى بلا قبور»، «الأيدي القذرة»، و «موتة الروح»، و«الذباب».

❑ ويقول «كيركجارد» رائد الفلسفة الوجودية: «إن الوجود معناه: أن نعاني اليأس والقلق حتمًا، إن من يختار اليأس يختار ذاته في قيمتها الأبدية» ولذا نجده قد حاول الانتحار مرارًا، إن الوعي يظهر دائمًا في صورة القلق، وأما اليأس فهو الحدّ الذي يفضي إليه، لقد بقيت الكآبة القاتلة ملازمة لكيركجارد حتى الموت. ولتنظر إلى كتابه «الخوف والرعدة».

هذه حضارة الغرب تبدو مجسّمة في معطيات كبار كتّابهم ومفكريهم وأدبائهم فوضى تأخذ بخناقهم، تسعى إلى تمزيق بقايا خيوط العنكبوت من القيم الغربية.

✍ ولعل أصدق كلمة تعبر عنهم ما قاله الكاتب الإنجليزي «أوسبورن»: «نحن موتى، مكدورون، مُضيّعون، نحن سِكّيرون مجانين، نحن حمقى، نحن تافهون»[1].

نعم إنهم يفتقدون سعادة النفس، ولا يجدونها برغم رفاهيتهم.

❑ يقول الأديب الأمريكي «جون شتاينبك»: «إن مشكلة أمريكا هي ثراؤها، وإن لديها أشياء كثيرة، ولكن ليس لديها رسالة روحية كافية»، وقال أيضًا: «لو أنني أردت أن أدمر شعبًا، فإنني أعطيه أكثر مما يريد، فهذه الوفرة تجعله جشعًا تعيسًا مريضًا! إن شعبنا لا يمكن أن يعيش طويلاً على الأسس الحالية لحياته.

إننا في حاجة إلي ضربة قوية تجعلنا نفيق من تراثنا، لقد انتصرنا

---

(١) «فوضى العالم» ص(٤٩). ولقد حضر مسرحية «انظر وراءك بغضب» ستة ملايين وسبعمائة وثلاثة وثلاثون ألف شخص.

على الطبيعة ولكننا لم ننتصر على أنفسنا».

❑ يقول أنيس منصور في يومياته بالأخبار في ١٩٦٠/١/٥ :
«الجيل الجديد من الشبان ـ في أمريكا ـ يذهب إلى أماكن سرية، ويظل جالسًا في استسلام لا يفكّر، ولا يقول شيئًا، وإنما يركن عقله كأنه سيارة قطعت طريقًا طويلاً، وموتورها يكاد يحترق.. يركن السيارة، ويترك أبوابها ونوافذها وأغطيتها كلها مكشوفة، ويجلس في استسلام وسلبية تامة.

✍ والإحساس بالضياع هو أوضح شعور عند الشبان في أمريكا.. ضائعون تائهون لا يبالون بأي شيء.

إنه جيل قد أسند ظهره للحائط الذي يملكه التجار والسماسرة في كل أمريكا إنه جيل ساخط اليوم وحاقد غداً.. وصوته أضعف من أن يسمعه أحد.. ولذلك فكل أفراد هذا الجيل يتجمّعون في الظلام، ويصوّتون بعضهم على بعض، فيحطمون بعضهم البعض، دون أن تتناثر شظاياهم إلى عيون الآخرين من الراضين اليوم والساخطين غدًا».

✍ وانظر إلى حركات التمرد على الحضارة المادية من «الخنافس» و«الهييز» وهلوستهم، و«تحضير الأرواح» ويبدو أن هلوسة المخدرات جعلتهم يتخيلون أنها حضرت فعلاً، وأنهم رأوها عيانًا.

كانت حركة الهيز رفضًا صارخًا لوحشية الحياة المادية المعاصرة، التي رمت بالإنسان بين أنيابها التي لا ترحم، حيث قانون الغاب يسود في الغاب المعاصر، ولكنهم كانوا للأسف أسوأ محامين لأعدل قضية.

لوّثوا الطبيعة، وجعلوا الحياة جنسًا وحشيشًا وحتى جريمة

وانحدروا بالذات الإنسانية إلى القذارة ومؤسسات الجنس الجماعي، والأزياء العجيبة الغريبة، والرقص المجنون في «وودستوك» في أمريكا، و«سولذبيري» في بريطانيا، والحشيش.. والعداء للنظافة والماء والصابون والضياع التام والانتحار.. وأخيرًا السقوط المروّع لإمبراطورية الهيبيين نهائيًّا وكل الدلائل تشير إلى ذلك.

🖎 ومن مظاهر القلق ولوازمه في الحياة المعاصرة انتشار مرض «الاكتئاب النفسي» الذي يجعل الإنسان سجين نفسه، وهو وسط المجتمع، ويحيل حياته إلى جحيم وبيده الثروة وأدوات اللذة والمتعة، تجعله يحيا في عزلة نفسية، وكثيرًا ما تكون عزلة مادية بالفعل وخصوصًا لدى كبار السن من النساء. وما أمر جريتا جاربو ومارلين مونرو، وبارجيت باردو بخاف على أحد.

نعم.. إنهم وُلدوا وعاشوا في زمن الأحزان وحضارة الأحزان، وأي ساعة عندهم لم تكن كئيبة حزينة.. تُرى متى تصل حبوب منع الحزن إلى عالمهم.

🖎 في تقرير منظمة الصحة العالمية تبيّن أن نسبة المصابين بالاكتئاب النفسي تصل إلى ٥٪ من سكان العالم، وأن هذه النسبة ترتفع في بريطانيا إلى ١٥٪، وفي الولايات المتحدة إلى ٢٠٪[١].

🖎 نعم على لوائح الإحصاءات يرتسم الرقم المخيف لمرضى الاكتئاب في أمريكا ٣٥ مليونًا.

🖎 وحالة الاكتئاب الشامل، وهي حالة مزمنة يصاب بها شخص

---

(١) مجلة المجتمع (٦١٧/٢٦).

واحد من كل ٢٩ أمريكيًّا.

✍ وقد كشفت الإحصاءات التي جرت مؤخرًا العديد من الحقائق المذهلة عن الاكتئاب، فقد تبيّن أن عدد المصابين بهذا المرض ضعف العدد المعلن، ومن أصل ٣٥ مليون أمريكي هناك عشرة ملايين يعانون من حالات اكتئاب حادة، ومن بين هؤلاء ٢٠٪ يعانون من اكتئاب هستيري.

أضف إلى ذلك ٤٠٪ من المدمنين على تعاطي شتى أنواع الخمور في أمريكا وعددهم يزيد على ٨ ملايين يعانون من الاكتئاب بطريقة أو أخرى.

* الاضطراب العقلي:

تقول مجلة المجتمع: «آخر التقارير حول الوجه الآخر لأمريكا تقول بأن في أمريكا اليوم أكثر من مليوني متسكع لا بيت لهم ولا مهنة ولا عائلة، وتذكر الإحصائيات أن ربعهم مرضى عقليون»[1].

❑ وتقول «المجتمع» أيضًا: «أذاعت سكرتيرية الدولة للضمان الصحي والاجتماعي في بريطانيا مؤخرًا إحصائية عن عدد المصابين بالأمراض العقلية وذكرت المجلات الطبية التي نشرت الخبر أن عدد من يصابون بمرض انفصام الشخصية في بريطانيا سنويًّا ٣٤,٠٠٠ شخص بالتقريب منذ سنة ١٩٦٤»[2].

---

(١) المجتمع (٦٢٧/ ٣١).
(٢) المجتمع (٥٥/ ٢٣).

✍ عدد من أعفتهم القوات المسلحة الأمريكية في الحرب الثانية لاضطرابات نفسية وعقلية (٤٣٪) من المجموع الذي يساوي (٩٨٠) ألفًا.

✍ وفي السويد أرقى بلدان العالم ماديًا أعلى نسبة للأمراض النفسية والعقلية فنسبة المرضى عقليًّا وعصبيًّا ونفسيًّا (٢٥٪) من سكان السويد، وتنفق الدولة (٣٠٪) من ميزانيتها على علاجهم.

ونسبة الموظفين الذين يخرجون من وظائفهم بسبب هذه الأمراض يساوي (٥٠٪) من مجموع المخرجين.

✍ نسجل هنا ما قاله البروفسور «الكسيس كاريل» في كتابه «الإنسان ذلك المجهول»:

وهو شاهد من أهل هذه الحضارة يسجل بالإحصاءات ما يدل على مدى الدمار الذي يعيش فيه الغرب، وإن كانت هذه الإحصاءات قديمة، وقد تضاعفت الأرقام... يقول:

«من العجيب أن الأمراض العقلية أكثر عددًا من جميع الأمراض الأخرى مجتمعة، ولهذا فإن مستشفيات المجاذيب تعجّ بنزلائها وتعجز عن استقبال جميع الذين يجب حجزهم»[1].

□ ويقول «سي. و. بيرس»: إن شخصًا من كل ٢٢ شخصًا من سكان نيويورك يجب إدخاله أحد مستشفيات الأمراض العقلية بين آن وآخر!!

«وفي الولايات المتحدة تُبدي المستشفيات عنايتها لعدد من ضعاف

(١) يشغل عدد مرضى الأمراض العقلية ٥٥٪ من جميع أسرّة المستشفيات.

العقول يعادل أكثر من ثمانية أمثال المصدورين.

ففي كل عام يدخل مصحّات الأمراض العقلية وما يماثلها من المؤسسات حوالي ستة وثمانين ألف حالة جديدة، فإذا استمر عدد المجانين في السير على هذا المعدّل، فإن حوالي مليون من الأطفال والشبان الذين يذهبون الآن إلى المدارس والكليات سوف يدخلون إلى المصحات عاجلاً أو آجلاً!

✍ ففي عام ١٩٢٢ كان عدد المجانين المودعين بالمستشفيات الحكومية ٣٤٠,٠٠٠ مجنون، كما أن عدد ضعاف العقول والمصروعين المحجوزين في المصحات الخاصة ٨١,٨٥٠ وعدد مطلقي السراح بضمان كلمة الشرف من ضعاف العقول ١٠,٩٣٠ ولا تشمل هذه الإحصاءات الحالات العقلية التي تُعالج في المستشفيات الخاصة. وعلاوة على المجانين يوجد في البلاد كلها ٥٠٠,٠٠٠ من ضعاف العقول»[١].

* مستوى الذكاء والتعليم:

«لقد كشف الفحص الذي تولته اللجنة الوطنية للصحة العقلية بعناية عن أن ٤٠٠,٠٠٠ طفل على الأقل على مستوى منخفض من الذكاء، إلى درجة أنهم لا يستطيعون الاستمرار في المدارس العامة، والإفادة مما يتلقون من علم. وحقيقة الأمر أن عدد الأفراد الذين انحطّوا عقليًّا أكثر من ذلك بكثير»[٢].

لقد انحطّت نسبة المتعلمين إلى درجة خطيرة في الدول المتحضرة،

(١) هذا في عام ١٩٢٢ فما ظنك بعددهم اليوم؟!!
(٢) «الإسلام حضارة الغد» للقرضاوي ص(٨٢).

لذا تقول مجلة «المجتمع»:

«يكشف تقرير وضعته لجنة أمريكية مؤلفة من ١٨ خبيرًا في شئون التعليم قدم إلى الشعب الأمريكي مؤخرًا مدى الخطر الذي ينتاب التعليم في الولايات المتحدة الأمريكية، فقد جاء في التقرير ما يلي:

١ ـ في المقارنات الدولية لمستوى الطلاب والتي أجريت قبل ١٠ سنوات ـ تبين أن الطلاب الأمريكين لم يحققوا المركز الأول أو الثاني في (١٩) اختبارًا أكاديميًّا، بل كانوا في المركز الأخير في (٧) من هذه الاختبارات بالمقارنة مع الطلاب في البلاد الصناعية المتقدمة الأخرى.

٢ ـ هناك ٢٣ مليون أمريكي في حالة أميّة كاملة في مواجهة أبسط اختبارات القراءة والكتابة والفهم، وهذا العدد يعني واحد من كل ١٠ أمريكيين.

٣ ـ أن نسبة ١٣ بالمئة من الشبان الأمريكيين الذين تبلغ أعمارهم (١٧) عامًا هم أيضًا في حالة أمية مغلية وترتفع هذه النسبة إلى ٤٠٪ بين الأقليات (السود ـ الأسبان ـ الآسيويين ـ النساء . . إلخ).

٤ ـ متوسط المستوى التعليمي لطلاب المدارس الأمريكية هو الآن أقلّ مما كان قبل ٢٦ سنة.

٥ ـ أكثر من نصف الطلاب الموهوبين في اختبار القدرات لا تنعكس مواهبهم في أدائهم المدرسي.

٦ ـ تكشف اختبارات القدرات التي تسبق التحاق طلاب المدارس الثانوية بالكليات عن هبوط مستوى هذه القدرات بلا انقطاع منذ عام ١٩٦٣، ويتضح هذا الهبوط بشكل خاص في مواد العلوم والرياضيات واللغة الإنكليزية.

وقد هبطت بالمثل أعداد ونسب الطلاب الذين يستطيعون تحقيق علامات متفوقة في اختبارات القدرات.

وقد أوضحت اللجنة في ختام تقريرها توصيات تدل على أن الولايات المتحدة قد تحولت تعليميًّا إلى دولة نامية»[1].

* حضارة الجوع والفقر:

◻ «نُشر في واشنطن في الأسبوع الماضي تقرير رسمي يبيّن أن طفلاً واحدًا من بين خمسة أطفال في الولايات المتحدة الأمريكية يعيش في حالة فقر، وهي أعلى نسبة وصل إليها هذا المعدل على الإطلاق، كما أظهر التقرير أن طفلاً واحدًا من بين خمسة أطفال يعيش الآن مع أمه»[2].

◻ تقول مجلة المجتمع: «في الوقت الذي يتلقّى فيه المزارعون الأمريكيون المساعدة من حكومتهم لترك ملايين الهكتارات دون زراعة خوفًا من عدم القدرة على الحصول على سعر مناسب.

وفي الوقت الذي تتلف فيه أمريكا بين حين وآخر عشرات الأطنان من السلع الغذائية للغاية السابقة نفسها يعاني الملايين من سكان أمريكا من غائلة الفقر وحرمان الطعام.

من أجل ذلك نظمت لجنة «اللاعنف» ـ وهي تنظيم يدافع عن مصالح الفقراء الأمريكيين ـ مسيرة من العاصمة واشنطن إلى مدينة كانساس سيتي بولاية ميسوري، لبدء إضراب مفتوح عن الطعام بهدف إرغام المسئولين الأمريكيين على إطلاق سراح المزيد من فائض الغذاء من

(١) المجتمع (٦٢٣/ ٣٨).
(٢) مجلة المجتمع (٦٢٦/ ٣٢).

مستودعات الحكومة الاتحادية. وقد كان يوم أمس ١٤ يوليو ذروة أعمال الاحتجاج هذه وهو يوم يوافق عيد الاستقلال في أمريكا»[1] .

ثم إن مجلة المجتمع تنقل لنا حالة الفقر في أوربا التي أصبحت في وضع لا تحسد عليه من الفقر فتقول: «النظام الرأسمالي القائم على الجشع المادي وسيطرة القويّ على الضعيف، والغني على الفقير أفرز ملايين الفقراء الذين يعيشون في فقر مدقع، وقد ناقشت موضوع الفقر في أوربا «ندوة أوربية انعقدت مؤخرًا في مدينة «كومو» بشمال إيطاليا.. وقال مصدر في إدارة الندوة: إن عدد الفقراء في أوربا الآن يزيد عن ٣٠ مليون فقير يعيشون دون مستوى المتوسط، ويعيش قسم كبير منهم في حالة فقر مدقع قريب من الحرمان»[2] .

كما نشرت المجتمع في عدد آخر مقالاً بعنوان «العالم يموت والقمح الأمريكي في البحر»، قالت فيه: « بينما يموت سنويًا في العالم ما يقرب من خمسين مليون شخص هلاكًا من الجوع ونقص المواد الغذائية خاصة في دول العالم الثالث، وبالتحديد في الدول الإسلامية الإفريقية وفي شرق آسيا، نجد في الجانب الآخر أمريكا بلد الحضارة والوجه التكنولوجي المتطور والتي تشتهر بتمثال الحرية وتدّعي المساواة، وإذ بها ترمي فائض القمح سنويًا وبآلاف بل بملايين الأطنان في المحيطات، كل ذلك وهي لا تفكر بأدنى مساعدة تقدمها لتلك الدول المحتاجة، وكل ذلك إنما تفعله لحرصها على ثبات سعر القمح، ولكي لا تنخفض أسعاره»[3] .

---

(١) المجتمع (٦٢٨/ ٢٩).

(٢) المجتمع (٦٢٨/ ٢٩).

(٣) المجتمع (٢٠/ ٢٨).

* حضارة الخمور ومدمني الخمور:

الخمر التي حرمتها الشرائع أصبحت علامة بارزة في حياة أهل الغرب، حاجتهم إليها أشد من حاجتهم إلى الماء.

في أمريكا في الأربعينيات عدد مدمني الخمر سنويًّا (١,٤٢) مليون.

لك أن تتصور أعمار مدمني المسكرات في أمريكا تبلغ أعمارهم سبع سنين كما روت صحيفة الديلي تلغراف، وفي بريطانيا أعمار مدمني المسكرات في بعض الحالات ثلاثة عشر عامًا.

* في بريطانيا:

الشعب البريطاني اليوم على شرف السقوط في هاوية لا خلاص له منها.

وقد أعطت مجلة «الطبيب العام» في العدد ١٢٣١ الصادر في شهر يناير ١٩٧١ أرقامًا مذهلة عن مدى استهلاك الإنجليز للكحول، تظهر فيها الزيادة العظيمة في استهلاك الكحول في الفترة ما بين ١٩٣٨ - ١٩٦٩م كما يلي:

١ - البيرة سنة ١٩٣٨م	٢٥ مليون برميل
وفي سنة ١٩٦٩م	٣٣,٣٩ مليون برميل
٢ - النبيذ سنة ١٩٣٨م	٢٢ مليون جالون
وفي سنة ١٩٦٩م	٤٤,٨٨ مليون جالون
٣ - الكحول (عرق وغيره) سنة ١٩٣٨م	١٠ مليون جالون
وفي سنة ١٩٦٩م	١٧,٥٤ مليون جالون

وهذه الكمية الـكبيرة تعني استهلاك وإهدار أكـثر من ٩٠٠ مليون جنيه إسترليني سنويًا.

* أمريكا تستغيث من الخمر:

□ تقـول الإحصائيـات الرسمـية في الـسبعيـنات: إن عدد الـذين يتعـاطون الخمر من ٩٦ ـ ٩٧ ملـيون نسمة، وفـي هذه الصناعة يـعمل ١,٩ مليون نسمة أي ٢,٤٪ من العمال الأمريكيين.

□ تقول مجلة التـايمز الأمريكية: «لقد أصبح الإدمان مشـكلة كبيرة ينهش المجتمع بسرعة كبيرة، ولقد تنبهت الحكومة لهذه المشكلة، ولذلك شُكِّلت لجنة حكـومية خاصة مهمتها إجراء البحوث عـلى الكحول وبعد الدراسات خرجت اللجنة بما يلي:

١ ـ يوجد ٩٥ مليون مدمن في الولايات المتحدة.

٢ ـ إن استهلاك الخمور زاد بنسبة ٢٦٪ ما بين ١٩٦٠ ـ ١٩٧٠م.

٣ ـ الإدمان أصبح أكـبر مشكلة صـحية تواجه البـلاد بعد أمراض القلب والسرطان، فقد بلغ عدد الذين ماتوا بسبب تلف الكبد الناتج عن الإسراف في الشرب ١٣ ألفًا.

٤ ـ يتسـبب الخمر في إحداث نصف الجرائم في الولايات المتحدة.

٥ ـ الأزواج المدمـنون مـعرضون لـلطـلاق أكثر سـبع مـرات من الأشخاص العاديين.

٦ ـ على الأقـل نصف حوادث السـيارات التي تـؤدي إلى الموت، والتي بلغ عددها ٥٥,٥٠٠ حالة موت كانت ناتجة عن سُكر السائق، أو المشاة، أقيم ٧٥٠٠ مركـز لمكافحة الإدمان، ولقد وصلت تـكاليف هذه

المراكز حوالي ١٩٤ مليون دولار».

❑ ويقول الدكتور «سيدلي كاي» في كتابه «علم السموم»: «إن الخمر هي السبب المباشر وغير المباشر في ٥٠٪ من مجموع حالات الوفاة التي نفحصها بمعمل الطب الشرعي بولاية فرجينيا بالولايات المتحدة».

❑ ويقول «دوثر» أحد المختصين في أمريكا: «إن الصناعة الأمريكية تخسر سنويًّا ما يعادل ٨ ـ ١٠ بلايين دولارًا بسبب الإدمان.

✍ تفيد الإحصائيات العامة في مستشفى مدينة بوسطن أن ٢٢٪ من الأطفال المولودين من أمهات مدمنات ولدوا مشوّهين. و٤٤٪ يتمتعون بذكاء أقل من غيرهم إضافة إلى إصابتهم بأمراض القلب والدورة الدموية[1] .

✍ يسبب تناول الشعب الأمريكي للخمور خسائر لاقتصاد الولايات المتحدة تُقدر قيمتها بـ ٤٣ مليار دولار سنويًّا.

✍ أصبح الإدمان بين النساء في أمريكا مشكلة من المشاكل يصعب حلها. وأصبحت زوجات الرؤساء وكبار رجال الدولة من المدمنات وقصة «بيتي» زوجة الرئيس السابق «جيرالد فورد»، ودخولها مركز «لونغ بيتش» العسكري لمعالجة المدمنين في نيسان عام ١٩٧٧م. ودخلت «جوان كينـدي» زوجة السيناتور إدوارد كيندي مركز سمثرز في نيويورك عام ١٩٧٦ بسبب إدمانها للمشروبات الكحولية.

✍وتفيد الإحصائيات أن ٤٠٪ من المدمنات الأمريكيات هن ربات بيوت، و٢٠٪ بائعات في المتاجر، و٢٠٪ عاملات فنيات.

---

(١) المجتمع (٤٠٦/٩).

✍ ويؤكد الدكتور «ماكس غلات» أن المدمن يبدأ الشرب وهو في العشرين من عمره، وعند بلوغه الرابعة والأربعين يصبح عبدًا للزجاجة.

✍ من بين ثلاثة مدمنين أمريكيين نجد امرأة مدمنة إلا أن الدكتور «مارفين بلول» الرئيس الأسبق لجمعية المدمنين الأمريكين ينفي هذا الرقم، ويؤكد أن نصف المدمنين من النساء، أي أن عددهن ٥ ملايين.

*** الشعب الألماني يدمن الخمور:**

في استطلاع لمجلة شبيجل الألمانية تبين أن ٢٤٪ من الفتيات والفتيان في سن الثانية عشرة، و٤٢٪ من الفتيات والفتيان في سن الرابعة عشرة، و٥٣٪ من الفتيات والفتيان في السادسة عشرة يتعاطون البيرة والخمور بأنواعها المختلفة بشكل يومي ومنظم.

✍ ويقدر خبراء معهد «ماكس بلاك» لعلم النفس أن عدد مرضى الإدمان على الكحول في ألمانيا الغربية يتراوح بين ١,٢ ـ ١,٨ مليون نسمة من أصل ٦٠ مليون.

✍ ولقد بلغ عدد ضحايا المشروبات الكحولية من صغار الألمان الغربيين، ممن تتراوح أعمارهم بين ١٠ ـ ١٢ سنة غالبًا ما لا يقل عن مائة ألف.

✍ لقد ارتفع عدد المتسكعين العاطلين عن العمل في ألمانيا الاتحادية ما يقرب من ٨٠ ألفًا، وفي كولونيا يوجد ٣٥٠٠ متسكع يتجولون سكارى.

*** في الفاتيكان:**

زادت حالات الإدمان بين القساوسة ورجال الدين حتى أن الأب

«جوزيف ماكنمارا» رئيس رهبان الروح الأقدس في الفاتيكان وجه إنذارًا في هذا الصدد عند اجتماعه مع رؤساء الكنائس.

*** وفي إيطاليا:**

ينتشر الخمر بشكل ذريع وخاصة النبيذ الأحمر الخام وينتشر بينهم مرض «مار شيافاقا بيجنامي» الخطير بسبب تناولهم لهذا النبيذ، ويصاب معظم هؤلاء المرضى بالغيبوبة التامة خلال أشهر قلائل منذ بدء الأعراض ثم يتوفون[١].

*** فرنسا المدمنة:**

لا تكاد تجد بيتًا خاليًا من الخمر، وهو مقدم على الماء على المائدة.

✍ نقلت إحدى وكالات الأنباء عام ١٩٥٦م أن معهد الإحصاء القومي في فرنسا قرر أن الخمور بدأت تقتل من الفرنسيين أكثر مما يقتل مرض السل، وفي عام ١٩٥٥م مات ١٧ ألف فرنسي من الخمر بينما لم يمت من السل سوى ١٢ ألف فرنسي في نفس السنة[٢].

✍ «وفي فرنسا أيضًا أجريت إحصائية في إدمان النساء للخمور فتبيّن أن هناك امرأة واحدة من بين أربعة مدمنة للخمر مقابل امرأة من بين عشرين في سنة ١٩٦٠م» فما ظنك في عامنا هذا.

وجاء في الإحصائية أن نسبة الوفيات نتيجة إدمان الخمر قد ارتفعت في العشرين عامًا الماضية حتى أصبحت ثلاثة أضعاف ما كانت عليه من قبل.

---

(١) «الخمر بين الطب والفقه» للدكتور محمد علي البار ص(٨٣).
(٢) «المجتمع» (٦/ ٢٣).

*** وفي كندا:**

نشرت صحيفة «ستار فينكس» التي تصدر في «ساسكاتون» ثاني أكبر مدن «ساسكا جوان» في عددها ٢٨٤ للسنة الخامسة والسبعين بتاريخ ٢١ سبتمبر ١٩٧٧م مقالاً بعنوان «نصف طلبة المرحلة الثانية عشرة مصابون بآفة الخمر» جاء في هذا التقرير الذي قدمه مجموعة من الدكاترة والأساتذة أن نصف طلبة المرحلة ١٢ في «ساسكا جوان» مدمنون للخمر.

فأين ذهبت العقول؟ وأين ذهبت علومهم؟!!

*** الغرب والمخدرات:**

انخدع الناس بلمعان الحضارة الغربية وبريقها، حتى تعشقوها وتمسكوا بأهدابها، وصار حجّهم إلى أوربا مقدم على حج البيت الحرام.

وأغرب من هذا أن يأتي رجل كبير في قومه يعتبرونه رائد الأدب العربي المعاصر فيقول: «إنه لا سبيل لنا في التقدم والرقي إلا اتباع الحضارة الغربية بجميع أمورها حسنها وسيئها حلوها ومرها» أي أن التقدم مرتبط بالسفور والخمور كارتباطه بالمخترعات، فهل من عاقل يصدق هذا؟! هذه والله خيانة ما بعدها خيانة.

الغرب اليوم يرزح تحت ضربات المخدرات والخمور الموجعة، وقد سقط في هاوية سحيقة، ولا يستطيع النهوض من كبوته.

✍ في أمريكا في الأربعينات عدد مدمني الخمر سنويًّا (٤٢,١) مليون.

✍ الذين يتعاطون المخدرات سنة ١٩٧٨م ٤٩٪ من الشعب الأمريكي.

✍ اكتشف مؤخرًا في بريطانيا أن عددًا كبيرًا من الآباء وبالذات

الأمهات يعطون أطفالهم مخدرات لم يسمح بها الأطباء. وقد اكتشفوا مؤخرًا أن بعض الأطفال في مناطق سكنية معينة تخدرهم أمهاتهم كل ليلة حتى يناموا.

✍ وأكثر المخدرات انتشارًا في بريطانيا «الهيروين».

وقد كتب «ديف تيريز» وهو من اللجنة الدائمة لسوء استخدام المخدرات في لندن: «إن كثيرًا ممن يتعاطون الهيروين تتعرض صحتهم لخطر بالغ عندما لا يستطيعون توفير جرعتهم اليومية، وإن كل مدمني الهيروين تقريبًا يموتون قبل أن يبلغوا الثلاثين»[1].

✍ يقول خبراء من أمريكا وإيطاليا: إنّ ٦٠٪ من الهيروين الذي يصل إلى الولايات المتحدة يجري تصنيعه في معامل تديرها «المافيا» في صقلية وتصل قيمة هذه التجارة إلى حوالي ٦ بليون دولار سنويًا أي ٤٪ من مجموع الدخل القومي الإيطالي.

❑ قال أحد علماء النفس في أمريكا: «ليس لحياة الشباب الأمريكي هدف، فهم يعيشون مترفين، وكل شيء متوفر لهم، ليس هناك ما يشغلهم ويملأ فراغهم، فيتطلعون إلى شيء يملأ هذا الفراغ الهائل في حياتهم، فيتجهون للمخدرات والمسكرات»، وقال: «إنه لا يعتقد أن لهذه المشكلة أي حل، فإنها ستستمر حتى تفتك بشباب أمريكا».

✍ والفتيات في أمريكا يجمعن من الدعارة لينفقن على المخدرات.

✍ ومن الحقائق الملفتة للنظر من خلال الإحصائيات الجامعية أن نسبة المتعاطين للمخدرات ٥٢٪ في جامعة لوس أنجلوس[2].

---

(١) المجتمع (٥٨١/ ٣٤).

(٢) المجتمع (٩٨/ ٢٤).

✍ كما أجريت إحصائيات في المدارس من أدنى مرحلة إلى أعلاها في أمريكا فكانت النتائج في مدرسة ثانوية تضم ألف طالب أن ما بين ٧٠ ـ ٨٠٪ منهم قد جرّبوا المخدرات، وأن ما لا يقل عن ٥٪ من الطلبة مدمنين للمخدرات، علمًا بأن المدراس الثانوية لا تعادل شيئًا بالنسبة للجامعة[١] .

✍ وبعد عشر سنين فقط جرى إحصاء مماثل فتبيّن أن ٦٠٪ من طلاب المدارس والمعاهد في لوس أنجلوس يتعاطون المخدرات مرتين أو ثلاثة مرات أسبوعيًّا[٢] .

✍ وتبعًا للدراسات التي قام بها قسم الدراسات والأبحاث الاجتماعية في جامعة «يتسفن» فقد تبيّن أن نسبة تعاطي المخدرات عمومًا في أمريكا بلغت ١٩٪ عام ١٩٧٥، وفي عام ١٩٧٨ ارتفعت لتصبح ٤٩٪.

✍ وحتى الجيش الأمريكي سينهار حتمًا بسبب المخدرات:

فقد تبيّن أن الماريجوانا خاصة والمخدرات عامة انتشرت بين الجنود، أثناء حرب فيتنام، فقد بلغت نسبة مدمني هذا المخدر بين الجنود ٨٥٪[٣] .

✍ وذكرت صحيفة التايمز البريطانية أن جنديًّا واحدًا على الأقل من القوات الأمريكية المرابطة في بريطانيا يطرد من الخدمة العسكرية يوميًّا

---

(١) المجتمع (٥٨/ ٣٠).
(٢) المجتمع (٦٠٢/ ٣٤).
(٣) المجتمع (٤٨/ ٣).

ويُعاد إلى بلاده بسبب تعاطيه المخدرات، وأضافت الصحيفة أن هؤلاء الجنود يعملون على أسلحة نووية[١] .

أي دمار نجنيه من وراء الغرب.. من يدري أن هذا الجندي المدمن قد يقتل الملايين من الناس، وهو لا يدري؟

✍ يصل عدد الذين يتعاطون المخدرات في أمريكا ٩٦ ـ ٩٧ مليون نسمة، وأنها تكلّف الاقتصاد الأمريكي خسارة تُقدّر بـ ١٥ مليار دولار في العام الواحد[٢]

✍ كوكايين، وهيروين وماريجوانا هكذا على الترتيب أشهر المخدرات في أمريكا، وفي ألمانيا ومن خلال إحصائية أعدها ثلاثة أطباء في مستشفى الأمراض العصبية الجامعي في بون، من استطلاع أجري بين الطلبة تبيّن أن واحدًا من كل خمسة طلاب يتعاطون المخدرات.

✍ ونختم كلامنا عن المخدرات بهذه الحقيقة المذهلة:

في تقرير اللجنة الدولية للمخدرات التابعة لهيئة الأمم المتحدة ذُكر أنه يوجد في العالم الآن ما يزيد عن ٣٠٠ مليون مدمن للحشيش، وهذا العدد يتركز بصورة خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية وأوربا وأمريكا اللاتينية وبعض دول آسيا وأفريقيا[٣] .

* * *

(١) المجتمع (٦٦٤/ ٣٤).
(٢) المجتمع (١٥٧/ ٣٠).
(٣) المجتمع (٦٢٧/ ٣٢).

* الإباحية في الغرب:

أما الإباحية في الغرب فحدِّث عنها ولا حرج:

✍ ففي نيويورك (١٢٠٨٢٩) عملية إجهاض سنة ١٩٧٤م بنسبة (١١٣٨ : ١٠٠٠) إجهاض : ولادة و٦٧٪ من المجهضات غير متزوجات.

«ونقل المودودي ـ رحمه اللَّه ـ عن دائرة المعارف البريطانية أنه في الأربعينات كان ٩٠٪ من الشباب الأمريكي مصابًا بالزهري، و٦٠٪ من الشباب الأمريكي مصابًا بالسيلان، و٤٠٪ من الشباب الأمريكي مصابًا بالبرود الجنسي، وقد كنت أحتفظ في جيبي بصور لأحد الشباب الأمريكي عمره في الحادية والعشرين تزوج جدته!! وعمرها (٧٧) سنة، وعقدت لهما عقدهما الكنيسة في قرية قرب لوس أنجلس!!

وقد صرّح كيندي سنة ١٩٦٢م أن: ٨٥,٧٪ من الشباب الذين يتقدمون للجندية غير صالحين؛ لأن الشهوات التي غرقوا فيها أفسدت لياقتهم الطبية ـ إن مستقبل أمريكا في خطر»[1].

✍ إن فرويد ومن ورائه الصهيونية العالمية واليهود السبب البعيد والقريب في تفجير الشذوذ الجنسي في أوربا وأمريكا.

✍ «نشرت جريدة: «أُف ذي ورلد» تحت عنوان «نادي تبادل الزوجات أفجع أمريكا» ـ على لسان مندوب الصحيفة ـ: أن نادي «دع الزوجات يتبادلن» في «ساكرا منتو» عاصمة كاليفورنيا في تزايد، وقد أعلن مكتب النائب العام أن تبادل الزوجات ليس خروجًا على القانون،

---

(١) «الإسلام ومستقبل البشرية» للدكتور عبد اللَّه عزّام ص(٢٧ ـ ٢٨).

ولا مخالفًا لمادة من مواد العقوبات في ولاية كاليفورنيا»[1] .

✍ إن عدد الأطفال الذين يهربون من منازلهم سنويًّا مليون طفل، وأكثر من ربع هؤلاء لا يعودون إلى منازلهم أبدًا.

✍ تواجه السلطات في نيويورك والمدن الكبرى الأخرى مشكلة إيواء أكثر من ٢ مليون مشرد وصرّح عمدة مدينة «ليك سيتي» «بتروبلسون» في كلمته أمام لجنة الكونجرس التي انعقدت بخصوص ظاهرة التشرد الحالية «أن البلاد تواجه كارثة قومية».

وهؤلاء المشردون إباحيون يجتمعون لتعاطي المخدرات والجنس الرخيص.

✍ في إيطاليا تمارس مهنة الدعارة مليون امرأة إيطالية[2]

✍ في أمريكا عدد المراهقات التي احترفن الدعارة ٦٠٠,٠٠٠ مراهقة، وقد زادت نسبة الموقوفات من أجل الدعارة من الفتيات من ٢٤٪ ـ ٧٤٪ في العشر سنوات الماضية، وقد تألفت جمعيات نسائية تدافع عن البغايا كلما فكّرت حكومة ولاية من الولايات الأمريكية بالحد من نشاطهن. وامتد البغاء إلى الأطفال، فهناك تجارة واسعة وحرفة منظمة لشراء الأطفال من أجل البغاء.

❑ قال «جوزيف ريد»: هناك مأساة إنسانية حساسة خلف السوق السوداء لبيع الأطفال، والتي يباع فيها حوالي ٥٠٠٠ طفل سنويًّا بأسعار تتراوح ما بين ١٠ ـ ٢٥ ألف دولار وأكثر بائعي الأطفال هم المحامون،

---

(١) المجتمع (١٢٨/ ٢٥).

(٢) المجتمع (٦١٥/ ٣٢).

والمفروض فيهم الدفاع عن الحقوق الإنسانية.

✍ في تحقيقات بارعة نشرتها الديلي ميل عام ١٩٧٠ ذكرت أن الإحصائيات تدل على أن ما يقرب من ٨٠٪ من الرهبان والراهبات ورجال الكنيسة يمارسون الزنا، وأن ما يقرب من ٤٠٪ منهم يمارس الشذوذ الجنسي أيضًا.

✍ وقد أباحت كثير من الكنائس الغربية الزنا، كما أباحوا اللواط، وفي بعض الكنائس في أمريكا يتم قران الرجل على الرجل على يد القسيس.

✍ الكاردينال الفرنسي المشهور روتشيلو كان مصابًا بمرض الزهري، ونشرت مجلة «النيوزويك» في عددها الصادر في ١/ ٧/ ١٩٧٤ أن أحد كبار كرادلة فرنسا مات وهو في أحضان إحدى العاهرات في باريس.

وقد نشرت مذكرات إحدى العاهرات في فرنسا فجاء فيها أسماء ثلاثة بابوات وأحد عشر كاردينالاً[1].

✍ نشرت مجلة «نوفيل أوبسير فايتر» الفرنسية في عددها ١٦/ ١٢/ ٨٠م مقالاً مطولاً عن الدعارة والعهر المنتشر في فرنسا كصناعة متعددة الأشكال، فكان مما ذكرته أن الدعارة أصبحت توفر العمل لحوالي ٣٠ ألف فتاة، وتدر أرباحًا طائلة تحصل الدولة فيها على نصيب الأسد.

وبحديث الأرقام تصل مكاسب الدعارة السنوية إلى ثلاثة بلايين فرنك فرنسي في مدينة «بوردو» وحدها.

✍ وتكسب الدعارة سنويًّا بليون ونصف فرنك في مدينة

---

(١) المجتمع (٦٤٨/ ٣٦).

«جرينويل»، وفي مدينة مرسيليا تكسب ستة إلى سبعة بلايين فرنك. وفي منطقة «أزير» تكسب ثمانية بلايين.

✍ كولومبيا وتايلاند مصدر لتجارة الرقيق من الأطفال يُصدرون إلى أوربا والولايات المتحدة للأغراض الجنسية.

✍ أما اللقطاء ففي الدانمارك وصلت نسبة الأطفال اللقطاء إلى ٣١,٧٪ من مجموع الولادات في عام ١٩٨١.

✍ في سنة ١٩٧٥ بلغت نسبة ولادة غير المتزوجات إلى ٤٤٧,٩٠٠ حالة ولادة.

✍ في ألمانيا عام ١٩٧٣ كان نسبة الأطفال اللقطاء سبعة أطفال من كل مائة طفل.

✍ في عام ١٩٨١ ولد في فرنسا نحو ١٠٠ ألف طفل من أمهات عازبات ٢٠٪ منهم في المنطقة الباريسية.

✍ نشر مؤخراً تقرير خطير أعدته الحكومة الأمريكية حول نسبة أبناء السفاح في أمريكا. يقول التقرير: «بأنه بين كل ثلاث زيجات يكون الولد في واحدة منها من الأبناء غير الشرعيين، مع العلم بأن كثيراً من الزيجات في أمريكا تعقد بعد ولادة الولد الأول سفاحاً، ولا تحسب هذه من النسبة المذكورة[(١)].

✍ في السبعينات قامت الحكومة الأمريكية بإحصائية لمعرفة عدد اللقطاء عندهم، فذكرت مجلة «ويبر» الأمريكية أنه يوجد في أمريكا ١٠ ملايين لقيط[(٢)].

---

(١) المجتمع (١٠/ ١٤).

(٢) المجتمع (٢٠٩/ ١٢).

فإذا كان عدد سكان أمريكا ٢٠٠ مليون نسمة، فمعنى ذلك أن في كل ٢٠ شخص يوجد لقيط واحد. هذا في السبعينات!!

✍ نشرت جريدة الشرق الأوسط في عددها الصادر في ٦/ ١/ ١٩٨٠ مقالاً بعنوان «شيء للتفكير» للدكتور محمود زائد جاء فيه:

«أن عدد اللواتي يلدن سفاحًا في سن المراهقة في الولايات المتحدة لا يقل عن ٦٠٠ ألف فتاة سنويًّا بينهن أكثر من ١٠ آلاف فتاة دون سن الرابعة عشرة، وإن إجمالي عدد اللواتي يلدن سفاحًا في سن المراهقة وغيرها أكثر من مليون امرأة سنويًّا، وذلك في الولايات المتحدة فقط حسب إحصائيات عام ١٩٧٩.

✍ بعد صدور قرار المحكمة العليا الأمريكية بإباحة الإجهاض بعشر سنوات اعترف ريغان بأنه أزهقت أرواح أكثر من ١٥ مليون طفل لم يتح لهم أن يولدوا، وهو يعادل عشرة أمثال الأمريكيين الذين لقوا حتفهم في جميع الحروب التي خاضتها الولايات المتحدة الأمريكية[1].

✍ في أمريكا بلغت نسبة الحبالى من تلميذات المدارس الثانوية في إحدى المدن ٤٨٪ حسب إحصاء في مدينة «تفر» عاصمة «كولورادو».

وفيها أصدرت التعليمات إلى جميع مدارس نيويورك بإنشاء غرفة ولادة في كل مدرسة، على أن يدرب اثنان من موظفي المدرسة على أعمال التوليد ريثما يستدعى الطبيب المختص.

وقد بلغ عدد الطالبات الحوامل دون زواج في مدارس نيويورك

---

(١) المجتمع (٦٣٥/ ٣٥).

وحدها ٢٤٨٧ حاملاً عام ١٩٦٩.

وقد صرّح كينيدي عام ١٩٦٣ بأن مستقبل أمريكا في خطر[١].

✍ كيف تقوم لهذه الحضارة قائمة، وفيها حفلات الجنس الجماعي، ونوادي العراة، وكتب ومجلات الجنس الفاضح وسينما الجنس الرخيص الصارخ، والاغتصاب حتى في داخل الكنائس، وزنا الرجل بابنته؟ والكثير من الرجال لا يعرف أبناءه فقد قضى شهوته من الزنا، ثم يغادر بعد ذلك المرأة ليتركها مع ابنتها، والتي قد يلقاها بعد ذلك ولا يعرف أنها ابنته فيسافحها. . كيف لا تسقط مدنية مثل هذه؟ واللَّه إن قوم لوط ليترفعون عن مثل هذا.

✍ في خبر من هيئة الأمم المتحدة نقلته وكالة « آب » يوم ١٩٨١/١١/١٩ قالت مندوبة الولايات المتحدة الأمريكية واسمها «كركبارتريك» أنها وجدت أن المنظمة الدولية متعفنة جنسيًّا أكثر من أي مكان آخر عرفته[٢].

✍ في الثمانينات بلغت نسبة من يعترفن بالخيانة الزوجية إلى واحدة من كل ١١ امرأة متزوجة[٣].

ونسبة من تمارس السحاق والشذوذ الجنسي بين النساء المتزوجات الأمريكيات إلى ٢٥٪ فما نسبتهن في عام ٢٠٠١م؟!

✍ أصيب مليون أمريكي بالسيلان سنة ١٩٧٥ كما ورد في الكتاب

---

(١) المجتمع (٣٨٧/ ٣٩).
(٢) المجتمع (٥٥٢/ ٤٤).
(٣) المجتمع (٣١٠/ ٤٢).

السنوي الموجز الإحصائي للولايات المتحدة لعام ١٩٧٧.

✍والقوباء المرض التناسلي القاتل والمميت يوجد ٢٠ مليون أمريكي مصابون بهذا المرض[1].

✍ومرض الهربس التناسلي السلعة الأمريكية القبيحة المقززة، وهي قاتلة. وقد ارتفعت معدلات العدوى به في الثمانينات إلى ٢٠ مليون.. فما ظنك بالعدد في سنة ٢٠٠٠؟

هذا وجه حضارة الغرب القبيحة.. تطل علينا بوجه المومسات والبغايا وأندية العري والشذوذ وحفلات الجنس الجماعي وتبادل الزوجات ونكاح المحارم.. واللَّه إن هذه الحضارة إلى الزوال فهي ضد النواميس والسنن، وضد الفطرة ﴿**فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا**﴾.

أمريكا الساقطة المنهارة من الداخل

أصدق شيء أن يكتب الأمريكيون أنفسهم عن سقوط حضارتهم وبالأرقام.. ولقد صدرت في ذلك مجموعة من الكتب من أهمها:

الكتاب الأول: كتاب «يوم أن أعترفت أمريكا بالحقيقة» لمؤلفَيْه: جيمس باترسون وبيتر كيم «صدر هذا الكتاب في عام ١٩٩١ م عن دار Plume Book للنشر في مدينة نيويورك ويقع في مائتين وسبعين صفحة، وفيه مقدمة وعشرة فصول، وخاتمة وترجمه إلى العربية دكتور محمد ابن سعود البشر، والكتاب دراسة علمية أجراها الباحثان تناولت واقع

---

(١) المجتمع (٣٩٠/ ٤٧).

المجتمع الأمريكي في كل مجالاته الدينية، والسياسية، والثقافية، والاقتصادية، والإعلامية، وشملت عينة كبيرة من المواطنين الأمريكيين، فهو إذن حقائق علمية تعبّر عن وجهة نظر المواطن الأمريكي نفسه.

*** ومن هذه الحقائق المهولة:**

✍ إن الأمريكان لا يثقون بقيادتهم الدينية أو السياسية، فهؤلاء القادة يكذبون، ويتحرون الكذب.

✍ إن الغالبية العظمى من الأمريكيين (نسبة ٩٣٪) يقولون: إن الناس أنفسهم يقرّرون الشيء الأخلاقي في حياتهم، ٨٤٪ منهم قالوا: إنهم على استعداد لمعارضة تعاليم الديانة المصرية، ونسبة ٨١٪ منهم قد خالفوا فعلاً بعض التعاليم الدينية؛ لأنها خاطئة من وجهة نظرهم. وقال بعض من شملتهم عينة هذه الدراسة إن سلطتهم الشخصية وإرادتهم وأهواءهم هي أعلى من سلطة الإله.

*** الكذابون الأمريكيون:**

نسبة ٩١٪ من الذين شملتهم الدراسة قالوا: إن الكذب أصبح عادة وسلوكًا مألوفًا في حياتهم اليومية، ونسبة واحد إلى خمسة اعترفوا بأنه ليس في استطاعتهم الصبر عن الكذب ولو يومًا واحدًا. وحديثنا هنا هو حول الكذب المتعمَّد.

✍ نسبة ٣١٪ من الأمريكيين المتزوجين لهم علاقات جنسية غير مشروعة، و٦٢٪ من الأمريكيين يعتقدون أن العلاقة الجنسية مع شخص آخر غير الزوج أو الزوجة مباحة.

✍ معدلات الانتحار بين الشباب الأمريكي الذكور أكثر من

معدلات الانتحار في أوربا الغربية بعشرين ضعفًا، وأكثر منها في اليابان بأربعين ضعفًا.

✍ معدلات الاغتصاب في أمريكا تزيد عن مثيلاتها في اليابان وانجلترا وأسبانيا بعشرين ضعفًا.

✍ الأرقام الحقيقية للجريمة في أمريكا تزيد بنسبة ٦٠٠٪ على إحصاءات الجريمة المسجلة رسميًّا لدى الجهات المختصة.

✍ ٦٠٪ من الشعب الأمريكي كانوا ضحية للجريمة في حياتهم، وأكثر من ٢٥٠٠٠ جريمة قتل تحدث سنويًّا في أمريكا. ٣٢٪ من الأمريكيين يشعرون بالخوف من جيرانهم.

✍ نسبة واحد من كل سبعة أمريكيين قد تعرّض للاعتداء الجنسي في طفولته. وكثير من الفتيات الأمريكيات يفقدن بكارتهن قبل سن الثالثة عشرة. ونسبة ٢٠٪ من النساء يتعرضن للاغتصاب من أصدقائهن.

✍ نسبة ٦٠٪ من الأمريكيين يقولون: إن اليابان ستملك أمريكا في القرن القادم.

الكتاب الثاني: «نحن القوة الأولى: أين تقف أمريكا وأين تسقط في النظام العالمي الجديد» لأندرو شابيرو صدر عام ١٩٩٢ وهو كتاب هزّ المجتمع الأمريكي بقوّة أيقظته بفزع من الأحلام النرجسية التي بناها الأمريكيون على أثر انتصارهم في حرب الخليج سنة ١٩٩١، وسقوط الشيوعية بسقوط الاتحاد السوفيتي في العام ذاته.

❑ يقول المؤلف: «ولأن اقتصادنا ينهار، والعناية الصحية أصبحت قضية خطيرة في مجتمعنا، وثقتنا في الحكومة والقادة السياسيين بدأت

تتلاشى، فإن الشعب الأمريكي بدأ الآن يتساءل: هل لا تزال الولايات المتحدة القوة الأولى حقيقة؟».

ثم يجيب المؤلف على هذا السؤال ويقول: الحقيقة هي أننا القوة الأولى، ولكن ليس بالطريقة التي يريد السياسيون والخبراء أن نفكر بها. إن الولايات المتحدة ـ على سبيل المثال ـ هي الدولة الأولى التي تضم عدد كبيراً من المليونيرات، وأصحاب الأموال في العالم، لكن أمريكا ـ أيضًا ـ هي الدولة الأولى التي يعيش أكبر عدد من أطفالها فقراً مدقعًا من بين تسع عشرة دولة صناعية، الولايات المتحدة تحتل المرتبة الأولى أيضًا في الإنفاق على الشئون الصحية، لكنها الأولى في عدد الوفيات والموت الجماعي للأطفال الرُّضّع، الولايات المتحدة دولة غنية، وفقيرة في الوقت ذاته، متقدمة طبيًّا لكن الشعب يعاني من أمراض مزمنة، متقدمة علميًّا لكن الشعب ليس مثقفًا!! وباختصار فإن كثيراً من الشعارات التي نرفعها تناقض حقيقتنا وواقعنا.

✍ وهذا الكتاب يشير إلى الأخطار التي تعصف بالولايات المتحدة ولا نزال نتجاهلها؛ لأننا نعيش نشوة الانتصار العالمي التي من شأنها أن تحجب الحقيقة التي يعيشها المجتمع الأمريكي.

وتعال إلى لغة الأرقام..

✍ إن الولايات المتحدة تضم أكبر نسبة من الأطفال الذين يعانون من الفقر، ويعيشون حياة اقتصادية متردية للغاية من بين الدول الصناعية الرئيسية، نسبة واحد إلى خمسة (١/ ٥) من الأطفال الأمريكيين، ونسبة واحد إلى عشرة (١/ ١٠) من المواطنين البالغين يعيشون في فقر مدقع،

من بين هؤلاء الأطفال نسبة ٤٣,٢٪ من الأطفال السود.

✍ وهناك ما يقارب من ثلاثة ملايين أمريكي لا يجدون لهم سكنًا.

✍ هناك ما يُقارب من ٢٧ مليون أمريكي تنطبق عليهم مواصفات الأمية. وهؤلاء الأميون لا يستطيعون تدريس أطفالهم أو يفهمون إشارات المرور في الشوارع، ولا يستطيعون قراءة البيانات المتعلقة بطلبات التوظيف، هذا بالإضافة إلى ٤٠ مليون أمريكي من ذوي الأعمار المتوسطة يجدون صعوبة بالغة في قراءة الصحف أو الوثائق الرسمية.

✍ مجتمع الولايات المتحدة من أكثر المجتمعات عنفًا وقسوة على وجه الأرض.

❑ يقول هنري وادز ورث: «إن الشباب يأتي مرة واحدة في العمر». أما بالنسبة للآلاف من الأطفال الأمريكيين، فإن الشباب لا يأتي مطلقًا، بل يُسرق بكل عنف وقسوة. إن ما يقرب من ثلاثة أرباع حالات وفاة الأطفال في أمريكا سببها القتل أو جرائم العنف الأخرى.

✍ إن واحدة من كل عشر فتيات أمريكيات بين سن الخامسة عشرة والتاسعة عشرة تصاب بأعراض الحمل نتيجة الممارسة الجنسية غير المشروعة.

✍ الأولى في الإيدز هي الولايات المتحدة.

الكتاب الثالث: «السقوط التراجيدي.. أمريكا عام ٢٠٢٠م» تأليف الجنرال المتقاعد: هاميلتون هوز قائد السلاح الجوي الأمريكي السابق، وقائد قوات الأمم المتحدة في كوريا سابقًا، ومستشار بوزارة الدفاع الأمريكية، وصدر هذا الكتاب في آخر سنة ١٩٩٢ ميلادية.

✍ يقول: ظواهر كثيرة لا نستطيع حصرها فضلاً عن مناقشتها، وكلها تدل على أن المجتمع الأمريكي يسير نحو الهاوية.

✍ في عـام ١٩٩٢ قاربـت ديون الولايـات المتـحدة ما مـجمـوعه ٤٠٠٠ بليون دولار، أي مليون مليون دولار.

وإذا ما استمرت هـذه الزيادة بمعدلاتها الحاليـة فإن ديون الولايات المتحدة سـتصل إلى ما مجمـوعه ١٠,٢ تريليون دولار قبـل حلول عام ٢٠٢٠م، وهي إشارة تدل علـى جسامة الأزمة التي سيمر بـها الاقتصاد الأمريكي، والتي ستجعل من الولايات المتحدة دولة هزيلة ضعيفة.

✍ ويختم الجنرال هـاميلتون هوز كتابه بالفصـل الذي حمل عنوان الكتاب، ويـعرض فيه رأيه بايجـاز عن الوضع السياسـي والاقتصادي، والاجتماعي للولايات المتحدة في عام ٢٠٢٠م.

❑ يقـول: لقد رسمـتُ صورة كئيـبة ومحزنـة لأمريكا مـن خلال فصول هذا الكتاب.. ولستُ الوحيد في الميدان الذي يقول: إن الولايات المتحدة تمرّ بوضع محرج وخطير فـي تاريخها، وأجد نفسي مضطرًا لأن أُردِّد ما قـاله آرثر كـروك: «يساورني خـوف شديد مـن أنّ فترة سـيادة الولايات المتـحدة وبروزها كقوة عظمـى ووحيدة في العالم سـتكون من أقصر الـفترات في التـاريخ»، ويقول لـورانس جولد: «أنا لا أعـتقد أن الخطر الأكبر الذي يهدّد مستقبلنا يـتمثّل في القنابل النووية أو الصواريخ الموجّـهة آليًّـا، ولا أعتقد أن نهاية حضارتنـا ستكون بهذه الطريقة، إن الحضارة الأمريـكية ستزول عندما نـكون عديمي الاهتمام وغيـر مبالين، وعندما تموت العزيمة على إبقاء الشرف والأخلاق في قلوب الرجال، وما قاله أرنولد تونـبي ـ أيضًا ـ في تأكيده على أن: «معـظم الحضارات التي عرفها الإنـسان قد سقطت من الـداخل، ولم تسقط لأن قـوى خارجية استولت عليها».

إن الولايات المتحدة الآن تعيش في حالة غير طبيعية من الاشمئزاز والقرف وخيبة الأمل، وليس السبب في هذا كله الحكومة وحدها؛ بل الشعب ـ أيضًا ـ أسهم وبشكل كبير في هذا الانحدار الخطير. إنه سقوط ولكن من نوع آخر!!!

✍ ونختم بما يشير إلى هذا التصدع الكبير والانهيار الذي لا مثيل له بأن نسبة كبيرة من استطلاع الرأي (٢٩٪) يقولون: إنه في كثير من الأوقات يخالجهم شعور بأنهم دجّالون ومحتالون ومنافقون، ومعنى هذا أن هناك تقريبًا ثمانون مليون دجّال ومنافق ومحتال في أمريكا»[1] .

✍ وأشد من هذا الخطاب الذي أرسله بيل كليتون إلى المظاهرة التي اشترك فيها أكثر من مليون أمريكي أمام البيت الأبيض في ٢٦ من شهر أبريل سنة ١٩٩٣م للشاذين جنسيًا، وقال: «إني أؤيد الكفاح من أجل المساواة بين كل فئات الشعب الأمريكي بما فيهم الشاذون جنسيًا من الرجال والنساء». مدنية مثل هذه ستذهب حتمًا إلى مزابل التاريخ ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾ [ص: ٨٨].

* شهود عقلائهم بسقوط حضارتهم:

حضارة مثل حضارة الغرب هذه تحمل بذور فنائها معها.. ويشهد بنهايتها من هو من جلدتهم.

❑ فها هو الكاتب «جيمس جي كيلتريك» يقول: «كثير من الفضائل القديمة كما يسمونها كالطهارة والعفّة والشفقة وكبح النفس عن

---

(١) «السقوط من الداخل» ـ ترجمة ودراسات في المجتمع الأمريكي للدكتور محمد بن سعود البشر ـ دار العاصمة.

الشهوة الجنسية بخاصة، فقدت مكانتها من الاحترام التي كانت تحتلها في الأخلاق الأمريكية، وفي مقابل هذه الفضائل أو القيم استبدل المجتمع الأمريكي قيمًا أخرى، أو أصبح بلا قيم»، ويختم الكاتب مقاله بقوله: «ليس واحد من هذه التغييرات الضرورية دليلاً على دنوّ شمس الإمبراطورية الأمريكية على الغروب، ولكنها بلغة القدماء أبطأ مما كنا نظن».

✍ وانظر إلى النذر والصيحات بقرب سقوط حضارة الغرب، وقد ألفت في ذلك الكتب الكثيرة مثل كتاب «سقوط الحضارة» لكولن ولسن، و«تدهور الغرب» لاشبنجلر و«رواية الساعة الخامسة والعشرون» للروسي «كونستيان جيورجو»[١].

✍ وقد ألقى المفكر الروسي «سولجنتسين» بعد طرده من روسيا خطبة في جامعة هارفورد في الولايات المتحدة الأمريكية، وبيّن لهم عوار حضارتهم صراحة كما سبق له أن نقد الشيوعية وبيّن عوارها.

✍ من الذين كتبوا أيضًا في بيان سقوط الحضارة الغربية «دالاس» وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية السابق في كتابه المشهور «حرب أم سلام».

✍ **أخي:**

هل وجد الغرب سعادته؟ هل وجد الطمأنينة؟ هل وجد السلام؟ كلا.

لقد وجد الشقاء والقلق والخوف.. والأمراض العصبية والنفسية، والشذوذ والجريمة على أوسع نطاق.

---

(١) المجتمع (٢٦٧/ ٤٣).

✍ وحين تُقاس غاية الوجود الإنساني، وأهداف الحياة الإنسانية في ذهن الرجل المعاصر إلى التصور الإسلامي في هذا الجانب تبدو هذه الحضارة في غاية القزامة! بل تبدو لعنة تحطّ من تصور الإنسان لنفسه ومقامه في هذا الوجود، وتسفل به، وتصغّر من اهتماماته وأشواقه! والخواء يأكل قلب البشرية المكدود، والحيرة تهزّ روحها المتعبة.. إنها لا تجد اللَّه.. لقد أبعدتها عنه ملابسات نكدة.

✍ العلم الذي كان من شأنه ـ لو سار تحت منهج اللَّه ـ أن يجعل من كل انتصار للبشرية في ميدانه خطوة تقربها من اللَّه، هو ذاته الذي تبعد به البشرية أشواطًا بسبب انطماس روحها ونكستها.. إنها لا تجد النور الذي يكشف لها غاية وجودها الحقيقية، ولا تجد المنهج الذي ينسِّق بين طاقاتها وقواها، وآخرتها ودنياها.

✍ إننا نرى واقع البشرية النَّكد، ونشم رائحة المستنقع الآسن الذي تتمرّغ فيه. ونرى هنالك على الأفق الصاعد راية النجاة تلوح للمكدودين في هجير الصحراء المحرق، والمرتقى الوضيء النظيف يلوح للغارقين في المستنقع، ونرى أن قيادة البشرية إن لم تُردّ إلى هذا المنهج فهي في طريقها إلى الارتكاس الشائن لكل تاريخ الإنسان، ولكل معنى من معاني الإنسان.

* الحضارة الغربية بدّلت نعمة اللّه كفرًا وهذه عاقبتها المنكودة:

مزالق ومزالق هي حضارة الغرب، لا تطمئن لنور اللَّه، وكفرت وبدّلت نعمة اللَّه فأصابها العقاب الشديد في حياتها على الأرض وعقاب

الآخرة أشد وأنكى. وهـا هي ذي حضارة الغرب المنكودة الطـالع تعاني العقـاب الشديد، وتجد الشـقوة النكدة، وتعـاني القلق والحيـرة، ويأكل بعضـها بعضًا، ويـأكل الفرد منـها نفسه وأعـصابه، ويطاردهـا وتطارده بالأشباح المطلقة، وبالخواء القاتـل الذي يحاول المتحضرون أن يملئوه تارة بالمسكـرات والمخدرات، وتارة بالحركات الحائـرة التي يُخيّل إليـك معها أنهم هاربون تطاردهم الأشباح!

ونظرة إلـى رقصاتهم المجـنونة، وأغانيـهم المحمومة، وأوضـاعهم المتكلفة وأزيائـهم الصارخة وبعض الحفلات والمناسبـات، ومحاولة لفت النظر بالشذوذ الصارخ، أو ترضية المزاج بالتميّز الفاضح..

✍ ونظرة إلى صورهم فـي الأوضاع العجيبة المتكلّفـة التي يظهرون بها: من مائلـة برأسها، إلى كاشفة عن صدرها، إلى رافـعة ذيلها، إلى مبتدعة قـبعة غريبة على هيـئة حيوان؛ إلى واضع رباط عنـق رسم عليه تيتل أو فيل! إلى لابس قميص تربّعت عليه صورة أسد أو دُبّ كل ذلك يكشف عن الحيرة الـقاتلة التي لا طمأنينة فيـها ولا سلام، ويكشف عن حالة المـلل الجاثم الـتي يفرون منـها، وعن حالة الـهروب من أنفـسهم الخاوية وأرواحهم الموحشة، كالذي تطارده الجِنّة والأشباح.

* وصدق اللَّه تعالى إذ يقول: ﴿**وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾.

* وصدق اللَّه تعالى إذ يقول: ﴿**أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ**﴾ [آل عمران: ٨٣].

الفطرة البشرية في أصلها متناسـقة مع ناموس الكون، مُسْلِمة لربها

إسلام كل شيء، فحين يخرج الإنسان بنظام حياته عن ذلك الناموس لا يصطدم مع الكون فحسب، إنما يصطدم أوّلاً بفطرته التي بين جنبيه فيشقى ويتمزق، ويحتار ويقلق، ويحيا كما تحيا البشرية النكدة الضالة اليوم في عذاب من هذا الجانب ـ على الرغم من جميع الانتصارات العلمية، وجميع التسهيلات الحضارية المادية!

✍ إن البشرية اليوم تعاني من الخواء المرير: خواء الروح من الحقيقة التي لا تطيق فطرتها أن تصبر عليها.. حقيقة الإيمان، وخواء حياتها من المنهج الإلهي.

إنها تعاني من الهجير المحرق الذي تعيش فيه بعيداً عن ذلك الظل الوارف النديّ، ومن الفساد المقلق الذي تتمرّغ فيه بعيداً عن ذلك الخط القويم والطريق المأنوس المطروق!

ومن ثمّ تجد الشقاء والقلق والحيرة والاضطراب، وتحس الخواء والجوع والحرمان، وتهرب من واقعها هذا بالأفيون والحشيش والمسكرات، وبالسرعة المجنونة والمغامرات الحمقاء، والشذوذ في الحركة واللبس والطعام!

إن هذا الخواء المرير ليطارد البشرية كالشبح المخيف.. يطاردها فتهرب منه. ولكنها تنتهي كذلك إلى الخواء المرير!

وما من أحد يزور هذه البلاد الغنية الثرية حتى يكون الانطباع الأول في حسّه أن هؤلاء قوم هاربون! هاربون من أشباح تطاردهم، هاربون من ذوات أنفسهم، وسرعان ما يتكشّف الرخاء المادي والمتاع الحسي ـ الذي يصل إلى حد التمرّغ في الوحل ـ عن الأمراض النفسية والشذوذ والقلق والمرض والجنون والمخدرات والمسكرات والجريمة وفراغ

الحياة من كل تصور كريم!

✍ إنهم لا يجدون أنفسهم؛ لأنهم لا يجدون غاية وجودهم الحقيقية.. إنهم لا يجدون سعادتهم؛ لأنهم لا يجدون اللَّه الذي إليه يرجعون.

✍ هؤلاء مهددون في كينونتهم الإنسانية.

هؤلاء الحيارى سجناء في قفص من «العلم» يشدّ أقدامهم بالأغلال، فإذا أرادوا الوثوب، كان أقصى وثبتهم قفزة في داخل القفص!، أو سجناء في قفص من «الواقع» يعجزهم عن الاستشراف لما وراءه!

✍ قامت الماركسية على جهالة عميقة بالنفس البشرية وطبيعتها وتاريخها، فضلاً عن الجهالة العميقة بالحقيقة الكونية، وتفسير الكون والحياة، وتحطمت نظريتها العلمية تحت مطارق الفطرة وسقطت في مزبلة التاريخ.

✍ والحضارة الغربية حضارة منبتة عن اللَّه، وعن منهجه.

إنه فصام نكِد، وخواء ينخر في هذه الحضارة.. الخواء الذي تختنق فيه روح الإنسان، وتنهدر فيه قيمة الإنسان، وتنحدر فيه خصائص الإنسان.

✍ إنه الشقاء كل الشقاء أن يصير الإنسان وقودًا للآلة، وعبدًا لها، وتابعًا ذليلاً من توابعها.

✍ إذا رأيناه يهبط في علاقاته الجنسية إلى أدنأ من درك البهيمة.

✍ إذا رأيناه يشقى ويقلق ويتحيّر، ويعاني من القلق والحيرة ما لم

يعانه قط في تاريخه من الشقاء والتعاسة والأمراض العصبية والنفسية والشذوذ والعته والجنون والجريمة.

✍ إذا رأيناه هاربًا من نفسه، ومن المخاوف والقلاقل التي تلفه بها الحضارة المادية.

✍ إذا رأيناه هائمًا على وجهه، يقتل سآمته وملله، بما يقتل به روحه وجسمه وأعصابه من المكيفات والخمور، أو ما يشبه المكيفات والخمور من الأفكار السود، ومذاهب اليأس الكابي والقنوط المبلس والضياع الأليم، كما في «الوجودية» وغيرها من مذاهب الفكر التعيسة.

✍ إذا رأيناه يئد نسله، أو يبيع أولاده، ليشتري بهم ثلاجات وغسالات كهربائية.

انحدار وشقاء وتعاسة.

انتهى دور الرجل الأبيض بعد أن ذاق من المتاع الحسي وكل ضروب المتاع ما ذاق، وأضحت به فاقة لا يسدها الطعام، ولا يرويها الشراب، ولا يكفيها الكساء، فاقة إلى عالم أكبر من المحسوس، ومجال أكبر من الحياة الدنيا، فاقة إلى الوئام بين ضميره وواقعه، وئام بين منهج حركته ومنهج حركة الكون من حوله.. فاقة إلى اللَّه.

✍ إن هذه الحضارة تدلف إلى الهاوية، مقودة بسلاسل هذه المادية البرّاقة، وهي في كل لحظة تقترب من الهوة الرعيبة، ولا منقذ لها إلا الإسلام الذي يحاربه أعداء البشرية في كل مكان على وجه الأرض.

✍ هذه الحضارة اللادينية الفتّانة تجلب فتنًا وتعيد اللات والعزى إلى أرضنا في ثوب جديد.. إن القلب يعمى بتأثير سحرها، وإن الروح

تموت عطشًا في سرابـها، إنها تقضي على طهارة القـلب، بل إنها تنزع القلـب من القالب، إنـها لص قد تمرّن عـلى اللصوصـية، فيُغير نهارًا وجهارًا، إنها تدع الإنسان لا روح فيه ولا قيمة له.

لم يكن فـي ربوعها من يُمثـل دور موسى فيتشـرف بالكلام، ولا مثل إبراهيم فيحطم الأصنام، ويحول النار إلى برد وسلام.

إنهـا حضارة لا شأن لـها إلا «بالمـعدة والبـطن»، وديانة مـاركس مؤسسة على مساواة البطون.. أجسام ناضرة وقلوب مظلمة فاجرة كافرة إن هذه الحضارة الـتي أشرفت على الموت لا تـستطيع أن تحيـي غيرها. وكذلك دعـاة التنوير الـذين جاءوا إلى بلادنـا بأكواب فارغة، وبـضاعة مزجاة في العلم والفكر.

إن البحث عن بـرق جديد في هذا السحاب عـبث وإضاعة وقت، فقـد تجرّد هذا الـسحاب الجـهام عن البـرق القديم، فـضلاً عن الـبرق الجديد.

✍ ليس إلا الإلحـاد والنزعات السـافلة وتخـانيث المدنيـة الأوربية، جزّارون ما تـدعهم روح الجزار ولا طبيـعته، جراد إنسانـي لا يغزو إلا لبطنه، غلاظ الأكباد، خربت أنفسهـم من إيمانها، فإذا هي محاربة لكل ما في الكون مـن طهر ونور، فرمت في كل شـيء بروح الدم والأشلاء والقبور والتعفن والبلى..

✍ أهل الغرب عباد الظلام، وجراد منتشر همج رعاع تريد أن تجعل من دنيا المسلمـين خرابًا يبابًا وقاعًا صفصفًا، عبـثوا بالرؤوس والجماجم والأنفس والأرواح، دوّخوا الإنسـانية مرة بألسنتهـم ورماحهم، وأخرى

بأقدامهم ونعالـهم، مزّقوا رداء الإنسانية، وهتكوا ستـر الحشمة، ولباس الكرامة، وفضحوا الإنسان مراراً وتكراراً.

قالوا لنا الغرب قلت صناعة ... وسياحة ومظاهر تُغرينا
لكنه خاو من الإيمان لا ... يرعى ضعيفًا أو يسرّ حزينًا
الغرب مقبرة المبادئ لم يزل ... يرمي بسهم المغريات الدينا
الغرب مقبرة العدالة كلما ... رُفعت يدٌ أبدى لها السكينا
الغرب يحمل خنجراً ورصاصة ... فعلامَ يحمل قومنا الزيتونا؟
كفر وإسلامٌ فأنّى يلتقي ... هذا بذلك أيها اللاهونا؟
أنا لا ألوم الغرب في تخطيطه ... لكن ألوم المسلم المفتونا
وألوم أمتنا التي رحلت على ... درب الخضوع ترافق التنينا

✍ الغرب اليوم في مثل ليل حوشي مظلم اختلط بعضه ببعض، وتحتاج الإنسانية إلى معنى يقود إنسانها غير الحيوان الذي فيه.

❑ ولله در القائل:

سقط الغرب في الجريمة حتى ... رسفت في جحيمها الأبدان
فالظلام الكثيف جنس وخمر ... والنهارات كلها غثيانُ
ونساء ما مثلهنَّ رجال ... ورجال ما مثلهم نسوانُ
واستبدّت بهم صنوف المخازي ... فاسألوهم إن تنطق الأدرانُ
صور تبعث الغثاثة في النفـ ... ـس وينبو عن مثلها الإنسان
فسدت فيهم الطباع فهذا ... ثُعلبان وهذه ثعبانُ[1]

---

(١) من قصيدة «نحن إسلامنا عظيم عظيم» لمحمود مفلح من ديوان «إنها الصحوة» ص(٣٥).

✍ في الغرب يتعاون الكل على تحطيم الحواجز الأخلاقية، وعلى إفساد الضوابط الفطرية في النفس الإنسانية، وعلى تزيين الشهوات البهيمية، وعلى إهاجة السعار الجنسي بشتى الوسائل، وعلى ترذيل المشاعر الفطرية السليمة التي تشمئز من الشهوات العارية، وعلى تمجيد هذه الشهوات وتمجيد العري العاطفي والجسدي.

حرية مقنّعة؛ لأنها في حقيقتها خضوع وعبودية للميول الحيوانية والانتكاس إلى عالم البهيمية أو أضل.

قلوبٌ يا أخا الإسلام غلفٌ وتيه الجاهلية أي تيه؟!!

▫ يقول الشيخ سيد قطب:

«مع أن هذا الانطلاق البهيمي ينتهي دائمًا بتدمير الحضارة وتدمير الأمة التي يشيع فيها ـ كما وقع في الحضارة الإغريقية والحضارة الرومانية، والحضارة الفارسية قديمًا ـ وكما يقع اليوم في الحضارة الأوربية وفي الحضارة الأمريكية كذلك، وقد أخذت تتهاوى على الرغم من جميع مظاهر التقدم الساحق في الحضارة الصناعية، الأمر الذي يفزع العقلاء هناك، وإن كانوا يشعرون ـ كما يبدو من أقوالهم ـ بأنهم أعجز من الوقوف في وجه التيار المدمر.

مع أن هذه هي العاقبة، فإنهم يندفعون إلى الهاوية، ويَقْبلون أن يفقدوا حرياتهم الإنسانية كلها أحيانًا، ولا يقبلون أن يقف حاجز واحد في طريق حريتهم البهيمية وحق الانطلاق الحيواني.

وتدمير هذه الحضارة هو العاقبة المؤكدة، التي توحي بها كل تجارب البشرية السابقة، مهما بدا من متانة هذه الحضارة، وضخامة الأسس التي

تقوم عليها، فالإنسان بلا شك هو أضخم هذه الأسس، ومتى دُمّر الإنسان، فلن تقوم الحضارة على المصانع وحدها، ولا على الإنتاج»[1].

✍ ماذا فعل العلم للغرب بلا إيمان؟!

فيا أسفًا ليس للغرب منه ... سوى حيرة في دياجي الفِكَرْ
يسوق الرزايا ويهدي المنايا ... إلى الخلق في علمه المبتَكَرْ
وبين الصدور تلين القلوبُ ... وفي صدره قطعة من حجَرْ
تنبَّهْ لهذا الدخيل الذي ... تفرّ الثعالب من مكرِهِ
وإذْ ما مررتَ على حانهِ ... تعوّذ بربك من مكرهِ
فمن ذاق خمرته لم يَعُدْ ... إلى داره بل إلى قبره

* الغرب بلا حدود ولا قيود ولا أمل:

كتبت صحيفة «الأخبار» في ١٢/ ٢/ ١٩٦٠ في «أخبار الأدب» تحت عنوان «الأفيون والقرف»: «البوليس في أمريكا اعتقل عشرات الأدباء والشعراء من «جمعية الأدباء الساخطين»، ولم يكن السبب هو الاعتراض على آثارهم الفنية، بل على سلوكهم الاجتماعي، على تعاطيهم الأفيون، ودفاعهم عن المخدرات بصفة عدائية، وعلى أثر اعتقالهم أصدر «ويليام روراك» من الأدباء الساخطين ما يلي: «إن الحياة طعمها مرّ، وإن الناس في تعب دائم، وإنه لا وسيلة للهرب من «القرف» إلا الاستسلام للأحلام السعيدة، وكسل لذيذ».

مَنْ لإنسانية منهوكةٍ
قد غذاها الغرب سُمًّا حنظلا

---

(١) «الظلال» بتصرف (١/ ٦٠٢ ـ ٦٠٣).

يتلظّى الحرّ مِنْ لأْوائِها
ويعيش العبد فيها ثملا
آلةً أو حيوانًا خانعًا
تائه الذات شقيًّا غافلاً
هل لها مِن مُنجدٍ يُنقذها
يركب الصعب غيورًا باسلاً
شمر الساعد وادْأب، فبنا
عَلْقم الغرب سيغدو عسلاً

* * *

وكتب أنيس منصور تحت هـذا العنوان: «هذا الجيل بلا حدود ولا قيود ولا أمل» يقول: «هذه عبارة الكاتب الفرنسي «شارل موليه» في الجزء الثالث من كتابه عن «أدب القرن العشرين والمسيحية» في ٥٠٠ صفحة، وهو في هذا الكتاب بأجزائه الثلاثة لا يُدافع عن المسيحية، ولا يهاجمها، ولكن يجعلها حائطًا كبيرًا ترجع إليه الحضارة الغربية في محنتها الروحية، وهذا الكتاب هو أحسن الكتب وأشملها عن أدب القرن العشرين، فلم يظهر كتاب شامل عن أدب القرن العشرين إطلاقًا، وإنما كل الكتب التي صدرت هي دراسات خاصة مطولة عن كثير من هؤلاء الأدباء.. ولكن هذه الدراسات الموضوعية قد انفرد بها صابرًا مجتهدًا «شارل موليه».

والجزء الثالث هذا قد تناول فيه الآثار العميقة لكل من مالرو، وكافكا، وفركور، وشولوخوف، ومولنيه، وبومبار، وفرانسوار ساجان،

ولاديستاس ريمون، ومن رأي المؤلف أن الفيلسوف السياسي الموسيقار الطيّار أندريه مالرو هو الذي وضع أصابعه على الخطر الذي ينتظر الإنسانية، فهو وحده الذي أدرك منذ أكثر من ربع قرن محنة الروح الأوربية، ومالرو هو الذي نفث روح القلق والأسى في الأدب الفرنسي والأوربي بعد ذلك.

والغريب في هذا الجزء الثالث ما قاله المؤلف عن الأديبة الفرنسية فرانسواز ساجان التي صدرت لها قصتان هما: «مرحبًا أيها الحزن».. و«ابتسامة ما» هو يرى أن ساجان قد سجّلت روح اليأس والمرارة واللامبلاة والتواكل، تلك الروح التي عبّر عنها سارتر في أعقاب الحرب الأخيرة، والذي يتذكر ما قاله سارتر في الأعداد الأولى من مجلة «العصور الحديثة» يجده يصرخ ويقول: «لقد انتهت الحرب في فرنسا الجائعة، ولكن السلام لم يبدأ، إننا نعيش في محنة ما بين الحربين. لقد كذب هؤلاء الذين قالوا: إن السلام من طبيعة الأشياء، وإن الحرب مسألة عارضة.. فما هذا الذي نحن فيه؟ إنه الحرب والسلام معًا. إنها المحنة دائمًا»!!

وهذا الذي قاله سارتر في قصصه وكتبه إنما هو تعميق للإحساس بالمأساة واليأس والمرارة، وقد عبّر عنه الشاعر الألماني «بروشرت» الذي توفي سنة ١٩٤٧، فقال في قصته «أمام الباب»: «نحن جيل بلا رابط ولا عمق. عمقنا هو الهاوية، نحن جيل بلا دين ولا راحة، شمسنا ضيّقة، حبنا وحشية، وشبابنا بلا شباب، إننا جيل بلا قيود ولا حدود ولا حماية من أحد.

وكان لا بد أن تظهر هذه الصورة الشابة المعذَّبة في طلبة الجامعات

والمدارس وأعماق الأديرة. ومن هذه الأديرة، ومن الرهبانية القائمة، خرجت فرانسواز ساجان لتُعلن في قصتها: «إنني لا أفكر، ولا أستطيع، ولا أطيق أن أبقى وحدي، ولا أريد لأحد أن يكون كذلك، وأريد أن أعيش مثل شيء جديد، ولو كان فيه عذاب. المهم أن أكون جديدًا».

وكذلك فعلت «سيسيل» بطلة قصة «مرحبًا أيها الحزن»، و«دومنيك» طالبة الحقوق وبطلة قصة «ابتسامة ما».

سيسيل ودومنيك صورتان لأبناء هذا الجيل الذي يتحرك، ويتألم ويروح ويجيء ويحارب ويصرخ في الظلام بلا حدود ولا قيود يؤمن بها، ولا أمل في أن يكون لديه أمل»[1].

* صيحات من الغرب:

يطلقها مفكرو الغرب وعلماؤه، ينذرون قومهم لعلهم يحذرون.. يحذرونهم من هذه الحضارة العوراء.. حضارة المسيح الدجّال، التي تنظر إلى الحياة بعين واحدة، هي العين المادية.

❑ «ألكسيس كاريل»:

يقول «ألكسيس كاريل» الحاصل على جائزة «نوبل» في العلوم، وصاحب الكتاب القيم «الإنسان ذلك المجهول»، والذي ينقد فيه الحضارة الغربية نقدًا علميًّا رصينًا، يقول في كتابه ذاك: «إن الحضارة العصرية

---

(١) جريدة الأخبار في ١٢/٢/١٩٦٠، انظر كتاب «الإيمان والحياة» للقرضاوي ص(٣٣٤ - ٣٣٦).

تجد نفسها في موقف صعب؛ لأنها لا تلائمنا، فقد أُنشئت دون أية معرفة بطبيعتنا الحقيقية إذْ إنها تولّدت من خيالات الاكتشافات العلمية، وشهوات الناس وأوهامهم، ونظرياتهم، ورغباتهم، وعلى الرغم من أنها أُنشئت بمجهوداتنا، إلا أنها غير صالحة بالنسبة لحجمنا وشكلنا»[١] .

❑ ويقول: «إننا قوم تعساء، ننحطّ أخلاقيًّا وعقليًّا، . . إن الجماعات والأمم التي بلغت فيها الحضارة الصناعية أعظم نمو وتقدم، هي على وجه الدقة، الجماعات والأمم الآخذة في الضعف، والتي ستكون عودتها إلى البربرية والهمجية أسرع من عودة غيرها إليها، ولكنها لا تدرك ذلك، إذ ليس هناك ما يحميها من الظروف العدائية التي شيّدها العلم حولها. . وحقيقة الأمر أن مدنيتنا مثل المدنيات التي سبقتها، أوجدت أحوالاً معينة للحياة من شأنها أن تجعل الحياة نفسها مستحيلة، وذلك لأسباب لا تزال غامضة. .

✍ يجب علينا الآن أن نعيد إنشاء الإنسان في تمام شخصيته الذي أضعفته الحياة العصرية ومقاييسها الموضوعة. .

إن عالم المادة أضيق من أن يتسع للإنسان».

❑ ويقول البروفسور «رينيه.دوبو» أكبر علماء البيولوجيا الأمريكي الجنسية، الفرنسي الأصل، والحائز على جائزة نوبل في كتابه «إنسانية الإنسان» "So Human An Animal"[٢] :

---

(١) «الإنسان ذلك المجهول» ترجمة شفيق أسعد فريد ـ مكتبة المعارف ـ بيروت ص(٣٧) ـ الطبعة الرابعة.

(٢) ترجمة الدكتور نبيل صبحي الطويل ـ نشر مؤسسة الرسالة في بيروت.

«إن الحياة الشاذة التي يعيشها عامة الناس الآن تخنق وتعطل التفاعلات الحيوية الضرورية لسلامة الإنسان العقلية، ونمو الإمكانات الإنسانية.

✍ إن كل المفكرين قلقون على مستقبل الأبناء الذين سيقضون حياتهم في بيئات اجتماعية ومحيطية سخيفة عابثة باطلة.

✍ من نواح كثيرة يشبه إنسان العصر «الحيوان البري» الذي يقضي حياته في حديقة الحيوانات، فالإنسان الآن كهذا الحيوان..

الإنسان اليوم ليس فقط غريبًا عن أخيه الإنسان وعن الطبيعة، بل الأهم بكثير هو أنه غريب معزول عن أعماق ذاته».

✍ وفي حديث له بعنوان: «هل تستطيع أمريكا التغلّب على خرافة النمو؟» يقول: كان سكرتير وزارة الداخلية الأمريكية «استيوارت .ل. أودال» يقول: «إنه من السهل اعتبار أمريكا التي صنعها الإنسان.. كارثة على مستوى القارة». لقد ذكّر «أودال» مستمعيه: «إننا نملك أكبر عدد من السيارات وأسوأ ساحات «الخردة» بالمقارنة لأية دولة أخرى في العالم! نحن أكثر سكان العالم تنقّلاً ونتحمل أكبر قدر من الازدحام!، ونولّد أكبر قدر من الطاقة، وفي أجوائنا أكثر الهواء تلوثًا في العالم».

ثم نقل عن رئيس بلدية «كليفلند» قوله: «إذا لم نكن واعين فسيذكرنا التاريخ على أساس أننا الجيل الذي رفع إنسانًا إلى القمر.. بينما هو غائص إلى ركبتيه في الأوحال والقاذورات»[1].

---

(١) فصل «التخلص من أسطورة النمو والتنمية» من كتاب «إنسانية الإنسان» ص(٢١٩ ـ ٢٣١).

❑ ويقول الدكتور «هنري لنك» طبيب النفس الأمريكي المشهور في كتابه «العودة إلى الإيمان» والذي طبع في أمريكا ٤٨ طبعة:

«لن نهتدي إلى حل شاف لمشكلات الحياة العويصة، ولن ننهل من مورد السعادة عن طريق تقدم المعلومات، والمعرفة العلمية وحدها، فارتقاء العلم معناه ازدياد الارتباك واضطراد التخبّط، وما لم يتم توحيد هذه العلوم كلها تحت راية حقائق الحياة اليومية الواضحة وإخضاعها، فلن تؤدي هذه العلوم إلى تحرير العقول التي ابتدعتها وابتكرتها، بل ستقود حتما إلى انهيار هذه العقول وتعفنها، كما أن هذا التوحيد لا بد أن يأتي عن طريق آخر غير طريق العلم، وأعني به طريق الإيمان»[١] .

❑ وقال «جون ديوي» الفيلسوف الأمريكي الشهير:

«إن الحضارة التي تسمح للعلم بتحطيم القيم المتعارف عليها، ولا تثق بقوة هذا العلم في خَلْق قيم جديدة.. لهي حضارة تدمر نفسها بنفسها»[٢] .

❑ ونقل الكاتب الأمريكي «كولن ولسن» في كتابه «سقوط الحضارة» عن المفكر الكبير المؤرخ البريطاني «توينبي»:

«لقد أغرت فنون الصناعة ضحاياها، وجعلتهم يسلمونها قياد أنفسهم ببيعها «المصابيح الجديدة» لهم مقابل «المصابيح القديمة»، لقد أغرتهم فباعوها أرواحهم، وأخذوا بدلا منها «السينما» و«الراديو» وكان نتيجة هذا الدمار الحضاري الذي سبّبته تلك الصفقة الجديدة، إقفارًا روحيًّا وصفه أفلاطون بأنه «مجتمع الخنازير».

---

(١) «العودة إلى الإيمان» ص(٨١ ـ ٨٢) ـ ترجمة ثروت عكاشة.

(٢) «إنسانية الإنسان» ص(٤٣).

✍ صدر كتاب «يـوم أن اعترفت أمريكا بـالحقيقة» تأليـف «جيمس باترسون» و «بـيتر كينز» عام ١٩٩١ ويـقع في ٢٧٠ صفحة مـن القطع المتوسط وترجمه للعربية د. محمـد بن سعود البِشْر. ونتائج هذا الكتاب مفزعة مخيفة بالنسبة للأمريكيين أنفسهم.

❑ يقول «فليكس هيري» مؤلف كتـاب «الفجور» متحدثًا عن كتاب «يوم أن اعترفـت أمريكا بالحقـيقة» يقول: عنـدما انتهيت مـن قراءته لم أعرف ماذا أفـعل؟ هل أصدع بـالحقائق أم أركض لـلتلال وأختـبئ، إنه يعرِض لنـا حقائق عن أنفسنـا لم أشاهدها بأية دراسة أو بـأي استطلاع للرأي ولا حتى في الأحاديث الشخصية.

❑ وتقول صحيفة «ديلي نيوز» عن الـكتاب كلمة واحدة: «بالكتاب نتائج مفزعة».

❑ وأيضًا يقول «سيدني جيمس» نائب المدير التنفيذي لشركة «كولو مبيا» للإنتاج السينمائي عن الكتاب: «قد تُجنب الولايات المتحدة نفسها ـ بفضـل هذا الكتـاب ـ من كارثة مـحققة نـاتجة عن التـصدّع في البـنية الاجتماعية».

❑ يقول الأستاذ «جـود» الإنجليزي: قال لي فيلسوف هـندي انتقاده اللاذع لإطرائي لعجـائب حضارتنا: «نعم! إنكم تـقدرون أن تطيروا في الهـواء كالطيـور، وتسبـحوا في الماء كـالسمـك، ولكنكـم إلى الآن لا تعرفون كيف تمشون على الأرض».

✍ إن هذه الحضارة الغربية تصلب إنسانها على صليب من ذهب.

❑ ويقول الأديب الأمـريكي الكبير «جـون شتاينيك» أعـظم كُتّاب

القصة في أمريكا في خطاب أرسله إلى صديقه «إدلاي إستيفنسون» مرشح الحزب الديمقراطي لرئاسة الجمهورية سنة ١٩٥١، ١٩٥٦، ونشر هذا الخطاب الأستاذ أحمد بهاء الدين في صحيفة الأخبار ١٢/ ٢/ ١٩٦٠.. وملخصه:

«إن مشكلة أمريكا هي ثراؤها، وأن لديها أشياء كثيرة، ولكن ليس لديها رسالة روحية كافية، وقال: لو أنني أردت أن أُدّمر شعبًا، فإنني أعطيه أكثر مما يريد، فهذه الوفرة تجعله جشعًا تعيسًا مريضًا؛ إن شعبنا لا يمكن أن يعيش طويلاً على الأسس الحالية لحياته».

«إننا في حاجة إلى ضربة قوية تجعلنا نفيق من ثرائنا، لقد انتصرنا على الطبيعة، ولكننا لم ننتصر على أنفسنا».

❑ ويقول السياسي الأمريكي «جون فوستر دالاس» وزير خارجية أمريكا في عهد الرئيس «إيزنهاور» في كتابه «حرب أم سلام؟».

«إن هناك شيئًا ما يسير بشكل خاطئ في أمتنا، وإلا لما أصبحنا في هذا الحَرَج، وفي هذه الحالة النفسية».

«هناك حيرة في عقول الناس وتآكل لأرواحهم».

«لقد أخفقنا بشكل يدعو إلى الرثاء في أن نرى أن من الممكن الحصول على عدالة اجتماعية، دون أن نمارس الإلحاد والمادية.

❑ لقد كتب الرئيس «ولسون» قبل وفاته بأسابيع قليلة: «إن حضارتنا لا تستطيع الاستمرار في البقاء من الناحية المادية، إلا إذا استردت روحانيتها».

ولا تستطيع المسيحية أن تقدم طوق النجاة لعالم يهدده الغرق ويحيط به الموج من كل مكان.

نعيبُ عليهمُ جُبنًا وجهلاً ... وحقٌّ الجاهلية أن تُعابا
ونغرسُ فيهم الإسلام غرسًا ... فقد بلغت شررهم النصابا(١)

✍ هذه شهادات أهل الغرب:

أعينٌ ظمأى لأنوار الهدى ... وفؤادٌ لجّ في أحزانه

✍ وبعد:

فهذه شهادة كبار رجال الغرب عن حضارة الغرب قدّمناها حتى يفيق أصحاب الفتنة العمياء الذين تناولوا من خمر حانة الغرب كأسًا دهاقًا، فأصابتهم بصداع اشتروه لأمتهم.. وخانوا أمانة الكلمة حين لم ينقلوا هذه الصورة لأمتهم.. سلسلوا عقولهم بأفكار الغرب، وملئوا حلوقهم بنباحه.

مستعارٌ قلم في فمكا ... مستعارٌ أملٌ في قلبكَا
إن في قلبك نفسًا من سواكْ ... باعت الإكسير بالترْب يداكْ

◻ ولله در القائل:

ومن عاش يرجو من لئيمٍ تكرّما ... فليس له إلا القمامة والعظمُ
لنا الخصب في أحلامنا، وتراثنا ... خصيب إذا ما زحزح الوهمُ والرّدْمُ
لأمتنا الحسنُ الطبيعي مفردا ... ووجه الحسان البيض يمسخه الوشم

◻ وما أحسن قول من قال:

ومن جعل الغرابَ له دليلاً ... يمرّ به على جيف الكلاب

---

(١) من قصيدة «لأنك مسلم» لمحمود مفلح ص(٢٤).

❑ ولن نجد أصدق ممن قال:

يُرَمْرِم من فُتات الكفر قوتًا ... ويلعق من كؤوسهم الثمالةْ
يُقَبل راحة الغربيِّ دومًا ... ويلثم دونما خجل نعالهْ

قد تضعضع أساس المدنية الأوربية، ولم يزل بناؤه منزعجًا، ولم تزده الأيام، ولم يزده الارتفاع إلا زيغًا واختلالاً، وفسدت بذرتها، فلم تصلح شجرتها ولم تطب ثمرتها ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لا يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِدًا﴾ [الأعراف: ٥٨]، هذه البذرة الخبيثة التي أُلقيت في تربة أوربا لم تأت عليها قرون حتى نبتت منها دوحة خبيثة، ثمارها حلوة ولكنها سامة، أزهارها جميلة ولكنها شائكة، وفروعها مخضرة ولكنها تنفث غازًا سامًّا لا يرى، ولكنه يسمم دم البشر.

إن أهل الغرب الذين غرسوا هذه الشجرة الخبيثة قد مقتوها، وأصبحوا يتذمرون منها، ولا تزال هذه الشجرة تثمر لهم شرورًا ومصائب، حتى صارت الحياة الغربية جسدًا مقروحًا، يشكو كل جزء منه أوجاعًا وآلامًا، وأعيا الداء الأطباء، واتسع الخرق على الراقع؛ الأمم الغربية تتململ ألمًا، قلوبها مضطربة، وأرواحها متعطشة إلى ماء الحياة، ولكنها لا تعلم أين معين الحياة»[1] .

❑ أخي:

إن الذين لفحهم سعير الحضارة والمدنية الغربية في أوربا وأمريكا وسائر العالم، وقد جاوزوا الحافة الشجراء من صحراء الفلسفة والعلوم

(١) «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين» لأبي الحسن الندوي.. بتصرف.

إلى قلبها الرملي القفر الذي لا ماء فيه ولا ظل، قد أصابهم جميعًا أُوام[1] كبدهم، وهم يطلبون الماء العذب الزلال، ويصيحون على الدوام ليل نهار: «ظمئ الفؤاد فهاتها يا ساقي!».

* * *

(١) الأُوام: حرارة العطش.

وشَـــهِـد
شـــاهد من أهلهـــا

وشَهِد شاهد من أهلها

❑ **يقول ريتشارد نيكسون الرئيس الأمريكي السابق في كتابه «نصر بلا حرب» ١٩٩٩:**

«إن في العالم الإسلامي من المغرب إلى أندونيسيا تَخْلُفُ الأصولية الإسلامية محل الشيوعية باعتبارها الأداة الأساسية للتغيير العنيف.. إن رياح التغيير في العالم الثالث تكتسب قوة عاصفة، ونحن لا نستطيع إيقافها، ولكننا نستطيع أن نساعد في تغيير اتجاهها. إن الجهد الرئيسي للمخابرات الأمريكية الذي كان منصبًا لمراقبة إمبراطورية الشرق (الاتحاد السوفيتي) سيتجه لمراقبة الجماعات الأصولية في العالم الإسلامي، ووضع العقبات والعراقيل أمامها».

❑ **ويقول بن جوريون رئيس وزراء إسرائيل السابق:**

«إن أخشى ما نخشاه أن يظهر في العالم العربي محمد جديد»[١] .

❑ **ويقول لورانس براون:**

«كان قادتنا يخوّفوننا بشعوب مختلفة لكننا بعد الاختبار؛ لم نجد مبررًا لمثل تلك المخاوف. كانوا يخوّفوننا بالخطر اليهودي، والخطر الياباني الأصفر، والخطر البلشفي. لكنه تبيّن لنا أن اليهود هم أصدقاؤنا، والبلاشفة الشيوعيون حلفاؤنا، أما اليابانيون، فإن هناك دولاً ديمقراطية كبيرة تتكفل بمقاومتهم. لكننا وجدنا أن الخطر الحقيقي علينا

---

(١) جريدة الكفاح الإسلامي لعام ١٩٥٥ : عدد الأسبوع الثاني من نيسان.. انظر: «قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام أبيدوا أهله» لجلال العالم ص(٤٢).

موجود في الإسلام، وفي قدرته على التوسع والإخضاع، وفي حيويته المدهشة»[١] .

▫ ويقول المستشرق غاردنر:

«إن القوة التي تكمن في الإسلام هي التي تخيف أوربا»[٢] .

▫ ويقول هانوتو وزير خارجية فرنسا السابق:

«لا يوجد مكان على سطح الأرض إلا واجتاز الإسلام حدوده وانتشر فيه، فهو الدين الوحيد الذي يميل الناس إلى اعتناقه بشدة تفوق كل دين آخر»[٣] .

▫ ويقول ألبير مشادور:

«إن هذا المسلم الذكي الشجاع قد ترك لنا حيث حلّ آثار علمه وفنه، آثار مجده وفخاره، إن هذا المسلم الذي نام نومًا عميقًا مئات السنين قد استيقظ، وأخذ ينادي: ها أنا ذا لم أَمُت، إني أعود للحياة، لا لأكون أداة طيّعة، أو كتلاً بشرية تسيّرها العواصم الكبرى، ومخابراتها من يدري؟! ربما يعود اليوم الذي تصبح فيه بلاد الفرنج مهدّدة بالمسلمين يهبطون إليها من السماء لغزو العالم مرة ثانية في الوقت المناسب، أو الزمن الموقوت. لست متنبئًا، ولكن الأمارات الدالة على هذه الاحتمالات كثيرة، لا تقوى الذرة ولا الصواريخ على وقف تيارها»[٤] .

---

(١) المجلد الثامن ص(١٠)، لورانس براون نقلاً عن التبشير والاستعمار ص(١٤٨).

(٢) «الإسلام على مفترق الطرق» ص(٣٩).

(٣) «الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي» ص(١٨).

(٤) «قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام أبيدوا أهله» لجلال العالم ص(٥١) نقلاً عن كتاب «لم هذا الرعب كله من الإسلام» ـ للأستاذ جودت سعيد.

✍ نعم:

قد يستدار زمان بعد كبوتنا ... وينسج المسلمون الصيد مجلاها
وينهضون على معراج عزتها ... ويملئون الدنى عدلاً ليرعاها
هبُّوا فذي راية الإسلام وانتشلوا ... من الوهاد شعوبًا طال شكواها
وأيقظوا أمّ الدنيا بصحوتنا ... ولا تهابوا عدوًّا واسألوا اللَّه
لأمتي قَدر بالدين يكرمها ... وبالفلاح الذي يغشى محيّاها
لا بدّ من غدِنا المنشود يسعفها ... بالفتح، فالمبسم اللمّاح حيّاها

◻ وصرّح بالازار، ديكتاتور البرتغال السابق في مؤتمر صحفي قائلاً:

«إن الخطر الحقيقي على حضارتنا هو الذي يمكن أن يُحدثه المسلمون حين يغيّرون نظام العالم «فلما سأله أحد الصحفيين: «لكن المسلمين مشغولون بخلافاتهم ونزاعاتهم»، أجابه: «أخشى أن يخرج منهم من يوجّه خلافاتهم إلينا»[1].

◻ ويقول «جب»:

«إن الحركات الإسلامية تتطوّر عادة بصورة مذهلة، تدعو إلى الدهشة، فهي تنفجر انفجارًا مفاجئًا قبل أن يتبيّن المراقبون من أماراتها ما يدعوهم إلى الاسترابة في أمرها. فالحركات الإسلامية لن ينقصها إلاّ وجود الزعامة.. لا ينقصها إلا ظهور صلاح الدين من جديد»[2].

---

(١) «جند اللَّه» للأستاذ سعيد حوى ص(٢٢).

(٢) «الاتجاهات الحديثة في الإسلام» ص(٣٦٥)، عن «الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر» (٢٠٦/٢).

◻ ويقول مورو بيرجر في كتابه «العالم العربي المعاصر»:

«إن الخوف من العرب، واهتمامنا بالأمة العربية، ليس ناتجًا عن وجود البترول بغزارة عند العرب، بل بسبب الإسلام.

يجب محاربة الإسلام، للحيلولة دون وحدة العرب، التي تؤدي إلى قوة العرب؛ لأن قوة العرب تتصاحب دائمًا مع قوة الإسلام وعزته وانتشاره.

إن الإسلام يفزعنا عندما نراه ينتشر بيسر في القارة الإفريقية»[١].

◻ ويقول «مرماديوك باكتول»:

«إن المسلمين يمكنهم أن ينشروا حضارتهم في العالم الآن بنفس السرعة التي نشروها بها سابقًا.

بشرط أن يرجعوا إلى الأخلاق التي كانوا عليها حين قاموا بدورهم الأول؛ لأن هذا العالم الخاوي لا يستطيع الصمود أمام روح حضارتهم»[٢].

◻ ويقول المنصر لورانس براون:

«إذا اتحد المسلمون في إمبراطورية عربية، أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطرًا، أو أمكن أن يصبحوا أيضًا نعمة له. أما إذا بقوا متفرّقين، فإنهم يظلون حينئذ بلا وزن ولا تأثير».

ويكمل حديثه: «يجب أن يبقى العرب والمسلمون متفرقون، ليبقوا بلا قوة ولا تأثير»[٣].

---

(١) «قادة الغرب يقولون» ص(٥٥) نقلاً عن جريدة الأيام سنة ١٩٦٣.
(٢) «جند اللّٰه» ص(٢٢).
(٣) «قادة الغرب يقولون» ص(٧٤ ـ ٧٥).

□ ويقول بول كيلر مدير عام مهرجان العالم الإسلامي الذي أقيم في لندن في نيسان سنة ١٩٧٦:

«إن الإنسان في الغرب يعاني فراغًا ثقافيًّا وروحيًّا، ومن هنا كان رحيله المستمر إلى الشرق على صورة موجات باحثًا عن ثقافة جديدة يواجه بها أزمته الروحية التي يعاني منها». ويقول: «أنا أعتقد أن العصر الذي نعيش فيه هو عصر الاتجاه إلى حضارة الشرق، والإسلام بصفة خاصة لم يتجه إلى الغرب، وهو أغنى حضارة بالقيم الروحية. فقلت: لماذا لا نقيم هذا الاتصال الثقافي والحضاري مع الإسلام، خاصة وأن الدول الإسلامية بدأت تفرض نفسها على العالم بشتى الصور»[1].

□ وبعد استقلال الجزائر ألقى أحد كبار المستشرقين محاضرة في مدريد كان عنوانها: «لماذا كنا نحاول البقاء في الجزائر».

أجاب على هذا السؤال بشرح مستفيض ملخصه:

«إننا لم نكن نسخِّر نصف المليون جندي من أجل نبيذ الجزائر أو صحاريها، أو زيتونها..

إننا كنا نعتبر أنفسنا سور أوربا الذي يقف في وجه زحف إسلامي محتمل يقوم به الجزائريون وإخوانهم من المسلمين عبر المتوسط، ليستعيدوا الأندلس التي فقدوها، وليدخلوا معنا في قلب فرنسا بمعركة «بواتيه» جديدة ينتصرون فيها، ويكتسحون أوربا الواهنة، ويكملون ما كانوا قد عزموا عليه أثناء حلم الأمويين بتحويل المتوسط إلى بحيرة إسلامية خالصة.

من أجل ذلك كنا نحارب في الجزائر».

---

(١) مجلة الأسبوع العربي، العدد ٨٦٨/ الاثنين ـ آذار ١٩٧٦.

ويقول مسئول في وزارة الخارجية الفرنسية عام ١٩٥٢:

«ليست الشيوعية خطرًا على أوربا فيما يبدو لي، إن الخطر الحقيقي الذي يهدِّدنا مباشرًا وعنيفًا هو الخطـر الإسلامي، فالمسلمون عالم مستقل كل الاستقـلال عن عالمنا الغربي، فـهم يملكون تراثهـم الروحي الخاص بهم. ويتمتعـون بحضارة تاريخية ذات أصالة، فهم جـديرون أن يقيموا قواعد عالم جديد، دون حاجة إلي إذابة شخـصيتهم الحضارية والروحية في الحضارة الغربية، فإذا تهيأت لهـم أسباب الإنتاج الصناعي في نطاقه الواسع؛ انطلقوا فـي العالم يحملون تراثهم الحضـاري الثمين، وانتشروا في الأرض يزيلون منهـا قواعد الحضارة الغربية، ويقذفون بـرسالتها إلى مزابل التاريخ.

وقد حاولنا نحن الفرنسيين خلال حكمنا الطويل للجزائر أن نتغلّب على شخصية الشـعب المسلمة، فكان الإخفاق الكامل نتـيجة مجهوداتنا الكبيرة الضخمة.

إن العالم الإسلامي عملاق مقيّد، عمـلاق لم يكتشف نفسه حتى الآن اكتشافًا تامًّا، فهو حائر، وهو قلق، وهو كاره لانحطاطه وتخلّفه، وراغب رغبة يخالطها الكسل والفوضى في مستقبل أحسن، وحرية أوفر..

فلنعط هـذا العالم الإسلامي ما يشـاء، ولنقوّ في نفسه الـرغبة في عدم الإنتاج الصناعي، والفني، حتـى لا ينهض، فإذا عجزنا عن تحقيق هذا الهدف، بإبقاء المسلم متخلّفًا، وتحرّر العملاق من قيود جهله وعقدة الشعور بعجزه، فـقد بؤنا بإخفاق خطير، وأصبح خطـر العالم العربي، وما وراءه من الطاقات الإسلامية الضخمة خطرًا داهمًا ينتهي به الغرب، وتنتهي معه وظيفته الحضارية كقائد للعالم»[1].

(١) «جند اللّه» ص(٢٢).

□ أما جوستاف ينج:

فقد كتب كتابًا أسماه «الحساب الأخير الذي اقترب» يعني تصفية الحساب، يقصد أن العالم الإسلامي سوف يفيق وسوف ينتقم من العالم الغربي واليهود والصهاينة ويتولى هو حسابهم.

يقول: «إن العالم الإسلامي قد أفلت من قبضة الموت الذي أعدّه ونسّق أكفانه الاستعمار الأوروبي».

وجاء في مجلة «التاريخ الجاري» الأمريكية مقال بعنوان: «محمد يتهيّأ للعودة» أعقبه عنوان آخر معناه: إن المسلمين رقدوا ٥٠٠ سنة وهم يتحركون الآن، ويتوثبون إلى السلطات.

□ ويقول الأستاذ ماسينون ـ وهو أحد المستشرقين الفرنسيين وأستاذ طه حسين ـ يقول عن الصحوة الإسلامية:

«إن وجودها يندر أن يخطر على بال أحد قبل أن يندلع لهيبها، ويروّع العالم.

والمسألة الكبرى هي مسألة الزعامة، فحينما يجد الإسلام صلاح الدين الجديد ـ رجلاً يجمع بين الحنكة السياسية العظيمة، وبين شعوره برسالته الدينية، يبلغ أعماق نفسه، فإن ما عدا ذلك ينحلّ من تلقاء نفسه».

□ أما الأمريكي جورج سامسون في كتابه «الشرق الأوسط في مؤلفات الأمريكيين»:

«إن المآثر التي قامت بها الشعوب التي تتحدث اللغة العربية، وذلك ما بين القرن التاسع إلى القرن الثاني عشر كانت عظيمة إلى درجة تذهل أفهامنا. وإن شعوب الشرق الأوسط سبق لها أن قادت العالم في مرحلتين طوال ألفيّ عام على الأقلّ قبل أيام اليونان، وفي العصور

الوسطى لمدة أربعة قرون، وليس ثمة ما يمنع تلك الشعوب أن تقود العالم ثانية في المستقبل القريب أو البعيد»[١] .

◻ ويقول أحد علماء السوريون في مؤلف له:

«إن العالم فيه ثلاث قوى: قوة الشرق، وقوة الغرب، وهناك قوة ثالثة لو عرفت نفسها لأمكنها أن ترث القوتين، هذه القوة هي القوة الكامنة وراء يقظة المسلمين؛ لأن لهم نظرة انفردوا بها عن العالم في تنشئة الرجال»[٢] .

◻ ويقول «فيليب أونداسي» في كتابه المسمى «الاستعمار الفرنسي في أفريقيا السوداء»:

«إن من الضروري لفرنسا أن تقاوم الإسلام في هذا العالم، وأن تنتهج سياسة عدائية للإسلام، وأن تحاول على الأقل إيقاف انتشاره».

◻ ويقول «أشعيا بومان» في مقال نشره في مجلة العالم الإسلامي التبشيرية:

«إن شيئًا من الخوف يجب أن يسيطر على العالم الغربي من الإسلام، لهذا الخوف أسباب، منها أن الإسلام منذ ظهر في مكة لم يضعف عدديًّا، بل إن أتباعه يزدادون باستمرار.

من أسباب الخوف أن هذا الدين من أركانه الجهاد»[٣] .

◻ ويقول «أنطوني ناتنج» في كتابه «العرب»:

«منذ أن جمع محمد ﷺ أنصاره في مطلع القرن السابع الميلادي، وبدأ أول خطوات الانتشار الإسلامي، فإن على العالم الغربي

---

(١) نقلاً عن شريط «المستقبل للإسلام» لفضيلة الشيخ محمد إسماعيل المقدم.

(٢) نقلاً عن شريط «المستقبل للإسلام» لفضيلة الشيخ محمد إسماعيل المقدم.

(٣) «قادة الغرب يقولون» ص(٥٢).

أن يحسب حساب الإسلام كقوة دائمة، وصلبة تواجهنا عبر المتوسط»[١].

❐ **يقول الكاتب والمفكر الأيرلندي جورج برنارد شو والحاصل على جائزة نوبل في الأدب عام (١٩٢٥):**

«لقد كنت دائمًا أحتفظ لدين محمد عندي بأعلى التقدير، وذلك بسبب حيويته المدهشة، إنه الدين الوحيد الذي يبدو لي أنه يمتلك القدرة على استيعاب تغيّر أطوار الحياة بما يجعله محل إعجاب لكل العصور.

إني أعتقد لو أن شخصًا مثله[٢] تولى الحكم المطلق للعالم المعاصر لنجح في حل مشاكله بطريقة تجلب له ما هو في أشد الحاجة إليهما من سلام وسعادة.

لقد تنبأت بأن دين محمد سيكون مقبولاً في أوربا الغد، كما أنه بدأ يكون مقبولاً في أوربا اليوم»[٣] .

❐ **ويقول مونتجمري وات رئيس قسم الدراسات العربية بجامعة أدنبره:**

«من المؤكد أن الإسلام منافس قوي في مجال إعطاء النظام الأساسي للدين الوحيد الذي يسود في المستقبل»[٤] .

❐ **والكاتب والصحفي السويسري روجيه دي باسكيه الذي أسلم وسمى نفسه «سيدي عبد الكريم».. يقول في كتابه «اكتشاف الإسلام»:**

«من المسلّم به حاليًا وبوجه عام، أنه بينما تتراجع الديانات الكبرى

(١) وليم بولك: «الولايات المتحدة والعالم الغربي»، و«القومية والغزو الفكري» ص(٤٢)، و«قادة الغرب يقولون: دمّروا الإسلام أبيدوا أهله» (٥٢).
(٢) يعني: محمدًا ﷺ.
(٣) «الإسلام في الفكر الغربي» للواء أحمد عبد الوهاب ص(٢٢) ـ مكتبة دار التراث.
(٤) «الإسلام والمسيحية اليوم» لمونتجمري وات.

أو على الأقل تتخذ موقف الدفـاع، فإن الإسلام ذاته في تقدم. وتعطي أفريقيا أكثر الأمثلة وضوحًا على ذلك.

إن قوة الإسلام هذه مقارنة بضعف المسيـحية تمثل حقيقة كبرى في التاريخ المعـاصر.. إنه يقدم وسائل لمقـاومة الفوضى التي تسـود العالم حاليًا، وإقرار النظام والنقاء في داخل الإنسان.

✍ إن الإسلام عالمي بكل معنى الكلمة.

إن الغرب المسيحي أو الذي فقد مسيحيته لم يعرف الإسلام أبدًا.

مهما حدث فـي العالم الغربي المزدهـر وفاسد الأخلاق، أو حدث للشعـوب التي تعاني من فـقر المستلزمات الماديـة للحياة مثل تـلك التي يطلـق عليها «العـالم الثالث»، فـإن الإسلام يقدم الحل الأكثـر وضوحًا وجوهرية وحتمية من أجل مواجهة التحدي الحديث».

❑ يرى الدكتور مراد هوفمان سفير ألمانيا في الجزائر ثم المغرب:

«أن الإسلام يحـتل القمـة فيما يـشغل الإعلام الـعالمي في الـربع الأخير من القرن الحالي.

لا يتـوقع اليـوم أحد أن يـختفـي الإسلام، ولكـن أن يمتـد، بل وينـفجر، ويـضع جنـرالات الناتو فـي حسبـانهم أن أكـثر المواجـهات العسكريـة احتمالاً في المستقـبل لن تكون بين الشرق والـغرب، ولكن الشمال والجنوب، فالإسلام هو العدو المتنامي المرتقب»[1].

ويقول: «إنـي لا أدعو إلى أي تنـازل أو تجاوز قد يمس أسـاسيات

(١) «الإسلام عام ٢٠٠٠» لمراد هوفمان ص(١٧) ـ مكتبة الشروق.

الإسلام في القرآن والسنة الصحيحة. فليس الهدف تحويل الإسلام ليناسب الحداثة، ولكن تجديده حسبما ترمي أصوله، ومنهاجه ليناسب العصر، وحتى يقرّ بذلك أكثر الغربيين نشوزًا.

الجميل في هذا المسعى، أنه سيخدم السلام في نفس الوقت الذي سيهيئ أعظم الفرص ليصبح الإسلام ديانة العالم الأولى في القرن ٢١»[١].

❑ ويقول «روبرت بين» في مقدمة كتابه الذي سمّاه: «السيف المقدّس»:

«علينا أن ندرس العرب ونسبر أفكارهم؛ لأنهم حكموا العالم سابقًا، وربما عادوا إلى حكمه مرة أخرى، والشعلة التي أضاءها محمد ﷺ لا تزال مشتعلة بقوة، وهناك ما يدعو إلى الاعتقاد بأن الشعلة لا تُطفأ، ولهذا كتبت هذا الكتاب لكي يقف القراء على أصل العرب، وسمّيته باسم السيف ذي النصلين الذي ناله محمد في وقعة بدر تذكارًا لانتصاره؛ لأن السيف أصبح رمزًا لمطالبة الإمبريالية»[٢].

مت بغيظك يا روبرت.. والحكمة ضالة المؤمن.. علمنا منك أن الشعلة التي أضاءها محمد ﷺ لا تزال مشتعلة بقوة، وهناك ما يدعو بأن الشعلة لا تطفأ.

* * *

(١) المصدر السابق ص(٢٦).

(٢) ص(١٧) من الكتاب بالإنجليزية، يقول الشيخ القرضاوي: «وقد نقلنا هذه الفقرة من تقرير للدكتور إسحاق موسى الحسيني عن هذا الكتاب، قدّمه إلى الإدارة العامة للثقافة بالأزهر في أواخر الخمسينات.

يَا لَهُ مِنْ دِينٍ لَوْ أَنَّ لَهُ رِجَالاً

«دينك عرضك، دينك لحمك، دينك دمك»

«إنه الإسلام أمي وأبي»

يَا لهُ من دينٍ لو أنَّ لهُ رجالاً

✍ الإسلام هو روح الحياة وحياة الروح، وسرّ العالم وعالم الأسرار، وجمال الدنيا ودنيا الجمال، ونور الطريق وطريق النور، وقوة الخلق وخُلُق القوة.

* مبشرات من الإسلام ذاته:

✍ الإسلام هو واحة المسافر، ونجم الملاّح، ودليل الحيران، ورفيق الغريب، وأنيس المستوحش.

✍ هو مصنع البطولات، ومحقق المعجزات، ومفتاح المغاليق، ومنارة الهدى في كل طريق.

✍ أقام عوج الحياة، وجعل المجتمع طاقة زهر لا شوك فيها.

✍ الإسلام فيه الأمل كل الأمل والمبشرات كل المبشرات لذاتية هذا الدين وقوته في نفسه.

✍ إنه الضياء الثاقب الذي ينفذ إلى الفكر والعاطفة والإرادة فيُجري في كيانه عصارة الحياة.

✍ يمتد إلى المجتمع بشموله وتوازنه وعمقه وإيجابياته وأشعته الوهّاجة المشرقة، فإذا دم الحياة قد جرى في عروقه، والعافية قد سرت في أوصاله فيشفيه وهو سقيم، بل يُحييه وهم رميم. . أليس فيه نفحة من سرّ الألوهية التي تقول للشيء: كن؛ فيكون.

✍ كما تطلع الشمس بأنوارها فتفجر ينبوع الضوء المسمى بالنهار، جاء الإسلام فوُجد في العالم ينبوع النور.

ورعشات الضوء من الشمس هي قصة الهداية للكون في كلام من النور، وأشعة الوحي في الإسلام هي قصة الهداية لإنسان الكون في نور من الكلام.

✍ وإذا تعسّف الناس الحياة لا يدرون أين يؤمون منها، ولا كيف يهتدون فيها فتضطرب الملايين من البشر، يأتي الإسلام نوراً هاديًا من غلط الحياة وتحريف الإنسانية يُصحّح ما اعترى هذه الأنفس.

وكنّا نعيرُ الشمس من قبساتنا ... فيكسو الربى فيضٌ من النور كاسحُ
وها نحن نستجدي من الغرب شمعة ... فلا الغرب معطٍ لا، ولا الشرق مانحُ
ألا يقظةً يا أمة النور إنها ... ليقظة عملاق زَوَتْهُ الكوابحُ
نعم ملّة الإسلام في الكون دوحة ... وفي ظلها يغدو الهدى ويراوحُ
على كل فرع عندليب مغرّد ... وفي كل غصن بلبل الحق صادحُ

✍ الإسلام أفق وضيء يطهّر البشرية من غبش الجاهلية، وأهل الشقاء يفرون منه إلى موتهم ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ۝٥٠ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾ [المدثر: ٥٠ ـ ٥١].

✍ إن الإسلام سيندفع بأخلاقه في العالم اندفاع العصارة الحية في الشجرة الجرداء، فليس يمضي غير بعيد حتى تخضرّ الدنيا، وترمي بظلالها، لا كغيره مما يعدّ كطلاء الشجرة الميتة الجرداء بطلاء أخضر.

✍ الإسلام.. والإسلام وحده هو مفتاح شخصيتنا إن أردنا الحياة.

ما زال وضّاء السنا في أمة ... ضلّ القطيع بها وضل الراعي
سالت على الصحراء من عهدٍ مضى ... أنواره ومشت إلى الأصقاعِ

يا للمنار السمح قد غشى الدجى	متكامل البنيان في إبداع
وإذا تقنّعت الحقائق كلها	برزت حقيقته بغير قناع

✍ إنه الإسلام الذي شرفت به هذه الأمة:

إننا من أمة أنزلها	دينها فوق البرايا منزلاً
نجمها فيه من الخلد سنا	إن خبا حينًا فلن لن يأفلا
أُفْرُك العينين يا صاح أرهِفِ	السمع، فالإرهاصُ أحيا الأملا
إنه الإسلام دين مبرمٌ	ليس يرضى اللّه عنه بدلا
زحفه من أمسه في يومه	قد تحدّى يصنع المستقبلا
وتسترجّ الدنا تلبيةً	ما مُناديه دعا «حي علَى..»

✍ الحياة في ظل الإسلام نعمة.. نعمة لا يعرفها إلاّ من ذاقها.. نعمة ترفع العمر وتباركه وتزكيه. يعيش المرء في ظل الإسلام ينظر من عُلو إلى الجاهلية التي تموج في الأرض، وإلى اهتمامات أهلها الصغيرة الهزيلة.. ويعجب.. ما بال هؤلاء الناس؟! ما بالهم يرتكسون في الحمأة الوبيئة، ولا يسمعون النداء العلوي الجليل..؟ النداء الذي يرفع العمر ويباركه.

✍ يعيش المرء في ظل الإسلام وتصوره الكامل الشامل الرفيع النظيف للوجود، لغاية الوجود كله، وغاية الوجود الإنساني، ويقيس إليه تصورات الملل والنحل الجوفاء التي تعيش فيها البشرية.. فيسأل: كيف تعيش البشرية في المستنقع الآسن، وفي الدرك الهابط، وفي الظلام البهيم وعندها ذلك المرتع الزكي، وذلك المرتقى العالي، وذلك النور الوضيء؟! فيردد وجيب القلب ونبضه ﴿ **أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ** ﴾ [آل عمران: ٨٣].

✍ يعيش المرء في ظل الإسلام فيرى الوجود أكبر بكثير من ظاهره المشهود.. إنه عالم الغيب والشهادة.. إنه الدنيا والآخرة.. يعيش مع الكون الودود الذي يخشع ويسجد لمولاه فأي سعة وأي أنس، وأي ثقة يفيضها على القلب هذا التصور الشامل الكامل الفسيح الصحيح.

✍ يعيش المرء بالإسلام فيرى الإنسان أكرم بكثير من كل تقدير عرفته البشرية من قبل للإنسان ومن بعد.

✍ المسلم ذو نسب عريق، ضارب في شعاب الزمان، إنه واحد من ذلك الموكب الكريم، الذي يقود خطاه ذلك الرهط الكريم: نوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم وسلم.. ﴿ **إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ** ﴾.

✍ يعيش المرء في ظل الإسلام هادئ النفس، مطمئن السريرة، قرير الضمير، لا صلاح لهذه الأرض، ولا راحة لهذه البشرية، ولا طمأنينة لهذا الإنسان، ولا رفعة ولا بركة ولا طهارة إلا بالرجوع إلى الإسلام.

✍ إن هذه البشرية.. وهي من صنع الله ـ لا تفتح مغاليق فطرتها إلا بمفاتيح من صنع الله، ولا تعالج أمراضها وعللها إلا بالدواء الذي يخرج من يده سبحانه ـ، وقد جعل في منهجه وحده مفاتيح كل مغلق، وشفاء كل داء، ولكن هذه البشرية لا تريد أن ترد القفل إلى صانعه، ولا أن تذهب بالمريض إلى مبدعه الذي يعلم مساربه ومداخله.

ومن هنا جاءت الشقوة للبشرية الضالة المسكينة الحائرة التي لن تجد الرشد ولن تجد الهدى ولن تجد الراحة ولن تجد السعادة، إلا حين ترد الفطرة البشرية.

لقد كان الإسلام قد تسلّم القيادة بعد ما فسدت الأرض، وأسنت

الحياة، وتعفّنت القيادات، وذاقت البشرية الويلات من القيادات المتعفنة.
تسلّم الإسلام القيادة، فكان ذلك مولدًا جديدًا للإنسان أعظم في حقيقته من المولد الذي كانت به نشأته. لقد أنشأ الإسلام للبشرية تصورًا جديدًا عن الوجود والحياة والقيم والنظم، كما حقق لها واقعًا اجتماعيًّا فريدًا، كان يعزّ على خيالها تصوره مجرد تصور، قبل أن ينشئه لها الإسلام إنشاء.

✍ نعم! لقد كان هذا الواقع من النظافة والجمال، والعظمة والارتفاع، والبساطة واليسر، والواقعية والإيجابية، والتوازن والتناسق.. بحيث لا يخطر للبشرية على بال.

✍ ثم وقعت تلك النكبة القاصمة، ونُحِّي الإسلام عن القيادة، نُحِّي عنها لتتولاها الجاهلية مرة أخرى، في صورة من صورها الكثيرة، صورة التفكير المادي الذي تتعاجب به البشرية اليوم كما يتعاجب الأطفال بالثوب المبرقش واللعبة الزاهية الألوان، وترتقي البشرية في المادة بقدر ما ترتكس في المعنى الإنساني، وتعاني من القلق والحيرة ما يصرخ منه العقلاء هناك.

✍ إن الرقي إلى مستوى الإسلام يحتاج إلى دعاء من قلب صادق سليم مثلما دعا الخليل عليه السلام ﴿**رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ**﴾ [البقرة: ١٢٨].

* وقال تعالى: ﴿**وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ** ﴿١٣٠﴾ **إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [البقرة: ١٣٠ـ ١٣١].

ولم يكتف الخليل ـ عليه السلام ـ بهذا إنما تركها في عقبه، وجعلها وصيته في ذريته، ووصَّى بها إبراهيم بنيه، كما وصَّى بها يعقوب

بنيه، قال تعالى: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٢ ـ ١٣٣].

* يا له من دين:

ارتضاه اللَّـه دينًا واحدًا لكل أنبيـائه ورسله إعلانًا لوحدة الـبشرية عقيدة واحدة وأمة واحدة: قال تعالى عـن قول نوح عليه السلام لقومه: ﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [يونس: ٧٢].

وقد مر بك قول إبراهيم ووصيّة يعقوب.

* وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾ [يونس: ٨٤].

* ولوط عليه السلام: ﴿ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الذاريات: ٣٥ ـ ٣٦].

* ويوسف عليـه السلام: ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ [يوسف: ١٠١].

* وسليمان عـليه السلام: ﴿ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ [النمل: ٣٠ ـ ٣١].

* وعيسـى عليه الســلام: ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ

أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢].

* وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، ليس بيني وبينه نبي، والأنبياء أولاد علات؛ أمهاتهم شتى، ودينهم واحد»[١].

* وقال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٩].

* وقال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

هذا الدين كما يريده اللَّه؛ ولا عبرة بالإسلام كما تريده أهواء البشر في جيل منكود من أجيال الناس.

● عن ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «أحب الأديان إلى اللَّه تعالى الحنيفية السمحة»[٢].

---

(١) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم، وأبو داود عن أبي هريرة.

(٢) حسن: رواه أحمد، والبخاري في «الأدب المفرد»، والطبراني في «المعجم الكبير» عن ابن عباس، وحسّنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (١٦٠)، و«الصحيحة» (٨٨١).

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «أفضل الإسلام الحنيفية السمحة»(١).

* يا له من دين لو أن له رجالاً:

هو أرقى تصوّر للوجود والحياة، وأقوم منهج للمجتمع الإنساني بلا مراء؛ هو الرشد الذي ينبغي للإنسان أن يتوخاه ويحرص عليه، والكفر هو الغي الذي ينبغي للإنسان أن ينفر منه ويتقي أن يُوصم به.

وما يتدبر الإنسان نعمة الإسلام، وما تمنحه للإدراك البشري من تصور ناصع واضح، وما تمنحه للقلب البشري من طمأنينة وسلام، وما تثيره في النفس البشرية من اهتمامات رفيعة ومشاعر نظيفة، وما تحققه في المجتمع الإنساني من نظام سليم قوي قويم دافع إلى تنمية الحياة وترقية الحياة.. هو الرشد الذي لا يرفضه إلا سفيه، يترك الرشد إلى الغيّ، ويدع الهدى إلى الضلال، ويؤثر التخبّط والقلق والهبوط والضآلة على الطمأنينة والسلام والرفعة والاستعلاء!

* قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

يئسوا أن يبطلوه، أو ينقصوه، أو يحرّفوه، وقد كتب اللَّه له الكمال، وسجّل له البقاء، وأتم نعمته الكبرى على الناس ورضي لهم الإسلام دينًا، فمن لا يرتضيه منهجًا لحياته ـ إذن ـ فإنما يرفض ما ارتضاه اللَّه للمؤمنين.

حين يرى الإنسان ويستعرض موكب الإيمان، وموكب الرسالات

---

(١) حسن: رواه الطبراني في «الأوسط» عن ابن عباس، وأحمد في كتاب «الزهد»، وحسنه الألبانيّ في «صحيح الجامع» (١٠٩٠).

منذ فجر البشرية إلى رسالة النبي ﷺ حين يرى هذا الموكب المتطاول المتواصل، موكب الهدى والنور، ويرى إكمال العقيدة، وإكمال الشريعة معًا، وأنه صالح للبشر في كل زمان ومكان يدرك أنه نعمة تامة ضخمة هائلة، نعمة تمثل مولد الإنسان في الحقيقة، كما تمثل نشأته واكتماله.

✍ ولا يدرك حقيقة نعمة اللَّه في هذا الدين، ولا يقدرها قدرها، من لم يعرف حقيقة الجاهلية ومن لم يذق ويلاتها.. وويلاتها في التصور والاعتقاد، وويلاتها في واقع الحياة، ويلات الضلال والعمى، وويلات الحيرة والتمزق، وويلات الضياع والخواء، في المعتقدات والتصورات في كل زمان وفي كل مكان، وويلات الطغيان والهوى، وويلات التخبط والاضطراب، وويلات التفريط والإفراط، حينئذ يدرك ويتذوق نعمة اللَّه في هذا الدين.

✍ لقد التقط الإسلام الناس من سفح الجاهلية ودركها، وسار بهم في الطريق الصاعد، إلى القمة السامقة، وجعلهم ينظرون من علٍ إلى سائر أمم الأرض من حولهم في السفح، في كل جانب من جوانب الحياة، عرفوا السفح وعرفوا القمة، وعرفوا حب اللَّه لهذه الأمة ورضاه عنها حتى ليختار لها منهج حياتها.

✍ إن هذه الكلمات الهائلة لتلقي على عاتق هذه الأمة عبئًا ثقيلاً، وإن ارتضاء اللَّه الإسلام دينًا لهذه الأمة، ليقتضي منها ابتداءً أن تدرك هذه الرعاية الجليلة، وأن تدرك قيمة هذا الاختيار، ثم تحرص على الاستقامة على هذا الدين جهد ما في الطاقة من وسع واقتدار، وإلا فما أنكد وأحمق من يهمل ـ بله أن يرفض ـ ما رضيه اللَّه له، ليختار لنفسه غير ما اختاره اللَّه، وإنها إذن لجريمة نكدة، لا تذهب بغير جزاء وسيذوق وبال أمره في دنياه وعقباه.

* يا له من دين لو أن له رجالاً:

إن الإسلام نور يشرق به كيان المؤمن ـ تشرق به روحه فتشف وتصفو وتشعّ من حولها نورًا ووضاءة ووضوحًا ـ نور يكشف حقائق الأشياء وحقائق القيم وحقائق التصورات، فيراها قلب المؤمن واضحة بغير غبش، بينة بغير لبس، مستقرة في مواضعها بغير أرجحة، فيأخذ منها ما يأخذ ويدع منها ما يدع في هوادة وطمأنينة وثقة وقرار لا أرجحة فيه. نور يكشف الطريق إلى الناموس الكوني فيطابق المؤمن بين حركته وحركة الناموس الكوني من حوله ومن خلاله؛ ويمضي في طريقه إلى اللَّه هينًا لينًا لا يتعسف ولا يصطدم بالنتوءات، ولا يخبط هنا وهناك. فالطريق في فطرته مكشوف معروف.

وغير الإسلام كفر وظلمات شتى منوعة: ظلمة الهوى والشهوة وظلمة الشرود والتيه وظلمة الكبر والطغيان، وظلمة الضعف والذلة، وظلمة الرياء والنفاق، وظلمة الطمع والسعر.. وظلمة الشك والقلق.. وظلمات شتى لا يأخذها الحصر تتجمّع كلها عند الشرود عن طريق اللَّه.

✍ إن رصيد الإيمان الذي تقوم الأمة المسلمة حارسة عليه في الأرض، ووارثة له منذ أقدم الرسالات، هو أكرم رصيد وأقومه في حياة البشرية، إنه رصيد من الهدى والنور، ومن الثقة والطمأنينة، ومن الرضى والسعادة، ومن المعرفة واليقين.. وما يخلو قلب بشري من هذا الرصيد حتى يجتاحه القلق والظلام، وتغمره الوساوس والشكوك، ويستبد به الأسى والشقاء، ثم يروح يتخبط في ظلماء طاغية، لا يعرف أين يضع قدميه في التيه الكئيب!

✍ وصرخات القلوب التي حُرمت هذا الزاد، وحُرمت هذا الأنس،

وحُرِمت هذا النور، صرخات موجعــة في جميع العصور.. هذا إذا كان في هذه القلوب حســاسية وحيوية ورغبة في المعرفة ولهــفة على اليقين، فأما القلوب البليدة الميتة الجاسيــة الغليظة، فقد لا تحس هذه اللهفة، ولا يؤرقها الشوق إلــى المعرفة.. ومن ثَمّ تمضي في الأرض كالبــهيمة تأكل وتستمتع كما تأكل الأنعام وتستمتع، تنشر الفساد في الأرض، ثم تمضي ملعونة من اللَّه ملعونة من الناس.

والمجتمعات المحرومة من الإسلام مجتمعات بائسة ـ ولو غرقت في الرغد المادي ـ ، خاوية ـ ولو تراكم فيها الإنتاج، قلقة ـ ولو توافرت لها الحريات والأمن والسلام الخارجي، وأمــامنا في أمم الأرض شواهد على هذه الظاهرة لا ينكرها إلا مراوغ يتنكر للحس والعيان!.

*** يا له من دين لو أن له رجالاً:**

لا يتولى عنه إلا موكوس منكــوس مطموس، شاذ في هذا الوجود الكبير.. ناشز في وسط الكون الطائع المستسلم المستجيب.

إننا نرى واقــع البشرية النكد، ونــشم رائحة المستنــقع الآسن الذي تتمرّغ فــيه، ونرى.. نرى هنالك علــى الأفق الصاعد راية النــجاة تلوّح للمكدودين في هجير الصحراء المحــرق، والمرتقى الوضيء النظيف يلوح للغارقين في المستنقع؛ ونرى أن قيادة البشرية إن لم ترد إلى الإسلام فهي في طريقها إلــى الارتكاس الشائن لكل تاريخ الإنسان، ولــكل معنى من معاني الإنسان!

*** يا له من دين لو أن له رجالاً:**

لقد صنع الإسلام في النفوس التي آمــنت به أكثر من تسيير الجبال وتقطيع الأرض وإحياء الموتى، لقد صنع في هذه النفوس وبهذه النفوس

خوارق أضخم وأبعد آثارًا في أقدار الحياة، بل أبعد أثرًا في شكل الأرض ذاته. فكم غيّر الإسلام والمسلمون من وجه الأرض، إلى جانب ما غيّروا من وجه التاريخ؟!

✍ إن طبيعة الإسلام لتحتوي على قوة خارقة نافذة، والذين خالط الإسلام لحمهم ودماءهم من القرون الخيرية سيّروا ما هو أضخم من الجبال، وهو تاريخ الأمم والأجيال، وقطعوا ما هو أصلب من الأرض، وهو جمود الأفكار وجمود التقاليد، وأحيوا ما هو أخمدُ من الموتى، وهو الشعوب التي قتلتها الأوهام وقتلها الطغيان.

✍ لقد شقيت البشرية في تاريخها كله حين قادها العُمْي الذين يلبسون أردية الفلاسفة والمفكرين والمشرعين والسياسيين على مدار القرون، ولم ترتفع إنسانيتها قط إلا في ظل الإسلام.

* يا له من دين لو أن له رجالاً:

* قال تعالى: ﴿**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا**﴾ [الإسراء: ٩].

✍ الإسلام يهدي للتي هي أقوم، يشمل الهدى أقوامًا وأجيالاً بلا حدود من زمان أو مكان؛ ويشمل ما يهديهم إليه من كل منهج وكل طريق، وكل خير يهتدي إليه البشر في كل زمان ومكان.

يهدي للتي هي أقوم في عالم الضمير والشعور بالعقيدة الواضحة البسيطة التي لا تعقيد فيها ولا غموض، والتي تطلق الروح من أثقال الوهم والخرافة.

ويهدي للتي هي أقوم بين ظاهر الإنسان وباطنه، وبين مشاعره

وسلوكه، فإذا هو مشدود إلى العروة الوثقى التي لا تنفصم، يتطلع إلى أعلى وهو مستقر على الأرض.

يهدي لـلتي هي أقـوم في علاقات الـناس بعضـهم ببعـض أفرادًا وأزواجًا، وحكومات وشعوبًا.

✍ يهـديهم للـتي هي أقـوم في نظـام الحكم ونظـام المال والنـظام الاجتماعي وكل نظم الحياة.

* يا له من دين لو أن له رجالاً:

✍ الإسلام ربيع القـلوب كما أن الغيث ربيـع الأرض، وكما ينزل الماء من الـسماء، فيـنبت للـناس به زرعًا مـختلفًـا ألوانه، كذلـك نزل الإسلام إلى أهل الأرض تتلقّاه القلوب الحية، فـتتفتح وتنسرح، وتتلقاه القلوب القاسية كما تتلقاه الصـخرة القاسية التي لا حياة فيها ولا نداوة! واللَّه يشـرح للإسلام قلوبًا يعـلم منها الخير، فـيصلها بنوره فـتشرق به وتسـتضيء وكم يـغرس الإسلام فـي هذه القـلوب من أزاهيـره: نداوة وبشاشة، وإشراقًا، واستنارة، وخشوعًا وخضوعًا وتبتلاً وشوقًا إلى الدار الآخرة واستسلامًا للَّه عز وجل.

✍ والقلـوب القاسيـة المعرضة عن الإسـلام يا لقساوتـها وغلظـتها وموتها وجفافها وعتمتها وظلامها. ومن أصدق من اللَّه قيلا؟ ﴿**فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ**﴾ [الأنعام: ١٢٥].

* وقال تعالى: ﴿**أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ**

فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴾ [الزمر: ٢٢].

* الإسلام يهدي إلى سبل السلام:

يا للإسلام من نور في القلب والنفس، نور للمسلم تشرق به كينونته فتشف وتخفّ وترف، ويشرق به كل شيء أمامه فيتضح ويتكشّف ويستقيم.

✍ ثقلة الطين في كيانه، وظلمة التراب، وكثافة اللحم والدم، وعرامة الشهوة والنزوة.. كل أولئك يشرق ويضيء ويتجلّى.. تخفّ الثقلة، وترق الكثافة وترف العرامة.

✍ واللبس والغبش في الرؤية.. والتأرجح والتردد في الخطوة، والحيرة والشرود في الاتجاه والطريق البهيم الذي لا معالم فيه.. كل أولئك يشرق ويضيء ويتجلّى.. يتضح الهدف ويستقيم الطريق إليه، وتستقيم النفس على الطريق.

✍ لقد رضي اللَّه الإسلام دينًا.. وهو يهدي من يتبع رضوانه سبل السلام.

إنه «السلام» هو ما يسكبه هذا الدين في الحياة كلها سلام يرف في حنايا السريرة، سلام يظلل الحياة.. سلام الفرد، وسلام الجماعة، وسلام العالم، وسلام الضمير، وسلام العقل، وسلام الجوارح.. سلام البيت والأسرة، وسلام المجتمع والأمة، وسلام البشر والإنسانية، السلام مع الحياة، والسلام مع الكون، سلام في الأرض وسلام مع السماء، والسلام مع اللَّه رب الكون والحياة.. السلام الذي لا تجده البشرية ـ ولم تجده يومًا ـ إلا في هذا الدين؛ وإلا في منهجه ونظامه وشريعته، ومجتمعه الذي يقوم على عقيدته وشريعته.

يهدي اللَّه بهـذا الدين، من يتبع رضوان اللَّه «سـبل السلام» سبل السلام كلها في هذه الجوانب جميعها.

✍ وأول ما يفيض هذا السلام على القـلب يفيض من صحة تصوره واعتقاده لربه، ونصاعة هذه العقيـدة. . إله واحد يتجه إليه المسلم وجهة واحدة يستقر علـيها قلبه؛ فلا تتفرق به السبل، ولا تـتعدد به القِبَل ولا يطارده إله من هنا وإله من هناك.

✍ إله قوي قادر قاهـر إذا اتجه إليه المسلم فقد اتجه إلـى القوة الحقة الوحيدة، فيأمن كل قوة زائفة ويطمئن ويستريح.

إله عادل في عدله ضمان من الظلم، وضمان من الهوى، وضمان من النجس.

* قال تعـالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

لا يدرك عمـق هذه الحقيقة كـما يدركها من ذاق سـبل الحرب. . حرب القلـق الناشئ من العـقائد المنحرفـة في أعماق الضمـير، وحرب القلق الناشئ مـن شرائع الجاهلية حرب في الضمائـر والمجتمعات قرونًا بعد قرون، حرب تحطم الأرواح والقلوب، وتحطم الأخلاق والسلوك.

✍ إننـا نعانـي من الويـلات؛ والإسلام مـنا قريـب. . نعانـي من الحروب وسلام الإسلام في متناول أيدينا لـو نشاء. . فأية صفقة خاسرة هذه التـي نستبدل فـيها الذي هو أدنـى بالذي هو خـير؟ ونشتري فـيها الضلالة بالهـدى؟ ونؤثر فيها الحرب على السـلام؟ أفلا نفيء إلى ظلال السلام وظلال الإسلام؟

وحسبنا مثل واحد من أرقى بلاد العالم كله وهو «السويد» حيث يخصّ الواحد من الدخل القومي ما يساوي خمسمائة جنية في العام[١] ، وحيث يستحق كل فرد نصيبه في التأمين الصحي وإعانات المرض التي تصرف نقدًا والعلاج المجاني في المستشفيات، والتعليم المجاني، وتقديم إعانات ملابس وقروض للطلبة المتفوقين، وحيث تقدم الدولة حوالي ثلاثمائة جنيه إعانة زواج لتأثيث البيوت.. وحيث وحيث ذلك الرخاء المادي العجيب، ولكن ماذا وراء هذا والقلوب خالية من الإيمان باللَّه.

إنه شعب مهدد بالانقراض، فالنسل في تناقص مطرد بسبب فوضى الاختلاط، والطلاق بمعدل طلاق واحد لكل ست زيجات، وإدمان للمخدرات والمسكرات، ثم الانتحار، والحال كهذا في أمريكا. والحال أشنع من هذا في روسيا.

إنها الشقوة المنكدة المكتوبة على كل قلب يخلو من بشاشة الإيمان وطمأنينة العقيدة، فلا يذوق طعم السلم ولا ينعم بالأمن والظل والراحة والقرار. واللَّه عز وجل يُخرج الناس بالإسلام من ظلمات الشبهات والخرافات والأساطير والتصورات والشهوات والنزعات والاندفاعات في التيه، وظلمة الحيرة والقلق والانقطاع عن الهدى والوحشة من الجناب الآمن المأنوس، وظلمة اضطراب القيم وتخلخل الأحكام والموازين بعيدًا عن طريق اللَّه ودين اللَّه المستقيم مع فطرة النفس وفطرة الكون، المستقيم إلى اللَّه لا يلتوي ولا تلتبس فيه الحقائق والاتجاهات والغايات.

---

(١) هذا في الثمانينات.

* يا له من دين لو أن له رجالاً:

الإسلام هازم كل طاغوت، ومحطم كل صنم، أورق به كل غصن يابس وأزهر وأثمر.

✍ مُربّي الصديق والفاروق..

جرعة من كأسه أروت العقل والقلب: أذان بدر واليرموك، وجرس سورة الصافات، وسيف صلاح الدين، ونظرة الفضيل مفتاح كنوز الدنيا.. غيض من فيضه، القادسية وعين جالوت وحطين نفحة من نفحاته، وومضة من أنواره وبركاته.

به صُنع ركب الرجال العظام على مدار التاريخ.. فانظر إلى ركب المؤمنين الأبرار الأحرار، كيف شقّوا طريق المجد في علو وجمال، وتطلّعت إليهم من فتحات الأبواب أسرى القرون والأجيال.

* الإسلام هو المفتاح الفذ لأقفال الحياة:

◻ يقول الداعية الإسلامي أبو الحسن الندوي في حديث بينه وبين نفسه عند غار حراء في مكة المكرمة:

«لقد كانت الحياة كلها أقفالاً مُعَقدة، وأبوابًا مقفلة، كان العقل مقفلاً أعيا فتحه الحكماء والفلاسفة، كان الضمير مقفلاً أعيا فتحه الوعّاظ والمرشدين، كانت القلوب مقفلة أعيا فتحها الحوادث والآيات، كانت المواهب مقفلة أعيا فتحها العلماء والمعلمين، كانت المحكمة مقفلة أعيا فتحها المتظلّمين والمتحاكمين، كانت الأُسْرة مقفلة أعيا فتحها المصلحين والمفكرين، كان قصر الإمارة مقفلاً أعيا فتحه الشعب المظلوم والفلاح المجهود والعامل المنهوك، وكانت كنوز الأغنياء والأمراء مقفلة،

أعيا فتحها جوع الفقراء وعري النساء وعويل الرُّضعاء، لقد حاول المصلحون الكبار والمشرّعون العظام فتح قفل من هذه الأقفال ففشلوا وأخفقوا، فإن القفل لا يُفتح بغير مفتاحه، وقد ضيّعوا المفتاح من قرون كثيرة، وجرّبوا مفاتيح من صناعتهم ومعادنهم، فإذا هي لا توافق الأقفال، وإذا هي لا تُغني عنهم شيئًا، وحاول بعضهم كسر هذه الأقفال فجرحوا أيديهم وكسروا آلتهم.

ففي هذا المكان المتواضع، المنقطع عن العالم المتمدن، على جبل ليس بمخصّب ولا بشامخٍ. تم ما لم يتم في عواصم العالم الكبيرة ومدارسه الفخمة ومكتباته الضخمة. وهنا منّ اللَّه على العالم برسالة محمد ﷺ، وفي رسالته عاد هذا المفتاح المفقود إلى الإنسانية، ذلك المفتاح هو «الإيمان باللَّه والرسول واليوم الآخر» ففتح به هذه الأبواب المقفلة بابًا بابًا.

✍ وُضِع هذا المفتاح النبوي على العقل الملتوي فتفتّح ونشط واستطاع أن ينتفع بآيات اللَّه في الآفاق والأنفس، ويتوصّل مع العالَم إلى فاطره، ومن الكثرة إلى الوحدة، ويعرف شناعة الشرك والوثنية والخرافات والأوهام، وكان قبل ذلك محاميًا مأجورًا يُدافع عن كل قضية حقًّا وباطلاً.

✍ وُضع هذا المفتاح على الضمير الإنساني النائم فانتبه، وعلى الشعور الميّت فانتعش وعاش، وتحوَّلت النفس الأمارة بالسوء مطمئنة لا تسيغ الباطل ولا تتحمّل الإثم حتى يعترف الجاني أمام الرسول بجريمته ويُلحّ على العقاب الأليم الشديد، وترجع المرأة المذنبة إلى البادية حيث لا رقابة عليها، ثم تحضر إلى المدينة وتُعرِّض نفسها للعقوبة التي هي أشد من القتل..

ويحمل الجندي الفقير تاج كسرى ويُخفيه في لباسه ليستر صلاحه وأمانته عن أعين الناس ويدفعه إلى الأمير؛ لأنه مال اللَّه الذي لا يجوز الخيانة فيه.

✍ كانت القلوب مقفلة لا تعتبر ولا تزدجر ولا ترق ولا تلين، فأصحبت خاشعة واعية تعتبر بالحوادث وتنتفع بالآيات، وترقّ للمظلوم وتحنو على الضعيف.

✍ وُضع هذا المفتاح على القُوى المخنوقة والمواهب الضائعة فاشتعلت كاللهيب وتدفقت كالسيل، واتجهت الاتجاه الصحيح، فكان راعي الإبل راعي الأمم، وخليفة يحكم العالم، وأصبح فارس قبيلة وبلد، قاهر الدول وفاتح الشعوب العريقة في القوة والمجد.

✍ وُضع المفتاح على المدرسة المقفلة، وقد هجرها المُعلِّمون وزهد فيها المتعلمون، وسقطت قيمة العلم وهان المعلِّم، فذكر من شرف العلم وفضل العلم والمتعلِّم والمربِّي والمعلِّم، وقرن الدين بالعلم حتى كانت له دولة ونَفاق، وأصبح كل مسجد وكل بيت من بيوت المسلمين مدرسة.

✍ وضعه على المحكمة كل عالِم قاضيًا عادلاً، وكل حاكم مسلم حكمًا مقسطًا، وأصبح المسلمون قوّامين للَّه شهداء بالقسط، ووُجد الإيمان باللَّه وبيوم الدين فكثر العدل وقلّ الجدل، وفُقدت شهادة الزور والحكم بالجور.

✍ وضعه على الأسرة المقفلة وقد فشا فيها التطفيف بين الوالد وولده، والأخ وإخوته، والرجل وزوجته، وتعدّى من الأسرة إلى المجتمع فظهر بين السيد وخادمه، والرئيس والمرؤوس والكبير والصغير،

كل يريد أن يأخذ ما له ولا يدفع ما عليه، وأصبحوا مطففين إذا اكتالوا على الناس يستوفون، وإذا كالوهم أو وزنوهم يُخسرون، فغرس في الأسرة الإيمان وحذّرها من عقاب اللَّه، وهكذا أوجد أسرة عادلة متحابة مستقيمة ومجتمعًا عادلاً، وأوجد في أعضائه شعورًا عميقًا بالأمانة وخوفًا شديدًا من الآخرة حتى تورّع الأمراء وولاة الأمور، وتقشّفوا، وأصبح سيد القوم خادمهم، ووالي الأمة كوليّ اليتيم، إن استغنى استعفّ، وإن افتقر أكل بالمعروف.

وأقبل إلى الأغنياء والتجار فزّهدهم في الدنيا ورغبهم في الآخرة، وأضاف الأموال إلى اللَّه.

✍ أبرز رسول اللَّه ﷺ برسالته ودعوته الفرد الصالح المؤمن باللَّه، الخائف من عقاب اللَّه، الخاشع الأمين، المؤثر للآخرة على الدنيا، المستهين بالمادة المتغلّب عليها بإيمانه وقوته الروحية، يُؤمن بأن الدنيا خُلِقت له وأنه خُلِق للآخرة، فإذا كان هذا الفرد تاجرًا فهو التاجر الصدوق الأمين، وإذا كان فقيرًا فهو الرجل الشريف الكادح، وإذا كان عاملاً فهو العامل المجتهد الناصح، وإذا كان غنيًّا فهو الغني السخيّ المواسي، وإذا كان قاضيًا فهو القاضي العادل الفهم، وإذا كان واليًا فهو الوالي المخلص الأمين، وإذا كان سيدًا رئيسًا فهو الرئيس المتواضع الرحيم، وإذا كان خادمًا أو أجيرًا فهو الرجل القويّ الأمين، وإذا كان أمينًا للأموال العامة فهو الخازن الحافظ العليم.

وعلى هذه اللبنات قام المجتمع الإسلامي وتأسست الحكومة الإسلامية في بدورها، ولم يكن المجتمع والحكومة إلا صورة مكبَّرة لأخلاق الأفراد ونفسيتهم، فكان المجتمع مجتمعًا صالحًا أمينًا مؤثرًا

للآخرة على الدنيا، متغلبًا على المادة غير محكوم لها، انتقل إليه صدق التاجر وأمانته، وتعفف الفقير وكدحه، واجتهاد العالم ونصحه، وسخاوة الغني ومواساته، وعدل القاضي وحكمته، وإخلاص الوالي وأمانته وتواضع الرئيس ورحمته، وقوة الخادم، وحراسة الخازن، وكانت هذه الحكومة راشدة ومؤثرة للمبادئ على المنافع، والهداية على الجباية، وبتأثير هذا المجتمع وبنفوذ هذه الحكومة وُجدت حياة عامة، كلها إيمان وعمل صالح، وصدق وإخلاص، وجدّ واجتهاد، وعدل في الأخذ والعطاء، وإنصاف النفس مع الغير.

وحانتْ مني التفاتة إلى هذا العصر الذي نعيش فيه فقلت: إني لأرى أقفالاً جديدة على أبواب الحياة الإنسانية، وقد قطعت الحياة مراحل طويلة وخطت خطوات واسعة، وتعقدت الحياة والتوت، وتطورت المسائل وتنوّعت، وتساءلتُ: هل يُمكن فتح هذه الأقفال الجديدة بذلك المفتاح العتيق؟ وأبيْت أن أحكم بشيء، قبل أن أختبر هذه الأقفال وأضع عليها المفتاح، ولمست هذه الأقفال بالبنان، فإذا هي الأقفال القديمة بتلوين جديد، وإذا المشاكل نفس مشاكل العصر القديم، وإذا المشكلة الكبرى وأساس الأزمة هو الفرد الذي لا يزال لبنة المجتمع وأساس الحكومة، ووجدت أن هذا الفرد قد أصبح اليوم لا يؤمن إلا بالمادة والقوة، ولا يُعنى إلا بلذاته وشهواته، يُبالغ في تقدير هذه الحياة، ويُسرف في عبادة اللذات وإرضاء الشهوات، قد انقطعت الصلة بينه وبين ربه ورسالة الأنبياء وعقيدة الآخرة، فكان هذا الفرد هو مصدر شقاء هذه المدنية.

لقد أفلس الجميع في الروح، وتخلّوْا عن الإيمان، وفقدوا كل ما

يُغذّي القلب ويغرس الإحسان، ولا صلاح إلا في الدين الذي ارتضاه خالق البشر ﴿ **أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾ [الملك: ١٤].

لا أمل في صلاح العالم إلا بالإسلام وبمنهج الإسلام وفق تصور الإسلام.

✍ إننا على يقين جازم أن المسلمين في الغد لن يستجيبوا إلا لنداء الإسلام، ولن يصلحوا إلا به، ولن يتفاعلوا إلا معه.. سيعلو نداء الإسلام ويرتفع ويقوى ويشتد، ألا بارك اللَّه في الحناجر المؤمنة التي تطلق نداء الإسلام، والأصوات المباركة التي ترتفع بنداء الإسلام، والآذان الواعية التي تسمع نداء الإسلام، والقلوب الحيّة التي تتفاعل بنداء الإيمان، والحياة الكريمة التي تزكو وتطهر بنداء الإسلام، وصدق اللَّه العظيم إذ يقول: ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ** ﴾ [فصلت: ٣٣].

◻ ولله در القائل:

أنا مسلم أنا مسلم ... هذا نشيدي الملهم
من أعمق الأعماق ... أبعث لحنه يترنَّمُ
روحي تردّده وقلبي ... والجوارح.. والدم
شوقًا وتحنانًا ... لأمجادٍ لنا تتكلّمُ
أنا مسلم أنا مسلم ... بالرغم ممن يحقدون
أنا ها هنا بشريعتي ... في موكب الحق المبين
أنا لست رجعيًّا ... ولكن قائد المتقدمين
وزعيم كل حضارة ... جاءت على مرّ السنين

شيّدت للمدينة العظمى قلاعًا.. وحصون
أيام كان الغرب يخبط في دياجير القرون
حرّرته بالفتح من أيدي الطغاة الظالمين
ورعيته بالعلم حتى فاق كل العالمين
لكنه لم يرع حق أبوّتي شأن الخؤون
ولعلّ في الحمراء والقدس دليل المسلمين

* * *

أنا مسلم.. أنا مسلم في شدّتي قبل الرخاءْ
بعقيدتي الغرّاء أسمو سامقًا نحو السماءْ
دنياي روحي كل شيء في الحياة لها فداء
إن قال حي على الجهاد تجبه صيحات الدماء
لو كنت أشلاءً ممزقة بأنحاء الفضاء
لم آل جهداً في كفاح مُناصِب الدين العداء[1]

* * *

□ **ولله در القائل:**

الصين لنا والعُرب لنا والهند لنا والكل لنا
أضحى الإسلام لنا دينا وجميع الكون لنا وطنا
توحيد اللَّه لنا نور أعددنا الروح له سكنا
الكون يزول ولا تمحى في الدهر صحائف سؤددنا

---

(١) لهاشم الرفاعي.

بُنيت في الأرض معابدنا | والبيت الأول كعبتنا
هو أول بيت نحفظه | بحياة الروح ويحفظنا
في ظل الدين تربيْنا | وبنيْنا العزّ لدولتنا
عَلم الإسلام على الأيّام | شعار المجد لملتنا
وأذان المسلم كان له | في الغرب صدى من همتنا
قولوا لسماء الكون | لقد طاولنا النجم برفعتنا
يا دهر أما جرّبت على | نيران الشدة عزمتنا
طوفان الباطل لم يغرق | في الخوف سفينة قوتنا
يا ظلّ حدائق أندلس | أنسيت مغاني عشرتنا
وعلى أغصانك أوكار | عمرت بطلائع نشأتنا
يا دجلة هل سجّلت على | شطّيْك مآثر عزّتنا
أمواجك تروي للدنيا | وتعيد جوانب سيرتنا

◘ أخي يا بن الإسلام:

انشر ضياء الإسلام.. وافخر بأنك مسلم.. فشرف لك أن تحمل هذه الراية.. لا نتدسس بإسلامنا.. ليس فيه ما يشين.. بل فيه عزك كل العزّ.

◘ واسمع هذا النداء:

انشر ضياءك مشرقًا متألّقًا | متلألئ القسمات حُلو المبسم
وابعث نداءك عاليًا واقرع به | سمع الغفاة الغافلين النّوَّم
فنداؤك العلويُّ يخلق هزّةً | بمسامع الصخر الأصمّ الأبكم
صوت من البطحاء علوي الصدى | هزّ الوجود فيا عروش تحطّمي

وتطلَّعي يا أرضُ للنور الذي ... دَحَرَ الظلام وللضياء تبسّمي
هو دعوة التوحيد رنّ أذانها ... يدعو البرية باسم رب أكرمِ
يا منْ حملتَ النورَ تفتحُ أعينًا ... عُمْيًا وتهدي للصراط الأقومِ
أتهون أمَّتُك التي أوليتَها ... نعم الهداية من كريمٍ منعم
أتضلّ والقرآن مشعل دربها ... يهدي خطاها في الكفاح المظلم
لا لن تَذلَّ فهذه راياتها ... رغْم العواصف والدجى لم تحجم
ظمأى يحرِّكها نداؤك كلما ... عصف الطغاة بركبها المتقدِّم
أنا مؤمن حطّمتُ آلهة الهوى ... وبنائي الجبّار لم يتحطَّمِ
سأظلُّ في درب العُلا مستمسكًا ... بالعروة الوثقى التي لم تنفصم
يا أمة هبط الزمان بمجدها ... ذلاً وكانت في المقام الأعظم
لا عزّ إلا بالكتاب يقودنا ... أكرم بأحسن قائدٍ ومعلم

☐ يا بن الإسلام، الإسلام خير لك من الدنيا وما فيها.. قال تعالى: ﴿**قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ**﴾.

☐ قال أبو سعيد: فضل اللَّه: القرآن، ورحمته: الإسلام.

☐ يا بن الإسلام.. طالت غربتك عن دينك فأسمع الدنيا نداءك.

سنطب العالم بدوائنا..
عائدٌ أنا من حيث أتيت
عائدٌ أنا لمسجدي
عائد إلى الصلاةِ والركوع والسجود
عائد إلى الطريق خلف أحمد الرسول
أُطلق الخطى حزينةً في إثره
عرفت قصة الطريق كلها..

وعائد أنا برغمها
كالفجر. . كالصباح. . مغدِق وباسمُ
والخطو كالرياح. . عاصف وعازمُ
لا بديل للخلود
لا بديل للجنان
لا بديل
لا بديل غير ذلّةِ الرُّغام
لا بديل غير خدعه السراب
لا بديل غير وهدةِ الظلام
لا بديل للإقدام. . غير سحقة الأقدام

* * *

عرفت قصة الطريق كلها
الموت أول المطاف
لكن خضرة الطريق لا يصيبها الجفاف
قادم. . وقادم. . وقادم
إشراقة مضيئة تجيء في الختـــام
تقدّموا. . تقدّموا. . تقدّموا
فبعد لحظة من المسير
ينتهي الزحـــــام
ينتهي الزحـــــام.

❑ يقول الأستاذ أبو الحسن الندوي:

«القرآن وسيرة محمد ﷺ قوتان عظيمتان تستطيعان أن تشعلا في العالم الإسلامي نار الحماسة والإيمان، وتحدثا في كل وقت ثورة عظيمة على العصر الجاهلي، وتجعلا من أمة مستسلمة منخذلة ناعسة، أمة فتية ملتهبة حماسة وغيرة وحنقًا على الجاهلية، وسخطًا على النظم الخائرة. إن علة العلل في العالم الإسلامي اليوم هي الرضا بالحياة الدنيا والاطمئنان بها، والارتياح إلى الأوضاع الفاسدة، والتبذير الزائد في الحياة، فلا يقلقه فساد، ولا يزعجه انحراف، ولا يهيجه منكر، ولا يهمه غير مسائل الطعام واللباس.

ولكن بتأثير القرآن والسيرة النبوية ـ إن وجدا إلى القلب سبيلاً ـ يحدث صراع بين الإيمان والنفاق، واليقين والشك، بين المنافع العاجلة والدار الآخرة، وبين راحة الجسم ونعيم القلب، وبين حياة البطولة وموت الشهادة. صراع أحدثه كل نبي في وقته، ولا يصلح العالم إلا به، حينئذ يقوم في كل ناحية من نواحي العالم الإسلامي، في كل أسرة إسلامية ﴿فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ۝١٣ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾ [الكهف: ١٣ ـ ١٤].

هنالك تتجدّد ذكرى بلال وعمار وخباب، وصهيب ومصعب بن عمير وعثمان بن مظعون، وأنس بن النضر.

وهنالك تفوح روائح الجنة، وتهبّ نفحات القرن الأول، ويولد للإسلام عالم جديد لا يشبه العالم القديم في شيء».

✍ إن الإسلام عقيدة استعلاء، من أخص خصائصها أنها تبعث في



روح المؤمن بها إحساس العزة من غير كبْر، وروح الثقة من غير اغترار، وشعور الاطمئنان من غير تواكل، وأنها تشعر المسلمين بالتبعة الإنسانية الملقاة على كواهلهم، تبعة الوصاية على هذه البشرية في مشارق الأرض ومغاربها، وتبعة القيادة في هذه الأرض للقطعان الضالة، وهدايتها إلى الدين القيم، والطريق السويّ، وإخراجها من الظلمات إلى النور.

ما أحوج المسلمين اليوم إلى من يرد عليهم إيمانهم بأنفسهم، وثقتهم بماضيهم ورجاءهم في مستقبلهم.. ما أحوجهم لمن يردّ عليهم إيمانهم بهذا الدين الذي يحملون اسمه ويجهلون كنهه.. ما أحوجهم إلى من يصيح فيهم «واإسلاماه».

نحن قومٌ أعزّنا اللَّه بالإسلام دينًا ومنهجًا وسبيلاً.

* * *

مبشرات
من الواقع
إنها الصحوة.. إنها الصحوة

مبشرات من الواقع

واقعنا قد غربل أهليه أشد غربلة، فسفسف أخلاقهم، وسفّه أحلامهم، وخبّث ضمائرهم ـ هذا الواقع المرّ هو السنون الخدّاعة التي حذّرنا منها رسول اللَّه ﷺ حين قال: «**إنها ستأتي على الناس سُنون خدّاعة، يُصَدَّق فيها الكاذب، ويكذّب فيها الصادق، ويُؤتمن فيها الخائن، ويُخَوَّن فيها الأمين، وينطق فيها الرُّوَيْبِضة**». قيل: وما الرويبضة؟ قال: «**السفيه يتكلم في أمر العامة**»[١] .

ويعلو التحوتُ الوعول. . كما قال ابن مسعود ـ رضي اللَّه عنه ـ: «فُسُولُ الرجال وأهل البيوت الغامضة يُرْفعون فوق صالحيهم. والوعول أهل البيوت الصالحة»[٢] .

✍ وأيامنا وواقعنا من أحط أدوار التاريخ، انحدرت فيه الأمة وانحطت، وقد زادتها الأيام سرعة في هبوطها وشدة في إسفافها، نسي فيها المرء خالقه فنسي نفسه ومصيره، وفقد رشده.

✍ «ورضي عامة المسلمين أن يكونوا ساقة عسكر الجاهلية بدل أن يكونوا قادة الجيش الإسلامي، وسرت فيهم الأخلاق الجاهلية ومبادئ الفلسفة الأوربية سريان الماء في عروق الشجر، فترى المادية الغربية في البلاد الإسلامية في كثير من مظاهرها وآثارها، وترى تهافتًا على

---

(١) إسناده جيد: رواه أحمد، وقال ابن كثير في «النهاية في الفتن والملاحم» (١/ ١٨١): هذا إسناد جيد ولم يخرّجوه من هذا الوجه. وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده حسن، ومتنه صحيح.

(٢) «أشراط الساعة» ليوسف الوابل ص(١٨٠) ـ دار ابن الجوزي.

الشهوات، ونـهمًا للحياة، نَهَـمُ من لا يؤمن بالآخرة، ولا يوقـن بحياة بعد هذه الحيـاة، ولا يدخر من طيباتهـا شيئًا، وترى تنافسًـا في أسباب الجاه والفخار وتكالبًا عليها فعل من يغلو في تقويم هذه الحياة وأسبابها، وترى إيثارًا للمصالح والمنافع الشخصية على المبادئ والأخلاق، شأن من لا يؤمن بنبـي ولا بكتاب، ولا يرجو معادًا، ولا يخشـى حسابًا، وترى حبًّـا للحياة وكراهة للموت دأب من يَعـدّ الحياة رأس بضاعته، ومنتهى أمله ومبلغ علمه، وترى افتتانًـا بالزخارف والمظاهر الجوفاء كالأمم المادية التي لـيس عندهـا أخلاق ولا حقيـقة حية، وتـرى خضوعًا لـلإنسان، واستكانـة للملوك والأمراء ورجال الحكـومة والمناصب وتقديـسهم شأن الأمم الوثنية وعبادة الأصنام»[1] .

✍ ران على جوهـر الإسلام ـ وهو التوحيـد ـ الكثير من ظـلمات الشرك وخرافـات المشعوذين الدجالين وشـرك العوام من النذر لغـير اللّه والاستغاثـة بغير اللّه، وإنزال الحاجـات بغير اللّه من الأمـوات وتقديس القبـور والطواف حولهـا، وترك الخواص الذيـن يكادون يعبـدون قصور الأحياء، وغلب منطق أرسطو وعلم الـكلام الذي هو الجهل على المنهج القرآني. . وظهرت الفرق الضالة من قاديانية وبهائية مرقت عن الإسلام، وظهر فكر التكفير وغلب على الناس الإرجاء.

✍ وضيّع النـاس الصلوات، واتبعـوا الشهوات، وأفسدهـم الترف وحب الحياة وكراهـية الموت، وران على الناس سوء العـمل، وأفسدهم طول الأمل، وغـدا أكثر النـاس يقولون مـا لا يفعلـون، ويراءون بما لا

(١) «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين» لأبي الحسن الندوي ص(٢٨٤).

يعملون، ونـدُر الإخلاص وأهله، وذهب الخشوع وأصحـابه، وتحجرت المدامع، وندر الخاشع، وفُقد التوكل والـتبتل والشوق إلى الحب، وجعل الهم همًّا واحدًا.

وظهـر دجل التـصوف الفلـسفي وأهـل الاتحاد وأصحـاب وحدة الو-جود، أو دجل الـرافضين والطبّالين، ومـواجيد الكاذبين الـبطالين.. ليس فـيهم من يـساوي شعث نعـل الجنيد ولا سـهل بن عبـد اللَّه ولا إبراهيم بن أدهم.. وإنما تجد المعالـف ومن يأكل أكل الحمار ويرقص في القوم حتى يقـع، وتقديس يصل إلى خلع نعوت الألوهـية على المخلوق الذي لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا.

✍ وضاعت الأخـلاق وهي قوام دين اللَّه بـعد التوحيـد الخالص، وفسدت التربية وأين هي التزكية أو الـتصفية أو التحلي بمكارم الأخلاق؟ بل استبدل الناس بالإيثار أثرة وأنانيـة، وبالتواضع كبرًا، وبالحلم والعفو سرعة بطـش، وبالرحمة قسوة قـلب، وتفشى الكذب والـدجل والرياء والنفاق، وظهر فـي الأمة المارقون المستهزئون بالذات الإلـهية وبالرسول ﷺ، وظهر الطاعنـون في جبال الأمة من الصحابة والـتابعين، وظهر عملاء الغـرب ومن ينعق ويسير عـلى نهجه ودربه، وظهـرت المسكرات والمخدرات، وأصبح الشبـاب إمّعة، وظهر في شباب الأمة وفتـياتها من يعبـدون الشيطان مـن أبناء المترفين، وظـهر الإدمان وسط الشـباب، بل وأصبح ظاهـرة خطيرة، مثله تمامًـا مثل الزواج العرفي الذي تـفشى بين طالبات الجامعات، بل واللَّه في المراحل الثانوية، وقل الحياء بل وذهب، وكثر التـبرج، بل والرقص، والمجون والـغناء، وأصبح أهل الـغناء من أغنياء الناس، وممن يشار إليهم بالـبنان، وأصبحوا من عِلية القوم، وعمّ

الربا وحورب اللَّه ورسوله، وخار اقتصاد البلد، وظهر جشع المترفين، وزاد فقر اليتامى والفقراء والمساكين، وكثر أهل الخنا والفسوق، واستشْرَت الفاحشة، وظهرت المجلات الإباحية وكثرت ممن يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، ممن لا يرقبون في مؤمن ولا مؤمنة إلاًّ ولا ذمة، وما مرّت عليهم تقوى اللَّه يومًا في النشء الذي هو عماد المستقبل، وعُطّلت عند الكثير من الناس فريضة الزكاة، وظهرت النزعة العقلية، وتفضيل العقل على النقل، وتكلّم في دين اللَّه الرُّوَيْبِضة.

✍ وضعف العقل الإسلامي فلم يعد يفكّر ويبتكر ولم يُضف الجديد إلى الحضارة، وطغى الجمود والتحجر على جنبات الحياة، وغاب الابتكار في الصناعة والإنتاج.

✍ واستشْرَى الترف المدمِّر في بعض طبقات الأمة، وانقلبت القيم الاجتماعية بظهور الغنى بغير جهد، وظهر لصوص الانفتاح وغيرهم.

✍ وكثر الظلم وضجّت إلى اللَّه تشكو حناجر المظلومين، وتطلّعت الأعين الدامعة تشكو إلى ربها ظلم المخلوقين، وطغيان المتجبرين. واستحرّ القتل في الأمة، وفاقت سجون بعض الحكام سجن الباستيل، واقتيد الناس إلى غياهب السجون بغياب حكم اللَّه وشرع اللَّه، وخفت صوت الحرية، وأصبح المرء غير آمن على نفسه ولا على سربه.. وضاعت الشورى، ولم يُعد يُسمع رأي لأهل الحِلِّ والعقد، وظهر علماء سوء آثروا الدنيا على الآخرة.. زلّوا في الطين، وأخلدوا إلى الأرض، بل باعوا آخرتهم بدنيا غيرهم، وكُمّمت الأصوات التي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر.

✍ واستلب اليهود أغلى ديار المسلمين «بيت المقدس» وما حوله،

وأنزلوا المصائب الجمّة بالشيوخ والنساء والأطفال، وطُرد المسلمون من ديارهم.. وأذلّ اليهود ـ وما بلغ عددهم ٥ مليون نسمة ـ مليارًا وربع نسمة من المسلمين، وخفت صوت الجهاد، واستعمر الكفرة ديار المسلمين وقطّعوها أشتاتًا، وما أمر تيمور الشرقية في أندونسيا من الناس ببعيد.. فُرض التضييق بدعوى الإرهاب على بعض بلدان المسلمين من قبل هيئة الأمم المتحدة اللصة المسبّحة بحمد أمريكا، ودمروا العراق تدميرًا، وقتلوا بمنع الطعام والتجويع أكثر من مليون طفل عراقي، وتطلعوا إلى نفط المسلمين، واغتصب الهندوس عبّاد البقر نساء المسلمين في كشمير، واحتلوها وقتلوا المسلمين، وهدموا مساجدهم، والمسجد البابري خير شاهد.

✍ وفي البوسنة والهرسك وكوسوفا فعلوا بالمسلمين ما لا تفعله الوحوش الضواري، وما لم يمرّ على أذهان البشر من قبل، وفاقوا التتار والمغول وغيرهم، وأجريت الدماء أنهار، ورحّلوا أطفال المسلمين الذين فقدوا ذويهم لتهويدهم وتنصيرهم وهدموا البيوت والقباب والمآذن، واغتصبوا النساء أمام أزواجهن، ولعبوا بجماجم المسلمين مثل الكرة.. بل واغتصبوا بعض النساء بعد موتهن، وفعل الحقد الصليبي واليهودي والإلحادي بهذه الأمة الأفاعيل.

قوافل تمضي بين أفواج رُضَّعٍ وأحزان ثكلى أو تباريح أيِّمِ
وبين صبايا يا لذلّ دموعها وأفواجِ أطفال وأمواج يُتَّمِ
قوافل تمضي وهي تسحب خطوها ذليلاً على شَوْكٍ مُدَمٍّ وموضِمِ[1]

(١) أي: مؤلم.

تكاد عيون الطفل تسأل مَن أنا إلى أين أمضي يا فيافي تكلّمي
أتحملني دور النصارى وبيعة وساحات شرك أو منازل سُوَّمِ
لتُنزَع مني فطرة وطهارةٌ ويُغرسَ بي شرك وفتنة مأثم

□ آه وألف آه على هذا الواقع المرّ:

أين يا قلب أسكب الدمع أنَّى طُفتُ ألقى مذلةً وخنوعًا

□ ولله در الشاعر:

رحل العمر والليالي اكتئابٌ معتمٌ لم يُشر إليه وميض
أمتي هذه المصائب زندٌ يُشعل العزمَ حين يغفو النهوض

✍ من الآلام تبزغ الآمال، والرجال تصنعهم المحن، وابتسامة الفجر الوليد تبزغ من أشد ظلمة في الدياجي.

ومثلما رُبّي موسى في حجر فرعون على الرغم منه ـ ظهرت الصحوة على الرغم من الصليبيين واليهود والملاحدة.. كانوا السبب في ظهورها بشدة وطأتهم وظلمهم الشديد للأحناف، فسرت الصحوة في ضمير الأمة، كما تسري المياة العذبة في الرمال العطشى.

وأرى الصحوة تسري
بكتاب الله تسري
عبر أصقاع الشعوب المسلمة
تلد الأنوار من قلب العصور المظلمة

ولنا وقفة بل وقفات مع الصحوة كمبشر عظيم جميل لفجرنا الآتي من واقعنا المر ﴿ **وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ** ﴾.

✍ الأمة المسلمة لا تموت، ومن طبيعتها ألا يستمر نومها وغيبتها

عن الوعـي أزمانًا تتطـاول، ومن طبيعة الإسـلام أن يوقظ فيهـا عوامل التنبه، وبواعث التحرك، وسيرة الرسول ﷺ بين يديها تضيء مصباح التأسي، وتوقد جذوة الحماس في القلوب.

✍ وهذه الصحوة أو اليقظة هي صحوة علـمية، أسُّها عقيدة سلفية وعودة لينبوع الكتاب والسنة بفهم الصحابة والتابعين، هي صحوة عاطفةٍ وقلـب، وصحـوة إرادةٍ وعزم، وصـحوة عمـلٍ ودعوة، فـهي صـحوة شاملة.

* **هي صحوة علمية:** تدعو إلى العلم قبل العمل، وأن يكون الداعية على بصيرة، تدعـو إلى الربانية وتدرج الناس في طلب الـعلوم الشرعية من المجمل إلى المفصل.

✍ تدعو إلى التصفيـة والتربية، تصفية عقائد المسلـمين مما علق بها من بدع وضلالات، وتصفيـة كتب التفاسير من الاسرائيلـيات، وتصفية كتب الحديـث والتاريخ من الأحاديث الضـعيفة والموضوعة التـي يعيش لنبذها الجهابذة من الرجال. ثم تربية الأمة على هذا النبع المصفّى.

ترجمت الكتب الإسلامية إلى اللغات العالمية، ولم يعد خافيًا على أحد انتشـار الكتاب الإسلامي، وأنه صـاحب الرقم القيـاسي في سوق التوزيع في المعارض الدولية رغم العقبات الكثيرة وعوائق النشر وقيوده.

* **هي صحوة قلوب خاشعة**، وأعين دامعة، وشفاه ذَبِلة، وتضرع واستغفار ينير الدياجي والأسحار.

رأى الناس ورأينا الذين ﴿ **تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ** ﴾ [السجدة: ١٦].

قبل ظهور هذه اليقظة في السبعينات على أيدي الشباب الذين عاهدوا ربهم على المضي قدمًا على الصراط المستقيم ليعود مجد الإسلام.. ما كان الناس يعرفون الاعتكاف في ليالي العشر من رمضان.. وإذا بالناس يرون الشباب الطاهر، وقلوبهم الوجلة، وجلودهم المقشعرة حين تتلى عليهم آيات ربهم فيخرون سجدًا وبُكيًّا، ولو تكلمت المحاريب وجدران المساجد لأخبرت بخبر القانتين العجيب وخيرهم العجيب.

وسلوا ساحات الحرم النبوي والحرم المكي عن أنهار الدموع التي يذرفها شباب الصحوة عند الحَجَر وفي الروضة، وعند الصفا والمروة هل ينكر هذا إلا جاحد، واللَّه لكأن الدموع خُلقت لهم.. ولكأن الناس ما عرفوا البكاء عند سماع القرآن إلا من نحيبهم.

بكى الباكون للرحمن ليلاً وباتوا دمعهم لا يسأمونا

بقاع الأرض من شوق إليهم تحنّ متى عليها يسجدونا

* **هي صحوة مشاعر:**

حماسة متّقدة وغَيرة على الحرمات، صرخات من قلوب تجأر، توقظ النائمين، وتحذّر الغافلين، وترهب الزنادقة المجرمين إذا ما سخروا من عقيدة المسلمين.

◘ يعلو زئيرهم وهم يروْن شريعتهم الغرّاء معطلة، وبرود مَنْ حولهم القاتل تجاه مصائب المسلمين ونزيف الدم المسلم في كل مكان، والمعروف الضائع، والمنكر الشائع، وغربة المسلم في وطنه، واضطهاده بين أهله.

ولولا هذه الحماسة لتنمّر العلمانيون، ولعلا فحيح الزنادقة، وعواء الملاحدة، ولكن هذا الزئير المؤمن كان لهم بالمرصاد يردهم إلى جحورهم يقول لكل مارق: «اخسأ فلن تعدو قدرك».

أوقدت الصحوة مشاعل الحماسة لتطبيق شرع اللَّه في الأرض وتبصير الناس بمآسي القوانين الوضعية التي وضعها مستعمر كافر أيام حكمه وسلطانه على المسلمين.. ينادي مناديهم:

عجّت فروج الناس ثم حقوقهم ... للَّه بالبُكرات والآصال

كم تُستباح بكل شرع باطل ... لا يرتضيه ربنا المتعالي

◻ ويهدر حاديهم:

سيأخذ ثأر اللَّه أنصار دينه ... فللَّه أوس آخرون وخزرج

* وهي صحوة التزام وتربية:

صحوة عمل بالإسلام.. يمتزج العلم فيها بالعمل، فالعلم يهتف بالعمل فإن أجابه حلّ وإلا ارتحل.. شباب هذه الصحوة بالخير موصوفين وليسو وصّافين فحسب، يقول واعظهم: «إن الواو والراء والدال لا تشمّ منها رائحة الورد»، ويقول معلمهم: «إن شيخك مَن حدّثك بلحظه قبل أن يحدّثك بلفظه، ومن لا ينتفع بصمت العالم لا ينتفع بعلمه»، يخشى شبابهم النفاق والرياء وهم يبيتون الدياجي سجدًا في محاريبهم، وغيرهم يضج منهم الليل، بدت أمام الناس سوءتهم، يصدق فيهم قول القائل:

يا أيها المتناثرون على رمال الوهم

.. يا حطبًا بلا نار

ويا موتى بلا حفرٍ أفيقوا

مزّقوا الأسمال والأغلال.. وارتفعوا إلى أفق المصاحف
يا أيها المُتمَرْكسون وأيها المُتأمرِكون
.. وأيها الكتل الذين بلا ملامح
يا أيها الناس الفضائح
يا من تدوِّي فيهم الساحات والقاعات
ينفجرون في ليل المسارح

عرف عوام المسلمين عباد الرحمن وعباد الشيطان، ورأوا النور على وجوه القانتين الصابرين والصائمين العابدين المتهجدين.. خلوا بربهم في دجى الليل فألبسهم من نوره.

✍ للَّه درهم فاح عبيرهم وانتشر طيبهم وأثّر إخلاصهم في جلمود الصخر؛ فعاد إلى اللَّه الشاردون ممن ظن الناس أنهم لا يعودون أبدًا.. وكم رأينا من ممثلات بل وراقصات عُدْنَ إلى اللَّه.. وارتدين النقاب، وذرفن دموعهن غزيرات على محراب التوبة.. لو لم يكن للصحوة إلا هذا لكفاها.. وعلا نقيق الضفادع، والتاثت عقول المفسدين في الأرض: إن الممثلة فلانة سترتدي الحجاب هذه ردة احذروا الإرهاب الذي سيحطم الفن..

ستبقى في حلوقهمُ زجاجا — وتسطع في ظلامهمُ شهابا
تعالج حقدهم بالحبِّ حتى — ترى الأمطار تنسكب انسكابا
تُقَلِّمُ من خبيث القول ظُفرا — وتقطع من لئيم الفعل نابا
إذا زرعوا الجفاء زرعت حُبًّا — وإن غدروا بسطت لهم جنابا
تعيب عليهمُ جُبنا وجهلاً — وحق الجاهلية أن تُعابا
وتغرس فيهمُ الإسلام غرسا — فقد بلغت شرورهم النصابا

* **صحوة عمل للإسلام:** تحمل عبء الدعوة إلى اللَّه عز وجل ليل نهار، فرادى وجماعات، في السهل والقفار، وفي صبر ومصابرة، واللَّه لقد رأينا المنتقبات وأصحاب اللحى يملئون الجبال بعد أن كانوا قطّاع طرق وسحرة ودجالين.. رأيناهم وقد التزموا وأصبحوا من الدعاة إلى اللَّه عز وجل.

وما مرسى مطروح وصحاريها من الناس ببعيد.. سل كل فرد في هذه المدينة الطيبة عن حال الناس قبل عام ١٩٧٥م وحالهم بعد ذلك.. وكيف سرت الدعوة إلى كل نجع.. وسل كنائس أوربا عمن اشتراها ليجعلها مساجد.. سل الذين يسلمون كل يوم مَن وراء إسلامهم؟ في كل ساعة يوميًّا يسلم أربعة.. يسلم يوميًّا مائة، عدد المسلمين في الجيش الأمريكي ٢٢ ألف.

✍ لقد أثرت هذه الصحوة في رجالات العالم فيسلم مراد هوفمان الألماني وهو من هو عند أهل الغرب؟! ويثني عليها الخير أمراء العالم وتكفي محاضرة الأمير تشارلز ولي عهد بريطانيا التي ألقاها في قاعة المؤتمرات بوزارة الخارجية البريطانية في ديسمبر عام ١٩٩٦، وقال فيها: «إن الثقافة الإسلامية في شكلها التراثي جاهدت للحفاظ على هذه الرؤية الروحية المتكاملة للعالم بطريقة لم نجدها نحن خلال الأجيال الأخيرة في الغرب موائمة للتطبيق. وهناك الكثير مما يمكن أن نتعلمه من رؤية العالم الإسلامي في هذا المضمار».

وقال أيضًا: «إننا نحن أبناء الغرب ـ نحتاج إلى معلمين مسلمين ليعلمونا كيف نتعلم بقلوبنا كما نتعلم بعقولنا. وإن اقتراب الألف الثالثة قد يكون الحافز المثالي الذي يدفعنا لاستكشاف هذه الصلات وتحفيزها»[1].

---

(١) جريدة الشرق الأوسط ـ العدد ٦٥٩٢ بتاريخ ١٥/١٢/١٩٩٦.

✍ لولا فضل اللَّه ثم هذه الصحوة ما انتشر الإسلام في تركيا العلمانية، وما رؤي النقاب والحجاب في صقيع سيبيريا وجبال القوقاز. وهل كان أحد يجول بخاطره أن يرى النقاب في البوسنة، وطوائف الشباب القانتين المتبتلين لربهم يحيون الليل في مساجد أوربا؟

✍ رأينا ورأى الناس حرص شباب الصحوة على إحياء السنن التي كادت أن تندثر كالاعتكاف في رمضان، وصلاة العيدين في الخلاء، وخروج النساء إلى صلاة العيدين.

✍ بل ورأينا الصحوة تدخل إلى بيوت علية القوم من سكان أرقى المناطق تحضّرًا، وبيوت أساتذة الجامعات وعمداء الكليات. بل وفي الجامعة الأمريكية بالقاهرة وهذه ظاهرة ملحوظة.

✍ وانتشرت الدعوة الإسلامية في النقابات والعمل الجماعي، ورأى الناس الرحمة مجسدة في هذا الشباب الذي يجمع الصدقات، ويطوف على المستشفيات يعين مرضى الجذام والفشل الكلوي، ومن أصيبوا في الزلازل والسيول فما ينكر هذا النور إلا أعمى.

والحق أبلج لو يبغون رؤيته ... هيهات يُبصر من في ناظريه عمى
وصرخة الحق تاباها مسامعهم ... من يسمع الحق منهم يشتكي الصمما

✍ ورأينا رجالات هذه الصحوة ينشرون الدعوة حتى بين القساوسة ولا ينسى الناس ما فعل ديدات بجيمي سيوجارات، وكيف أسلم ثلاثة عشر قسيسًا سودانيًا بعد مناظرة أمام الشيخ محمد جميل غازي واللواء أحمد عبد الوهاب، والشيخ إبراهيم خليل - والذي كان من أشهر القساوسة في مصر وأسلم واشترك في هذه المناظرة..

✍ وتمتد الصحوة إلى الأرض المحتلة غزة والضفة الغربية وسائر أرجاء فلسطين، كما تمتد الصحوة إلى أندونسيا وجزر الفلبين وكشمير المحتلة وجنوب أفريقيا والجزائر وغيرها.

نعم هناك أخطاء، ونحن لا نقدس الرجال ولا نتعامى عن الأخطاء.. لا نبررها بل ننبه عليها ونتلافاها ولكنْ «ليس من قصد الحق فأخطأه كمن تعمّد قصد الباطل».

وظلم بيّن أن تمر بطريق طويل ملؤه الزهور والرياحين على الجانبين وفي الطريق صندوق قمامة واحد فيقال لك: ما رأيت في هذا الطريق الطويل؟ فتقول: لم أر إلا القمامة فقط..

هؤلاء الذين يتعامَوْن عن الزهر والرياحين غلب عليهم طبعهم فهم مثل الخنفساء إذا وضعتها في حقل الورد تتماوت، فإذا وُضِعت في الروث والسبخ تنتفش.

خفافيش أعشاها النهار بضوئه ولاءمها قطع من الليل باديا

* * *

* صحوة شباب مثقف:

والشباب هم عماد الصحوة وجنود الدعوة الربانية، فهم أنقى قلوبًا، وأرقّ عاطفة، وأقوى عزيمة.

وشباب هذه الصحوة مثالي، قمم ترنو إليها الأبصار، وتشرئب نحوها الأعناق في الإيمان، والخشوع، والتبتل، والصبر، والفداء.

وهو شباب مثقف نال أرقى الدرجات العلمية في الكليات والجامعات، كوادر متخصصة في كافة مجالات الحياة.

واللَّه لو وجد هذا الشباب من يحتضنه في بلاده، ويوفّر له الحرية والأمن لأتى بالأعاجيب فعقولهم نيّرة وجوارحهم نيرّة بتقوى اللَّه عز وجل.. يريد هذا الشباب أن يجمع بين الأصالة والمعاصرة.. شباب يعلم شمولية الإسلام، وأنه دين ودولة مصحف وسيف.

شباب يقدم أطروحات علمية تثبت أصالة الاقتصاد الإسلامي وتوازنه وتفوقه.

* وفي الصحوة مجال رحب للقانتات:

صحوة حفظت للمرأة حياءها وعفتها وطهارتها بحجابها ونقابها.. لا تغفل دور المرأة كملكة في مملكتها، وأنها نصف المجتمع، وأنها تلد للمجتمع نصفه الآخر، صحوة تقدر حديث رسول اللَّه ﷺ جيداً: «إنما النساء شقائق الرجال»[1].

تريد من المرأة المسلمة أن تسير على درب آسية وعائشة وخديجة وفاطمة ونسيبة والخنساء ورابعة وخولة.. صحوة تدعو كل شاردة متبرجة إلى أن تعرف الطريق.

يا درّة حُفظت بالأمس غاليةً	واليوم يرجونها للهو واللعب
هل يستوي مَن رسولُ اللَّه قائده	دوماً وآخر هاديه أبو لهب
وأين من كانت الزهراء أسوتها	ممن تَقَفَّتْ خُطا حمّالة الحطب؟!

وإن بعد عن هذا الطريق الطاهر المتبرجات بالرغم من وعظهن

---

(١) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، والبيهقي في «سننه» عن عائشة، والبزار، والدارمي، وأبو عوانة عن أنس، وصححه الألباني في «تخريج المشكاة» رقم (٤٤١)، و«صحيح الجامع» رقم (٢٣٢٩).

بالحكمة والموعظة الحسنة، فإن اللَّه يفتح قلوب من يعلم الخير منهن من بنات الأعاجم.. واللَّه لقد رأينا من حزن أعلى الدرجات العلمية «الدكتوراة» في التاريخ الإسلامي عن «الحروب الصليبية وصلاح الدين» وهي أمريكية الأصل منتقبة يفوق التزامها آلاف من بنات العرب.. وعندها غيرة على دينها لا يكاد يصدقها عقل.

*** وهذه الصحوة عالمية:**

سل عنها ضفاف الراين والسين وجبال الصين وجزر الفلبين وثلوج سيبيريا وأدغال أفريقيا وحدائق اليابان.. سلوا عنها أوربا وأمريكا وكندا ترى أثر الصحوة واضحًا.. يسود الوعي الإسلامي ويمتد، ويقود الإسلام الركب من جديد.. هذه الصحوة آخذة في النمو والصعود، وسيكون لها ما بعدها، وهي جديرة أن تتعلم من التجارب وتستفيد من الأخطاء ودروس الأيام.

إن من الظلم للحقائق أن نغفل كل ما يقوم به جيل الصحوة من علم وبذل وعطاء، ولا نذكر إلا جلاليب الرجال، ونقب النساء!

فهلاّ قال: إن هذه من علامات التميز والتحدي الحضاري؟

إن التيار الإسلامي هو التيار الوحيد الأصيل المتجاوب مع فطرة الأمة ووعيها وتاريخها، والذين ينظرون إلى الصحوة كأنها ظاهرة شاذة، أو خارقة لقوانين الكون وسنن الاجتماع البشري فهم غفّل نوّم يعلمون ظاهرًا وقشورًا.. وليس لهم معرفة باللباب..

وكأن الأصل في الأمة المسلمة عندهم.. أن تنام فلا تصحو، وأن تفقد الوعي فلا تفيق، وإذا أفاقت وصحت، وجب أن يكون صحوها وإفاقتها بغير الإسلام، ولغير الإسلام!.

✍ ولعمري ما يقول هذا إلا مبـطل.. فالأصل في الأمة أن تصحو بالإسـلام وللإسلام، وطبـيعة الإسلام تـأبى إلا أن توقـظها من سـبات وتحييها من موات.

✍ أما أن يقاوم هذا التيار بالحديد والنار فهذي شريعة الغاب.

أحــــرامٌ على بلابــــله الـــدو ... حُ، حلالٌ للطير من كل جنس؟!
كـل دار أحـــق بـالأهــــل إلا ... في خبيـث مـن المذاهـب رجس

* هذه اليقظة ليست مقطوعة النسب، وهي امتداد لحركات التجديد:

إن الصحوة المعـاصرة لم تولد من فراغ، وإنما هـي امتداد لحركات التجديد الإسلامية في عصرنا الحالـي، يذكر التاريخ منهم مجدد الجزيرة العربية، وشـيخ الدعوة السلفيـة شيخ الإسلام محمد بن عـبد الوهاب، وهو امتداد لمدرسة شيخ الإسلام ابن تيمية.

سيذكر التاريـخ رجالاً صالحين أثروا في حاضر أمتنـا: عبد الحميد بن باديس، والسنـوسي، ومحمد رشيد رضا ـ بعيـدًا عن أخطاء المدرسة العقلية ـ والبنا، والمودودي.

* الحر من يرعى وداد لحظة ولا ينسى مآثر العظام:

هناك قادة مدّوا رواق الإسلام في هذا العصـر، وربّوا جيلاً يتعشقه ويفنى فيـه، كانوا طرازًا خـاصًّـا من أصحاب القلوب الـكبيرة والمشاعر المشبـوبة، ما إن تتصـل بهم حتى تحـس إحساسًا دافقًـا يتغلغـل فيك، يخلعك من حاضرك ومـاضيك، ويُصيّرك من القافلة الهاتفـة للَّه العاملة للَّه.. حاملة راية الإسلام فوق الشمس، صقلوا الأرواح ووصلوها بنبع

الكتاب والسنة.

رجال يظهرون في التاريخ على ندرة، ويُحدثون بمسلكهم الفذّ موجات جارفة من الحركة والتجديد.

كل منهم عملاق ورجل واسع، في نفسه مجالات شتى لبطولات متنوعة كل منهم حيث يحلّ يترك وراءه أثرًا صالحًا.

جوهر نفوسهم لا يتوقف عن الإشعاع.. سل عنهم الألوف المؤلفة ممن أشرق عليهم العظام في مداراتهم العتيدة.. يخبرونك أنهم لا يعيشون لأنفسهم، وإنما لبعث أمة وإحياء تاريخ.

يقولـــون لي ما أنت في كل بلدة   وما تبتغي؟ ما أبتغي جَلَّ أن يُسمَّى

رجال من ألوية الإسلام.. حرّاس أيقاظ، لكأن الرجل منهم كان سدًّا تحتبس وراء أسواره العالية أمواج الفوضى والعصيان والفسوق، بل تنحسر وتتقهقر، وتموت ولا تستطيع أن تمسّ ما شاد الخير والبرّ من شعائر ومآثر.

نذكر منهم: الشيخ حسن البنا ـ رحمه اللَّه ـ وأجزل له المثوبة.

ومنهم محدث ديار الشام مجدد عصرنا في الحديث الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ـ رحمه اللَّه ـ من حبّب السنة الصافية إلى الصحوة، صاحب اللآلئ والكنوز.

ومنهم إمام العصر الرجل الذي اجتمعت حوله القلوب فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز ـ رحمه اللَّه ـ.

هؤلاء قمم صدوا الكلاب الكثيرة التي تنبح الإسلام، وتتحرّش برجاله وتكشّر عن أنيابها، وكأنها تريد قضم أبدانهم وخمش وجوههم وردّهم عن طريقهم.. ومن ذا يصد السيل إذا هدر؟



أكُلُّ امرئ نبت في بيت لا يعرف له أبًا، أو يعرف أباه خادمًا للاستعمار، يريد أن يطفح بسوئه على هذه الأمة لترضى الرذائل شريعة، واتباع الأجانب دينا؟!

هؤلاء يعيشون غافلين، لا يعرفون لهم هدفًا ولا رسالة إلا هدم الإسلام، أمواتًا غير أحياء.. لا هَمّ لهم إلا بطونهم، وشهوات فروجهم، أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات، باعوا نفوسهم بثمن بخس، نشوة سكر، أو غيبة خدر أو فورة جنس، أو سهرة مجون؟!

لترينهم حشو أجسامهم طينًا وحمأة، ولتجدن أحدهم وما في السفلة أسفل منه، شهوات ونزعات، خذ منهم الكذب، والتسفل، والوقاحة، والإلحاد، والانحلال والتعفن.. فأين هم من موج الإسلام الهادر..

سوف تخضرّ المنابر

من جديد من جديد

والمحاريب ترى الذكر نديّا

من جديد من جديد

وستزهو الأرضُ من دفء الأذان

ويعم النور يا أحبابنا كل مكان

سوف نُعلي راية الإسلام في الأرض وإن طال الحصار

وسنبني للحضارة

ها هنا ألف منار ومنارة

سنصلي ونصلي

ونُعيد الضوء باسم اللَّه للشمس الطريدة

✍ هذه الصحوة نبراس أمة وحادية ركب لا يُستهان به.. فهلاّ عقل الغافلون العلمانيون..هل وعـوا سنن الأيام والزمان.. هل فقهوا عظمة العظمات في الإسلام وأنه صالح لكل زمان ومكان؟

فيا أبـناء الصحوة، كـونوا نسمة هـادئة..طيبـها وأريجها اعـتقاد صحيح وحسن خـلق، وأقيموا دولة الإسلام في قلوبكم تـقم بكم على أرضه، تملكـوا مشارقها ومغـاربها..﴿ **وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾.

يا صحوتنا المباركة..يا طهر الطـهر في دنيانا، يا طيب الطيب في عالمنا، لك اللَّه..

لك اللَّه يا دعوة الخالدين

لقد أوشك البغي أن يهمدا

نشرنا دمانا الزكيّة نورا

يضيء الظلام ويجلو الهدى

* * *

*** إلى «جيل الصحوة»:**

وأقول للجيل الجديدْ..

أقول للجيل المحصَّن بالعقيدةِ والمتوَّجِ بالصَّباحْ..

وأقول يا جيل الكفاح..

إنّا بلونا الليل والأشباه والموت المؤجَّل والجراحْ..

وأقول يا جيل المصاحف..

يا خمير الأرض..يا طلق الولادةْ..

ها أنت كاليُنبوع تَدفُقُ في صحارينا..
وتمنحنا الوثيقةَ والشهادة..
أنت الذي سيُبَدِّلُ الأوزان والأحزانَ..
يزرعُ في العُيون نخيلَها..
فلكَمْ تباطأ في الرحيل عن القُرى عامُ الرَّمَادَةْ..
وأقولُ حَيّ على الفلاحْ..
أقولُ حَيّ على السلاحْ..
فإنّ فيك النبضَ يورق بين ترتيل الظهيرة والمساءْ..
وأقول يا جيل الفداءْ..
أكلت مواسمَنا الجنادبُ..
واستبدَّ بنا الحُواةْ..
وغادَرَتْنا آخرُ السحب الحميمة في السماءْ..
أنت الذي يَقتاتُ جمْرَ المرحلةْ..
ها إن أحبار اليهود تجمّعوا..ها إنهم حشدوا لنا..
فاقرأ على تلك الرؤوس «الزلزلةْ»..
اقرأ علينا باسم ربكَ ما تَيَسَّر يا بلالْ..
الشمسُ في كبد السماءْ..
ونحن في وَقْد الظهيرةْ..
كم نتوقُ إلى الظلالْ..
اقرأ علينا «المؤمنون» وشُدَّ قَوْسَكَ..
إنَّ قوسك لا تطيشُ بها النِّبالْ..
كم ذا سألتَ فلم يُجيبوا..

كم سألتَ فلم يجيبوا..
أنت وحدَك من يُجيبُ عن السُّؤَالْ..
يا أيها الجيلُ الجديدْ.. ويا سليلَ الطُّهْرِ.. يا بردَ اليقين..
كن باسم ربكَ قلعةً للخائفين.. ومنهلاً للظامئين..
وكنْ رَصاصًا.. كُن قصاصًا..
كن جذورًا.. كن طيورًا..
كُنْ كما شاءت لَكَ «الأعرافُ» في الزمن العجّين[1]..
يا أيها الجيل الجديد..
وقفتُ مندهشًا على عتبات خُطْوتكَ الجديدةْ..
وقرأتُ نبضكَ وانطلقتُ بلاَ عِنانْ..
من سُورة «الإسراء» جئتَ.. ومن نَقاء الفجر..
والسبع المثاني..
ورأيتَ من خلف الدُّخَان وُجوهَهم..
وبلوتَ عَربدَة الدُّخانْ..
وحملت جُرحَك والهجيرَ..
حملت جرحك والعبيرَ..
فما الذي حملته أغْرِبَةُ الزمان[2]؟!

* * *

(١) عَجَنَ فلان يَعجن عجنًا: ينهض معتمدًا على الأرض بيديه كِبرًا: شاخَ وأسَنّ.
العجينُ: المسن: المخنّث الأحمق.

(٢) قصيدة «جيل الصحوة» من ديوان «إنها الصحوة» لمحمود مفلح ص(٣٧ ـ ٣٩) ـ دار الوفاء.

* وها هم نسور الشيشان..وغروزني الشهيدة والشاهدة خير مبشر من واقعنا

ها هم أهل الشيشان الأمل الوضّاء في واقعنا يقول حاديهم:

في ليلة مولد الذئب خرجنا إلى الدنيا

وعند زئير الأسد في الصباح سَمَّوْنَا بأسمائنا

وفي أعشاش النسور أرضعتنا أمهاتنا

جراحنا تضمِّدُها أمهاتنا وأخواتُنا بذكر اللَّه

ونظرات الفخر في عيونهن تثير فينا

مشاعر القوة والتحدي

لا إله إلا اللَّه

إذا حاولوا تجويعنا سنأكل جذور الأشجار

وإذا مُنع عنا الماء سنشرب ندى النبات

فنحن في ليلة مولد الذئب خرجنا للدنيا

* * *

✍ أسود عالمنا من لقنوا العالم دروسًا تأخذ بالعقول والألباب تصيح في النائمين الغافلين والملاحدة والكافرين.. قد صحا المارد العملاق..إنه ها هنا لم يمت.. ولعل انتصاراتهم المتتالية تبث الأمل في الصخر..فها هي روسيا الكافرة..وها هم ملاحدتها يتهمون الريح بالتواطؤ مع الأطفال ضد الغازات السامة..يتهمون المطر بالتواطؤ مع الطين ضد السَّبَخ..يتهمون المياه بالتواطؤ مع أكواخ الفقراء ضد حرائقهم..يتهمون الفضيلة بالتواطؤ مع مكارم الأخلاق ضد الرذيلة..فلا غرو إذن، إذا

حرثوا بالقنابل مآذن «غروزني»، ولا غرو إذا أصدروا الأوامر لإلقاء القبض على الصلوات!

لا طيور على الأفنان، لا أفنان للشجر، لا شجر في الحقول، وتحت المآذن الشهيدة بنوا معابد أوثان تتّسع لعولمة الخوذة والدولار.. فانتفض لهم أبرار الشيشان من الحنفاء.. حصّنوا أنهارهم بسدود اليقين، وأبصارهم بالبصيرة، وسواعدهم بالإرادة، وألسنتهم بالتضرع والاستغاثة إلى مَن عنده النصر في خزائنه التي لا تغيض.

واللَّه هم أولى الناس بما يقول الشاعر سليم أحمد زنجير الشاعر السوري في قصيدته «النسر» وكل كلمة في هذه القصيدة كأنما صيغت من أيامهم وأحوالهم وبطولاتهم:

وكْري على قمم الشوامخ عالي ... والموت أطيب لي من الأغلالِ
حُرٌّ نسيجُ مشاعري من عِزّةٍ ... قعساء والطُّهرُ المقدّسُ حالي
الكون منذهِلٌ بنُبل مطامحي ... والدهر منذهِلٌ بحسنِ فِعالي
فاللَّه ربي قد أضاء بنوره ... عمري وأوقد بالسّموّ خيالي
فمزجت أنفاسي بعطر كتابه ... ورويت من آياته أوصالي
ووهبته روحي ولست بنادم ... وجعلتُ في مرضاته أعمالي
فجنيْتُ أسرار الحياة نديَّةً ... وطفقت أنثرها على الأجيالِ
دربي لهيبُ معامعٍ مسعورةٍ ... مشبوبةِ الآلام والآمالِ
دربٌ يمرّ الليث مذعوراً به ... وتفرّ منه جوارح الأدغالِ
إني لأعرفُ أين أمضي والمدى ... داجٍ ومَكرُ العالمين حِيالي
وزوابعُ الإرهاب تصفعُ جبهتي ... ونزيف أحلامي يبُلٌّ رِحَالي

لكن إيماني أجلُّ بخالقي ... ولذا أَغذّ السَّيْر غير مبال
فإذا هَوَيْت دون إرادةٍ ... منِّي هُويَّ النسر في الأجبالِ

* ومن قبلها بلاد الأفغان تمرّغ كرامة روسيا في الوحل وتهزمها شرّ هزيمة:

صدقوا اللَّه فصدقهم واستعذب الصادقون الموت في سبيل اللَّه، وسالت الدماء المؤمنة من الشباب المؤمن الذي جاء من كل مكان يؤازر إخوانه، وسُطّرت آيات البطولة التي لا تصدقها العقول، وما كانت تخطر حتى في الرؤى، وأعاد الرجال أيام صلاح الدين وقطز، ومرّغوا روسيا وأذاقوها الويلات وظهرت آيات الرحمن في كرامات الشهداء الشجعان، ووقف العالم كله مبهورًا لا يصدق ما يحدث، كيف كفّنت كابول الروس في أول الضوء، كيف بعدما سحقوا النُّبل والكرامة والحب في بلاد الأفغان وداسوا كرامة الأمة ودنّسوا عرضها، فكيف أطلّت شمس الإسلام تغزو عصابة الإفك والظلام الثقيل، وكيف زغردت في سماء الأفغان لغة الحق جهارًا ورُتّلت هذا الترتيل الجميل، كيف طُويت صفحة العهارة والإلحاد، كيف دوّى تكبير الرجال وتهليلهم فلم تكن النجوم في البلاد تسمع إلى هذا الصدى المقدس؟..إنه العقيدة..إنها دماء الصحوة الفتية..

من صخرة الآلام ينبت فجرنا ... ومن الفجيعة تُشرِق الأمجادُ
مطر العقيدة سوف يجرف إفكهم ... كل الأصابع تحتهن زناد
ولكم تهزّ المؤمنين عواصف ... والمؤمنون إزاءها أطوادُ
في الليل قد عزفوا على أوجاعهم ... فتساقط الطاغوت والإلحادُ
إني لألمحهم على صهواتهمِ ... كالموج ليس لمدِّه أبعادُ

جيل تحركه العقيدة مترع[1] بالكبرياء وسيفه استشهادُ
يمضي على درب الشهادة مؤمنًا إن الحياة عقيدة وجهاد

وكانت هزيمة الروس الثقيلة في بلاد الأفغان سببًا كبيراً في سقوط إمبراطورية الروس..

وصَحْونا من الحلم الجميل على حب الدنيا حينما يدخل الميدان، على حب الرئاسة حينما يضيع ما سطرته الدماء المؤمنة، ورأينا كيف سخِر العالم من هذه اللحى الطويلة المتقاتلة المتناحرة وكيف ضيّعت أجمل نصر، فلعلّ الناس يفيقون، وليعودوا إلى ربهم والعود أحمد.

✍ هذه الصحوة المباركة لن يستطيع شياطين الإنس أن يضربوا على آذان رجالها، فقد أفاق المارد العملاق، وسيكسر طلاسم العالم ويبطل سحره بأذانه وتكبيره، قد آن لليله أن ينجلي وأوشك صبحه أن يشرق فها هو سَحَره قد دنا بنسيمه بايع الرجل ربه أن تكون حركاته وسكناته، أنفاسه، خفق ضلوعه، وجيب قلبه، ماله، أولاده، بيته، للإسلام، فالإسلام أمه وأبوه، دينه لحمه وعرضه ودمه.

هذا قيامًا ما خَفرتَ ذماما مذْ أسلمَتْك المكرُمَاتُ ذمامَا
ومُذ اعتليت ذُرًا ببيعتكَ التي عانقتَ فيها المجد والإسلامَا
الشمس تاجُك والنجوم قلائدٌ لو كنت ترجو بالجهاد وساما
للّه درك من فتى متوثب يا مَن غدا للمتقين إماما
فاشحذ بهمتك الزمانَ وقل له أنا ما أزالُ السيدَ المِقداما
ما سطوة الأيام ما طعناتها إني علوتُ بهمّتي الأياما

(١) تَرِع الإناء ونَحْوه يَتْرَع تَرَعًا: امتلأ.

نـار الـقـرى أنـا لـلأُلـى قـد أدلجـوا ... يـسـتـرفـدون مـحـبـة وسـلامـا

أنـا واحـة المسـتضـعـفـين وأمـنـهـم ... أنـا نـاشرُ الـنـور الـهدى أعـلامـا

وإذا ظُـلـمـتُ فـإن ظُـلـمـي بـاسـلٌ ... حـتـى أُقـوِّمَ مـن يُـصَـعِّـرُ هـامـا

هـي جذوة الإيمان تـسـري في دمي ... فـتـحـيـلـنـي بـيـد الـزمانِ حُـسَـامـا

□ للَّه درّ الشعراء الإسلاميين من صنّاع حـياة ينطقون ويعبرون عما يجيش بصدور إخوانهم من شباب الصحـوة، وتبني أبياتهم بيوت المدينة الفاضلـة التي يشع فيـها فجر المؤمن وغده الآتـي مضمّخًا بنـور الكتاب وعطر السنة.

□ يقول قائلهم لكل مناوئ وشانئ أبتر يناصب دين اللَّه العداء:

لا تـعـجـبـوا إنـي انـتـفـضـت كـمـارد ... مـن بـعـدمـا رقَّـشْـتُـمُ أكـفـانـي

هـي شعلة الإيمان تـسطـع في دمي ... أبـدًا وتـسـري فـي نـسـيـج كـيـانـي

أنا في مدار الشمس رغم سياطكم ... رغـم الحـديـد المـرّ والـقـضـبـان

إنـي أنـا الـفـرد الحُـسـامُ إذا بـدا ... جـيـش الـظـلام مُـدَجَّـج الأَركـانِ

ومِـن الـسـيـوف حـدائـد مـغـلـولـة ... ومـن الـسـيـوف مـهـنَّـدٌ ويمـانـي

وتـرٌ أنـا تُـحـيـي الـنـفـوسَ لحُـونُـه ... ومـن الجـراح تـفـجّـرت ألحـانـي

إنـي أنـا الـسِّـفْـر الـذي كـلـمـاتُـه ... هَـدْيٌ ومِـن كَـلِـم الـسـمـاء بـيـانـي

وأنـا أنـا الـبـحـر الخـضَـمُّ أنـا الـذي ... جـاشـت غـواربـه بـكـل مـكـانِ

يُزجي إلى المستضعفين سحـائبـا ... ولـقـد يـهـدُّ قـواعـدَ الـطـغـيـان

* * *

❑ مهما اشتد ظلم البغاة، ومهما عتوا، فإن فجر أمتنا آت لا محالة..

يا دامي العينين والكَفَّيْن — إن الليل زائلْ
لا غرفة التعذيب باقية — ولا زردُ السلاسلْ
وحبوب سنبلة تجفّ — ستملأ الوادي سنابلْ

❑ نعم نعم..

أظننتَ دعوتنا تموت بضربةٍ؟ — خابت ظنونك فهْي شر ظنونِ
بليت سياطُك والعزائمُ لم تزلْ — منّا كحدٍّ الصارم المسنونِ
إنَّا لعَمْري إن صمتنا بُرْهةً — فالنّارُ في البركانِ ذاتُ كُمونِ
تاللَّه ما الطغيانُ يهزِم دعوةً — يومًا وفي التاريخ برّ يميني
ضعْ في يديّ القيْد ألهب أضلعي — بالسوط ضع عنقي على السكينِ
لن تستطيع حصار فكريَ ساعةً — أو نزْعَ إيماني ونُورَ يقيني
فالنورُ في قلبي وقلبي في يديْ — ربي.. وربي ناصري ومُعيني
سأعيش معتصمًا بحبل عقيدتي — وأموت مبتسمًا ليحيا ديني
سنعودُ للدنيا نُطبُّ جراحها — سنعودُ للتكبير والتأذين
ستسيرُ فُلْك الحقِّ تحملُ جُندَه — وستنتهي للشاطئ المأمون
باللَّه مجراها ومُرساها فهل — تخشى الردى واللَّه خير ضمين؟

* * *

يا فُؤادي
قمْ بنا نُؤمنُ ساعهْ
ونناجي ربَّنا

في خشوعٍ وضراعة

نحن نحيا في زمانٍ جائرٍ

ذُبحت فيه الكراماتُ المضاعهْ

أظهر الذئب طِبَاعَهْ

أسقط الكلُّ قناعه

أعلنوا ملء الدُّنَى أحقادهُم

بسفورٍ وبشاعَهْ

ذلك المسلمُ هَمٌّ

في فؤاد الكفر يَرْجُون انقشاعه

بدت البغضاء في أفواههم

والذي تُخفي الصدور اليوم أكبرْ

ظهر البغي عيانًا وتجبَّرْ

بعدما كان زمانا يَتَسَتَّرْ

* * *

كُشِفَتْ بين الورى سوءاتُهُمْ

فالذي قالوهُ عن حرية الرأي إشاعَهْ

أتقنوا حرب دُعاةِ اللَّه لم يَخْشَوْا قِراعَهْ

والذي يطلب حرب اللَّه باغٍ

بشِّروا الباغي بذُلٍّ ووَضَاعَهْ

* * *

مُسْلِم يحكي عن الفكر التماعَه



ومِن الحقِّ اتباعَه

ومِنَ الدين عُلاَه

ومن الخير اندفاعَهُ

* * *

غطَّ في الشمس يَرَاعَهْ

ومضى يكتب نُوراً

عَشِق الفجرُ شعاعَهْ

ترك الأوهام للناس وأَرْخَى

في بحار الحب والطُّهر شِراعَهْ

فتحَ العينَ على الدنيا صغيراً

فرأى العِرْض مُباعًا

والكرامات مُباعة

والرجولات كِذَابًا

والبطولات صِنَاعَة

ورأى اللاَّتَ تسومُ الناس جَوْرًا

ومناةً تملأ الأرض بَشَاعَةْ

فاشترى الجنةَ بالدنيا

وأزجاها بَضَاعَهْ

ومضى يضرب رأس اللات بالفأس

ولم يَرْهَب هذيلاً أو خُزَاعهْ

* * *

طلب الكلُّ انصياعَهْ
قيصرٌ أرسلَ كالريح سباعَهْ
ورأى كسرى خداعَهْ
أرسل النَّار وسمَّاها شَفَاعَهْ
وأتى أبرهةٌ بالفيل يرْجُو قَتْلَهُ
ومن الأرض اقتلاعَهْ
غير أن الحقَّ في جَنْبَيه أهداهُ شعاعَه
فمضى في دربْه
واثقًا مِن ربِّه
لم تَزِدْه النارُ من أعدائه إلا شَجَاعَهْ
مُؤمنًا بالنصر يأتي
ساعةً أو بَعْضَ ساعَهْ
قُمْ بنا نُؤمِنُ سَاعَهْ
ونُناجي ربنا في خشوعٍ وضَراعَهْ
هَلَكَ الإنسانُ لمّا
جعل الكُفْرَ مَتَاعَهْ
أيُّها المسلمُ يا مَن يملأُ الدنيا بهاءً ونصاعَهْ
أنتَ مَن نرجُو سماعَهْ
أنت مَن تنتظرُ الدنيا اتباعَهْ
أنت في الكون عزيزٌ
وَهُمُ سِقْط البضاعَهْ

تصِلُ الحاضر بالماضي ويرجونَ انقطاعَهْ
تَصِل الدُّنيا مع الأُخرى بِفَهْم واستطاعَهْ
وكنوزُ الأرضِ تأتيكَ وتكفيك القناعَهْ
أيها المسلمُ أقبلْ
أنتَ من نرجو سماعَه
إن نصر اللَّه آتٍ
ساعةً أو بعضَ ساعَهْ[1]

* * *

* ولله دَرّهُ وهو يقول:

أنا المسلم إني أسمعُ الدنيا تُناديني
وعندي البلسمُ الشافي لأمراضِ الملايينِ
ستعلو رايتي في هذه الدنيا وتُعْلِيني
ستنبثق الورودُ الحُمْر من قلب البراكينِ
وتورقُ في صحاري الرمل
غاباتٌ من الزيتون والتينِ[2]

* * *

(١) قصيدة «القناع» من ديوان «تراتيل للغد الآتي» للدكتور وليد قصاب ص(١٧٥ ـ ١٧٩).
(٢) من قصيدة «حوار مع فرعون»، من ديوان «تراتيل للغد الآتي» ص(٧٩).

أمة الإسلام
يا أمتي

زادكِ النور..
وفي دربك ينبوع الشعاع
فانفذي.. فالفجر إنْ سرتِ على قيد ذراع
واصرعي اللج، ولو أقبلتِ من غير شراعِ
واركبي الإعصار والإصرار في وجه القلاعِ
إنما الفجر بيمناك.. وللآخر محتومُ الضياع

أمـة الإسـلام يا أمتي

* ومن المبشرات: خصائص هذه الأمة وصفاتها:

فلها من الخصائص ما يجعل ريح الإيمان تهب عليها دائمًا، وربيع القلوب والأرواح يروّحها أبدًا، فتجيء منها الأعاجيب في العقيدة، والأعمال، والأخلاق، واليقين والإيثار، وكبر النفس، وسموّ النظر، وشجرة هذه الأمة لا تزال تثمر، وخليّتها لا تزال تعسل، ولن تستطيع أمة أن تقوم مقامها ولا أن تؤدي دورها فشرارة الحياة والطموح كامنة أبدًا في رمادها، ولا يزال فيها رجال تتجافى جنوبهم عن المضاجع وتسيل دموعهم على خدودهم سحرًا.

✍ عند هذه الأمة دائمًا اليد البيضاء التي تشرق لها الظلمات ويضيء لها العالم. وقوارع هذا العصر وهزءه سيقض مضجعها ويوقظها ويوجهها إلى شريعة حبيبها.

✍ إن أمة حباها اللَّه بهذه الخصائص ومَنّ عليها بهذه الصفات لن تموت، وحريّ بكل فرد من أبنائها أن يقف طويلاً أمام هذه الصفات والخصائص حتى تبعثه من هزله إلى الجد، من شروده وضياعه إلى ما خُلق له، ومن غفوته وغفلته إلى اليقظة حتى يقول للناس: أنا ابنها.. أنا لها..

لأُمتي قدر بالدين يُكرمها ... وبالفلاح الذي يغشى محيّاها

☐ وللَّه ما أحلى قول القائل:

إننا من أمة أنزلها ... دينها فوق البرايا منزلا

نجمها فيه من الخُلد سنا ... إنْ خبا حينًا فلن لن يأفلا

▫ قد يقول قائل: دعني من قولك، أين هذه الأمة؟

عروسٌ جُلِّلَتِ بثياب حزن وطاف بها على الشارين عبد
مراكبها تُسَيَّرُ في بحارٍ ولا هدفٌ على الشطآن يبدو

▫ قد يقول قائل: هذه الأمة ماتت.

فَصِحْ على القبر هذي أمة رحلت لم يبق من ذِكرها شأن ولا أثرُ

▫ فأقول: لا.. لا ومعي ألف شاهد وشاهد ويكفي شاهدا عدل من الكتاب والسنة.. من نبعها يلوح الفجر.

يا ابن أمي رب فجر جديد في رباك الخضر يكسو الهضابا
رب ومضٍ من شعاعٍ وليد يبهر الأبصار، يغزو الضبابا

▫ قل لكل شارد عاق.. عُد إلى أمك أمتك.. فخرك وعزك، ودَعْك من ترهاتِ النابحين الناعقين.. دومًا الناهشين عرض أمتنا..

وما علموا..
بأنا في ضمير الكون محفورٌ محيّانا
وإن نشيدنا يسري
كما يسري ضياء الشمس نشوانا
وما علموا..
بأن شهادة التوحيد في الأكوان قدسية
وأن رطوبة التوحيد في فمنا
مؤيدة بنصر اللّه محميّة

✍ فهيا إلى الشاهِدَيْن لتعرف قدر أمتك وفضلها:

(١) هذه الأمة خير الأمم وأكرمها على الله عز وجل:

* قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ .

● عن بَهْز بن حكيم عن أبيه عن جده مرفوعًا:

«إنكم تُتمون سبعين أمة أنتم خيرُها وأكرمُها على اللَّه»[١] .

● وعن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«نُكمل يوم القيامة، نحن آخرها وخيرها»[٢] . وفي زيادة: **«وأكرمها على اللَّه»**، وفي زيادة: **«وأفضلهم»** .

● وعنه ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«إنكم وفِّيتُم سبعين أمة، أنتم خيرُها وأكرمُها على اللَّه»[٣] .

---

(١) حسن: أخرجه أحمد (٥/ ٦٥)، والترمذي «تحفة الأحوذي» (٨/ ٣٥٢)، وابن ماجه (٤٢٨٨)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٨٤)، والطبري في «تفسيره» (٧٦٢٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره»، وعبد اللَّه بن المبارك في «مسنده» (١٠٦) ص(٦٥). وبهز بن حكيم ابن معاوية بن حيدة القشيري صدوق، وحكيم بن معاوية صدوق أيضًا، وحسنه الألباني في تخريج «المشكاة» (٦٢٩٤)، و«صحيح الجامع» رقم(٢٣٠١).

(٢) حسن: أخرجه ابن ماجه (٤٢٨٧، ٤٢٨٨ بالزيادة)، والحاكم (٤/ ٨٤)، وأحمد (٥/ ٣، ٥)، والخزاعي في «زوائد الزهد» (٣٨٢)، والطبراني في «الكبير» (١٩/ ١٠١٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٣٠، ١٠٣٦، ١٠٣٧)، وابن عدي (٦/ ٢٢٨٨)، والبيهقي (٩/ ٥). وبهز بن حكيم عن أبيه عن جده إسناد حسن، وفي بعض الروايات زيادة «وأفضلهم» عند الحاكم (٤/ ٨٤) والطبراني في بعض المواضع، وقد تابع بهزًا الجريري عند الحاكم بالزيادتين فصح الحديث.

(٣) حسن: أخرجه ابن ماجه في كتاب «الزهد» (٤٢٨٨)، وإسناده حسن، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ٥)، والحاكم (٤/ ٨٤)، وعبد بن حميد في «المنتخب» (١/ ٣٧٤) رقم(٤٠٩، ٤١١) وابن جرير في «تفسيره» تحقيق شاكر (٧/ ١٠٤) رقم(٧٦٢١) وإسناده حسن، وبرقم(٧٦٢٢)، وإسناده حسن.

❑ قال المناوي:

«ويظهر هذا الإكرام في أعمالهم وأخلاقهم وتوحيدهم ومنازلهم في الجنة ومقامهم في الموقف، ووقوفهم على تل يشرفون عليهم، وغير ذلك، ومما فُضِّلوا به الذكاء وقوة الفهم ودقة النظر وحسن الاستنباط فإنهم أوتوا من ذلك ما لم ينله أحد ممن قبلهم»[1].

✍ أمة تخرج إخراجا من وراء الستار السرمدي الذي لا يعلم ما وراءه إلا اللَّه، أمة لها دور خاص، ومقام خاص، وحساب خاص.

✍ هذا ما ينبغي أن تدركه الأمة المسلمة، لتعرف حقيقتها وقيمتها، وتعرف أنها أخرجت لتكون طليعة، ولتكون لها القيادة، بما أنها هي خير أمة.

✍ ينبغي دائمًا أن تعطي الأمم مما لديها، وأن يكون لها دائمًا ما تعطيه من الاعتقاد الصحيح، والتصور الصحيح، والنظام الصحيح، والخلق الصحيح، والعلم الصحيح، لتكون في الطليعة دائمًا، وفي مركز القيادة دائمًا، ولهذا المركز تبعاته، لا يؤخذ ادّعاء ولا يُسلم لها به إلا أن تكون هي أهلاً له.

✍ وفي أول مقتضيات هذا المكان، أن تقوم على صيانة الحياة من الشر والفساد، وأن تكون لها القوة التي تمكنها من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فهي خير أمة أخرجت للناس لا من مجاملة أو محاباة، ولا عن

---

(١) «فيض القدير» (٢/ ٥٥٣).

مصادفة أو جزاف ليست كأهل الكتاب القائلين ﴿ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾ وإنما نهوض بتكاليف الأمة الخيّرة، بكل ما وراء هذه التكاليف من متاعب وأشواك.. تحريض على الخير وصيانة المجتمع من الفساد واستقامة على منهج اللَّه، وإيمان باللَّه لمواجهة طاغوت الشر في عنفوانه وجبروته، ومواجهة طاغوت الشهوة في عرامتها وشدتها، ومواجهة هبوط الأرواح، وكلل العزائم، وثقلة المطامع.

✍ هذه صفة الأمة المسلمة «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا توجد الأمة وجودًا حقيقيًّا إلا أن تتوافر فيها هذه السمة التي تُعرف بها في المجتمع الإنساني».

(٢) الأمة الوسط:

* قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

◻ قال الطبري في «تفسيره» (٢/ ٦):

«أرى أن اللَّه ـ تعالى ذكره ـ إنما وصفهم بأنهم وسط لتوسطهم في الدين، فلا هم أهل غلو فيه غلو النصارى الذين غلوا بالترهب، وقولهم في عيسى ما قالوا فيه، ولا هم مقصّرين فيه تقصير اليهود، الذين بدلوا كتاب اللَّه، وقتلوا أنبياء اللَّه، وكذبوا على ربهم وكفروا به، ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه، فوصفهم اللَّه بذلك إذ كان أحب الأمور إلى اللَّه أوسطها».

والوسط هو الأفضل، قال تعالى ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ ﴾ أي: خيرهم وأفضلهم، والوسط محمي محوط، والأطراف يتسارع إليها الخلل

والأعوار، قال الطائي:

كانت هي الوسط المَحميّ فاكتنفت بها الحوادث حتى أصبحت طرفا

✍ هي الأمة الوسط التي تشهد على الناس جميعًا، فتقيم فيهم العدل والقسط، وتضع لهم الموازين والقيم، تبدي فيهم رأيها فيكون هو المعتمد، وتزيد قيمهم وتصوراتهم وتقاليدهم وشعاراتهم فتفصل في أمرها، لا التي تتلقى من الناس تصوراتهم وقيمهم وموازينهم.

وهي شهيدة على الناس، وفي مقام الحكم العدل بينهم، هذه حقيقة الأمة ووظيفتها فلتعرفها.. ولتشعر بضخامتها، ولتقدر دورها حق قدره، وتستعد له استعدادًا لائقًا.

✍ إنها للأمة الوسط بكل معاني الوسط سواءً من الوساطة بمعنى الحسن والفضل، أو من الوسط بمعنى الاعتدال والقصد، أو من الوسط بمعناه المادي الحسيِّ.

* ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ في التصور والاعتقاد.. لا تغلو في التجرد الروحي ولا في الارتكاس المادي.

* ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ في التفكير والشعور لا تتبع كل ناعق، وتقلّد تقليد القردة المضحك ولا تغلق منافذ التجربة؛ فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها التقطها.

* ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾في التنظيم والتنسيق.. لا تدع الحياة كلها للمشاعر والضمائر، ولا تدعها كذلك للتشريع والتأديب، إنما ترفع ضمائر البشر بالتهذيب، وتكفل نظام المجتمع بالتشريع والتأديب، وتراوح بين هذه وتلك، فلا تكل الناس إلى سوط السلطان، ولا تكلهم كذلك إلى وحي الوجدان، ولكن مزاج من هذا وذاك.

* ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ في الارتباطات والعلاقات.. لا تلـغي شخصية الفرد ومقوماته، ولا تلاشي شخصيته في شخصية الجماعة، ولا تطلقه كذلك فردًا أثِرًا جشعًا لا همّ له إلا ذاته.

* ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ في المكان.. في سرّة الأرض، وفي أوسط بقاعها، وما تزال هذه الأمة التي غمر أرضها نـور الإسلام إلى هذه اللحظة هي الأمة التي تتوسط أقطار الأرض من شرق وغرب، وجنوب وشمال، وما تزال بموقعـها هذا تشهـد الناس جميعًـا، وتشهد علـى الناس جميـعًا، وعن طريقـها تعبر ثـمار الطبيعـة، وثمار الفكـر والروح من هنا إلـى هناك، وتتحكم في هذه الحركة ماديها ومعنويها على السواء.

* ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ ..في الزمان تُنهـي عهد طفولة البشرية مـن قبلها، وتحرس عهـد الرشد العقلـي من بعدها.. تـقف في الوسط تنـفض عن البشرية ما علق بها من أوهام وخرافـات من عهد طفولتها، وتصدّها عن الفتنة بالعقل والهوى، وتزاوج بـين تراثها الروحي من عهود الرسالات، ورصيدها العقلي المستمر في النماء، وتسير بها على الصراط المستقيم بين هذا وذاك.

لطيفة:

تأمل في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ تجد أن كلمة جعلناكم ليس مـعناها خلقناكم، وإنما المعنى الصحـيح هو صيّرناكم أمة وسطًا، وإنمـا صيّرها اللّـه كذلك بدينـه المنزل، عنـدما استقامـت على الخصائص التي رسمها رب العالمين، فليست الأفضلية والخيرية لقبًا أطلق على الأمة مـن غير مضمون، ولكنـه عنوان لحقيقة تَجَـسّدت في الأمة،

فقد سما هذا الدين بـهذه الأمة في عقيدتها وتفكيرها وتـوجهات قلوبها وأقوالها وأعمالهـا ونظمها حتى مثّلت الأنموذج الفـاضل الذي يريده اللَّه تعالى للبشرية. هذه الأفضلية تتـلخص في أخذها بهذا الدين في نفسها ودعوة الناس إلى الحق الذي قررّه هذا الديـن، ونهيهم عن الباطل الذي نهاهم عنه هذا الدين.

ولما تركت هذا أصبحت في ذيل القافلة بعد أن كانت في طليعتها، وأخذت تتـسوّل على موائد الـفكر الإنسانـي بعد أن كانت منـارة تهدي الحيارى والتائهين، وأخذت تضطرب فـي سيرها وتتأرجح في فكرها ولا تعرف السبيل الذي تسلكه بعد أن كانت الدليل الحاذق الرائد في الدروب المتشابكة في الصحراء التي لا يهتدي فيها الأدلاء المجربون.

(٣) الشهداء على الأمم:

* قال تـعالـى: ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا** ﴾ [البقرة: ١٤٣].

من خصائص هذه الأمة أنها تشهد على الأنبياء عليهم السلام بتبليغ رسالاتهم إلى أممهم والـلَّه سبحانه وتعالى لم يجعـل الصالحين من أتباع الأنبياء شهداء على أنبيائهم.

● عن أبي سعيـد الخدري ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قـال رسول اللَّه ﷺ:

«يجيء نـوح وأمته، فيقول الـلَّه: هل بلّغـت؟ فيقول: نعم أي رب! فـيقول لأمته: هل بلّغكم؟ فيقولون: لا، ما جاء لنـا من نبي، فيقول لنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته» وهو قوله تعالى: ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا**

شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾، والوسط العدل، فيُدعون، فيشهدون له بالبلاغ، ثم أشهد عليكم»[١] .

● عن أبي سعيد ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ :

«ويجيء النبي يوم القيامة ومعه الرجل، والنبي ومعه رجلان، والنبي ومعه الثلاثة، وأكثر من ذلك، فيُقال له: هل بلّغت قومك؟ فيقول: نعم، فيُدعى قومه، فيُقال لهم: هل بلّغكم هذا؟ فيقولون: لا، فيُقال له: مَن يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، فيُدعى محمد وأمته، فيُقال لهم: هل بلّغ هذا قومه؟ فيقولون: نعم، فيُقال: وما علمكم بذلك؟ فيقولون: جاءنا نبينا، فأخبرنا أن الرسل قد بلّغوا فصدّقناه، فذلك قوله: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾»[٢] .

● قال الحافظ ابن حجر:

«ويُؤخذ من حديث أُبيّ تَعْميم ذلك؛ فأخرج ابن أبي حاتم بسند جيد عن أبي العالية عن أُبيّ بن كعب في هذه الآية قال: ﴿ لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ ﴾ : وكانوا شهداء على الناس يوم القيامة، كانوا شهداء على قوم نوح، وقوم هود، وقوم شعيب، وغيرهم أن رسلهم بلّغتهم وأنهم كذّبوا رسلهم».

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده»، والبخاري في كتاب «الأنبياء» (٦/ ٣٧١) وفي التفسير (٧/ ١٧١) (٤٤٨٧)، والترمذي (٢٩٦١)، والنسائي في «تفسيره» (١/ ١٩٧)، وابن ماجه في «الزهد» (٤٢٨٤) عن أبي سعيد. والوسط العدل عده الحافظ من كلام النبي ﷺ انظر «الفتح» (٨/ ١٧٢).

(٢) صحيح: أخرجه أحمد، والنسائي، وابن ماجه، عن أبي سعيد، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم(٨٠٣٣)، والسلسلة الصحيحة رقم(٢٤٤٨).

● قال الحافظ: «وفيه بيان أن الشهادة لا تخصّ قوم نوح بل تعم الأمم»[1].

* هذه الأمة مجتباة مصطفاة سمّاها الله:

* قال تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٨] أمة اجتباها اللَّه واصطفاها وسمّاها.

✍ أمة اختارها اللَّه للأمانات الضخمة من بين عباده. وإن هذا الاختيار ليضخّم التبعة ولا يجعل مجالاً للتخلي عنها أو الفرار، وإنه لإكرام من اللَّه لهذه الأمة أي إكرام؟ سُلِّمت إليها الأمانة، وعُهِد إليها بالوصاية على البشرية، فهي القوّامة على البشرية بعد نبيها، وهي الوصية على الناس بموازين شريعتها وتربيتها وفكرتها عن الكون والحياة، ولن تكون كذلك إلا وهي أمينة على منهجها العريق المتصل الوشائج، المختار من اللَّه.

* وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[البقرة: ١٣٢]، فهذا اختيار واصطفاء ورعاية من اللَّه للأمة، وفضل من اللَّه عليها، فلا اختيار لها بعده، وهذه الكلمة من اللَّه، وهذه الشهادة منه تسكب في قلب المؤمن الاعتزاز بما هو عليه.

---

(١) «فتح الباري» (٨/ ١٧٢).

(٤) الأمة الوارثة لتراث العقيدة:

* قال تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

✍ هذه الأمة أصلها عريق أصيل ضارب في أعماق الزمن موصول الماضي بالحاضر بالمستقبل.

✍ هذه الأمة الوارثة لتراث العقيدة، الموصولة بهذا الأصل العريق، السائرة على الدرب على هدى ونور.

(٥) هذه الأمة لا تجتمع على ضلالة:

لم تجتمع هذه الأمة في تاريخها الطويل على ضلالة من الضلالات الاعتقادية أو الفقهية فلم ولن يلحقهم الضلال.

* قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ أي: عدولاً، ومقتضى ذلك أنهم عصموا من الخطأ فيما أجمعوا عليه.

● عن عبد اللَّه بن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إن اللَّه تعالى لا يجمع أمتي على ضلالة، ويد اللَّه على الجماعة»[1].

● قال المناوي في «فيض القدير» (١/ ٢٧): «أي علماء أمتي؛ لأن العامة عنها تأخذ دينها».

---

(١) صحيح: رواه الترمذي في «سننه»، في كتاب «الفتن» باب ما جاء في لزوم الجماعة (٢١٦٧)، وكذا رواه الطبراني في «الكبير»، والحاكم في «المستدرك»، والبيهقي في «الأسماء»، وصححه الألباني في «تخريج السنة» (٨٠)، و«تخريج المشكاة» (١٧٣).

● وعن أنس ـ رضي اللَّه عنـه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن اللَّه تعالى قد أجار أمتي على ضلالة**»[١].

(٦) مثل هذه الأمة مثل المطر:

● عن أنس ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**مثل أمتي مَثلُ المطر لا يُدرى أوّلهُ خير أم آخره**»[٢].

□ قال أبو محمد الرَّامَهُرْمُزي: «إن تعلق متعلق بظاهر هذا الحديث فادّعى عليه تناقضًا في قوله ﷺ: «**خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم**»، فإن المعنى في قوله ﷺ: «**لا يدرى أوله خير أم آخره**»: أن الخير شامل لها، وإن كان معلومًا أن القرن الأول خير من القرن الثاني، وهذا كما قال اللَّه عز وجل: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**﴾.

□ وقال الشاعر يذكر امرأة أعجبه منها بيانها وطرفها وثغرها:

أشارت بأطراف لطاف وأجفن ... مراض وألفاظ تنعم بالسحر

فواللَّه ما أدري أفي الطرف سحرها ... أم السحر منها في البيان وفي الثغر

---

(١) حسن: أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٤١) رقم(٨٣)، (٩٢) (١/ ٤٤)، وحسنه الألباني بمجموع الطرق في «ظلال الجنة» وفي «تخريج السنة»، وفي «الصحيحة» رقم(١٣٣١).

(٢) صحيح: أخرجه أحمد في «مسنده»، والترمذي في كتاب الأمثال (٥/ ١٥٢) رقم (٢٨٦٩) عن أنس، وقال: حسن غريب، وأخرجه أحمد عن عمار، والطبراني في «الكبير» عن ابن عمر، وعن ابن عمرو، ورواه أبو يعلى عن علي، وقوّاه الحافظ في «الفتح» (٧/ ٦)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥٨٥٤). و«الصحيحة» رقم (٢٢٨٦)، و«تخريج المشكاة» (٦٢٧٧).
وقد ضعف النووي في «فتاويه» ص(١٢٧) هذا الحديث بحسب ما وقف عليه من طرق. والصحيح أن الحديث صحيح ثابت بطرقه الكثيرة.

يريد أن السحر في جماعتها ا.هـ.

□ وقال ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٨٤ ـ ٢٨٥): إن الدين في حاجة إلى مَنْ يقوم به في أول الأمة وآخرها، لكن الأول أفضل؛ لأن أول المطر أفضل من آخره وبه يتم الإنبات. والعلم عند اللَّه.

□ ورجح ابن عبد البر أن الأفضلية المذكورة في حديث: «**خير الناس قرني**» إنما هي بالنسبة إلى المجموع لا الأفراد».

□ وقال النووي في «فتاويه» ص(١٢٧): «أول الأمة الأفضل».

□ وقال المباركفوري: قال الطيبي: وتمثيل الأمة بالمطر إنما يكون بالهدى والعلم كما أن تمثيله ﷺ بالغيث بالهدى والعلم فتختص هذه الأمة المشبَّهة بالمطر بالعلماء المكملين لغيرهم فيستدعي هذا التفسير أن يراد بالخير النفع فلا يلزم من هذه المساواة الأفضلية، ولو ذهب إلى الخيرية فالمراد وصف الأمة قاطبة سابقها ولاحقها وأولها وآخرها بالخير، وأنها ملتحمة بعضها مع بعض مرصوصة بالبنيان مفرغة كالحلقة التي لا يدرى أين طرفاها؟ ويلمح إلى هذا قول الشاعر:

إن الخيار من القبائل واحد ... وبنو حنيفة كلهم أخيار

فالحاصل أن الأمة مرتبطة بعضها مع بعض في الخيرية بحيث أُبْهِم أمرها فيها وارتفع التميز بينها، وإن كان بعضها أفضل من بعض في نفس الأمر، وفي معناه أنشد مروان بن أبي حفصة:

تشابه يوماه علينا فأشكلا ... فما نحن ندري أيّ يوميه أفضل

يومٌ بداء العمر أم يوم يأسه ... وما منهما إلا أغرٌّ محجل

ومن المعلوم علمًا جليًّا أن يوم بداءة العمر أفضل من يوم يأسه لكن البدء لم يكن يكمل ويستتب إلا باليأس، أشكل عليه الأمر فقال ما قال،

وكذا أمر المطر والأمة. انتهى.

(٧) شهداء الله في الأرض:

● عن أنس ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: مُرّ على النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم بجنازة، فأثنوا عليها خيرًا، فقال: «وجبت»، ثم مرّ بأخرى فأثنوا عليها شرًّا ـ أو قال غير ذلك ـ فقال: «وجبت»، فقيل: يا رسول اللَّه قلت لهذا: وجبت، ولهذا وجبت، قال: «**شهادة القوم، المؤمنون شهداء اللَّه في الأرض**»[1].

● وعن أنس بن مالك ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: مُرّ على النبي ﷺ بجنازة فأُثني عليها خيرًا فقال نبي اللَّه ﷺ: «**وجبت وجبت وجبت**»، ثم مُرّ بجنازة فأثني عليها شرًّا، فقال نبي اللَّه ﷺ: «**وجبت وجبت وجبت**». فقال عمر: فدًى لك أبي وأمي مُرّ بجنازة فأثني عليها خيرًا فقلت: وجبت وجبت وجبت، ومرّ بجنازة فأثني عليها شرًّا فقلت: وجبت وجبت وجبت، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**من أثنيتم عليه خيرًا وجبت له الجنة، ومن أثنيتم عليه شرًّا وجبت له النار، الملائكة شهداء اللَّه في السماء، وأنتم شهداء اللَّه في الأرض، أنتم شهداء في الأرض، أنتم شهداء اللَّه في الأرض، المؤمنون شهداء اللَّه في الأرض، إن للَّه ملائكة تنطق على ألسنة بني آدم بما في المرء من الخير والشر**»[2].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٤٢)، ومسلم (٩٤٩)، وابن ماجه (١٤٩١)، وابن حبان (٣٠٢٥)، وأحمد (٣/ ١٨٦، ١٩٧)، وعبد بن حميد في «المنتخب» (١٣٥٧، ١٣٨٢)، وأبو يعلى (٣٣٥٢، ٣٣٥٣، ٣٤٦٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٢٩١)، والبيهقي (٤/ ٧٥)، (١٠/ ١٢٣، ١٢٤)، والبغوي (١٥٠٨).

(٢) رواه البخاري (٣/ ٢٢٨ ـ ٢٢٩)، ومسلم في كتاب الجنائز (٢/ ٦٥٦)، والنسائي=

● ويا لرفعة هذه الأمة عند ربها حين يجعل شهادة اثنين منها بخير لرجل تدخله الجنة كما قال النبي ﷺ: «**أيما مسلم شهد له أربعة بخير أدخله اللَّه الجنة**»، قلنا: وثلاثة، قال: «**وثلاثة**»، قلنا: واثنان، قال: «**واثنان**»، ثم لم نسأله عن الواحد»[(١)] .

وهذه الشهادة لا تختص بالصحابة - رضي اللَّه عنهم - فقط بل وأيضًا تختص بالثقات والمتقين، فقد قال الحافظ ابن حجر: «المخاطبون بذلك من الصحابة، ومَن كان على صفتهم من الإيمان»[(٢)] .

ففي لفظ آخر قال النبي ﷺ: «**المؤمنون شهداء اللَّه في الأرض**»[(٣)] .

● وعن أنس مرفوعًا: «**ما من مسلم يموت فيشهد له أربعة من أهل أبيات جيرانه الأدنين أنهم لا يعلمون منه إلا خيرًا إلا قال اللَّه تبارك وتعالى: «قد قبلت قولكم»، أو قال: «بشهادتكم غفرت له ما لا تعلمون»**»[(٤)] .

(٨) الأمة الأقل عملاً والأكثر أجرًا:

● قال رسول اللَّه ﷺ: «**مثل المسلمين واليهود والنصارى، كمثل**

= (١/ ٢٢١)، والترمذي في كتاب الجنائز (٣/ ٣٧٣)، وأحمد (٣/ ٢٨١، ١٨٦، ١٩٧، ٢١١، ٢٤٥)، وأبو داود الطيالسي رقم (٢٠٦١)، والحاكم (١/ ٣٧٧)، وبيبي بنت عبد الصمد الهرثمية في جزئها رقم (١٠٩) ص(٧٩).

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز باب ثناء الناس على الميت «فتح الباري» (٣/ ٢٢٨)، وفي الشهادات (٥/ ٢٥٢)، والنسائي في كتاب الجنائز باب الثناء رقم (١٩٣٤)، والترمذي (٤/ ٥٠ - ٥١) (١٠٥٩)، وأحمد (١/ ٢٢، ٣٠)، وأبو داود الطيالسي (٢٣).

(٢) «فتح الباري» (٣/ ٢٢٩).

(٣) «فتح الباري» - كتاب الشهادات - باب «المؤمنون شهداء اللَّه في الأرض»، والنسائي في «الإيمان»، وابن ماجه «صحيح سنن ابن ماجه» (١/ ٢٥٠) (١٢١١).

(٤) صحيح: أخرجه أحمد (٣/ ٢٤٢)، والحاكم (١/ ٣٧٨)، وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

رجل استأجر قومًا يعملون له عملاً إلى الليل، فعملوا إلى نصف النهار، فقالوا: لا حاجة لنا إلى أجرك الذي شرطت لنا وما عملنا لك، فقال لهم: لا تفعلوا، أكملوا بقية عملكم، وخذوا أجركم كاملاً، فأَبَوْا وتركوه، فاستأجر أجراء بعدهم، فقال: اعملوا بقية يومكم ولكمُ الذي شرطتُ لهم من الأجر، فعملوا، حتى إذا كان حينُ صلاة العصر قالوا: لك ما عملنا، ولك الأجر الذي جعلت لنا فيه، فقال: أكملوا بقية عملكم، فإنما بقي من النهار شيء يسير، فأبوا، فاستأجر قومًا أن يعملوا له بقية يومهم، فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس واستكملوا أجر الفريقين كليهما، فذلك مثلهم، ومَثَلُ ما قبلوا من هذا النور»[١] .

فاللَّه يتكرّم على هذه الأمة المصطفاة المجتباة أمة رسول اللَّه ﷺ ، فيضاعف لها الأجر، فتعمل القليل، وتأخذ الأجر الكثير.

● وعن ابن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ عن النبي ﷺ قال: «مثلكم ومثل أهل الكتابَيْن كمثل رجل استأجر أُجراء فقال: من يعمل لي من غدوة إلى نصف النهار على قيراط؟ فعملت اليهود. ثم قال: من يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط؟ فعملت النصارى، ثم قال: مَن يعمل لي من العصر إلى أن تغيب الشمس على قيراطين؟ فأنتم هم. فغضبت اليهود والنصارى، فقالوا: ما لنا أكثر عملاً وأقلّ عطاء؟ قال: هل نقصتكم من حقكم؟ قالوا: لا. قال: فذلك فضلي أوتيه من أشاء».

وفي رواية: «أنهم عجزوا» حتى إذا انتصف النهار عجزوا فأعطوا قيراطًا قيراطًا»[٢] .

❑ قال الحافظ: «وكذا وقع في بقية الأمم»[٣] .

---

(١) أخرجه البخاري عن أبي موسى.
(٢) أخرجه البخاري ـ انظر «فتح الباري» (٤/ ٤٤٥).
(٣) «فتح الباري» (٤/ ٤٤٦). والقيراط هنا: النصيب.

ومثل ذلك: العمل في ليلة القدر، وصيام يوم عرفة، والعمل الصالح في عشر ذي الحجة فثواب هذه الأعمال كبير جدًّا مع أنها أعمال يسيرة في جانب هذا الأجر العظيم.

(٩) الأمة الباقية المحفوظة:

● عن معاذ بن جبل ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: صلى بنا رسول اللَّه ﷺ يومًا صلاة فأطال فيها فلما انصرف قلنا: يا رسول اللَّه أطلت اليوم الصلاة قال: «**إني صليت صلاة رغبة ورهبة سألت اللَّه عز وجل لأمتي ثلاثًا فأعطاني اثنتين وردّ عليّ واحدة، سألته أن لا يُسلّط عليهم عدوًّا من غيرهم فأعطانيها، وسألته أن لا يهلكهم غرقًا فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فردّها عليّ**»[١].

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «**سألت ربي ثلاثًا، فأعطاني اثنتين، ومنعني واحدة، سألت ربي أن لا يُهلك أمتي بالسَّنَة، فأعطانيها، وسألته أن لا يُهلِك أمتي بالغرق، فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم، فمنعنيها**»[٢].

● وعن ثوبان مرفوعًا: «**إن اللَّه زوى لي الأرض فرأيت مشارقها**

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد في «مسنده» (٣/١٤٦، ١٥٦)، (٥/ ٢٤٠، ٢٤٣، ٢٤٧)، وابن ماجه رقم (٣٨٩٥) كتاب الفتن (٢/١٣٠٣)، والطبراني في «الكبير» (٤/١/٢٢٨ ـ ٢٣٠)، والبخاري في «التاريخ الكبير»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٢٤٦٦)، و«السلسلة الصحيحة» رقم (١٧٢٤).

(٢) رواه أحمد (١/ ١٧٥، ١٨٢)، ومسلم (٢٨٩٠)، وابن حبان (٧١٩٣) مقتصرًا على اثنتين بدون ذكر الغرق، وابن أبي شيبة (٦/ ٣١١)، وابن أبي عاصم في «الديات» ص(٤٤)، وأبو يعلى (٧٣٤)، والبغوي في «شرح السنة» (٤٠١٤) عن سعد بن أبي وقاص.

ومغاربها، وإن ملك أمتي سيبلغ ما زُوي لي منها، وإني أُعطيت الكنزين الأحمر والأبيض، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكوا بسَنة عامة، ولا يُسلِّط عليهم عدوًّا من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم، وإن ربي عز وجل قال: يا محمد، إني إذا قضيتُ قضاءً فإنه لا يُرَدّ، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة، وأن لا أُسلِّط عليهم من بين أقطارها، حتى يكون بعضهم يفني بعضًا»[1] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ :

«إنها صلاة رغبة ورهبة، سألت اللَّه فيها ثلاث خصال، فأعطاني اثنتين، ومنعني واحدة، سألته أن لا يُسحِتَكُم بعذاب أصاب من كان قبلكم، فأعطانيها. وسألته أن لا يُسلِّط على بيضتكم عدوًّا فيجتاحها، فأعطانيها، وسألته أن لا يلبسكم شيعًا، ويذيق بعضكم بأس بعض فمنعنيها»[2] .

● وعن عوف بن مالك ـ رضي اللَّه عنه ـ عن النبي ﷺ قال:

«لن يجمع اللَّه تعالى على هذه الأمة سيفين: سيفًا منها وسيفًا من عدوها»[3] .

---

(١) رواه أحمد واللفظ له (٥/ ٢٧٨)، ومسلم (٢٨٨٩)، وأبو داود (٤٢٥٢)، والترمذي (٢١٧٦)، وابن ماجه (٣٩٥٢)، وابن حبان (٦٦٧٩، ٧١٩٤)، والحاكم (٤/ ٤٤٩)، وابن أبي شيبة (٦/ ٣١١)، والبغوي (٤٠١٥).

(٢) **صحيح**: رواه أبو يعلى، والطبراني في «الكبير»، والضياء عن خالد الخزاعي، وأحمد والترمذي، والنسائي، وابن حبان، والضياء عن خبّاب، وصححه الألباني في «صفة الصلاة» ص(١٠١)، و«صحيح الجامع» رقم (٢٤٣٣).

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود في كتاب الملاحم ـ باب ارتفاع الفتنة في الملاحم رقم (٤٣٠١)، وأحمد (٦/ ٢٦)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٢٢١)، و«تخريج المشكاة» (٥٧٥٦).

(١٠) سياحة هذه الأمة ورهبانيتها الجهاد في سبيل الله:

● عن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ أن رجلاً قال: يا رسول الله ائذن لي في السياحة، قال النبي ﷺ: **«إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله عز وجل»**[١].

● وعن أبي سعيد أن رجلاً جاء فقال: أوصني، فقال أبو سعيد: سألت عمّا سألتُ عنه رسول الله ﷺ مِن قبلك فقال: **«أوصيك بتقوى الله، فإنه رأس كل خير، وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام، وعليك بذكر الله وتلاوة القرآن فإنه روحك في السماء وذكرك في الأرض»**[٢].

(١١) هذه الأمة أمة مرحومة:

● قال رسول الله ﷺ: **«أمتي هذه أمة مرحومة، ليس عليها عذاب في الآخرة، إنما عذابها في الدنيا الفتن والزلازل والقتل والمصائب»**[٣].

● وقال رسول الله ﷺ:

«إن الله تعالى إذا أراد رحمة أمة من عباده قبض[٤] نبيها قبلها، فجعله لها

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود في «سننه» انظر «عون المعبود» (٧/ ١٦٤)، والحاكم في كتاب الجهاد (٢/ ٧٣).

(٢) حسن: أخرجه احمد في «مسنده» (٣/ ٨٢)، وأخرجه بنحوه مختصراً أبو يعلى (١٠٠٠) والطبراني في «الصغير» (٩٤٩)، والخطيب في «التاريخ» (٧/ ٣٩٢ ـ ٣٩٣)، والحديث حسنه الألباني في «الصحيحة» (٥٥٥)، و«صحيح الجامع» رقم (٢٥٤٣).

(٣) صحيح: رواه أبو داود في كتاب السنن والملاحم (٤٢٧٨)، والطبراني في «الكبير»، والحاكم (٤/ ٤٤٤)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ٣٨، ٣٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان»، وقال الحاكم: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي. وصحّحه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (٩٥٩)، و«صحيح الجامع» (١٣٩٦).

(٤) توفّي.

فرطًا[١] وسلفًا[٢] بين يديْها، وإذا أراد هلكة أمة عذّبها ونبيها حيٌّ فأهلكها وهو ينظر فأقرّ عينه بهلكتها حين كذّبوه وعصواْ أمره»[٣] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : «إن هذه الأمة أمة مرحومة، عذابها بأيديها[٤] ، فإذا كان يوم القيامة دفع إلى كل رجل من المسلمين رجل من المشركين، فيُقال: هذا فداؤك من النار»[٥] .

● وقال ﷺ : « جعل اللَّه عذاب هذه الأمة في دنياها»[٦] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : «عقوبة هذه الأمة بالسيف»[٧] .

● وقال ﷺ : «إن عذاب هذه الأمة جُعل في دنياها»[٨] .

---

(١) أي شفيع يتقدم.

(٢) أي مقدمًا، وفائدة التقديم الأنس والاطمئنان.

(٣) أخرجه مسلم عن أبي موسى. وهذا الحديث ممّا وقع في «مسلم» (٧/ ٦٥) معلقًا، وهي أربعة عشر حديثًا، لكن وصله أبو يعلى والحاكم وغيرهما كما أوضحه الشيخ الألباني في كتابه «مختصر صحيح مسلم» (٣١٦٤).

(٤) أي أنها يقتل بعضها بعضًا فيكون ذلك كفارة لذنوبهم.

(٥) صحيح: أخرجه ابن ماجه في «سننه» عن أنس، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم(١٣٨١) و«صحيح الجامع» رقم(٢٢٦١).

(٦) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير» عن عبد اللَّه بن زيد، ورواه الحاكم في «المستدرك»، والخطيب في التاريخ، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم(٩٥٩)، و«صحيح الجامع» (٣٠٩٦).

(٧) صحيح: أخرجه الطبراني في «الكبير» عن رجل، والخطيب في «تاريخه» عن عقبة بن مالك، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم(١٣٤٧)، و«صحيح الجامع» (٤٠١٧).

(٨) صحيح: أخرجه الحاكم في «المستدرك» عن عبد اللَّه بن يزيد، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٩٥٩)، و«صحيح الجامع» (٢١٠٩).

● وعن أبي موسى الأشعري مرفوعًا: «**إذا كان يوم القيامة دفع اللَّه عز وجل إلى كل مسلم يهوديًا أو نصرانيًّا فيقول: هذا فكاكك من النار**»[١] .

● وفي رواية: «**لا يموت رجل مسلم إلا أدخل اللَّه مكانه في النار يهوديًا أو نصرانيًّا**»[٢] .

● وعن أبي موسى ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إذا كان يوم القيامة أعطى اللَّه تعالى كل رجل من هذه الأمة رجلاً من الكفار فيُقال له: هذا فداؤك من النار**»[٣] .

● وعن أبي موسى ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إذا كان يوم القيامة بعث اللَّه إلى كل مؤمن مَلَكًا معه كافر، فيقول المَلَك للمؤمن: يا مؤمن هاك هذا الكافر، فهذا فداؤك من النار**»[٤] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «**ما من أمة إلا وبعضها في النار، وبعضها في الجنة، إلا أمتي فإنها كلها في الجنة**»[٥] .

(١٢) الكافر فداء للمسلم يوم القيامة:

● وعن أبي موسى ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٧/ ٨٥ ـ ٨٦)، والبغوي (٤٣٢٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٣٦٣)، وأبو نعيم في «تاريخ أصبهان» (٢/ ٨٠)، وأبو يعلى (٧٢٦٨)، وبحشل في «تاريخ واسط» ص(١٩٩).

(٢) رواه مسلم عن أبي موسى.

(٣) رواه مسلم.

(٤) **صحيح**: رواه الطبراني في «المعجم الكبير»، والحاكم في «الكنى» عن أبي موسى، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم(١٣٨١)، و«صحيح الجامع» (٧٧٩).

(٥) **صحيح**: رواه الخطيب البغدادي في تاريخه عن ابن عمر، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم(٥٦٩٣).

«إذا كان يوم القيامة بعث اللَّه إلى كل مؤمن مَلَكًا معه كافر، فيقول المَلَك للمؤمن: يا مؤمن هاك هذا الكافر، فهذا فداؤك من النار»

● وعن أبي موسى عن النبي ﷺ: **«يجيء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال فيغفرها اللَّه لهم ويضعها على اليهود والنصارى»**[(١)] .

◻ قال النووي: «إن اللَّه يغفر تلك الذنوب للمسلمين ويسقطها عنهم، ويضع على اليهود والنصارى مثلها بكفرهم وذنوبهم فيدخلهم النار بأعمالهم لا بذنوب المسلمين، ولا بد من هذا التأويل لقوله تعالى: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ٣٨]. وقد مرت بك الأحاديث.

(١٣) ومن الخصائص العظيمة لهذه الأمة كونها في خير القرون:

لأن النبي ﷺ بُعِث في خير القرون.

● فعن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ مرفوعًا: **«بُعِثت من خير قرون بني آدم قرنًا فقرنًا حتى كنتُ من القرن الذي كنتُ منه»**[(٢)] .

● وقال ﷺ: **«خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته»**[(٣)] .

---

(١) رواه مسلم.

(٢) أخرجه البخاري (٣٥٥٧)، وأحمد (٢/ ٣٧٣، ٤١٧)، وأبو يعلى (١١/ ٦٥٥٣)، وابن سعد في الطبقات (١/ ٢٥)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٣١)، والبيهقي في «الدلائل» (١/ ١٧٥) والبغوي (٤/ ٣٦).

(٣) أخرجه البخاري (٢٦٥٢، ٣٦٥١، ٦٤٢٩)، ومسلم (٢٥٣٣)، والترمذي (٣٨٥٩)، وابن ماجه (٢٣٦٢)، وابن حبان (٧١٧٨، ٧١٧٩)، وفي «الثقات» (٤/ ١ ـ ٣)، وأحمد (١/ ٣٧٨، ٤١٧، ٤٣٤، ٤٣٨، ٤٤٢)، والطيالسي (٢٩٩)، وابن أبي عاصم (١٤٦٦، ١٤٦٧)، وأبو يعلى (٩/ ٥١٠٣، ٥١٤٠)، والطبراني في «الكبير» (١٠٣٣٧، =

(١٤) أمة رضي الله لها اليسر وكره لها العسر:

* قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، و قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾ [النساء: ٢٨].

● قال ﷺ: «**إن اللَّه تعالى رضي لهذه الأمة اليُسْر وكره لها العسر**»[١] قاله ثلاثًا، وفي رواية: «**إنكم أمة أُريد بكم اليسر**»[٢].

* قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ**﴾ [الأعراف: ١٥٧].

❑ قال ابن كثير: «أي: أنه جاءَ بالتيسير والسماحة كما ورد الحديث من طرق عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال: «**بُعِثت بالحنيفية السمحة**»[٣].

❑ وقال ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٢٣٤): «وقد كانت الأمم الذين قبلنا في شرائعهم ضُيِّق عليهم، فوسّع اللَّه على هذه الأمة أمورها وسهلها لهم».

وقد ثبتت أحاديث كثيرة في أن اللَّه رفع الحرج عن هذه الأمة.

= ١٠٣٣٨)، والبيهقي في «السنن» (١٠/ ١٢٢، ١٦٠)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٣٤)، والخطيب في «التاريخ» (١٢/ ٥٣) عن ابن مسعود.

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٥/ ٣٢)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/ برقم ٧٠٧)، والحافظ في «المطالب» رقم(٥٤٣)، والواحدي في «الوسيط»، عن محجن بن الأدرع وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٦٣٥).

(٢) إسناده صحيح: أخرجه أحمد (٥/ ٣٢).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٢٣٤)، والحديث سبق تخريجه.

● وقال رسول اللَّه ﷺ : «**عباد اللَّه، إن اللَّه وضع الحرج**»(١) .

□ قال النووي ـ رحمه اللَّه ـ : «وفي أحاديث الباب بيان ما أكرم اللَّه تعالى به هذه الأمة ـ زادها اللَّه شرفا ـ وخفّفه عنهم مما كان على غيرهم من الإصر وهو الثقل والمشاق».

فرحم اللَّه هذه الأمة وخفّف عنها، وجعل شريعتها سمحة لا يكلّفهم إلا ما يطيقون .

ولقد ذكر القاسمي بحثًا عامرًا وذكر الأصرار والأغلال التي كانت على بني إسرائيل عند قوله تعالى: ﴿ **رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا** ﴾، في تفسيره «محاسن التأويل» (١/ ٣٩٢ ـ ٣٩٨).

(١٥) العفو عن حديث النفس والوسوسة والهاجس والخاطرة:

ومن كرم اللَّه الفيّاض ورحمته الواسعة لأمتنا العظيمة أن رفع عنها المحاسبة على الوسوسة وحديث النفس.

● فعن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ : «**إن اللَّه تجاوز لي عن أمتي ما وسوست به صدورها ما لم تعمل أو تكلّم**»(٢) .

● وعن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ : «**إن اللَّه تجاوز لأمتي عما توسوس به صدورهم ما لم تعمل أو تتكلم به**

---

(١) إسناده صحيح: أخرجه أبو داود الطيالسي (١٢٣٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١/ ١٧٩) بإسناد صحيح.

(٢) رواه البخاري في «صحيحه» في كتاب العتق «الفتح» (٥/ ١٦٠)، وفي كتاب «الطلاق» (٩/ ٣٨٨)، وأحمد والنسائي، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ٦١)، (٧/ ٢٩٨).

وما استُكرِهوا عليه»[١] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : «إن اللَّه تعالى تجاوز لأمتي عما حدّثت به أنفسها، ما لم تتكلم به، أو تعمل به»[٢] .

● وعن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: «لما نزلت على رسول اللَّه ﷺ : ﴿ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٨٤]. قال: فاشتد ذلك على أصحاب رسول اللَّه ﷺ ، فأتوا رسول اللَّه ﷺ ، ثم بركوا على الرُّكب، فقالوا: أيْ رسول اللَّه، كُلِّفنا من الأعمال ما نطيق، الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أُنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها. قال رسول اللَّه ﷺ : «أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابيْن من قبلكم ﴿ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾، بل قولوا: ﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾، قالوا: ﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ ، فلما اقترأها القوم ذلَّت بها ألسنتهم، فأنزل اللَّه في إثرها ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، فلما فعلوا ذلك نسخها اللَّه تعالى، فأنزل اللَّه عز وجل: ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ

(١) صحيح: رواه ابن ماجه في كتاب «الطلاق» (٢٠٤٤)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٦١/١٠)، عن أبي هريرة. وصححه الألباني في «الإرواء» (٢٠٦٢) و«صحيح الجامع» (١٧٢٩).

(٢) رواه البخاري ومسلم وأصحاب السنن الأربعة عن أبي هريرة، ورواه الطبراني في «الكبير» عن عمران بن حصين.

وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ قال: نعم، ﴿ رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ﴾ قال: نعم، ﴿ رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ قال: نعم ﴿ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ قال: نعم»[١] .

(١٦) ومن خصائص هذه الأمة أن الله عفا عنها ما وقعت فيه بسبب الخطأ والنسيان والإكراه:

● قال رسول اللَّه ﷺ : «إن اللَّه وضع عن أمتي الخطأ، والنسيان، وما استكرهوا عليه»[٢] .

● وفي رواية: «وُضع عن أمتي الخطأ، والنسيان، وما استكرهوا عليه»[٣] .

◻ قال ابن حجر: حديث جليل. قال بعض العلماء: ينبغي أن يعد نصف الإسلام.

● قال رسول اللَّه ﷺ : «إن اللَّه تعالى تجاوز لي عن أمتي الخطأ، والنسيان، وما استكرهوا عليه»[٤] .

---

(١) رواه مسلم.

(٢) صحيح بمجموع الطرق: أخرجه ابن ماجه (١/ ٥٦٩) (٢٠٤٥)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٣٥٧).

(٣) صحيح: أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٦/ ٨٣).

(٤) صحيح: أخرجه أحمد، وابن ماجه (٢٠٤٣) عن أبي ذر، وأخرجه الطبراني في «الكبير» (١٤٣٠) عن ثوبان، وأخرجه ابن ماجه (٢٠٤٥)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ١٩٨)، وابن حبان (٧١٧٥)، والطبراني في «الكبير» وفي «الصغير» (٧٦٥)، والبيهقي (٧/ ٣٥٦)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٣/ ٩٥)، والدارقطني (٤/ ٧١٠ - ٧١١)، وعزاه الحافظ في «الفتح» (٥/ ١٦١) إلى الفضل بن جعفر التيمي في «فوائده»، وعزاه الشيخ الألباني في «الإرواء» (٨٢) إلى ابن حزم في «الإحكام في أصول الأحكام» (٥/ ١٦١)، عن ابن عباس، وهذا سند رجاله ثقات. وصححه الألباني في «الإرواء» (٨٢)، و«تخريج المشكاة» (٦٢٩٣)، و«صحيح الجامع» (١٧٣١).

□ قال الحافظ في «الفتح» (١١/ ٥٢): «وفي الحديث إشارة إلى عظيم قدر الأمة المحمدية لأجل نبيها ﷺ لقوله: «تجاوز لي» وفيه إشعار باختصاصها.

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «**رفع اللَّه عن هذه الأمة الخطأ، والنسيان، والأمر يُكرهون عليه**»[(١)].

(١٧) ومن خصائص هذه الأمة: التيمم:

فقد فضّلها اللَّه به على من سبقها فإنه لم يُشرع في حقهم التيمم، كما في حديث رسول اللَّه ﷺ: «**وجُعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا**»[(٢)].

□ قال الحافظ في «الفتح»[(٣)]: «طهورًا» استدل به على أن الطهور هو المطهر لغيره؛ لأن الطهور لو كان المراد به الطاهر لم تثبت به الخصوصية، والحديث إنما سيق لإثباتها، وقد روى ابن المنذر وابن الجارود بإسناد

---

(١) صحيح: أخرجه ابن عدي (٢/ ٥٧٣)، وعزاه في «كشف الخفاء» (١٣٩٣) إلى أبي نعيم في «تاريخ أصبهان» وقد ضعّف الحديث أبو حاتم انظر «جامع العلوم والحكم» ص(٤٥٢ ـ ٤٥٣)، و«الإصابة» (٢/ ٦٥ ـ ٦٦)، وضعّفه العراقي في كلامه على «المنهاج» للبيضاوي (٣٠) ولكن قوّاه السخاوي في «المقاصد الحسنة» (٢٣٠)، وأشار إلى ذلك الحافظ في «الفتح» (٥/ ١٦١)، والعجلوني في «كشف الخفاء» (١٣٩٣)، وصححه الألباني في «الإرواء» (٨٢).

(٢) أخرجه البخاري في «كتاب التيمم»، «الفتح» (١/ ٢٣٥)، وفي «كتاب الصلاة» «الفتح» (١/ ٥٣٣)، وفي «كتاب الخمس» (٦/ ٢٢٠)، ومسلم (٤/ ١٢٣)، وأحمد (٥/ ١٦١ ـ ١٦٢)، والترمذي (٤/ ١٢٣)، والدارمي (١/ ٣٢٣)، وعبد بن حُميد في «المنتخب» رقم(٤٦٢) (١/ ٥٥٠ ـ ٥٥١).

(٣) «فتح الباري» (١/ ٤٣٥).

صحيح عن أنس مرفوعًا: «**جُعلت لي كل أرض طيبة مسجداً وطهوراً**»(١).

● وعن أبي أمامة - رضي اللّه عنه - أن رسول اللّه ﷺ قال: «**فضّلني ربي على الأنبياء - عليهم السلام - أو قال: على الأمم - بأربع**، وقال: «**وأرسلت إلى الناس كافة وجُعلت الأرض كلها لي ولأمتي مسجداً وطهوراً فأيْنَما أدرك رجلاً من أمتي الصلاة فعنده مسجده وعنده طهوره، ونصرت بالرعب مسيرة شهر يقذفه اللّه في قلوب أعدائي، وأُحل لنا الغنائم**»(٢).

(١٨) إحلال الغنائم لهذه الأمة وكانت حرامًا على أهل الكتاب:

قد أحلّ اللّه الغنائم لهذه الأمة وخصّها بها، وكانت الغنائم في الأمم الكتابية قبلنا تُجمع فتنزل نار من السماء فتحرقها، فرحم اللّه هذه الأمة فجعلها تستمتع بالغنائم لمّا رأى ضعفها وعجزها.

● عن أبي هريرة - رضي اللّه عنه - عن النبي ﷺ قال: «**لم تحلّ الغنائم لأحد سود الرُّءوس من قبلكم كانت تنزل نار من السماء فتأكلها**»(٣).

● وعن أبي هريرة - رضي اللّه عنه - قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**غزا نبي من الأنبياء فقال لقومه: لا يتبعني رجل ملك بُضع امرأة، وهو يريد أن يبني بها ولما يبن بها، ولا أحد بنى بيوتًا ولم يرفع سقوفها، ولا آخراً اشترى غنمًا**

---

(١) أخرجه ابن الجارود في «المنتقى» وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٢٤٨) وإسناده حسن من أجل سيّار الأموي وهو (صدوق) والحديث صحيح.

(٣) **صحيح**: أخرجه أحمد (٢/ ٢٥٢، ٣١٧، ٣١٨)، والترمذي وأبو داود الطيالسي (٢٤٢٩)، وابن حبان «موارد الظمآن» (٤٠٢)، والطحاوي، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم(٢١٥٥)، و«صحيح الجامع» رقم(٥١٩٦).

أو خلفات، وهو ينتظر ولادها، فغزا فدنا من القرية صلاة العصر أو قريبًا من ذلك فقال للشمس: إنك مأمورة وأنا مأمور، اللَّهم احبسها علينا، فحُبست حتى فتح اللَّه عليهم، فجمع الغنائم فجاءت ـ يعني النار ـ لتأكلها فلم تطعَمها فقال: إن فيكم غُلولا، فليبايعني من كل قبيلة رجل، فلزقت يد رجل بيده فقال: فيكم الغلول، فجاءوا برأس بقرة من الذهب، فوضعوها، فجاءت النار فأكلتها، ثم أحل اللَّه لنا الغنائم، رأى ضعفنا وعجزنا فأحلّها لنا»[١].

● وعن جابر بن عبد اللَّه ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «أُعطيت خمسًا لم يُعطهن أحد من الأنبياء قبلي، نُصرت بالرعب مسيرة شهر، وجُعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا فأيُّما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصلّ، وأُحلت لي الغنائم ولم تحلّ لأحد قبلي، وأُعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبُعثت إلى الناس عامة»[٢].

❑ قال الحافظ ابن حجر: «وفيه اختصاص هذه الأمة بحلّ الغنيمة، وكان ابتداء ذلك من غزوة بدر».

(١٩) جَعْلُ الأرض مسجدًا لها وطهورًا:

وهذا من تفضيل اللَّه لهذه الأمة على غيرها كما جاء في حديث جابر السابق ذكره.

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» ـ كتاب الخمس باب قول النبي ﷺ: «أُحلّت لكم الغنائم» (٦/ ٢٢٠)، وفي «النكاح» باب من أحب البناء قبل الغزو (٩/ ٢٢٣)، ومسلم (٣/ ١٣٦٦) كتاب «الجهاد والسير»، وأحمد (٢/ ٣١٨).
وهذا النبي هو يوشع بن نون، فإن الشمس لم تحبس لأحد إلا له ليالي سار إلى بيت المقدس كما جاء في الحديث الصحيح.

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٤٣٥)، (١/ ٥٣٣)، (٦/ ٢٢٠)، ومسلم (١/ ٣٧٠)، والنسائي (١/ ٢١٠)، والترمذي (٤/ ١٢٣)، والدارمي (١/ ٣٢٣)، وأحمد (٥/ ١٦١ ـ ١٦٢).



● قوله ﷺ : «**جُعلت لي الأرض مسجدًا**».

❑ قال الحافظ في «الفتح» (١/ ٤٣٦): «أي موضع سجود لا يختص منها بموضع دون غيره»[1].

وكان من قبلنا إنما يُصلون في كنائسهم وبيعهم، كما جاء في حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ابن عمرو - رضي اللَّه عنهما - قال: «إن رسول اللَّه ﷺ عام غزوة تبوك قام يصلي فاجتمع وراءه رجال من أصحابه يحرسونه حتى إذا صلى وانصرف إليهم، فقال لهم: «**لقد أعطيت الليلة خمسًا ما أُعْطِيهنَّ أحد قبلي، أما أنا فأُرسلت إلى الناس كلهم عامة، وكان من قبلي إنما يُرسل إلى قومه، ونُصِرت على العدو بالرعب، ولو كان بيني وبينهم مسيرة شهر لملئ منه رعبًا، وأُحلت لي الغنائم آكلها، وكان من قبلي يعظمون أكلها، كانوا يحرقونها، وجعلت لي الأرض مساجد وطهورًا، أينما أدركتني الصلاة تمسحت وصليت، وكان من قبلي يُعظمون ذلك، إنما كانوا يصلون في كنائسهم وبيعهم، والخامسة هي ما هي؟ قيل لي: سل، فإن كل نبي قد سأل، فأخّرت مسألتي إلى يوم القيامة فهي لكم ولمن شهد أن لا إله إلا اللَّه**»[2].

---

(١) إلا ما استثناه الشارع من الأماكن التي يحرم فيها الصلاة.

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٢٢٢)، وإسناده حسن.

ولقد قال ابن التين كما ذكره عنه الحافظ في «الفتح» (١/ ٤٣٦): «جُعلت لي الأرض مسجدا وطهورًا، وجُعلت لغيري مسجدا، ولم تجعل له طهورًا. لأن عيسى كان يسيح في الأرض ويصلي حيث أدركته الصلاة.

قال الحافظ: «كذا قال وسبقه إلى ذلك الداودي». ورجح الحافظ قول الخطّابي واستظهره.

قال الحافظ في «الفتح» (١/ ٤٣٧): «ويؤيده رواية عمرو بن شعيب بلفظ «وكان من قبلي إنما كانوا يصلون في كنائسهم». وهذا نص في موضع النزاع، فثبت الخصوصية، ويؤيده ما أخرجه البزار من حديث ابن عباس وفيه: «ولم يكن من الأنبياء أحد يصلي حتى يبلغ محرابه».

(٢٠) صفوف الأمّة في الصلاة كصفوف الملائكة:

وهذه خاصية لأمة الحبيب ﷺ ما شاركتهم فيها أمة من الأمم كاليهود والنصارى وغيرهم.

● فعن حذيفة ـ رضي اللَّه عنه ـ عن النبي ﷺ قال: **«فُضِّلنا على الناس بثلاث: جُعلت صفوفنا كصفوف الملائكة، وجعلت لنا الأرض كلها مسجدًا، وجُعلت تربتها لنا طهورًا إذا لم نجد الماء، وأعطيت هذه الآيات من آخر سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يُعطها نبي قبلي»**[(١)] .

● وعن أبي الدرداء ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ : **«فُضِّلت بأربع: جُعلت أنا وأمتي في الصلاة كما تَصُفُّ الملائكة، وجُعل الصعود لي وضوءًا، وجُعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، وأُحلّت لي الغنائم»**.

◻ ونقل المناوي في «فيض القدير» (٤/ ٤٣٩): عن الزين العراقي أنه قال: المراد التراص وإتمام الصفوف الأول فالأول في الصلاة، فهو من خصائص هذه الأمة، وكانت الأمم السابقة يُصلون منفردين وكل واحد على حدة . انتهى.

(٢١) وفضلها الله بصلاة العشاء ولم تصلها أمة قبلنا:

● فعن معاذ بن جبل ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ : **«أعتموا بهذه الصلاة فإنكم قد فُضِّلتم بها على سائر الأمم ولم تصلّها أمة قبلكم»**.

---

(١) أخرجه مسلم (٥٢٢) في كتاب «المساجد ومواضع الصلاة» (١/ ٣٧١)، بدون ذكر الثالثة، وكذا أبو عوانة (١/ ٣٠٣)، وأخرجه بها ابن حبان (١٦٩٧، ٦٣٦٦)، وابن خزيمة (٢٦٣، ٢٦٤)، وأحمد (٥/ ٣٨٣)، والطيالسي (٤١٨)، وابن أبي شيبة (٦/ ٤٠٣)، والفريابي في «فضائل القرآن» ص(٥٣ ـ ٥٥)، والآجري في «الشريعة» ص(٤٩٨، ٤٩٩)، واللالكائي (١٤٤٥).

«وأعتموا بها»: أي صلوها بعد ما تدخلون في الظلمة. وهذه الصلاة هي صلاة العشاء.

وهذا الحديث لا يعارض حديث ابن عباس المرفوع: «هذا وقت الأنبياء من قبلك»، فقد جمع بينهما الطيبى في «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٢/ ٥٢):

«إن صلاة العشاء كانت تصليها الرسل نافلة لهم: أي زائدة ولم تكتب على أممهم كالتهجد، فإنه وجب على رسول اللَّه ﷺ ولم يجب علينا».

● وعن عبد اللَّه بن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: مكثنا ذات ليلة ننتظر رسول اللَّه ﷺ صلاة العشاء الآخرة، فخرج إلينا حين ذهب ثلث الليل أو بعده فلا ندري: أي شيء شغله في أهله أو غير ذلك؟ فقال حين خرج: «**إنكم لتنتظرون صلاة ما ينتظرها أهل دين غيركم، ولولا أن يثقل على أمتي لصليت بهم هذه الساعة**» ثم أمر المؤذن، فأقام الصلاة وصلى»[1].

(٢٢) ستر الله على أعمالهم بالقبول أو الردّ:

◻ قال الإمام العز بن عبد السلام: «إن اللَّه ستر على من يتقبل عمله من أمّته، وكان مَن قَبْلَهم يُقرّبون القرابين، فتأكل النار ما تُقُبِّل منها وتدع ما لم يتقبّل فيصبح مفتضِحًا»[2].

(١) أخرجه البخاري (١/ ١٤٨ ـ ١٤٩)، ومسلم في «صحيحه» (١/ ٤٤٢) كتاب «المساجد ومواضع الصلاة»، والنسائي (٥٣٧)، والترمذي انظر «التحفة» (٢/ ٥٦)، وأحمد (٦/ ٢١٥)، والدارمي (١/ ٢٧٦)، والبيهقي (١/ ٣٧٤).

(٢) بداية السول في تفضيل الرسول ﷺ ص(٧٠).

□ قال محدث ديار الشام الشيخ الألباني ـ رحمه اللَّه تعالى ـ يشير إلى ما جاء في المأثور عن السلف في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**﴾[1] [المائدة: ٢٧]:

وقد حكى اللَّه عن اليهود ما يدل على أنه كان من المعروف عندهم قصة النار هذه، فقد قال تعالى فيهم: ﴿ **الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ** ﴾ [آل عمران: ١٨٣].

* فقوله تعالى: ﴿**وَبِالَّذِي قُلْتُمْ**﴾ : صريح بأن الأنبياء كانوا يُقدّمون إلى بني إسرائيل آيات بينات على صدقهم منها هذه النار التي تأكل القرابين.

فستر اللَّه على أعمال هذه الأمة ولم يفضحها إن حدثت منهم معاصي، ويحلم عليهم، فما أكرمه من جواد علا على كل من جاد، وبه جاد من جاد.

(٢٣) صلاة الأنبياء خلف صالحي هذه الأمة:

أكرم اللَّه هذه الأمة بأن جعل عيسى ابن مريم عندما ينزل آخر الزمان وهو رسول يكون مأمومًا وراء المهدي، وهو ولي كما جاء في حديث جابر بن عبد اللَّه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة**» قال: «**فينزل عيسى ابن مريم**

(١) انظر إلى ابن جرير في «التفسير» (١٧١٥) (١٠/ ٢٠٦ ـ ٢٠٧)، وفي «التاريخ» (١/ ٦٨، ٦٩) عن ابن عباس وابن مسعود. وموضع الشاهد منها في حكم المرفوع لاتفاق الصحابة، وعزاه ابن كثير في «التاريخ» (١/ ٩٢)، لأئمة السلف.

ﷺ فيقول أميرهم: تعال صلّ لنا، فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة اللَّه لهذه الأمة»[(١)] .

● وعند أحمد: «...ليكرم اللَّه هذه الأمة»[(٢)] .

● وفي لفظ: «لتكرمة اللَّه هذه الأمة»[(٣)] .

وقد مرّ بك حديث رسول اللَّه ﷺ : «منا الذي يصلي عيسى ابن مريم خلفه»[(٤)] .

وصحّ أن النبي ﷺ صلى الصبح خلف عبد الرحمن بن عوف، واختلف أهل العلم في صلاة النبي ﷺ خلف أبي بكر - رضي اللَّه عنه - والراجح كما قال الحافظ في «الفتح» (٢/ ١٧٥): «صحّ أنه صلى خلف أبي بكر»، وذلك لحديث عائشة الذي أخرجه البخاري[(٥)] .

(٢٤) أمة اختصها الله بالسلام والتأمين فحسدتها على ذلك اليهود:

● قال رسول اللَّه ﷺ : «ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدتكم على السلام والتأمين»[(٦)] .

والسلام هو تحية أهل الجنة: تحية اللَّه لهم، وتحية الملائكة لهم،

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ١٢٣٧)، وأحمد (٣/ ٣٤٥ - ٣٤٨)، وابن حبان (٦٧٨٠)، وابن الجارود في «المنتقى».

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٣٤٥) وهو حديث صحيح.

(٣) رواه ابن الجارود انظر «الغوث» (١٠٣١) وإسناده صحيح.

(٤) سبق تخريجه وهو صحيح. انظر «صحيح الجامع» (٥٧٩٦).

(٥) انظر «فتح الباري» (٢/ ١٥١).

(٦) أخرجه أحمد، وابن ماجه (٨٥٦)، وصححه الألباني في «صفة الصلاة» باب التأمين وجهر الإمام به (٥٥)، وأخرجه البخاري في «الأدب المفرد (٢/ ٤٤٩).

وتحية بعضهم لبعض.

* قال تعالى: ﴿ وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ ﴾ [إبراهيم: ٢٣].

◻ قال القرطبي: «أي: تحية اللَّه لهم، أو تحية الملك أو تحية بعضهم لبعض: سلام»(١).

* قال تعالى: ﴿ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾.

● وحديث أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - عن النبي ﷺ قال: **«خلق اللَّه آدم على صورته، طوله ستون ذراعًا، فلما خلقه، قال: اذهب فسلم على أولئك نفر من الملائكة جلوس، فاستمع ما يحيونك، فإنها تحيتك، وتحية ذريتك، فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة اللَّه. فزادوه: ورحمة اللَّه. فكل من يدخل الجنة على صورة آدم، فلم يزل الخلق ينقص بعد حتى الآن»**(٢).

ورجح الحافظ في «الفتح»: أن الذرية هم المسلمون، فقال: عند قول الرسول ﷺ: «**تحيتك وتحية ذريتك**»، «والمراد بالذرية بعضهم وهم المسلمون»(٣).

● وقال رسول اللَّه ﷺ: **«إن اليهود قوم حُسَّد، وإنهم لا يحسدوننا على شيء كما يحسدوننا على السلام وعلى "آمين"»**(٤).

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (٨/ ٣١٣).
(٢) رواه البخاري.
(٣) «فتح الباري» (١١/ ٤).
(٤) **إسناده حسن**: أخرجه ابن خزيمة في «صحيحه» رقم(٥٧٤)، وأخرجه مختصرًا البخاري في «الأدب المفرد» (٩٨٨)، وابن ماجه (٨٥٦).



❑ قال ابن حجر: «وهو يدل على أنه شرع لهذه الأمة دونهم».

● وقال ﷺ: **«إن اليهود ليحسدونكم على السلام والتأمين»**[(١)].

وفي حديث إسلام أبي ذر: «وجاء رسول اللَّه ﷺ فذكر الحديث وفيه: **«فكنت أوّل من حيّاه بتحية الإسلام»**، فقال: «وعليك السلام ورحمة اللَّه»[(٢)].

أما التأمين فمصدر أمَّن بالتشديد، أي: قال: آمين.

❑ قال الحافظ: معناها: «اللَّهم استجب عند الجمهور، وقيل غير ذلك مما يرجع جميعه إلى هذا المعنى»[(٣)].

(٢٥) السحور.. «الفلاح».. «الغذاء المبارك» فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب:

● عن عمرو بن العاص ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«فَصْل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السَّحَر»**[(٤)].

❑ قال النووي: معناه: الفارق والمميز بين صيامنا وصيامهم السحور فإنهم لا يتسحرون، ونحن يستحب لنا السحور، وأكلة السَّحَر هي السحور»[(٥)] انتهى.

---

(١) **صحيح**: رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (١١/ ٤٣)، وأبو نعيم في «أحاديث مشايخ أبي القاسم الأصم» (٣٥/ ١)، و«الضياء» عن أنس، وابن خزيمة وأبو نعيم عن عائشة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم(١٩٩٧)، و«الصحيحة» رقم(٦٩١، ٦٩٢).

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ١٩١٩)، وأحمد (٥/ ١٧٥)، والدارمي (٢/ ١٨٩)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢/ ٤٨٤).

(٣) «فتح الباري» (١/ ٣٨).

(٤) أخرجه أحمد، ومسلم (٧/ ٢٠٧)، والترمذي، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه.

(٥) «صحيح مسلم» بشرح النووي (٧/ ٢٠٧).

● وعن عبد الله بن الحارث عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: دخلت على النبي ﷺ وهو يتسحر فقال: «**إنها بركة أعطاكم الله إياه فلا تدعوه**»[1].

☐ قال القاضي عياض عن السحور: «هو ما اختصت به هذه الأمة في صومها»[2] انتهى.

☐ قال السيوطي: «أعطاكم الله: أي ندبكم إليه أو خصكم بإباحته دون أهل الكتاب»[3] انتهى.

☐ وقال المناوي: «أي خصكم بها على جميع الأمم» انتهى.

(٢٦) أمة خصّها الله بيوم الجمعة سيد الأيام:

● قال رسول الله ﷺ: «**أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا، فكان لليهود يوم السبت، وكان للنصارى يوم الأحد، فجاء الله بنا، فهدانا ليوم الجمعة، فجعل الجمعة والسبت والأحد، وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة نحن الآخرون من أهل الدنيا، والأولون يوم القيامة المقضيّ لهم قبل الخلائق**»[4].

وفي لفظ مسلم أيضًا: «**هُدينا إلى الجمعة، وأضلّ الله عنها من كان قبلنا**»[5].

● وقال رسول الله ﷺ: «**نحن الآخرون السابقون بَيْد أنهم أُوتوا**

---

(١) صحيح: أخرجه النسائي في كتاب «الصيام فضل السحور» (٤/ ١٤٥)، وجهالة الصحابي لا تضر لأن الصحابة كلهم عدول.

(٢) «سنن النسائي» بشرح السيوطي (٤/ ١٤٥ ـ ١٤٦).

(٣) المصدر السابق.

(٤) أخرجه مسلم (٢/ ٥٨٦) برقم(٨٥٦)، وابن ماجه (١٠٨٣)، (١/ ٣٤٤).

(٥) مسلم (٢/ ٥٨٦).

الكتاب من قبلنا وأُوتيناه من بعدهم، وهذا اليوم الذي كتب اللَّه عز وجل عليهم فاختلفوا فيه، فهدانا اللَّه عز وجل له ـ يعني يوم الجمعة ـ فالناس لنا فيه تبع، اليهود غداً والنصارى بعد غد»[1] .

❏ قال ابن بطّال: إنما يدل واللَّه أعلم أنه فُرِض عليهم يوم الجمعة ووُكِّل على اختيارهم ليقيموا فيه شريعتهم فاختلفوا فيه، أيّ الأيام هو؟ ولم يهتدوا ليوم الجمعة.

❏ وقال النووي: يمكن أن يكونوا أمروا به صريحًا فاختلفوا هل يلزم تعيينه أو يسوغ إبداله فاجتهدوا في ذلك فأخطئوا.

أي إفضال وإنعام يعطيه اللَّه لهذه الأمة حين يخصّها بهذا العيد؟!

● عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ أن رسول اللَّه ﷺ ذكر يوم الجمعة فقال: «**فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو يُصلي يسأل اللَّه فيها شيئًا إلا أعطاه إياه**» وأشار رسول اللَّه ﷺ بيده يُقللها[2] .

فللَّه ما أحلى الجمعة من يوم وما أعظم فضل أهلها يوم القيامة.

● عن أبي موسى الأشعري ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ : «**إن اللَّه يبعث الأيام يوم القيامة على هيئتها، ويبعث يوم الجمعة زهراء**

---

(١) أخرجه البخاري (٢٣٨، ٨٧٦، ٢٩٥٦، ٦٨٨٧، ٧٤٩٥)، ومسلم (٨٥٥)، (١/ ٥٨٥) والنسائي (١٣٦٧)، وأحمد (٢/ ٢٤٣، ٢٤٩)، وابن خزيمة (٣/ ١٠٩)، وأبو يعلى (٦٢٦٩)، والبغوي في «شرح السنة» (٢٤٧٧).

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ٤١٥، ٩/ ٤٣٦، ١١/ ١٩٩)، ومسلم رقم(٨٥٢)، والنسائي (٣/ ١١٥)، وابن ماجه (١/ ٣٤٩)، وأبو داود (١٠٤٦)، والترمذي (٣٣٣٩)، وأحمد (٢/ ٢٣٠ ـ ٢٥٥، ٢٧٧، ٢٧٢، ٢٨٠، ٢٨٤، ٣١٢..)، وعبد الرزاق (٥٤٥٧١)، والبيهقي في «سننه» (٣/ ٢٤٩ ـ ٢٥٠)، والبغوي في «شرح السنة»، وابن الجارود في «المنتقى»، وابن السني في عمل اليوم والليلة.

مُنيرة، أهلها يحفّون بها كالعروس تُهدى إلى كريمها، تضيء لهم يمشون في ضوئها، ألوانهم كالثلج بياضًا، وريحهم يسطع كالمسك، يخوضون في جبال الكافور، ينظر إليهم الثقلان ما يطرقون تعجبًا حتى يدخلوا الجنة لا يخالطهم أحد إلا المؤذنون المحتسبون»[١] .

(٢٧) ومَن مات ليلة الجمعة أو يومها وقاه الله فتنة القبر، وأي كرم بعد هذا؟!

● عن عبد اللَّه بن عمرو ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ : «ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه اللَّه فتنة القبر»[٢] .

(٢٨) ومَن الله عليها بإحلال بعض الأطعمة لها:

● فعن ابن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: «أُحلَّتْ لنا ميتتان ودمان، فأمّا الميتتان فالحوت والجراد، وأما الدَّمَان فالكبد والطحال»[٣] .

◻ قال المناوي في «فيض القدير» (١/ ٢٠٠): «أحلت لنا»: أي «لا

---

(١) صحيح: رواه ابن خزيمة في «صحيحه» (٣/ ١١٧) رقم(١٧٣٠)، والحاكم في «المستدرك»، والبيهقي في «شعب الإيمان»، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم(٧٠٦)، و«صحيح الجامع» رقم(١٨٧٢).

(٢) حسن: رواه أحمد في «مسنده»، والترمذي، وأخرجه أبو يعلى من حديث أنس، وحسنه الألباني في «أحكام الجنائز» ص(٣٥)، و«تخريج المشكاة» (١٣٦٧)، و«صحيح الجامع» (٥٧٧٣)، وكذا رواه الضياء في «المختارة».

(٣) صحيح: أخرجه ابن ماجه (٣٢١٨) مختصرًا (٣٣١٤)، والبيهقي في «سننه» (٩/ ٢٥٤، ٢٥٧)، وأحمد (٢/ ٩٧)، وعبد بن حميد في «المنتخب» (٨٢٠)، والدارقطني (٤/ ٢٧١، ٢٧٢)، والحاكم، والبغوي في «شرح السنة» (٢٨٠٣)، وفي «تفسيره» (١/ ١٤٠)، وصححه أبو زرعة، وأبو حاتم، والبيهقي والحافظ والألباني وقفه من جهة اللفظ ورفعه من جهة المعنى، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم(١١١٨)، و«صحيح الجامع» رقم(٢١٠).

لغيرنا من الأمم».

(٢٩) الطاعون رحمة وشهادة لهذه الأمة وكان رجزًا وعذابًا على من كان قبلنا:

● عن عائشة - رضي اللَّه عنها - قالت: قال رسول اللَّه ﷺ: **«الطاعون شهادة لأمتي، ووخز أعدائكم من الجن غُدَّة كغدّة الإبل تخرج في الآباط والمراق، من مات فيه مات شهيدًا، ومن أقام فيه كان كالمرابط في سبيل اللَّه، ومن فرّ منه كان كالفارّ من الزحف»**[1].

● وعن عائشة - رضي اللَّه عنها - أنها سألت رسول اللَّه ﷺ عن الطاعون فأخبرها: **«أنه عذاب يبعثه اللَّه على من يشاء، وأن اللَّه جعله رحمة للمؤمنين، ليس من أحد يقع في الطاعون فيمكث في بلده صابرًا محتسبًا يعلم أن ما يصيبه إلا ما كتب اللَّه له إلا كان له مثل أجر شهيد»**[2].

● ومن حديث أبي موسى الأشعري - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«الطاعون وخز أعدائكم من الجن وهو لكم شهادة»**[3].

---

(١) **صحيح**: أخرجه الطبراني في «الأوسط» رقم (٥٦٦١)، وإسحاق بن راهويه في «مسنده»، وأبو نعيم في «فوائد أبي بكر بن خلاد» (٨٣٣) (٣/ ٧٦١)، وقوّاه ابن حجر في «بذل الماعون في فضل الطاعون» (٦٩/ ١ - ٢)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم(١٩٢٨). وحسنه في «صحيح الجامع» (٣٩٤٦).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٧٤، ٥٧٣٤، ٦٦١٩)، وأحمد (٦/ ٦٤، ١٥٤، ٢٥٢)، والبيهقي في «السنة» (٣/ ٣٧٦)، وأبو يعلى (٣/ ٧٤٦).

(٣) **صحيح**: أخرجه أحمد (٤/ ٣٩٥ - ٤١٣ - ٤١٧)، وأبو داود الطيالسي (٥٣٤)، والطبراني في «الصغير»، والحاكم (١/ ٥٠)، وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٩٥١)، و«الإرواء» (١٦٣٧، ١٦٣٨).

قال ابن حجر في «الفتح» (١٠/ ١٩٢): «فجعله اللَّه رحمة للمؤمنين أي من هذه الأمة».

● وقال ﷺ: **«أتاني جبريل بالحمّى والطاعون، فأمسكت الحُمَّى في المدينة، وأرسلت الطاعون إلى الشام، فالطاعون شهادة لأمتي، ورحمة لهم، ورجس على الكافرين»**[1].

ولفضل الطاعون دعا النبي ﷺ ربه عز وجل لهذه الأمة أن تفنى أمته في سبيل اللَّه بالطعن والطاعون وذلك من حديث أبي بردة الأشعري: **«اللَّهم اجعل فناء أمتي قتلاً في سبيلك بالطعن والطاعون»**[2].

(٣٠) تعدّد أنواع الشهادة في هذه الأمة المباركة:

بعد أن كان الشهيد في الأمم السابقة هو الذي يستشهد في الحرب.

● فعن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قالَ رسول اللَّه ﷺ: **«ما تَعدّونَ الشهيد فيكم؟** قالوا: يا رسول اللَّه مَن قُتِل في سبيل اللَّه فهو شهيد، قال: **«إن شهداء أمتي إذًا لقليل»**، قالوا: فمن يا رسول اللَّه؟ قال: **«مَن قُتل في سبيل اللَّه فهو شهيد، ومَن مات في البطن فهو شهيد، والغريق شهيد»**[3].

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٥/ ٨١)، وابن سعد، وابن حبان في «الثقات» (١/ ٢١٥)، وابن عساكر في «تاريخه» عن أبي عسيب، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم(٧٦١)، و«صحيح الجامع» رقم(٦٠).

(٢) صحيح: رواه أحمد (٤/ ٤١٧)، والطبراني في «الكبير»، و«الصغير» و «الأوسط»، وأبو يعلى، والبزار، ورواه إسحاق في «مسنده» (٣/ ٧٦١) (٨٣٣)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم(١٢٥٨)، و«الإرواء» (١٦٣٧).

(٣) أخرجه مسلم (٣/ ١٥٢١)، وأحمد (٢/ ٥٢٢)، والترمذي (٢١٥٣)، وابن ماجه، وأبو داود الطيالسي (٥٨٢).

وتتعدد أنواع الشهادة، فمن فصل في سبيل اللَّه فمات أو قتل فهو شهيد أو وقَصَه فرسه أو بعيره، أو لدغته هامة، أو مات على فراشه بأي حتف شاء اللَّه فهو شهيد، ومن سأل الشهادة بصدق بلّغه اللَّه منازل الشهداء وإن مات على فراشه، والمرأة تموت بجمع أو النفساء شهيدة، والمبطون، وصاحب الهدم، وصاحب ذات الجنب، والحرق، ومن مات بالسل فهم شهداء، ومن قُتل دون ماله أو دون أهله أو دون دينه، أو دون دمه فهو شهيد.

(٣١) أمة الإسناد:

● قال رسول اللَّه ﷺ: **«تسمعون ويُسمع منكم، ويُسْمَع ممن يَسمع منكم»**(١).

وهذه واللَّه منقبة عظيمة لهذه الأمة فالإسناد من الدين، وبه يحفظ حديث رسول اللَّه ﷺ من الضياع وبه يحفظ دين اللَّه، قال تعالى: ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾ [الحجر: ٩].

□ قال أبو حاتم الرازي: «لم يكن في أمة من الأمم منذ خلق اللَّه آدم أمة يحفظون آثار نبيهم وأنساب سلفهم مثل هذه الأمة»(٢).

وقال أبو بكر بن العربي: «واللَّه أكرم هذه الأمة بالإسناد، لم يعطه أحدًا غيرها فاحذروا أن تسلكوا مسلك اليهود والنصارى، فتحدثوا بغير

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (٣٦٥٩)، وابن حبان (٦٢)، والحاكم (١/ ٩٥)، وأحمد (١/ ٣٢١)، والبيهقي في «الدلائل» (٦/ ٥٣٩)، والرامهرمزي في «المحدّث الفاصل» (٩٢)، والحاكم في «معرفة علوم الحديث» ص(٢٧)، وابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٢/ ٨، ٩)، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم(١٧٨٤).

(٢) «تاريخ دمشق»، و«فتح المغيث» (٣/ ٣)، و«فيض القدير» (١/ ٤٣٤).

إسناد فتكونوا سالبين نعمة اللَّه عن أنفسكم، مطرقين للتهمة إليكم، وحافظين لمنزلتكم ومشتركين مع قوم لعنهم اللَّه وغضب عليهم وراكبين لسُنَّتهم»[(١)] .

◘ كان عبد اللَّه بن طاهر إذا سأل إسحاق بن إبراهيم الحنظلي عن حديث فذكره له بغير إسناد سأل عن إسناده وهو يقول: «رواية الحديث بلا إسناد من عمل الزَّمنى، فإن إسناد الحديث كرامة من اللَّه عز وجل لأمة محمد ﷺ»[(٢)] .

◘ وقال ابن حزم في الفصل في «الملل والأهواء والنحل» (٢/ ٨٢):

«وهذا نقل خصّ اللَّه تعالى به المسلمين دون سائر أهل الملل كلها وأبقاه عندهم غضًّا جديدًا على قديم الدهور منذ أربعمائة وخمسين عامًا في المشرق والمغرب، والجنوب والشمال يرحل في طلبه من لا يحصي عددهم إلاَّ خالقهم إلى الآفاق البعيدة.

قال أبو علي الجبائي: «خصّ اللَّه هذه الأمة بثلاثة أشياء لم يعطها مَنْ قبلها: الإسناد والأنساب والإعراب»[(٣)] .

وقال محمد بن حاتم بن المظفر: إن اللَّه أكرم هذه الأمة وشرّفها وفضّلها بالإسناد، وليس لأحد من الأمم كلهم قديمهم وحديثهم إسناد. وإنما هي صحف في أيديهم وقد خلطوا بكتبهم أخبارهم، وليس عندهم تمييز بين ما نزل من التوراة والإنجيل مما جاءهم به أنبياؤهم وتمييز ما ألحقوه بكتبهم من الأخبار التي أخذوا عن غير الثقات، وهذه الأمة إنما تنص الحديث من الثقة المعروف في زمانه المشهور بالصدق والأمانة عن

---

(١) «فهرس الفهارس» للكتاني (١/ ٨٠).

(٢) «فتح المغيث» (٣/ ٤) للسخاوي، و«شرح المواهب اللدنية» للقسطلاني (٥/ ٣٩٣).

(٣) «تدريب الراوي» (٢/ ١٦٠)، و«قواعد التحديث» للقاسمي ص(٢٠٤).

مثله حتى تتناهى أخبارهم، ثم يبحثون أشد البحث حتى يعرفوا الأحفظ فالأحفظ، والأضبط فالأضبط والأطول مجالسة لمن فوقه ممّن كان أقل مجالسة، ثم يكتبون الحديث من عشرين وجهًا وأكثر حتى يهذّبوه من الغلط والزلل، ويضبطوا حروفه ويعدُّوه عدًّا، فهذا من أعظم نعم اللَّه تعالى على هذه الأمة»[1].

◻ قال عبد اللَّه بن المبارك: «الإسناد من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء»[2].

وقال: مثل الذي يطلب أمر دينه بلا إسناد كمثل الذي يرقى السطح بلا سلم»[3].

◻ وقال الأوزاعي: «ما ذهاب العلم إلا بذهاب الإسناد»[4].

◻ وقال الشافعي: «مثل الذي يطلب الحديث بلا إسناد كمثل حاطب ليل يحمل حزمة حطب وفيه أفعى وهو لا يدري»[5].

◻ وقال علي القاري: «أصل الإسناد أولاً خصيصة فاضلة من خصائص هذه الأمة وسنة بالغة من السنن المؤكدة»[6].

◻ وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «علم الإسناد والرواية مما خصّ

---

(١) «شرف أصحاب الحديث» للخطيب البغدادي ص(٤٠) رقم(٧٦).

(٢) مقدمة «صحيح مسلم» شرح النووي (١/ ٨٧)، وابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٢/ ١٦).

(٣) «الكفاية» للخطيب (٣٩٣)، و«طبقات الشافعية» (١/ ١٦٧).

(٤) «التمهيد» لابن عبد البر (١/ ٥٧).

(٥) «شرح المواهب اللدنية» للقسطلاني (٥/ ٣٩٣).

(٦) «شرح نخبة الفكر» ص(١٩٤).

اللَّه به أمة محمد ﷺ، وجعله سلـمًا إلى أهل الدراية، فأهل الكتاب لا إسناد لهم يأثرون به المنقولات، وهـكذا المبتدعون من هذه الأمة أهل الضلالات، وإنما الإسناد لمن أعظم اللَّه عـليهم المنة أهل الإسلام والسنّة يفرّقون به الصحيح والسقيـم، والمعوج والقويم، وغيرهم من أهل البدع والكفّار إنمـا عندهم منقولات يـأثرونها بغيـر إسناد، وعليها مـن دينهم الاعتـماد، وهـم لا يعرفـون فيهـا الحق مـن الباطـل، ولا الحالـي من العاطل»[1].

(٣٢) بُورك لهذه الأمة الفاضلة في بكورها:

● كما قال رسول اللَّه ﷺ : «بورك لأمتي في بُكورها»[2].

● عن صخـر بن وداعة الغامدي مـرفوعًا: «**اللَّـهم بـارك لأمتي في بكـورها**» وكان النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم، إذا أرسل سرية أرسلها في أول النهار؛ وكان صخر إذا أرسل تجارة أرسلها أول النهار»[3]. وفي

(١) «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» (١/ ٩).

(٢) **صحيح**: رواه الطبراني في «الأوسط» عن أبي هريرة، وعبد الغني في «الإيضاح» عن ابن عمر وقـوّاه الحافظ في «الفتـح»، وصححه الألبـاني في «صحيح الجـامع» رقم(٢٨٤١)، و«تخريج المشكاة» (٣٩٠٨).

(٣) **صحـيح**: أخرجه أحمـد (٣/ ٤١٦، ٤٣٢)، بالزيادة (٤١٧، ٤٣١، ٤٣٢)، (٤/ ٣٨٤) بالـزيادة، (٣٩٠) بـالزيادة، وبـدونها (٣٩٠، ٣٩١)، وأبـو داود (٢٦٠٦)، والتـرمذي (٢/ ١٢)، وابن مـاجه (٢٢٣٦)، والنسـائي، وابن حـبان (٤٧٣٤، ٤٧٣٥)، وعبـد بن حميد في «المنتخب»، وسعيد بن منصور في «سننه»، والطيالسي، والعقيلي، وابن عدي، والطبراني فـي «الكبير» (٧٢٧٥ ـ ٧٢٧٧)، والبيهقي فـي «السنن» (٩/ ١٥١)، والدلائل (٦/ ٢٢٢) عن أبي هريرة، وكذا أخرجه ابن ماجـه (٢٢٣٨) عن ابن عمر، والطبراني في «الكبيـر» (١٠٤٩٠)، والبخاري في «التـاريخ الكبير» (٦/ ٢٨٩)، وأبـو يعلى (٥٤٠٦، ٥٤٠٩) عن ابن مـسعود، والطبـراني في «الكبيـر» (١٢٩٦٦)، والبخاري في «التـاريخ=

بعض الروايات زيادة: «حتى كان لا يدري أين يضع ماله»، هذا في الأرزاق، ومنها رزق القلوب أيضًا، من علم وذكر، كانت أم الإمام أحمد تستحلفه بالله أن لا يخرج لطلب الحديث ـ وهو صغير ـ حتى يؤذن المؤذن لصلاة الفجر.

(٣٣) أمة المجددين:

فلا تزال دوحة الإسلام تثمر وخليته تعسل.

● قال رسول الله ﷺ: **«إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة مَن يجدّد لها دينها»**[1].

ووجه الخصوصية لهذه الأمة بهذا أن غيرنا من الأمم كانوا يجتمعون على الضلالة بما في ذلك أحبارهم ورهبانهم، أما هذه الأمة فلا تجتمع على ضلالة ويبعث الله لها من يجدّد دينها كي لا تطبق الأجيال مع تمادي العصور على الضلالة والعياذ بالله وهذا مصداق قول الله عز وجل: **﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾**.

● وقوله ﷺ: **«لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك»**[2].

= الكبير» (٦/ ١٩٩) عن ابن عباس، والطبراني في «الكبير» (١٨) برقم(٥٤٠) عن عمران ابن حصين، والطبراني في «الكبير» عن عبد الله بن سلام، وعن كعب بن مالك (١٩) برقم(١٥٦)، وعن النواس بن سمعان.

- قال أبو حاتم في «العلل» (٢٣٠٠): «لا أعلم في «اللّهم بارك لأمتي في بكورها» حديثًا صحيحًا وضعّفه ابن الجوزي على تشدّد فيه، وقواه وجوّده العقيلي، وابن حجر، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم(١٣٠٠)، وفي «تخريج المشكاة» (٣٩٠٨).

(١) سبق تخريجه.

(٢) «كشف الغمة ببيان خصائص رسول الله ﷺ والأمة» لمصطفى بن إسماعيل ص(٥٢٠ ـ ٥٢١) ـ مكتبة ابن تيمية.

● وقال رسول اللَّه ﷺ : «لكل قرن من أمتي سابقون»[١] .

● وقال ﷺ : «في كل قرن من أمتي سابقون»[٢] .

فالخيرية لا تنقطع في هذه الأمة، ويكتمل الخير بظهور المجدد في كل قرن.

● وقد قال ﷺ : «لكل قرن سابق»[٣] . وهو المجدد.

(٣٤) ومن خصائصها أن لها النصر والتمكين، والغلبة إلى يوم الدين:

عن أبي كعب ـ رضي اللَّه عنه ـ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**بشِّر هذه الأمة ـ أو أمتي ـ بالنصر والسناء والتمكين، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة من نصيب**»[٤] .

❑ وعند البيهقي: «**بشِّر هذه الأمة بالتيسير، والسناء، والرفعة بالدين،**

---

(١) صحيح: رواه أبو نعيم في «الحلية» عن ابن عمر، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم(٥١٧٢) و«السلسلة الصحيحة» رقم(٥١٧٢).

(٢) حسن: أخرجه الحكيم عن أنس، وأبو نعيم في «الحلية»، والديلمي عن ابن عمر، وحسّنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم(٤٢٦٧)، و«الصحيحة» رقم(٢٠٠١).

(٣) صحيح: أخرجه أبو نعيم في «الحلية» عن أنس، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم(٥١٧١)، و«السلسلة الصحيحة» رقم(٢٠٠١).

(٤) صحيح: أخرجه أحمد في «مسنده»، وابنه في «زوائد المسند» (٥/ ١٣٤)، وأحمد في «الزهد» ص(٤١ ـ ٤٢)، وابن حبان (٢٥٠١ ـ الموارد)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣١١، ٣١٨)، والدولابي (١/ ١٨٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٥٥)، (٩/ ٤٢)، والبغوي في «شرح السنة» (٤١٤٤)، وجزم به المنذري، والحديث حسّنه الألباني في «أحكام الجنائز» ص(٥٢)، وصححه في «صحيح الترغيب والترهيب» (١/ ١٥ ـ ١٦).

والتمكين في البلاد والنصر، فمن عمل منهم بعمل الآخرة للدنيا؛ فليس له في الآخرة من نصيب»[1] .

وهذا الحديث يبعث الأمل في نفوس هذه الأمة الحزينة على أن الباطل وإن أينعت زهوره وثماره المرة، وإن طالت جذوره الهشة، فلا بد من اجتثاثها بأيد طاهرة متوضئة ألفت أن تمدّ إلى السماء لا إلى الشرق، ولا إلى الغرب: ﴿**فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ**﴾ [الرعد: ١٧].

(٣٥) أمة متميزة حتى في طريقة دفن أفرادها اللحد لنا والشق لغيرنا:

● قال رسول اللَّه ﷺ : **«اللحد لنا والشق لغيرنا»**[2] .

---

(١) «دلائل النبوة» للبيهقي (٦/ ٣١٨).

(٢) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه (١٥٥٥)، وأحمد (٤/ ٣٥٧، ٣٥٩، ٣٦٢، ٣٦٣)، والطيالسي (٦٦٩)، وابن سعد في «الطبقات» (٢/ ٢٩٤)، والحميدي (٨٠٨)، وابن أبي شيبة (٣/ ١٣)، وابن عدي في «الكامل» (٤/ ١٣٢٩)، والطبراني في «الكبير» (٢٣١٩ - ٢٣٢٦، ٢٣٢٨، ٢٣٣٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٢٠٣)، والبيهقي (٣/ ٤٠٨)، والبغوي (٢/ ١٥) عن جرير بن عبد اللَّه، وأخرجه أبو داود (٣٢٠٨)، والنسائي(٢٠٠٩)، والترمذي (١٠٢٥)، وابن ماجه (١٥٥٤)، والطبراني في «الكبير» (١٢٣٩٦)، والبيهقي (٣/ ٤٠٨)، والطحاوي في «المشكل» (٤/ ٤٨)، والبغوي (١٥١١) عن ابن عباس، وأخرجه ابن شاهين في كتاب «الجنائز» كما في «نصب الراية» (٢/ ٢٩٧) عن جابر وضعّف سنده الحافظ في «الدراية» (١/ ٢٣٩)، والحديث بمجموع هذه الطرق صحيح، وصححه الألباني في «أحكام الجنائز» ص(١٤٥)، و«تحقيق المشكاة» (١٧٠١)، و«حجاب المرأة المسلمة »ص(٨٨). ورجح العلماء أن اللحد مستحب، ومع ذلك فقد اختصت هذه الأمة باستحباب اللحد بخلاف غيرها.

(٣٦) الغرّ المحجلون:

أمة محمد ﷺ غرّ من السجود، محجلون من الوضوء يوم القيامة، وهذا من خصائصهم التي خصّهم اللَّه تعالى بها.

● قال رسول اللَّه ﷺ : **«إن حوضي أبعد من أيلة من عدن، لهو أشد بياضًا من الثلج وأحلى من العسل باللبن، ولآنيته أكثر من عدد النجوم، وإني لأصدّ الناس عنه كما يصدّ الرجل إبل الناس عن حوضه»** قالوا: يا رسول اللَّه، أتعرفنا يومئذ؟ قال: **«نعم، لكم سيما ليست لأحد من الأمم، تردون عليّ غرًّا محجّلين من أثر الوضوء»**[١] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : **«ما من أحد من أمتي إلا وأنا أعرفه يوم القيامة»**، قالوا: وكيف تعرفهم يا رسول اللَّه في كثرة الخلائق؟ قال: **«أرأيت لو دخلت صبرة فيها خيل دُهم بُهم وفيها فرس أغر محجل، أما كنت تعرفه منها؟** قال: بلى، قال: **«فإن أمتي يومئذ غرّ من السجود محجلون من الوضوء»**[٢] .

● وعن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - قال: سمعت النبي ﷺ يقول: **«إن أمتي يدعون يوم القيامة غرًّا محجلين من آثار الوضوء، فمن استطاع منكم أن يطيل غرّته وتحجيله فليفعل»**[٣] .

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٧)، وأبو عوانة (١/ ٢٤٤)، وابن ماجه (٤٢٨٢)، وابن حبان (١٠٤٨)، وأبو يعلى (٦٢٠٩)، والبغوي (٢١٩) عن أبي هريرة.

(٢) رواه مسلم، كتاب «الطهارة» (٣/ ١٤١)، وأحمد (١٢/ ٣٠٠، ٤٠٨).

(٣) أخرجه البخاري (١٣٦)، ومسلم (٢٤٦)، وأحمد (٢/ ٣٣٤، ٥٢٣)، وابن حبان (١٠٤٩)، وأبو عوانة (١/ ٢٤٣)، والبيهقي (١/ ٥٧، ٧٧).

● وقال رسول اللَّه ﷺ : «أنتم الغرُّ المحجلون يـوم القيامة من إسباغ الوضوء»(١) .

وعند ابن ماجـه (٤٢٨٢) في «الزهد» بسند صحيح: «سيماء أمتي ليس لأحد غيرها».

❑ قال الحافظ في «الفتح: (١/ ٢٣٦): غراً جمع أغر أي: ذو غرّة، وأصل الغرّة لمعة بياض تكون في جبهة الفرس. ثم استعملت في الجمال والشهرة وطيب الذكر والمراد بها هنا: النور الكائن في وجوه أمة محمد ﷺ .

محجّلين: من التحجيل وأصله بياض يكون في ثلاث قوائم من قوائم الفرس، وهو من الخلخال، والمراد به هنا أيضًا: النور.

❑ قال المباركفوري في «تحفة الأحوذي» (٣/ ٢٢٩):

«غر: جمع أغرّ وهو أبيض الوجه من أثر السجود.

محجلون: المحجل من الدواب التي قوائمها بيض مأخوذ من الحجل وهو: القيد، كأنها مقيدة بالبياض.

(٣٧) صفات مجتمعة في هذه الأمة خاصة بها يوم القيامة:

للَّه ما أطيب هذا الحديث وما أعظم البشارة به!

● عن أبي ذر وأبي الدرداء ـ رضي اللَّه عنهما ـ قالا: قال رسول اللَّه

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب «الطهارة» (١/ ٢١٣) (٣٦، ٣٧)، والترمذي انظر «التحفة» (٦٠٤) (٣/ ٢٢٩).

ﷺ : «أنا أول من يُؤذن له في السجود يوم القيامة، وأول من يؤذن له أن يرفع رأسه، فأرفع رأسي، فأنظر بين يدي، فأعرف أمتي من بين الأمم، وأنظر عن يميني فأعرف أمتي من بين الأمم، وأنظر عن شمالي فأعرف أمتي من بين الأمم»، فقال رجل: يا رسول الله، وكيف تعرف أمتك من بين الأمم ما بين نوح إلى أمتك؟ فقال: «غر محجلون من أثر الوضوء، ولا يكون لأحد من الأمم غيرهم، وأعرفهم أنهم يؤتون كتبهم بأيمانهم، وأعرفهم بسيماهم في وجوههم من أثر السجود، وأعرفهم بنورهم الذي بين أيديهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم»[1] .

* قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الحديد: ١٢].

* وقال تعالى: ﴿...يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحريم: ٨].

فهذه الأوصاف مجتمعة لا تكون إلا لهذه الأمة المجتباة يوم القيامة. والله أعلم.

---

(١) **إسناده صحيح**: أخرجه الحاكم (٢/ ٤٧٨) ـ واللفظ له ـ وأحمد (٥/ ١٩٩ مكررًا)، وابن المبارك في «مسنده» (١٠٣)، والخزاعي في «زوائد الزهد» لابن المبارك (٣٧٦)، ومحمد ابن نصر المروزي كما في «تفسير ابن كثير».
وأخرجه أحمد في «مسنده» مرة عن أبي الدرداء وأبي ذر، ومرة عن أبي الدرداء فقط، ويزيد بن أبي حبيب معدود في الرواة عن عبد الرحمن بن جبير وقد أدركه إدراكًا بيِّنًا، فالسند صحيح متصل، والحمد لله.

(٣٨) قدر يوم القيامة على هذه الأمة كقدر ما بين الظهر والعصر:

وهذا خاص بالمؤمنين من أمة محمد ﷺ .

● فعن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ : **«يوم القيامة على المؤمنين كقدر ما بين الظهر والعصر»**[(١)] .

(٣٩) أول أمة تحاسب يوم القيامة إكرامًا من الودود ـ سبحانه ـ لهذه الأمة:

● عن ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ : **«نحن آخر الأمم وأول مَن يُحاسب. يُقال: أين الأمة الأمّيّة ونبيها؟ فنحن الآخرون الأولون»**[(٢)] .

● ومرّ بك حديث رسول اللَّه ﷺ : **«نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، بَيْد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، ثم هذا يومهم الذي فُرض عليهم فاختلفوا فيه فهدانا اللَّه، فالناس لنا فيه تبع، اليهود غدًا والنصارى بعد غد»**[(٣)] .

❏ قال الحافظ في «الفتح» (٢/ ٣٥٤): «عند مسلم[(٤)] : «نحن

---

(١) صحيح: أخرجه الحاكم (١/ ٨٤)، وقال: صحيح الإسناد على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وأخرجه الديلمي، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٤٥٦)، و«صحيح الجامع» رقم (٨١٩٣).

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (١/ ٢٨٢)، وابن ماجه (٤٢٩٠)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٣٧٤)، و«صحيح الجامع» (٦٧٤٩).

(٣) رواه البخاري (١/ ٣٤٥) «الفتح»، ومسلم (٢/ ٥٨٥، ٥٨٦) رقم (٨٥٥)، وأحمد (٢/ ٢٤٩، ٢٧٤، ٣١٢، ٣٤١، ٤٧٣، ٥٠٢، ٥٠٤)، والنسائي عن أبي هريرة.

(٤) مسلم (٢/ ٥٨٥).

الآخرون ونحن السابقون»، أي: الآخرون زمانًا، والأولون منزلة، والمراد أن هذه الأمة وإن تأخر وجودها في الدنيا عن الأمم الماضية فهي سابقة لهم في الآخرة بأنهم أول من يُحشر وأول من يُحاسب وأول من يقضى بينهم، وأول من يدخل الجنة، وفي حديث حذيفة عند مسلم: «**نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة المقضيّ لهم قبل الخلائق**»[1] . قوّى هذا القول الحافظ ابن حجر على غيره.

(٤٠) أول الأمم مرورًا على الصراط، وكونها في مكان مرتفع عن الخلق يوم القيامة:

● وهذا إكرام من اللّه - عز وجل - لهذه الأمة فقد جاء عن النبي ﷺ: «... **ويُضرب الصراط بين ظهري جهنم، فأكون أنا وأمتي أول من يجيز**»[2] .

● وعن كعب بن مالك - رضي اللّه عنه - قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**إذا كان يوم القيامة كنت أنا وأمتي على تل فيكسوني حلة خضراء، ثم يأذن لي تبارك وتعالى أن أقول ما شاء اللّه أن أقول، وذلك المقام المحمود**»[3] .

«والراجح أن كون النبي ﷺ وأمته على تل أن ذلك بعد المرور على الصراط بدليل ذكر «المقام المحمود» وهو الشفاعة على الراجح

---

(١) مسلم (٢/ ٥٨٦) برقم (٨٥٦).

(٢) رواه البخاري «الفتح» (٣/ ٤١٩)، ومسلم (١/ ١٦٤).

(٣) إسناده جيد: رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٢/ ٣٦٤)، والحاكم(٤/ ٥٧٠ - ٥٧١) وبقية بن الوليد صدوق مدلس صرّح بالتحديث. وجوّده الألباني في «ظلال الجنة» (٢/ ٣٦٤)، وأشار إلى أن له شاهدين عند الحاكم (٤/ ٥٧٠ - ٥٧١)، (٤/ ٥٩٩) موقوفًا على ابن مسعود.

والصحيح، أي: أن الشفاعة بعد المرور على الصراط، والله أعلم»[١] .

(٤١) الشفاعة العظمى لسيد الرسل ﷺ يوم القيامة:

خصّ الله تعالى رسوله الكريم ﷺ بالمقام المحمود، وهو الشفاعة العظمى، يشفع النبي ﷺ من هول مطلع يوم القيامة ومن الكرب والهمّ الذي يصيب الناس في المحشر فتتقاصر شفاعة الرسل من دون رسول الله ﷺ .

● عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ مرفوعًا: **«يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد فيأتون آدم، ثم نوح، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى... حتى يأتون محمداً ﷺ فيقول: «فأنطلق فآتي العرش فأقع ساجداً لربي عز وجل، ثم يفتح الله لي من محامده وحُسن الثناء عليه شيئًا لم يفتحه على أحد قبلي فأقول: أمتي يا ربِّ! أمتي يا رب! فيُقال: يا محمد! أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب»**[٢] .

● ومما رحم الله به هذه الأمة وكرّمها شفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر فقد قال رسول الله ﷺ : **«شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»**[٣] ،

(١) «القول الأحمد في خصائص أمة محمد» للشيخ حاي الحاي ص(١٨١) ـ نشر دار النفائس ـ الكويت.

(٢) أخرجه البخاري ومسلم (١/ ١٨٢) من حديث أنس بن مالك، و(١/ ١٨٤ ـ ١٨٥) من حديث أبي هريرة.

(٣) **حديث صحيح**: أخرجه أبو داود (٥/ ١٠٦) رقم (٤٧٣٩)، وأحمد (٣/ ٢١٣) والنسائي والحاكم عن جابر (٢/ ٣٨٢)، وابن حبان، والبخاري في «التاريخ الكبير»، والطبراني في «الكبير» عن ابن عباس، والخطيب عن ابن عمر، وكعب بن عجرة، وكذا رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، وابن حبان عن أنس، وصححه الألباني في «تخريج المشكاة» (٥٥٩٨، ٥٥٩٩)، و«صحيح الجامع» (٣٧١٤).

وشفاعته لأناس من أمته يُعطَوْن درجات في الجنة لا تبلّغهم إياها أعمالهم، واختصاص الأمة المحمدية بشفاعة نبيها الذي ادّخر دعوته لأمته شفاعة لها في هذا اليوم العقيم خاص بهذه الأمة، فلقد دعا كل نبي دعوته المستجابة في دار الدنيا، فما أكرم نبينا وما أرأفه وما أرحمه بأمته، وما أطيب شفقته!

● عن عبد الرحمن بن أبي عقيل قال: انطلقنا فأتينا رسول اللَّه ﷺ فأنخنا بالباب، وما في الناس أبغض إلينا من رجل يلج عليه، فما خرجنا حتى ما في الناس أحد أحب إلينا من رجل يدخل عليه، فقال قائل منا: يا رسول اللَّه، ألا سألت ربك مُلْكًا كمُلْك سليمان؟ فضحك رسول اللَّه ﷺ ثم قال: **«لعل لصاحبكم عند اللَّه أفضل من مُلك سليمان، إن اللَّه لم يبعث نبيًّا إلا أعطاه دعوة، فمنهم من اتخذها دنيًا فأُعطيها؛ ومنهم من دعا بها على قومه إذْ عصوْه فأهلكوا بها، وإن اللَّه أعطاني دعوة فخبّيْتها عند ربي شفاعة لأمتي يوم القيامة»**[1].

(٤٢) عظم شفاعة رجل من المسلمين عُنوان ورمز لعظم هذه الأمة المحمدية:

ومن كرامة هذه الأمة عند ربها ما اختصّ اللَّه بعض أفرادها من الكرامة العظيمة في الآخرة ممثلة في شفاعة رجل من هذه الأمة لكثيرين

---

(١) **حديث صحيح**: أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٢/ ٩٣) رقم (٨٢٤) وهو حديث صحيح لغيره.

قال الشيخ الألباني: قد توبع فأخرجه ابن خزيمة (١٧٥) بإسناد جيد، وعزاه الحافظ للبخاري في «تاريخه»، والحارث بن أبي أسامة، وقال الهيثمي (١٠/ ٣٧١): رواه الطبراني، والبزار ورجالهما ثقات.

كثيرين، وفي هذا من الرفعة ما يثلج صدورنا ويعظم به فخرنا.

● عن عبد اللَّه بن شفيق قال: كنت مع رهط بإيلياء، فقال رجل منهم: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من بني تميم**»، قيل: يا رسول اللَّه سواك؟ قال: «**سواي**»(١) . فلما قام قلت: مَن هذا؟ قالوا: هذا ابنُ أبي الجذعاء.

◻ قال القاري: قيل هذا الرجل عثمان بن عفان ـ رضي اللَّه عنه ـ أو أويس القرني.

● وعن عبد اللَّه بن قيس قال: كنت عند أبي بردة ذات ليلة، فدخل علينا الحارث بن أقيش، فحدثنا الحارث ليلتئذ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**إن من أمتي من يدخل الجنة بشفاعته أكثر من مُضَر، وإن من أمتي من يعظم للنار حتى يكون أحد زواياها**»(٢) .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : «**ليدخلن الجنة بشفاعة رجل ليس بنبي مثل الحَيَّيْن: ربيعة ومضر، وإنما أقول ما أُقوَّل**»(٣) .

(٤٣) أول الأمم دخولاً الجنة:

وهذه منقبة ظاهرة لأمة رسول اللَّه ﷺ .

---

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي «التحفة» (٧/ ١٣٠)، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، وأخرجه ابن ماجه (٤٣١٦) (٢/ ١٤٤٤)، والحاكم في «المستدرك»، والدارمي (٢/ ٢٣٥) (٢٨١١)، وهو صحيح على شرط الشيخين، وصححه الألباني في «تحقيق المشكاة» (٥٦٠١)، و«صحيح الجامع» (٨٠٦٩).

(٢) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه في «سننه» ـ كتاب الزهد (٢/ ١٤٤٦) رقم (٤٣٢٣)، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (٢/ ٤٣٤).

(٣) **صحيح**: رواه أحمد في «مسنده»، والطبراني في «الكبير» عن أبي أمامة، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢١٧٨)، و«صحيح الجامع» (٥٣٦٣): ومعنى «إنما أقول ما أُقوَّل»: أي: ما يوحى إليّ.

● فعن أبي هريرة ـ رضي اللَّــه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «نحن الآخرون الأولـون يوم القيامة، ونحـن أول من يدخل الجنة، بَيْـد أنهم أُوتوا الكتاب من قبلنا وأُوتيناه من بعدهم، فاختـلفوا فهدانا اللَّه لما اختلفوا فيه من الحق، فهـذا يومهم الـذي اختلفـوا فيه هدانـا اللَّه لـه، فاليوم لـنا وغداً للـيهود وبعـد غد للنصارى»[١].

● وقال ﷺ: «والذي نفس محمد بيده، ما من عبد يؤمن ثم يسدِّدُ إلا سُلِكَ به في الجنة، وأرجو أن لا يدخـلها أحد حتى تبوَّئُوا[٢] أنتم ومن صـلح من ذرياتكم مساكن فـي الجنة، ولقد وعدني ربي أن يُدخل الجنة من أمـتي سبعين ألفًا بغير حساب»[٣].

● وعن عبد اللَّه بن عمرو ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «أتعـلمُ أول زمرة تـدخل الجـنة من أمـتي؟»، قلـت: اللَّه ورسـوله أعلم؟ فـقال: «المهاجرون يأتون يوم القيامة إلى بـاب الجنة ويستفتحون، فيقول لهم الخزنة: أَوَ قـدْ حوسبتم؟ فيقولـون: بأي شيء نحاسب؟! وإنما كانـت أسيافنا على عـواتقنا في سبـيل اللَّه حتى متنا على ذلـك؟ قال: فيُفتح لـهم، فيقيلـون فيه أربعين عامًا، قبل أن يدخلها الناس»[٤].

---

(١) رواه مسلم رقم (٨٥٥) (٢/ ٥٨٥، ٥٨٦).

(٢) أي: تتخذوا.

(٣) صحيح: أخرجه ابن ماجه عن رفاعة الجهني، وأخرجه الطيالسي، وأحمد في «مسنده»، وابن خـزيمة، وابن حـبان، وصحـحه الألبـاني فـي «السلـسلة الـصحيـحة» (٢٤٠٥)، و«صحيح الجامع» رقم (٧٠٦٢).

(٤) صحيح: أخرجه الحاكم في «المستدرك»، والبيهقي في «شعب الإيمان»، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (٨٥٣)، و«صحيح الجامع» رقم (٩٦).

انظر يا أخي إلى ملوك الجنة من سابقي هذه الأمة.. وإلى وجوههم النيّرة.

● عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم كأشدّ كوكب دُرِّيّ في السماء إضاءة، قلوبهم على قلب رجل واحد، لا اختلاف بينهم، ولا تباغض، لكل امرئ منهم زوجتان من الحور العين، يُرى مُخّ سُوقِهنّ من وراء العظم واللحم من الحسن، يسبّحون اللَّه بكرة وعشيًّا، لا يسقمون، ولا يبولون، ولا يتغوّطون ولا يتفلون، ولا يمتخطون، آنيتهم الذهب والفضة، وأمشاطهم الذهب، ووقود مجامرهم الألُوَّة[1] ورشحهم المِسْك، على خَلْق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم ستون ذراعًا في السماء»**[2].

(٤٤) أكثر أهل الجنة هذه الأمة:

هذه الأمة هي أكثر أهل الجنة، ومَنْ عداها من الأمم السابقة الصالحة هي أقلّ منها عددًا ولو كانوا مجتمعين ـ وهذه الأمة ثلثا أهل الجنة.

● فعن سليمان بن بريدة عن أبيه ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«أهل الجنة، عشرون ومائة صف، ثمانون منها هذه الأمة، وأربعون من سائر الأمم»**[3].

---

(١) المجامر: المباخر، والألوّة: العود الهندي.

(٢) متفق عليه.

(٣) صحيح: رواه أحمد في «مسنده»، والترمذي «تحفة الأحوذي» (٧/ ٢٥٤، ٢٥٥)، وابن ماجه (٢/ ١٤٣٣ ـ ١٤٣٤)، والطبراني في «الصغير»، والحاكم في «المستدرك»، وابن حبان عن بريدة، وأخرجه الطبراني في «الكبير» عن ابن عباس، وعن ابن مسعود، وعن=

والنبي ﷺ أكثر الناس تابعًا يوم القيامة، ورحمة من اللَّه بهذه الأمة وتفضلاً منه عليها لا يبقى أحد من هذه الأمة إلا ودخل الجنة، وذلك بعد الحساب والقصاص، وبعد أن ينجي اللَّه من يشاء من هذه الأمة من النار، ثم يدخلون الجنة بفضل رحمته، وهذه خاصية لهذه الأمة.

● فعن عبد اللَّه بن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ : **«ما من أمة إلا وبعضها في النار وبعضها في الجنة إلا أمتي، فإنها كلها في الجنة»**[1] .

(٤٥) وأكرم أهل الجنة من هذه الأمة:

فمن هذا الأمة أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة:

● فقد قال رسول اللَّه ﷺ : **«أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين، إلا النبيين والمرسلين»**[2] .

● وقال ﷺ : **«هذان السمع والبصر»**[3] يعني: أبا بكر وعمر...

أي: هذان من الدين السمع والبصر.

● والحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة.

قال رسول اللَّه ﷺ : **«أتاني ملك فسلّم عليّ ـ نزل من السماء، لم**

= أبي موسى، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٢٥٢٦)، و«تحقيق المشكاة» رقم (٥٦٤٤).

(١) **صحيح**: أخرجه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٣/ ٣٢٢)، والطبراني في «المعجم الصغير»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥٦٩٣).

(٢) أخرجه البخاري (١١/ ٤٠٥، ٤٠٦)، ومسلم (١/ ١٩٩ ـ ٢٠٠).

(٣) **صحيح**: أخرجه الترمذي، والحاكم في «المستدرك» عن عبد اللَّه بن حنطب ـ رضي اللَّه عنه ـ وصححه الحاكم، والألباني في «صحيح الجامع» (٦٨٨١).

ينزل قبلها ـ فبشرني أن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة»[١] .

● وحمزة سيد الشهداء يوم القيامة:

قال رسول اللَّه ﷺ : «حمزة سيد الشهداء يوم القيامة»[٢] .

(٤٦) سبعون ألفًا من هذه الأمة يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب مع كل واحد منهم سبعون ألفًا فما أعظم هذه الأمة:

وهذا كرم عظيم تفضل اللَّه به على هذه الأمة واختصّها به:

● قال رسول اللَّه ﷺ : «عُرضت عليَّ الأمم فرأيت النبي ومعه الرهط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد، إذْ رُفع لي سواد عظيم، فظننت أنهم أمتي، فقيل لي: هذا موسى وقومه، ولكن انظر إلى الأفق، فإذا سواد عظيم، فقيل لي: انظر إلى الأفق الآخر، فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هذه أمتك، ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، هم الذين لا يرقون ولا يسترقون، ولا يتطيرون، ولا يكتوون، وعلى ربهم يتوكلون»[٣] .

---

(١) صحيح: أخرجه ابن عساكر عن حذيفة ـ رضي اللَّه عنهما ـ، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (٧٩٦).

(٢) صحيح: أخرجه الشيرازي في «الألقاب»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣١٥٣).

(٣) أخرجه أحمد، والبخاري، ومسلم عن ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ.

● عن سهل بن سعد الساعدي ـ رضي اللَّه عنه ـ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفًا أو سبعمائة ألف**»، قال أبو حازم: لا أدري أي ذلك قال ـ«**متماسكون بعضهم آخذًا بيد بعض لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم وجوههم على صورة القمر ليلة البدر**»[١] .

● وعن أنس ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ : «**إن اللَّه عز وجل وعدني أن يدخل الجنة من أمتي أربعمئة ألف**»، فقال أبو بكر: زدنا يا رسول اللَّه قال: «**وهكذا وجمع يديه**»، فقال: زدنا يا رسول اللَّه فقال: «**هكذا وجمع بين يديه**»، فقال عمر: حسبك يا أبا بكر فقال أبو بكر: دعنا يا عمر ما عليك أن يدخلنا اللَّه الجنة كلنا، فقال عمر: إن اللَّه تعالى إذا شاء أن يدخلنا الجنة بكف واحد فعل. فقال النبي ﷺ : «**صدق عمر**»[٢] .

● وعن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ عن رسول اللَّه ﷺ قال: «**سألت ربي عز وجل فوعدني أنْ يدخل من أُمتي سبعين ألفًا على صورة القمر ليلة البدر، فاستزدت فزادني مع كل ألف سبعين ألفًا، فقلت: أي رب إن لم يكن هؤلاء مهاجري أمتي، قال: إذن أكملهم لك من الأعراب**»[٣] .

● وعن أبي أمامة الباهلي عن رسول اللَّه ﷺ قال: «**إن اللَّه**

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٣/ ١٦٥، ١٩٣)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٢٦٢) بإسناد صحيح، قال الشيخ الألباني: على شرط مسلم.

(٢) **حديث صحيح**: أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٢٦١)، وأحمد (٥/ ٢٥٠)، وصححه الألباني في «ظلال الجنة في تخريج السنة» (٥٨٨).

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٣٥٩)، وسنده جيد، جوّد إسناده الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١١/ ٣٤٥).

وعدني أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفًا بغير حساب»، قال يزيد بن الأخنس: واللَّه ما أولئك يا رسول اللَّه إلا مثل الذباب الأصهب في الذباب، قال رسول اللَّه ﷺ: **«فإن اللَّه وعدني سبعين ألفًا مع كل ألف سبعون ألفًا وزادني ثلاث حثيات»**[1] .

● وعن أبي أمامة الباهلي قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«وعدني ربي أن يُدخل الجنة من أمتي سبعين ألفًا لا حساب عليهم ولا عذاب، مع كل ألف سبعون ألفًا وثلاث حثيات من حثياته»**[2] .

● وعن أبي بكر الصديق ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«أُعطيت سبعين ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب وجوههم كالقمر ليلة البدر، قلوبهم على قلب رجل واحد فاستزدت ربي عز وجل فزادني مع كل واحد سبعين ألفًا»**[3] .

يا لها من كرامة ظاهرة.. مع كل واحد سبعين ألفًا أي: أربعة آلاف وتسعمائة مليون يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب.. وليس سبعون ألفًا فقط.

---

(١) **إسناده حسن**: رواه أحمد (٢/ ٣٥٩)، والحديث صححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (١٤٨٤).

(٢) **سنده صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٤٣٧)، وابن ماجه (٤٢٨٦)، وأحمد (٥/ ٢٦٨)، وابن أبي شيبة (٦/ ٣١٥)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٥٨٩)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٣/ ٢٨٠)، (٥/ ٣٢١).

(٣) **حديث صحيح**: أخرجه أحمد (١/ ٦)، وأبو يعلى في «مسنده» (١١٢)، (١/ ١٠٤، ١٠٥) وله شواهد كثيرة تكلم عنها الألباني في «الصحيحة» (١٤٨٤)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٤٨٤)، و«صحيح الجامع» (١٠٥٧).

(٤٧) ومن خصائص هذه الأمة: النسخ:

◻ قال السيوطـي في «الإتقان» (٢/ ٢١): «النسخ مما خـصّ اللَّه به هذه الأمة لحِكَم منها: التيسير. وقد أنكره اليهود.

واستدل أهل العلم بأن شرائع من قبلنا كانت تنزل دفعة واحدة فلا يتأتّى فيها النسخ بخلاف شريعتنا، فقد قال تعالى: ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً ﴾ [الإسراء: ١٠٦].

(٤٨) ومن خصائص هذه الأمة: الخيار في القصاص أو الدية أو العفو:

* لقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَىٰ بِالأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ﴾ [البقرة: ١٧٨].
بخلاف بني إسرائيل، فاليهود لـم يكن عندهم إلا القصاص، والنصارى ليس عندهم إلا العفو، وقـد قال اللَّه عن أهل التوراة: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ... ﴾ الآية [المائدة: ٤٥]. ولم يذكر دية ولا عفوًا.

(٤٩) ومن خصائص هذه الأمة: أنها أمة متميزة نهيت عن التشبّه بالمشركين قاطبة:

الأمة المحمدية أمة متميزة متفـرّدة ظاهرة، انبثق وجودها ابتداءً من منهج اللَّه لتؤدي في حياة البشر دورًا خاصًّا لا ينهض به سواها.

والتصور الإسلامي يخـتلف اختلافًا جوهـريًّا أصيلاً عـن الوجود والحياة والقيم والأشخاص والأعمال والأشياء.

هذه الأمة المسلمة التي اختارها اللَّه لقيادة البشرية، تستمد تقاليدها من عقيدتها التي تتلقاها من اللَّه، فالمسلمون الأعلون، وهم الأمة الوسط، هم خير أمة أخرجت للناس، فمن أين إذن يستمدون تصورهم ومنهجهم؟ إن لم يستمدوه من اللَّه، فهم سيستمدونه من الأدنى الذي جاءوا ليرفعوه! والهزيمة الداخلية تجاه مجتمع معين هي التي تندسس في النفس من داخلها لتقلد هذا المجتمع المعين.

لقد وُجدت هذه الأمة لقيادة البشرية، فكيف تتلقى إذن من الجاهلية التي جاءت لتبدلها ولتصلها باللَّه؟! وحين تتخلّى عن مهمة القيادة فما وجودها إذن؟! إنها قيادة التصور الصحيح، والاعتقاد الصحيح، والشعور الصحيح، والخلق الصحيح، والنظام الصحيح، لتنمو الحياة وتزكو.

إن التلقي عن أهل الكتاب يعني الهزيمة الداخلية، والتخلّي عن دور القيادة الذي من أجله أُنشئت الأمة المسلمة، كما تحمل معنى الشك في كفاية منهج اللَّه لقيادة الحياة، وهو بذاته دبيب الكفر في النفس وهي لا تشعر به ولا ترى خطره القريب.

لقد ضمن الإسلام للبشرية أعلى أفق في التصور، وأقوم منهج في الحياة يدعو البشرية أن تفيء إليه بدلاً من التردي في مهاوي الجاهلية.

الأمة المسلمة تتميز بشخصية خاصة لا تتلبّس بشخصيات الجاهلية، تتميّز بتصور خاص للوجود والحياة لا يتلبّس بتصورات الكافرين السائدة، تتميز بأهداف واهتمامات تتفق مع تلك الشخصية وهذا التصور يعلو على شتى الأهداف التي تستهدفها الأرض جميعًا، تتميز براية خاصة تحمل اسم اللَّه وحده.

والعقيدة هي منهج الحياة الكامل الذي يميّز الأمة المستخلفة الوارثة

لتراث العقيدة الشهيدة على الناس، وتحقيق هذا المنهج هو الذي يمنحها ذلك التميز في الشخصية والكيان، وفي الأهداف والاهتمامات، وفي الراية والعلامة، والكيان، وهي بغير هذا المنهج ضائعة في الغمار، مبهمة الملامح، مجهولة السمات، مهما اتخذت لها من أزياء ودعوات وأعلام.

❑ ولقد نهى الشارع عن التشبه بمن دون المسلمين في خصائصهم، التي هي تعبير ظاهر عن مشاعر باطنة كالنهي عن طريقتهم في الشعور والسلوك سواء، ولم يكن هذا تعصبًا ولا تمسكًا بمجرد شكليات، وإنما كان نظرة أعمق إلى ما وراء الشكليات. كان نظرة إلى البواعث الكامنة وراء الأشكال الظاهرة. وهذه البواعث هي التي تفرّق قومًا عن قوم، وعقلية عن عقلية، وتصورًا عن تصور، وضميرًا عن ضمير، وخلقًا عن خلق، واتجاهًا في الحياة كلها عن اتجاه.

● قال رسول اللَّه ﷺ : **«ليس منا من تشبّه بغيرنا، ولا تشبهوا باليهود ولا بالنصارى، فإن تسليم اليهود الإشارة بالأصابع، وتسليم النصارى الإشارة بالأكف»**[1] .

● وقال ﷺ : **«من تشبّه بقوم فهو منهم»**[2] .

نهى عن التشبه في المظهر أو الملبس، ونهى عن التشبه في الحركة أو السلوك، ونهى عن التشبه في القول أو الأدب؛ لأن وراء هذا كله

---

(١) حسن: أخرجه الترمذي، والطبراني في «الأوسط» عن ابن عمرو، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٣١٠)، و«السلسلة الصحيحة» (٢١٩٤).

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود عن ابن عمر، والطبراني في «الأوسط» عن حذيفة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦٠٢٥).

ذلك الشعور الذي يميِّز تصوراً عن تصور، ومنهجًا في الحياة عن منهج، وسِمَةَ للجماعة عن سمة.

* قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦].

❑ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فقوله: ﴿وَلا يَكُونُوا﴾ نهي مطلق عن مشابهتهم، وهو خاص أيضًا في النهي عن مشابهتهم في قسوة قلوبهم، وقسوة القلوب من ثمرات المعاصي»[١].

❑ وقال ابن كثير: «ولهذا نهى اللَّه المؤمنين أن يتشبّهوا بهم في شيء من الأمور الأصلية والفرعية»[٢].

فترك هدي الكفار والتشبه بهم في أعمالهم وأقوالهم وأهوائهم؛ من المقاصد والغايات التي أسّسها وجاء بها القرآن الكريم، وقام النبي ﷺ ببيان ذلك وتفصيله للأمة، وحقّقه في أمور كثيرة من فروع الشريعة، حتى قال اليهود: «ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئًا إلا خالفنا فيه».

* قال اللَّه تبارك وتعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلا وَاقٍ﴾ [الرعد: ٣٧].

* وقال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ١٨].

---

(١) «اقتضاء الصراط المستقيم» لابن تيمية ص(٤٣).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٣١٠).

وهذه المخالفة لهدْي الكافرين تشمل أشياء كثيرة من العبادات والآداب والاجتماعيات والعادات وها نحن نسوقها ليكون المرء على بصيرة.

*** ففي الصلاة:**

١ ـ عن أبي عُمير بن أنس عن عمومة له من الأنصار قال: «اهتم النبي ﷺ للصلاة كيف يجمع الناس للصلاة، فقيل له: انصب راية عند حضور الصلاة، فإذا رأوها آذن بعضهم بعضًا، فلم يعجبه ذلك، قال: فذكر له القُنع؛ يعني الشَّبُّور (وفي رواية: شبور اليهود)[١] فلم يعجبه ذلك، وقال: **«هو من أمر اليهود»**، قال: فذكر له الناقوس، فقال: **«هو من أمر النصارى»**، فانصرف عبد اللَّه بن زيد بن عبد ربه، وهو مهتم لِهَمِّ رسول اللَّه ﷺ، فَأُرِي الأذان في منامه»[٢].

٢ ـ وعن عمرو بن عبسة قال: قلت: يا نبي اللَّه! أخبرني عمّا علّمك اللَّه وأجهله، أخبرني عن الصلاة. قال: «**صل صلاة الصبح، ثم أقصر عن الصلاة حين تطلع الشمس حتى ترتفع؛ فإنها تطلع بين قرني شيطان، وحينئذ يسجد لها الكفار. ثم صلِّ؛ فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى يستقل الظل بالرمح، ثم أقصر عن الصلاة؛ فإن حينئذ تُسجر جهنم، فإذا أقبل الفيء فصلّ؛ فإن الصلاة مشهودة محضورة، حتى تصلي العصر، ثم أقصر عن الصلاة حين تغرب الشمس؛ فإنها تغرب بين قرني شيطان، وحينئذ يسجد لها الكفار**»[٣].

٣ ـ الاختصاص والتميز في القبلة ـ لتتميز للمسلمين كل خصائص

---

(١) وهو البوق.

(٢) **حديث صحيح**: رواه أبو داود في «سننه»، وصححه الكثير من الأئمة ـ انظر «صحيح سنن أبي داود» رقم (٥١١).

(٣) أخرجه مسلم (٢/٢٠٨ ـ ٢٠٩)، وأبو عوانة (١/٣٨٦ ـ ٣٨٧) في «صحيحيهما».

الوراثة: حسيها وشعوريها، وراثة الدين، ووراثة القبلة، ووراثة الفضل من اللَّه جميعًا، لم يكن بُدّ من تمييز المكان الذي يتجه إليه المسلم بالصلاة والعبادة وتخصيصه كي يتميز هو بتصوره ومنهجه واتجاهه، فهذا التميز تلبية للشعور بالتفرد، كما أنه بدوره ينشئ شعورًا بالامتياز والتفرد.

٤ ـ وكما لا يصلي إلى القبلة التي يصلون إليها، كذلك لا يصلي إلى ما يصلون له، بل هذا أشد فسادًا.

● فعن جندب بن عبد اللَّه البجلي ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: «... **ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك**»[١].

٥ ـ عن شدّاد بن أوس ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**خالفوا اليهود؛ فإنهم لا يصلون في نعالهم، ولا في خفافهم**»[٢].

وهذا أمر منه ﷺ بمخالفة اليهود مطلقًا.

٦ ـ وعن عبد اللَّه بن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إذا صلى أحدكم في ثوب فليشده على حقوه**[٣]، **ولا تشتملوا اشتمال اليهود**»[٤].

٧ ـ عن جابر بن عبد اللَّه ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: «اشتكى

---

(١) أخرجه مسلم (٢/ ٦٧ ـ ٦٨)، وأبو عوانة(١/ ٤٠١) في «صحيحيهما»، وابن سعد.

(٢) **صحيح**: أخرجه أبو داود في «سننه». انظر: «صحيح سنن أبي داود» (٦٥٩).

(٣) الحقو: هو معقد الإزار.

(٤) **سنده صحيح**: أخرجه البيهقي والطحاوي، وصححه الألباني في «جلباب المرأة المسلمة» ص(١٧٢).

رسول اللَّه ﷺ فصلّينا وراءه وهو قاعد، وأبو بكر يُسمع الناس تكبيره، فالتفت إلينا فرآنا قيامًا، فأشار إلينا فقعدنا، فصلينا بصلاته قعودًا، فلما سلّم قال: «**إن كدتم لتفعلون فعل فارس والروم، يقومون على ملوكهم، وهم قعود، فلا تفعلوا ائتموا بأئمتكم، إن صلى قائمًا فصلوا قيامًا، وإن صلى قاعداً فصلوا قعوداً**» زاد في رواية: «**ولا تفعلوا كما يفعل أهل فارس بعظمائها**»[1].

٨ ـ وعن ابن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ أن النبي ﷺ نهى رجلاً وهو جالس معتمد على يده اليسرى في الصلاة، فقال: «**إنها صلاة اليهود**»، وفي رواية: «**لا تجلس هكذا، إنما هذه جلسة الذين يعذبون**»[2].

* ومن الجنائز:

عن جرير بن عبد اللَّه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**اللحد لنا والشق لأهل الكتاب**»[3] وقد مرت هذه الخاصية من قبل.

* ومن الصوم:

٩ ـ عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لا يزال الدين ظاهراً ما عجّل الناس الفطر؛ لأن اليهود والنصارى يؤخرون**»[4].

١٠ ـ عن ليلى امرأة بشير ابن الخصاصية ـ رضي اللَّه عنه وعنها ـ

---

(١) أخرجه مسلم، وأبو عوانة في «صحيحيهما»، والزيادة في آخره عند أبي داود بإسناد صحيح.

(٢) الرواية الأولى للحاكم بإسناد صحيح، والأخرى لأحمد بسند حسن على شرط مسلم.

(٣) أخرجه أحمد، والطحاوي في «مشكل الآثار» وابن سعد، وله شاهد من حديث ابن عباس، قال شيخ الإسلام في «اقتضاء الصراط المستقيم» ص(٣٣): «وهو مروي من طرق فيها لين، لكن يصدق بعضها بعضًا».

(٤) **إسناده حسن**: رواه الترمذي، وأحمد، وأبو داود، والحاكم وابن حبان بإسناد حسنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٧٦٨٩)، و«تخريج المشكاة» رقم (١٩٩٥).

قالت: أردت أن أصوم يومين مواصلة، فنهاني عنه بشير وقال: إن رسول اللَّه ﷺ نهاني عن ذلك، وقال: «**إنما يفعل ذلك النصارى، صوموا كما أمركم اللَّه، وأتموا الصوم كما أمركم اللَّه؛ و﴿ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ﴾** [البقرة: ١٨٧]، فإذا كان الليل فأفطروا»[١] .

١١ ـ وعن ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: «حين صام رسول اللَّه ﷺ يوم عاشوراء وأمر بصيامه، قالوا: يا رسول اللَّه! إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى؟ فقال رسول اللَّه ﷺ: «**فإذا كان العام المقبل إن شاء اللَّه صُمنا اليوم التاسع**»، قال: فلم يأت العام المقبل حتى توفي رسول اللَّه ﷺ»[٢] .

١٢ ـ وعن أم سلمة ـ رضي اللَّه عنها ـ قالت: كان رسول اللَّه ﷺ يصوم يوم السبت ويوم الأحد أكثر مما يصوم من الأيام، ويقول: «**إنهما يوما عيد المشركين، فأنا أحب أن أخالفهم**»[٣] .

* ومن الحج:

١٣ ـ عن عمر بن الخطاب ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: «إن المشركين كانوا لا يفيضون من جمع[٤] حتى تشرق الشمس على «ثبير»[٥] ، وكانوا

(١) **إسناده صحيح**: أخرجه أحمد (٥/ ٢٢٥)، وسعيد بن منصور، وعزاه الحافظ في «الفتح» (٤/ ١٦٤) للطبراني، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم في «تفسيريهما».

(٢) أخرجه مسلم (٣/ ١٥١)، والبيهقي (٤/ ٢٨٧) وغيرهما.

(٣) **صحيح**: أخرجه أحمد (٦/ ٣٢٤)، والحاكم (١/ ٤٣٦) ومن طريقه البيهقي (٤/ ٣٠٣)، وهذا إسناد حسن، وقال الحاكم «صحيح»، ووافقه الذهبي، وصححه أيضًا ابن خزيمة كما في «نيل الأوطار» (٤/ ٢١٤)، ونسبه لابن حبان أيضًا. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ١٩٨): «رواه الطبراني في «الكبير» ورجاله ثقات، وصححه ابن حبان.

(٤) أي: مزدلفة.

(٥) جبل معروف عند مكة.

يقولون: أشرق ثبير كيما نغير، فخالفهم النبي ﷺ فدفع قبل أن تطلع الشمس»(١) .

* ومن الذبائح:

١٤ ـ عن رافع بن خديج قال: «قلت: يا رسول اللَّه! إنا ملاقوا العدو غدًا، وليست معنا مُدى؟ قال ﷺ : **«ما أنهر الدم وذُكر اسم اللَّه فَكُل، ليس السن والظفر، وسأحدثك: أما السن فعظم، وأما الظفر فمدى الحبشة»**(٢) .

◻ قال الحافظ في «الفتح»: قوله: **«وأما الظفر فمدى الحبشة»** أي: وهم كفار وقد نهيتم عن التشبه بهم. قاله ابن الصلاح وتبعه النووي.

* ومن الأطعمة:

١٥ ـ عن عدي بن حاتم ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: «قلت: يا رسول اللَّه! إني أسألك عن طعام لا أدعه إلا تحرّجًا، قال: **«لا تدع شيئًا ضارعت فيه نصرانية»**(٣) .

أي: لا تتحرج فإنك إن فعلت ذلك؛ ضارعت فيه النصرانية، أي:

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ٤١٨)، وأبو داود (١/ ٣٠٥)، والنسائي (٢/ ٤٨ ـ ٤٩)، والترمذي (٢/ ١٠٤ ـ «بتحفة الأحوذي»)، والدارمي (٢/ ٥٩ ـ ٦٠)، وابن ماجه (٢/ ٢٤١)، والبيهقي (٥/ ١٢٤ ـ ١٢٥)، وأحمد (٨٤، ٢٠٠، ٢٧٥، ٣٥٨، ٣٨٥)، وقال الترمذي: حسن صحيح.

(٢) أخرجه البخاري (٩/ ٥١٣ ـ ٥١٧ و٥٥٣)، ومسلم (٦/ ٧٨ و٧٩)، وأبو داود (٢/ ٦)، والنسائي (٢/ ٢٠٧)، والترمذي (٢/ ٣٥٠ ـ ٣٥١)، وابن ماجه (٢/ ٢٨٤)، والبيهقي (٩/ ٢٤٧)، وأحمد (٣/ ٤٦٣)، (٤/ ١٤٠).

(٣) سنده حسن: أخرجه أحمد (٤/ ٢٥٨، ٣٧٧)، والبيهقي (٧/ ٢٧٩)، والترمذي أيضًا (٢/ ٣٨٤)، وكذا رواه ابن حبان (١/ ٢٧٤، ٣٣٣).

شابهت لأجله أهل الملة النصرانية، وفي هذا تعليل النهي.

* ومن اللباس والزينة:

١٦ ـ عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ قال: «رأى رسول الله ﷺ عليّ ثوبين معصفرين، فقال: «**إن هذا من ثياب الكفار فلا تلبسها**»[١].

١٧ ـ وعن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ قال: «خرج رسول الله ﷺ على مشيخة من الأنصار بيض لحاهم، فقال: «**يا معشر الأنصار! حمروا وصفروا، وخالفوا أهل الكتاب**»، قال: فقلنا: يا رسول الله! إن أهل الكتاب يتسرولون ولا يأتزرون؟، فقال رسول الله ﷺ: «**تسرولوا وائتزروا وخالفوا أهل الكتاب**»، فقلنا: يا رسول الله! إن أهل الكتاب يتخففون ولا ينتعلون! قال: «**فتخففوا وانتعلوا وخالفوا أهل الكتاب**». قال: فقلنا: يا رسول الله! إن أهل الكتاب يقصون عثانينهم[٢] ويوفرون سبالهم[٣]، قال: «**قصّوا سبالكم، ووفروا عثانينكم، وخالفوا أهل الكتاب**»[٤].

---

(١) أخرجه مسلم (٦/ ١٤٤)، والنسائي (٢/ ٢٩٨)، والحاكم (٤/ ١٩٠)، وأحمد (٢/ ١٦٢، ١٦٤، ١٩٣، ٢٠٧، ٢١١)، والرامهرمزي في «المحدث الفاصل».

وفي هذا الحديث النهي عن لبس ثياب الكفار الخاصة بهم.

(٢) العثانين: جمع عثنون، وهي: اللحية.

(٣) السبال: جمع سبلة «بالتحريك»، وهي: الشارب.

(٤) **إسناده حسن**: أخرجه أحمد (٥/ ٢٦٤)، وقال الهيثمي في «المجمع» (٥/ ١٣١): رواه أحمد، والطبراني ورجال أحمد رجال «الصحيح»، خلا القاسم، وهو ثقة، وفيه كلام لا يضر. وحسّنه الحافظ في «الفتح» (٩/ ٢٩١).

وللحديث شاهد من رواية جابر بن عبد الله عند الطبراني في «الأوسط» قال في آخره: «**وخالفوا أولياء الشيطان بكل ما استطعتم**».

١٨ ـ وعن ابن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**خالفوا المشركين؛ احفوا الشوارب، وأوفوا اللحى**»[1].

١٩ ـ وعن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: «**جزوا الشارب، وأرخوا اللحى؛ خالفوا المجوس**»[2].

٢٠ ـ وعن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال النبي ﷺ: «**إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم**»[3].

٢١ ـ وعنه ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**غيّروا الشيب، ولا تشبهوا باليهود ولا بالنصارى**»[4].

٢٢ ـ وعن ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: «كان النبي ﷺ يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه، وكان أهل الكتاب يسدلون أشعارهم، وكان المشركون يفرقون رؤوسهم، فسدل النبي ﷺ، ثم فرق بعد»[5].

فأمر النبي ﷺ استقر أخيرًا على مخالفة أهل الكتاب حتى في الشَّعْر!

---

(١) أخرجه البخاري (١٠/ ٢٨٨)، ومسلم (١/ ١٥٣)، وأبو عوانة (١/ ١٨٩)، والبيهقي (١/ ١٥٠).

(٢) أخرجه مسلم (١/ ١٥٣)، وأبو عوانة (١/ ١٨٨)، وأحمد (٢/ ١٥٣، ٣٦٦)، والبيهقي (١/ ١٥٠).

(٣) أخرجه البخاري (١٠/ ٢٩١)، ومسلم (٦/ ١٥٥)، وأبو داود (٢/ ١٩٥)، والنسائي (٢/ ٢٧٣)، وابن ماجه (٢/ ٣٨١)، وأحمد (٢/ ٢٤٠، ٢٦٠، ٣٠٩، ٤٠١).

(٤) إسناده حسن: أخرجه أحمد (٢/ ١٦١ و٤٩٩)، وابن حبان في «صحيحه» (٥٤٤٩).

(٥) أخرجه البخاري (٦/ ٤٤٧)، (٧/ ٢٢١)، (١٠/ ٢٩٧)، ومسلم (٧/ ٨٣)، وأبو داود (٢/ ١٩٣)، والنسائي (٢/ ٢٩٢)، وابن ماجه (٢/ ٣٨٣)، وأحمد (٢٢٠٩، ٢٣٦٢، ٢٦٠٥، ٢٩٤٤).

□ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولهذا صار الفرق شعار المسلمين، وكان من الشروط المشروطة على أهل الذمة أن لا يفرقوا شعورهم»(١).

* ومن الآداب والعادات:

٢٣ ـ عن جابر بن عبد اللَّه ـ رضي اللَّه عنه ـ مرفوعًا: **«لا تسلّموا تسليم اليهود؛ فإن تسليمهم بالرؤوس والأكف والإشارة»**(٢).

٢٤ ـ وعن الشريد بن سويد ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: «مرّ بي رسول اللَّه ﷺ وأنا جالس هكذا، وقد وضعت يدي اليسرى خلف ظهري، واتكأت على ألية يدي، فقال: **«أتقعد قعدة المغضوب عليهم؟!»**(٣).

٢٥ ـ وعن سعد بن أبي وقاص ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«نظّفوا أفنيتكم، ولا تشبهوا باليهود، تجمع الأكباء(٤) في دورها»**(٥).

---

(١) «اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم» لابن تيمية ص(٨٢).

(٢) **سنده جيد**: أخرجه النسائي بسند جيد قاله الحافظ في «الفتح» (١١/١٢)، وقد أورده الهيثمي في «المجمع» بنحوه (٨/٣٨) ثم قال: «رواه أبو يعلى، والطبراني في «الأوسط» ورجال أبي يعلى رجال «الصحيح»: انظر «السلسلة الصحيحة» رقم (١٧٨٣).

(٣) **صحيح على شرط البخاري**: أخرجه أبو داود (٢/٢٩٥)، وأحمد (٤/٣٨٨)، والحاكم (٤/٢٦٩)، وصححه ووافقه الذهبي، وأخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٢/١٩٨/٣٠٥٧)، وصححه الألباني أيضًا في «جلباب المرأة المسلمة» ص(١٩٦ ـ ١٩٧).

(٤) جمع «كِبى» ـ بالكسر والقصر ـ: الكُناسة.

(٥) **حديث حسن**: أخرجه الدولابي في «الكنى» (٢/١٣٧) قال رسول اللَّه ﷺ: **«إن اللَّه نظيف يحب النظافة، جواد يحب الجود، كريم يحب الكرم، طيب يحب الطيب، فنظّفوا...»**، وأخرجه الترمذي، ويتقوى الطريق الأول بما رواه سعد مرفوعًا بلفظ: **«طهروا أفنيتكم، فإن اليهود لا تنظف أفنيتها»**، أخرجه الطبراني في «الأوسط». وحسّن الحديث الألباني في «جلباب المرأة المسلمة» ص(١٩٧).

٢٦ ـ وعن عبد اللَّه بن مسعود ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إياكم وهاتان**[١] **الكعبتان الموسومتان اللتان تزجران زجراً؛ فإنها ميسر العجم**»[٢].

* متفرقات:

٢٧ ـ عن عمر بن الخطاب ـ رضي اللَّه عنه ـ سمعت النبي ﷺ يقول: «**لا تُطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم إنما أنا عبد اللَّه، فقولوا عبد اللَّه ورسوله**»[٣].

والإطراء: هو المبالغة في المدح والغلو.

٢٨ ـ عن عبد اللَّه بن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**بعثت بين يدي الساعة بالسيف، حتى يعبد اللَّه وحده لا شريك له، وجُعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذلة والصَّغار على من خالف أمري، ومن تشبّه بقوم فهو منهم**»[٤].

فانظر ـ رحمك اللَّه ـ إلى التميّز حتى في الأشياء الظاهرة، فلا

---

(١) هكذا الرواية، وهي على لغة من يلزم المثنى الألف، وهي لغة صحيحة معروفة.

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (٤٢٦٣)، والبيهقي (١٠/ ٢١٥)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٦٢٠٣)، وقال الهيثمي في «المجمع» (٨/ ١١٣): «رواه أحمد، والطبراني، ورجال الطبراني رجال «الصحيح»، وقال الألباني في «جلباب المرأة المسلمة» ص(١٩٨ ـ ١٩٩): «فالحديث حسن أو صحيح واللَّه أعلم».

(٣) أخرجه البخاري (٦/ ٣٨١) (١٢/ ١٢٤)، والترمذي في «الشمائل» (٢/ ١٦١)، والدارمي (٢/ ٣٢٠)، والطيالسي رقم (٢٥)، وأحمد (١٥٤، ١٦٤، ٣٣١، ٣٩١).

(٤) إسناده صحيح: أخرجه أحمد (٥١٤، ٥١١٥، ٥٦٦٧)، والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (٢/ ٧٣) وابن عساكر، وقد علق البخاري في «صحيحه» (٦/ ٧٥) بعضه، وقال ابن تيمية في «الاقتضاء» ص(٣٩): وهذا إسناد جيد، وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (١/ ٣٤٢): «سنده صحيح»، وقال الحافظ في «الفتح» (١٠/ ٢٢٢): سنده حسن.

يشبه الزيّ الزيّ حتى يشبه القلب القلب.

فرضي اللَّه عن هذه الأمة أمة الغرباء:

غريبة تبتغي «الفرقان» رائـــدة   بـــدريّة جلّ في أعماقهـا النسب

* * *

(٥١) ونختم هذه الخصائص بما ميّز الله به أفرادًا من هذه الأمة:

فلقــد فضّل اللّــه أفرادًا من هذه الأمة وحـباهم بما لـيس في الأمم الأخرى، فأبو بكر وعمر من الدين السـمع والبصر، وسمّى اللَّه أبا بكر في السمـاء صدّيقًا ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾ كما قال عـلي بن أبي طالب، والشـيطان يفر من وجه عمـر، إذا رآه في فج سلك فـجًّـا غيره، وعثمان ـ رضي الـلَّه عنه ـ تستحي منه الملائكـة، وسعد بن معاذ اهتز لموته عرش الرحـمن، وخديجة يُسلّم عليها ربهـا، وعامر بن فهيرة تحمل جثمانه المـلائكة، وزينب بنت جحش ـ رضي اللَّه عـنها ـ يزوّجها اللَّه لنـبيه ﷺ من فوق سبع سـماوات، وعائشة ـ رضي اللّـه عنها ـ يقرئها جبريل السلام، وفاطمة ـ رضي الـلَّه عنها ـ سيدة نساء المسلمين، والعلاء الحضرمي يسير بجيش المسلميــن على صفحة الماء، وسفينة مولى رسول اللَّه ﷺ يكلّم الأسد ولا يهابـه، وأويس القرني لو أقسم على اللَّه لأبـره، وكرامات الصحـابة والأولياء والـكمّل من هذه الأمـة تفوق الأساطير ولكنها حقيقة أطيب من شذا الريحان.

* * *

* **لطيفة:**

✍ سبحان من قدّمنا على جميع الناس، وسقانا من معرفته أروى كاس، وجعل نبينا أفضل نبي رعى وساس، فلما فضّله على الأمة وأنعم علينا بعلو الهمة قال: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾.

✍ أفي الأمم مثل أبي بكر الصديق، أو عمر الذي أغصّ كسرى بالريق، أو عثمان الصابر على مُرّ المذيق، أو عليّ بحر العلم الغمر العميق، أو مثل حمزة والعباس؟ ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾.

✍ أفيهم مثل طلحة والزبير القرينين، أو سعد وسعيد هيهات من أين؟ ألهم صبر خبّاب وخبيب ومن مثل الاثنين؟ إن شبهناهم أبعد القياس. هل شجرة الرضوان في أشجارهم، هل وقعة بدر من أسمارهم؟ إنما عرضت لهم غَزاة في جميع اعمارهم وجهادنا مع الأنفاس ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾.

✍ أين أصحاب الأنبياء من أصحابنا؟ هيهات ما القوم من أضرابنا، ولا ثوابهم في الأخرى مثل ثوابنا، نُتق الجبل فقالوا: أَقِلْنا ونحن قلنا في كتابنا: على العينين والراس ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾.

✍ ردّوا كتابهم وقد سُطِّر وصك، وطلبوا صنمًا، وقيد الهجر قد فُكّ، وشكّوا عند الجبل وما فينا من شك، إن تشبيهٌ المسك باللك[1]، وسواس ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾.

✍ غمرهم التغفيل وتناهى، فاعتقدوا للخالق أشباها، فقالوا: يوم اليمّ: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَهًا﴾ ونحن ما في عقائدنا التباس ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ

---

(١) اللك: نبات يصبغ به.

أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾.

✍ آثر الصحابة الفقر والمجاعة، واشتغلوا عن الدنيا بالطاعة؛ وسألت النصارى مائدة المجاعة، إنما طلبوا قوت الأضراس ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾.

✍ أعند رهبانهم كزهد أُويس، أفي متعبّديهم كعامر بن قيس، أفي خايفهيم كالفضيل؟ هيهات ليس ضوء الشمس كالمقباس ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾.

✍ أفيهم مثل بشر ومعروف، أفي زهّادهم مذكور معروف، أفي طوائفهم طائفة صلّت وقد صلصلت السيوف ورنت الأقواس؟ ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾.

✍ أفيهم مثل أبي حنيفة ومالك، أو الشافعي الهادي إلى المسالك، كيف لا تمدحه وهو أجلّ من ذلك؟ ما أحسن بنيانه والأساس ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾.

✍ أفيهم أعْلى من الحسن وأنبل، أو ابن سيرين الذي بالورع تُقبِّل، أو كأحمد الذي بذل نفسه وسبَّل؟ تاللَّه ما فيهم مثل ابن حنبل، ارفع صوتك بهذا ولا باس[1] ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾.

نحنُ الذين روى التاريخ قصّتَهم ... ونحن أَعظمُ مَن في الأرضِ قد ظهرا
أما ترى الشمسَ غارتْ من مكارمِنا ... والبدرُ في نورِنا العُلْوِي قدْ سَهِرَا

✍ كان العالم قبل وصولنا غابة، كأن عليه جنابة، وكانت الدنيا

(١) «التبصرة» لابن الجوزي (١/ ٥٠٠ ـ ٥٠١).

ميلادنا في مأتم، تشكو وتتألم، فلما بزغ فجر رسولنا من البطحاء، أشرقت على نوره الأرض والسماء. نحن بعثنا إلى الدنيا النور، وأزلنا منها الظلم والفجور. أذّنّا في أذن الدنيا فآمنت، ومشينا على جبالها فتطامنت، أرضنا بدماء الشهداء تفوح، وقلوبنا بأسرار التوحيد تبوح، اندهش الدهر يوم طالع صفحة جلالنا، وهام الدهر يوم أبصر لوحة جمالنا، وتعجّب كل جيل يوم قرأ مكارم أجيالنا.

نحن خرجنا للعالم وفي قلوبنا قرآن نسكبه في قلب مَن وحّد وتشهّد، وفي أيماننا سيوف نقطع بها رأس من تمرّد وألحدْ، عندنا قداسة الإنسان، وقداسة البيان، وقداسة الزمان، وقداسة المكان.

✍ فقداسة الإنسان ماثلة في الرسول العظيم والنبي الكريم، وقداسة البيان ماثلة في القرآن، الذي أذهل الإنس والجان، وقداسة الزمان كامنة في عشر ذي الحجة ورمضان، وقداسة المكان في الحرم الطاهر، والمشعر الزاهر. ليس للزمان بدوننا طعم، وليس للتاريخ سوانا رسم، وليس للناس إذا أُغفلنا اسم، نحن شهداء على الناس، ونحن مضرب المثل في الجود والباس. كأن النور وُلِد معنا، وكأنّ البشر لفظ ونحن معنى، جماجمنا بالعزّ مدججة، وخيولنا بالعزائم مسرجة، نحن الأمة الوسط، لا غلط في منهجنا ولا شطط.

ابدأ بنا في رأس كُلِّ صَحِيفة ... أسماؤُنا في أصلِها عُنوانُ
وإذا كَتَبْتَ روايةً شرقيّةً ... فحديثنا مِنْ ضِمْنِها تيجانُ

✍ زارنا بلال بن رباح، فصار مؤذن دولة الفلاح، وجاءنا سَلْمان من أرض فارس، فلما أسلم صار كأنه على قرن الشمس جالس، ووفد إلينا صهيب من أرض الروم، فأصبح من سادات القوم.

حتى ماؤنا يفوق كل ماء، فماء زمزم شفاء، ومن كل داء دواء.

في دارنا عائشة أم المكرمات، المبرَّأة من فوق سبع سماوات، وفاطمة البتول، بنت الرسول، طيبة الأصول.

نحنُ الذين على خُطَا أمجادهم ... وقف الزمان مُفاخرًا مبهورا
تيجانُ عزتِنا النجومُ فلا ترى ... غيْرَ الوفاء وصارِمًا مشهورا

✍ وإذا لم يبدأ التاريخ بنا فاعلم أنه منكوس، وإذا لم يُثْنِ علينا سفر المكارم فاعلم أنه منحوس. كسرنا سيوفنا في بدر، على رءوس أهل الكفر، ثم أرسلنا شظاياها لصلاح الدين، في حطين، فقهر بها الملحدين. ردّدنا في أُحد ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فسحقنا من جحد، وقطعنا دابر مَن فسد.

إذا بلغ الرضيعُ لنا فطامًا ... تَخِرُّ له الجبابرُ ساجدينا
ونشرَبُ إن وَرَدْنا الماء صَفْوًا ... ويشربُ غيرُنا كَدَرًا وطينا

✍ نريد حضارة مفتاحها من الكعبة، ووسامها من غار حراء، ونشيدها من بدر، وتعاليمها من السماء.

إن الأرض للَّه، ليست لماركس ولا لينين ولا ستالين ولا ماوتس تونج ولا جورج واشنطن ولا ديجول.

إن العالم في قبضة اللَّه وليس مِلْكًا لحلف الناتو، ولا قاعدة للبنتاجون، ولا مكتبًا للكرملن. إن القرارات تصدر من قاعدة ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢] وليس من مجلس الكونجرس، ولا من مجلس العموم واللوردات، ولا من مجلس الأمن ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

* **أخــــي:** يمّم وجهك حيث صلى الأنبيـاء، وتهجد المرسلون، وسبّح الخليـل، وأخرج موسى يده بـيضاء، وتكلـم عيسى في المـهد، ووصل محمد سدرة المنتهى.

✍ نريد حضـارةً من مكة حيث الـوحي، والمدينة حيـث الرسالة، والقدس حيث الإسراء والمعراج، وطور سيناء ديار الكليم، لا نريد عالمية هورشيـما ولا نجازاكي، ولا فيـتنام، لا نريد عـالمًا من أيامه ديـر ياسين وصبرا وشاتيلا وقانا والبوسنة والهرسك وجروزني وحلبجة.

لا نـريد عـالم هـتلـر وموسـولـين وبن جـوريون، وسـلوبـودان ملوسفتـش، وبرجنيف ويلتسـن، بل نريد عالم نوح وإبراهـيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم السلام ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾.

* **أخــــي:** أليس على أرضـنا الوحي هبط، وفي ديارنا غـيث الرسالة سقط، ومنا عُرِفت الهداية فقط؟.

أليس منا الصدّيق وعثمان، وعمر وثوبان، وعليّ وسلمان، وبلال وحسّان، منا خالـد المقدام، والقعقاع الصمصـام، منّا أويس، والأحنف ابن قيس، وأسماء بنت عُمَيْس.

أما صفّق لقدومنا الفرات والنيل، وهلّـل لطلعتنا مضيق الدردنيل، نحن أساتذة الأكراد والـتركمان، ومعلمو الإنجليـز والألمان، أما اندهش من عبقريتنا شارلمان، بسماحة الصديق فتحنا الطريق، بدرّة الفاروق أدّبنا أهل العقوق، بصدق أبي ذر، قلنا الحق وهو مر.

فـأنـا الـنـور حـين يـطـغـى ظـلام ... وأنـا الـنـار حـين يـقـسـو الجـلـيـدُ

وإذا صـرتُ فـي الحـيـاة غـريـبـا ... فـأنـا الـدّر والجـمـان الـفـريـدُ

✍ مِنّـا من اهتز لمـوته عرش الـرحمن، ومـنّا من كلّـمه اللّـه بلا

ترجمان، ومنّا من غسّلته الملائكة يوم التقى الجمعان.

أذّنا في الحمراء، وصلّينا في الزهراء، ربطنا خيولنا على ضفاف اللوار[1]، وسجدنا على صحراء سنجار، وتلونا القرآن على جبال قندهار، صلّينا به في صنعاء، وتهجّدنا به في كابل، وفسّرناه في تونس، وشرحناه في دمشق، وخشعنا له في بغداد.

أزاهيرنا مؤمنات العبيرِ   وأطيارنا قانتات الزَّجَلْ

✍ رفعنا الإيمان في الهند، ونشرنا المعرفة في السند، أسرنا الجبابرة ثم أعتقناهم، وملكنا الأكاسرة ثم أطلقناهم، نكبّر فتسقط القلاع، نؤذّن فتهتز التلاع، بللنا مواطن السجود بالدموع، وكنّا في صلاتنا كالسواري من الخشوع.

نرتّل القرآن فتقف على أصواتنا المطايا، نادى منادينا: يا أيتها النفوس من الموت اشربي، ويا خيل اللَّه اركبي، فجمّد اللَّه لنا الماء، وظلّل علينا الغمام من السماء.

نحنُ هل تدري بنا للناس فجرُ   قصدنا جنة مولانا وأجْرُ

قد ملأنا الأرض عدْلاً وارفًا   وسِوانا في الورى عُجَرٌ وبُجَرُ

✍ أمتنا عالمية وليس هذا لأمة سوانا، رسالتنا عالمية للجن والإنس، ورسولنا عالمي للأبيض والأسود، وقرآننا عالمي للثقلين.. وإسلامنا للناس كافة، وقبلتنا للدنيا جميعًا. فنحن الناس، ولنا الزمان والمكان، وعندنا القرآن، وإلهنا الرحمن، ونحنُ بعثنا للإنس والجان ﴿**فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**﴾[2].

---

(١) نهر في جنوب فرنسا.

(٢) من «مقامات القرني».

تثبيت
أفئدة المؤمنين

تثبيت أفئـــدة المؤمنين

كم هـو جميـل ورفيع الـثبات علـى دين اللَّـه. . أرفع من الحـياة وأنقى. . يولد معه المرء ميلادًا جديدًا. . من عقيدته لا من رحم أمه.

كم هـو عظيم أن يـكون المرء لـلإسلام وبالإسـلام. . يستمـسك بالعروة الـوثقى، ويعلم أن ما عنـد اللَّهِ خير وأبقى. . وما فـائدة الحياة والعيش من غير الثبات على دين. . أنـتزعزع وإسلامنا عميق في منابت التاريخ. . ضارب في جذور الزمن. . نابـع من السماء. . أُنزل إلينا من اللَّه.

✍ أعن الجنة نـفر؟!. أنرغب عن اللَّه وجواره ورؤيـته؟!. . أيملك القلب صبرًا عن العيش مع النبـيين في دار غرسها الرحمن بيده؟. . أنفرّ عن الحور العين؟!!

❑ أيصدق فينا قول القائل:

كـل يـــــوم تـتـلـوّنْ غـيـر هـذا بـك أجـمـــلْ

✍ أبعـد أن يؤتينـا اللَّه من آيـاته. . ويخـلع علينـا من فضـله. . ويدعونـا للهدى والارتفـاع يكون الهبـوط من الأفق المشرق والالـتصاق بالطين المعتم؟ فيكون المرء غرضًا للشيطان لا يقيه منه واق ولا يحميه منه حام، ويكون مسـخًا بائسًا نكدًا شائـه الكيان، هابطًا عن مـكان الإنسان إلى مكان الحيوان. . قال تعالى: ﴿ **وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾**

سَاءَ مَثَلاً الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٥ - ١٧٧].

كالكلب الذي يتمرغ في الطين.. وكان لهم من الإيمان جناح يرفّ به إلى علـيين، كان من فطرته الأولـى في أحسن تقويم، فإذا بـه ينحط إلى أسفل سافلين.

إذا به في لهاث لا ينقطع، كأنما يعـض بالنواجذ على مكان له في الحضيض.. في جهنم يخشى أن ينـازعه إياه أحد، فهو ما يني يقدّم كل يوم ما يـثبت به مـكانه هذا! وما يـني يلهث وراء هـذا المطمع لـهاثًا لا ينقطع حتى يفارق هذه الحياة الدنيا.

هل هـناك أشقى مـن إنسان يـنسلـخ ويتعرّى مـن الهدى بـعد أن عرفه؟!، ويمسي مطرودًا من رحمة اللَّه التي وسعت كل شيء، فلا يهدأ ولا يطـمئن ولا يـسكن إلـى قرار، ويهبـط إلى عالـم الحيوان الـلاصق بالأرض، الحائـر، القلق، الـلاهث لهاث الـكلب أبدًا، الـتابع الذلـيل للشيطان.

✍ أيرضـى عاقل بعـد أن عرف الطـريق إلى الـلَّه أن يكون حـاله كالكلب الذي يأتي إلى السبع ملك الـغابة... فيقول له: يا ملك الغابة! غيّر لي اسمي؛ فإن كلب اسم قبيح، فيقول له السبع: نعطيك قطعة من اللحم تبقى عندك إلى الليل، فإن بـقيت عندك إلى الليل.. أعطيناك ما تريد.

فإذا جاء وقت الظهيرة بقيظه وهَجيـره، يشتد بالكلب الجوع فينظر إلى اللحم ويلتهمه ويقول: كلـبٌ كلب.. إن كلبًا اسم جميل، ثم يأتي إلى السبع ليلاً لتغيير اسمه.. فيقـول له السبع: «ائتمناك على قطعة من

اللحم فلم تحفظها فكيف نأتمنك على الاسم الجميل؟!

* قال تعالى: ﴿ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [الحجرات: ١١].

.. أبعد أن كنت القانت المتهجد الصابر الصائم التقي الأمين الأواه الخاشع المتبتل المنيب ترضى بأن تكون الكذاب اللئيم الخائن الغادر الشاك الجاحد المجادل الفاسق الفاجر المحاد للَّه ولرسوله؟.

.. أفغير طريق اللَّه تريدوننا نسلك أيها الغافلون؟

يا من كان له وقت مع اللَّه فذهب، يا من كان له قلب فانقلب، نسيم الأسحار يسأل عنك، والصيام يعاتبك.. كنت مع الرعيل الأول فما الذي ردّك إلى الساقة.. كنت تحب الجميل وما تغيّر المحب.. كنت تؤثر جوارهم.. فلما نأيت عن دارهم؟..

أترضى أن تكون رفيق قومٍ ... لهم زاد وأنت بغير زاد

واللَّه لو بعت لحظة مع مولاك بملك قارون في عمر نوح لغُبنت وما ربحت. أما تكفي البساتين في قلبك.. أما تحس الوحشة بعد أن فقدت الأريج والعبير وطيب الطيبين؟.

قف بالديار فهذه آثارهم ... تبكي الأحبة حسرة وتشوقًا
كم قد وقفت بربعها متسائلاً ... عن أهلها مستخبرًا أو مشفقًا
فأجابني داعي الهوى في ربعها ... فارقت من تهوى فعزّ الملتقى

✍ حذار يا أخي أن يُقال لك في بعض غدراتك.. اذهب فلا عفوت عنك أبدًا.. آدم لم يسامح بلقمة.. ودخلت النار امرأة في هرّة عذّبتها، وخالف موسى الخضر في طريق الصحبة ثلاث مرات فقال:

هذا فراق بيني وبينك. أما تخشى يا من نكثت العهد والميثاق أن يُقال لك هذا فراق بيني وبينك؟ إن كانت آثار القطيعة ظاهرة في قلبك وحالك في الدنيا فكيف بحالك في الآخرة؟!

إذا كنت تبكي وهم جيرةٌ   فكيف تكون إذا ودّعوا

* قال تعالى: ﴿وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ...﴾ [الأنعام: ٧١].

أيتوزّع القلب ويتشتت، أيتفرق الإحساس بين الهدى والضلال، أيذهب الإنسان في التيه.. إنه إذًا لمخلوق تعيس.. ويا لعذابه النفسي.. فما أمرّ عذاب التأرجح والذبذبة والقلقلة.. إنه بؤس مرير حين يترك الإنسان طريق الهدى وينحرف عنه.. إنه شقاء تراه العين وتلمسه اليد.. ويصرخ منه الفؤاد.. فالبعد عن طريق اللَّه بعدٌ عن كل نور.. كل نافذة مضيئة، وكل نسمة رخيّة... وليس بعده إلا الهجير الكالح.

✍ الذي لا يثبت على الإسلام والإيمان.. الذي يتأرجح يخسر خسرانًا مبينًا.. يخسر الطمأنينة والسكينة والثقة والهدوء والرضى.. يخسر دنياه، ويخسر الآخرة.. وما فيها من نعيم وقربى ورضوان، ويا له من خسران!

✍ إلى أين يتجه من لا يثبت مع اللَّه ومن يتذبذب؟! أبخيل مولاه فيبخّله عبده؟!، أليست الدنيا والآخرة والكرم والفضل والجود بيده؟ أبواب العباد مغلقة، ومفاتيح الأبواب بيده، وبابه مفتوح لمن دعاه، كيف ينقص ملك هو قيّمه؟

تصدّ وتنأى عن حبيبك دائمًا   فأين عن الأحباب ويحك تهرب؟!

✍ إن الإيمان ليست كلمة تقال، إنما هو حقيقة ذات تكاليف، وأمانة ذات أعباء، وجهاد يحتاج إلى صبر، وجهد يحتاج إلى احتمال.

✍ إن الثبات على الإيمان وعهد اللَّه وميثاقه هبة محضة من اللَّه عز وجل، وتفضّل من المنان الودود.. إن تثبيت القلوب هو فعل اللَّه الكريم بالقلوب الوضيئة، لا يهبه إلا لمن هم أهل له، وفي قلوبهم تجرد وإخلاص، يؤثرون ما عند اللَّه على المتاع والإغراء، يثبتون وكل من حولهم غارقون في تيار الضلالة، يثبتون أمام فتنة النفس والشهوة، وجاذبية الأرض، وثقلة اللحم والدم، والرغبة في الدعة والاطمئنان.

يستقيمون ويثبتون على صراط الإيمان والاستواء على مرتقاه، بالرغم من المعوّقات والمثبطات في أعماق النفس، وفي ملابسات الحياة، وفي تصورات أهل الزمان.

✍ يثبتون ويحملون حقيقة الإيمان غالية في قلوبهم، ويؤتمنون على الأمانة الكبرى وهي عزيزة على نفوسهم، تشرق بها قلوبهم، ويصيرون منارات في الأرض تشع بنور السماء.

✍ هذا الثبات يرفع من قدر صاحبه ويعليه، وهو قيام بين يدي اللَّه عز وجل على حقيقة الصدق والوفاء بالعهد.

وهذا الثبات لبُّه ومعناه الاستقامة: الاستقامة على محض التوحيد كما فسّرها الصديق: «ألا تشرك باللَّه شيئًا» أو الاستقامة على الأمر والنهي، ولا تروغ روغان الثعالب، كما قال الفاروق عمر، أو الاستقامة على الإخلاص كما قال عثمان ـ رضي اللَّه عنه ـ: «أخلصوا للَّه العمل»؛ أو الاستقامة على محبته وعبوديته كما فسّرها بذلك شيخ الإسلام ابن تيمية.

✍ وهذا الثبات والاستقامة يتعلق بالأقوال، والأفعال، والأحوال، والنيَّات.

📖 عن عبد اللَّه بن المبارك قال: قيل لوهيب بن الورد: أيجد طعم العبادة من يعصي اللَّه؟ قال: لا، ولا مَن همّ بمعصية[1].

* أمور تعين على الثبات أو وسائل الثبات على دين الله[2]:

تثبيت القلوب نعمة من اللَّه يمنّ بها على من سبقت لهم من ربهم الحسنى وجعل اللَّه لهم أسبابًا ظاهرة تأخذ بها هذه الأنفس الطاهرة، من هذه الأسباب:

١ـ الإخلاص:

من وجد اللَّه فماذا فقد، ومن فقد اللَّه فماذا وجد؟!

إذا عرف الإخلاص طريقًا إلى قلب العبد بلغ العبد غاية المراد.

✍ ومن الإخلاص أن يعلم العبد ويوقن أنه باللَّه لا بنفسه، وأنه لولا فضل اللَّه عز وجل عليه ورحمته إياه ما زكا أبدًا، قال اللَّه عز وجل لنبيه إسماعيل عليه السلام: ﴿**يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ**﴾ [الصافات: ١٠٢].

* وقال تعالى: ﴿**وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا**﴾، وقال تعالى: ﴿**وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي**

---

(١) «الحلية» (٨/ ١٤٤)، و«السير» (٧/ ١٩٩).

(٢) وقد أفردها في كتيب مبارك فضيلة الشيخ محمد صالح المنجد، وذاع صيتها وكتب لها القبول لإخلاص مؤلفها ـ نحسبه كذلك، بارك اللَّه فيه وفي جهده ـ وقد ضممنا إليها وسائل أخر، وصغناها بعبارتنا، والفضل للسابق إلى الخيرات الشيخ المنجد ـ حفظه اللَّه ـ.

قُلُوبِكُمْ﴾، وقال تعالى عن أهل الجنة بعد دخلوهم الجنة: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ فينظر العبد إلى ثباته مثل نظره إلى صفاته الخلقية، فالمنان والذي جاد هو اللَّه عز وجل.

وشيء آخر قول اللَّه عز وجل: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: ٤٢] متضمن لكنز عظيم، وهو أن كل مراد إن لم يرد لأجله ويتصل به فهو مضمحل منقطع، فإنه ليس إليه المنتهى، وليس المنتهى إلا الذي انتهت إليه الأمور كلها. وكل قلب لا يصل إليه فهو شقي محجوب عن سعادته وفلاحه.

وتحت هذا سر عظيم من أسرار التوحيد، وهو أن القلب لا يستقر ولا يطمئن ولا يسكن إلا بالوصول إليه، وكل ما سواه مما يُحَب ويُراد فمراد لغير، فمن كان انتهاء محبته ورغبته وإرادته وطاعته إلى غيره بطل عليه ذلك، وزال عنه وفارقه أحوج ما يكون إليه، ومن كان انتهاء محبته ورغبته ورهبته وطلبه هو سبحانه ظفر بنعمه ولذته وبهجته وسعادته أبد الآباد[1].

إن في القلب شعث: لا يلمه إلا الإقبال على اللَّه.

وفيه قلق: لا يسكنه إلا الاجتماع عليه، والفرار منه إليه، وفيه طلب شديد لا يقف دون أن يكون هو وحده مطلوبه.

فمن ذاق شيئًا من معرفة ربه ومحبته، ثم أعرض عنها، واستبدل بغيره منها، يا عجبًا له بأيِّ شيء تعرّض؟ وكيف قرّ قراره، فما طلب الرجوع إلى ـنأياه وما تعرض؟

(١) «الفوائد» لابن القيم (١٩٦ ـ ١٩٧).

✍ أي قلب يذوق حلاوة معرفة اللَّه ومحبته وإرادة وجهه، ثم يركن إلى ما سواه؟ هذا ما لا يكون أبدًا.

ومن ذاق شيئًا من ذلك وعرف طريقًا موصلة إلى اللَّه عز وجل ثم تركها وأقبل على شهواته ولذاته وقع في آثار المعاطب، وأودع قلبه سجون المضايق، وترحلت أفراحه، وأقبلت آلامه وحسراته، فقد أبدل مكان الأنس إيحاشًا؛ ذلك بأنه عرف طريق اللَّه ثم تركها وسلا عنها، مكبًّا على وجهه، فأبصر ثم عمي، وعرف ثم أنكر، وأقبل ثم أدبر، ودُعي فما أجاب، فهو مقيّد القلب عن انطلاقه في فسيح التوحيد، وميادين الأنس ورياض المحبة وموائد القرب، هبط من الأوج الأعلى إلى الحضيض الأدنى.

◘ قيل لأحد عباد السلف: «فلان عرف طريق اللَّه ثم رجع إلى المعاصي؟ فقال: لو وصلوا إليه ما رجعوا».. للَّه دره لقد سبر غور القضية كلها.. لو وصلوا إلى اللَّه ما رجعوا، إي واللَّه.. عفوه يستغرق الذنوب فكيف رضوانه؟!.. ورضوانه يستغرق الآمال فكيف حبه؟! وحبه يدهش العقول فكيف وده؟! ووده ينسي ما دونه فكيف لطفه؟!

✍ إذا اطلع الخبير عز وجل على ما في الضمير فلم يجد في الضمير غير الخبير، جعل فيه سراجًا منيرًا.

وبالإخلاص يحفظ القلب من الإغلال والخيانة ونكث العهد مع اللَّه والتلفت إلى ما سواه.

● قال رسول اللَّه ﷺ: **«ثلاث لا يُغَلّ عليهن قلب امرئ مؤمن: إخلاص العمل للَّه، والمناصحة لأئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم، فإن دعاءهم**

يحيط من وراءهم»[١] .

ونظرة واحدة في التاريخ تريك أثر الإخلاص في ثبات العبد:

✍ انظر كيف ثبت الصديق في مواطن تتزلزل فيها الجبال.. عند موت النبي ﷺ وقال: «أيها الناس، من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات.. ومن كان يعبد الله، فإن الله حي لا يموت».

✍ وكيف ثبت المؤمنون المخلصون في وقت الزلزلة الشديدة.. في يوم الأحزاب.. في حين تضعضع بنيان المنافقين وفضحهم رياؤهم..

* قال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢].

٢ـ الصدق:

الصدق أساس بناء الدين، وعمود فسطاط اليقين، وحمل الصدق كحمل الجبال الرواسي لا يُطيقه إلا أصحاب العزائم.

◻ قال الهروي: في درجات الصدق:

«الدرجة الأولى: صدق القصد. وبه يصح الدخول في هذا الشأن، ويُتلافى به كل تفريط، ويُتدارك به كل فائت، ويعمر به كلّ خراب.

وعلامة هذا الصادق: أن لا يتحمل داعية تدعوه إلى نقض عهد، ولا يصبر على صحبة ضدّ، ولا يقعد بحالٍ عن الجدّ».

---

(١) صحيح: رواه البزار، وقال المنذري في «الترغيب والترهيب»: إسناده حسن، وقال الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١/ ٥): صحيح.
والإغلال: وهو الخيانة في كل شيء.

□ قال ابن القيم في «مدارج السالكين» (٢/ ٢٧٩ ـ ٢٨٠): «يعني بصدق القصد: كمال العزم، وقوة الإرادة، بأن يكون في القلب داعية صادقة إلى السلوك، وميل شديد يقهر السرّ على صحة التوجه، . فهو طلب لا يمازجه رياء ولا فتور، ولا يكون فيه قسمة بحال، ولا يصح الدخول في شأن السفر إلى اللَّه والاستعداد للقائه إلا به.

قال: «ويتلافى به كل تفريط»، فإنه حامل على كل سبب ينال به الوصول، وقطع كل سبب يحول بينه وبينه.. فيصلح من قلبه ما مزّقته يد الغفلة والشهوة، ويُعمِّر منه ما خرّبته يد البطالة، ويُوقد فيه ما أطفأته أهوية النفس، ويَلُمُّ منه ما شعَّثه يد التفريط والإضاعة.

وقوله: «وعلامة هذا الصادق: لا يتحمل داعية تدعو إلى نقض عهد»: يعني: أن الصادق حقيقة: هو الذي انجذبت قُوى روحه كلها إلى إرادة اللَّه وطلبه، والسير إليه، والاستعداد للقائه. ومن تكون هذه حاله: لا يحتمل سببًا يدعوه إلى نقض عهده مع اللَّه بوجه.

تضيق بنا الدنيا إذا غبتمُ عنا ... وتزهق بالأشواق أرواحنا منا

بعادكم موتٌ وقربكم حَيًا ... ولو غبتمُ عنا ولو نفَسًا متنا

نعيش بذكراكم ونحيا بقربكم ... ألا إن تذكار الأحبة ينعشنا

✍ «ولا يصبر على صحبة ضدّ»: الضدّ: هم أهل الغفلة، وقُطّاع طريق القلب إلى اللَّه، فإن هذا لمّا استحكمت الغفلة عليه كما استحكم الصدق في الصادق، أحسّت رُوحه بالأجنبية التي بينه وبينه بالمضادة، فاشتدت النفرة، وقوي الهرب. وبحسب هذه الأجنبية وإحساس الصادق بها: تكون نفرته وهربه عن الأضداد» فلا يصحب أهل الغفلة ولا يأنس بهم، وفي هذا أكبر العون على الثبات. فلا يقعد عن الجدّ بحال، فلا

تراه إلا جادًّا وأمره كله جدّ ولا يتمنى الحياة إلا للحق.

✍ ومن معاني الصدق الصدق في العزم: والصادق في عزمه هو الذي تصادف عزيمته في الخيرات كلها قوة تامة ليس فيها ميل ولا ضعف ولا تردّد، بل تسخو نفسه أبدًا بالعزم المصمِّم الجازم على الخيرات.

✍ أما الصدق في الوفاء بالعزم: فإن نفس الصادق تسخو بالعزم في أشد الأحوال، إذا حُقت الحقائق، وهاجت الشهوات، أو بلغت القلوب الحناجر لا تنحل العزيمة ويتحقق الوفاء في أبهى صوره.

* قال تعالى: ﴿**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً**﴾ [الأحزاب: ٢٣].

❑ عن أنس بن مالك ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: «عمِّي أنس بن النضر ـ سُمِّيت به ـ لم يشهد بدرًا مع رسول اللَّه ﷺ، فكبر عليه، فقال: أول مشهد قد شهده رسول اللَّه ﷺ غبتُ عنه!! أما واللَّه، لئن أراني اللَّه مشهدًا مع رسول اللَّه ﷺ، ليرينَّ اللَّه ما أصنع. قال: فهاب أن يقول غيرها، فشهد مع رسول اللَّه ﷺ يوم أُحد، من العام المقبل، فاستقبله سعد بن معاذ، فقال: يا أبا عمرو إلى أين؟ قال: واهًا لريح الجنة!! أجدها دون أحد. فقاتل حتى قُتِل، فوُجد في جسده بضع وثمانون، من بين ضربة وطعنة ورمية. قالت عمتي الرُّبيع بنت النضر: فما عرفتُ أخي إلاّ ببنانه. ونزلت هذه الآية: ﴿**رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً**﴾»[1].

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي في «جامعه» في كتاب التفسير، وقال: حسن صحيح، والنسائي في «الكبرى»، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» رقم (٢٥٥٧)، وهو عند البخاري مختصرًا: أن هذه الآية نزلت في أنس بن النضر، وهو عند مسلم أيضًا.



▢ قال أبو تراب النخشبي: «إذا صدق العبد في العمل وجد حلاوته قبل أن يعمله، فإذا أخلص فيه وجد حلاوته وقت عمله». .
ومتى وجد العبد حلاوة العمل ثبت عليه.

للَّه در أنس بن النضر من صادق وجد ريح الجنة قبل أن يقاتل!

▢ «وعن القاسم بن عبد الرحمن بن رافع أخي بني عدي بن النجار قال: انتهى أنس بن النضر عم أنس بن مالك إلى عمر بن الخطاب وطلحة بن عُبيد اللَّه، في رجال من المهاجرين والأنصار - رضي اللَّه عنهم -، وقد ألقوا أيديهم، فقال: فما يجلسكم، قالوا: قُتل رسول اللَّه ﷺ . قال: فما تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا، فموتوا على ما مات عليه رسول اللَّه ﷺ ، ثم استقبل القوم فقاتل حتى قُتِل»[1].

فما أشد حاجة من يريد الثبات إلى الصدق: الصدق في المجاهدة، والصدق في الدعاء، الصدق في التوكل. . الصدق في الاستقامة.

٣- التزام عقيدة أهل السنة والجماعة:

التزام عقيدة السلف خير القرون ونور العيون، أهل الاتباع لا الأبتداع، أهل الرواية والسماع، أهل الألفة والاجتماع، نزل الوحي بناديهم، وسارت السنة من بواديهم، شهدوا التنزيل، وعرفوا التأويل، قولهم سديد، وفعلهم رشيد، ومنهجهم حميد، ومذهبهم فريد، اعتصموا بالدليل، وتركوا القال والقيل، فهم صفوة كل جيل، وخلاصة كل قبيل:

---

(١) «البداية والنهاية» (٤/ ٣٤).

هُمُ النجومُ مسائِلُها إذا التبستْ ... عليكَ عند السُّرى يا صاحِبي السُّبُلُ
اتبعْ طريقتَهم اعرف حقيقتَهُمْ ... اقرأ وثيقتَهم بالحبِّ يا رَجلُ

✍ السلف أهدى الناس سبيلا، وأصدقهم قيلا، وأرجحهم تعديلا.

هم أعلام يُهتدى بهم في بيداء الضلالة، وهم أقمار يُستضاء بها في ليل الجهالة، هم الموازين الصادقة للمذاهب، وهم المعين العذب لكل شارب، وهم الرعيل المختار المقتدي به كل طالب.

✍ سبقوا بالإيمان، وحب الديان، والعمل بالقرآن، ونيل درجة الإحسان.

إلى السلف أنتسب؛ لأنني رضعت منهجهم، ويحرم من الرضاع ما يحرم من النسب، والمبتدعة ليسوا منا ولا إلينا؛ لأن البقر تشابه علينا.

✍ إذا أتاني كتاب مختوم، عليه توقيع المعصوم، لثمته بدموعي وأنفاسي، ووضعته على راسي، وقلت: سمعًا وطاعة، لصاحب الحوض والشفاعة.

فما لك لا تهتدي في المسالك، وتقع في المهالك؟ نناديك إلى ابن حنبل، فتذهب إلى أحمد بن أبي دُؤاد المغفّل، نقول رافق إبراهيم بن أدهم، فترافق الجعد بن درهم، تهجر الصادق السلفي يحيى بن معين، وتصاحب ابن سينا وابن سبعين، ويعجبك كلام ابن الراوندي اللعين؟! عليك بمجلس مالك وسفيان، واهرب من الجهم بن صفوان، عندنا حمّاد بن زيد، وعندهم عمرو بن عُبيد.

✍ السلف أطهر من ماء الغمام، وأزكى من المسك والخزام، هجروا العلوم المنطقية أو القضايا السفسطية، والعقائد القرمطية.

لدينا أحمدان، ولديهم أحمدان، صادقان وكاذبان، عندنا أحمد بن حنبل، إمام السنة المبجّل، وعلاّمة الحديث المفضّل، وأحمد بن تيمية، مجدّد الأمة الإسلامية، صاحب التدمرية والحموية.

وعندهم أحمد بن أبي دؤاد، صاحب البدعة والعناد، والخلاف والفساد، وأحمد غلام مرزا قاديان، حامل الزور والبهتان، والدجل والطغيان.

◻ عندنا حمّادان، وعندهم حمّادان، عندنا حمّاد بن زيد، الراوية المفيد، والمحدث المجيد، وحمّاد بن سلمة، نصب للصدق علَمه، وأجرى في العلم قلمه، وعندهم حمّاد عجرد، الشاعر المعربد، والضال الملحد، وحمّاد الراوية صاحب الأفكار الخاوية»[1].

عقائد أهل البدع، عقائد في الخفايا، يُدَس بها في الزوايا، لا تورث اليقين، وإنما هي الظن والمراء والتخمين.

ولله در إمام الهدى القائل: «من جعل دينه عُرضة للخصومات أكثر التنقّل».

◻ قال الشافعي: ما ارتدى أحد بالكلام فأفلح»[2]، وقال: «لو علم الناس ما في الكلام والأهواء لفرّوا منه كما يفرّون من الأسد»[3].

◻ وقال الزجّاج النحوي، من أفنى عمره في طلب الخلاف، لم يصحّ له مأوى يأويه، ولا محمل يكون فيه»[4].

---

(١) ملخصًا من المقامة السلفية من كتاب «مقامات عائض القرني» - نشر مكتبة الصحابة - الإمارات.

(٢) «ذم الكلام» للهروي (٤/ ٢٨٥).

(٣) المصدر السابق (٤/ ٣٣).

(٤) «ذم الكلام» (٤/ ٣٦٢).

✍ كيف يرزق اللَّه الثبات قومًا متحيرين كثر في باب العلم باللَّه اضطرابهم، وغلظ عن معرفة اللَّه حجابهم، وأخبر الواقف على نهايات إقدامهم بما انتهى إليه من مرامهم وأنه في الشك والحيرة، حيث يقول:

لقد طفت في تلك المعاهد كلها ... وسيَّرْتُ طرفي بين تلك المعالم
فلم أرَ إلا واضعًا كفّ حائر ... على ذَقنٍ أو قارعًا سِنّ نادمِ[1]

❑ وقال فخر الدين الرازي في كتابه «أقسام اللذات»:

نهاية إقدام العقول عقالُ ... وأكثر سعي العالمين ضلالُ
وأرواحنا في وحشة من جسومنا ... وغاية دنيانا أذًى ووبالُ
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا ... سوى أن جمعنا فيه قيلَ وقالُوا

❑ وقال الجويني أبو المعالي إمام الحرمين:

«لقد خضت البحر الخضمّ، وتركت أهل الإسلام وعلومهم، وخضتُ في الذي نهوني عنه، والآن إن لم يتداركني ربي برحمته فالويل لي، وها أنا ذا أموت على عقيدة أمي».

❑ وقال آخر: أكثر الناس شكًّا عند الموت أصحاب الكلام.

❑ وقال الخونجي الشافعي عند موته: «اشهدوا عليّ أني أموت وما عرفت شيئًا إلاّ أن المكن يفتقر إلى واجب» ثم قال: «والافتقار أمر عدمي فلم أعرف شيئًا».

---

(١) وقد ردّ الإمام الصنعاني عليهما فقال:

لعلّك أهملت الطواف بمعهدِ الر ... سول ومن والاه من كل عالم
فما حار من يُهدى بهدي محمد ... ولست تراه قارِعًا سنّ نادم

انظر: «ديوان الصنعاني» ص(٣٤٥).

كيف يثبت على الإيمان هؤلاء الحيارى المنقوصون المحجوبون المتهوّكون أفراخ المتفلسفة وأتباع الهند واليونان، وورثة المجوس والمشركين وضلاّل الصابئين وأشباههم وأشكالهم.. وأين هؤلاء من ورثة الأنبياء مصابيح الدجى وأعلام الهدى، الذين بهم قام الكتاب وبه قاموا، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا.

✍ هذه العقيدة المصفّاة تعطي العبد التصور الواسع الرحيب لحقيقة الأشياء والقيم والاهتمامات والغايات.. يعرف ويعلم لماذا جاء، كما يعرف أين المقرّ، ولا يحار بين شتى الفكر فيقطع رحلة الحياة بخطا ثابتة، مكشوف البصيرة، مأنوس الضمير، يعلم أنه لم يخلق عبثًا، ولن يترك سدى، ولن يمضي مفردًا.

ومن هذه المعرفة تختفي مشاعر القلق والشك والحيرة الناشئة عن عدم معرفة المنشأ والمصير، وعدم رؤية المطوي من الطريق، وعدم الثقة بالحكمة التي تكمن وراء مجيئه وذهابه ووراء رحلته في ذلك الطريق.

❑ لا يكون حاله كحال الخيّام القائل:

لبستُ ثوب العمر لم أستشرْ ... وحِرْتُ فيه بين شتى الفكر

وسوف أنضو الثوبِ عني ولمْ ... أَدْرِ لماذا جئت أين المفر

❑ أو كما يقول القائل:

وقف الكون حائرًا أين يمضي؟ ... ولماذا وكيف لو شاء يمضي؟

عبث ضائع وجهد غبين ... ومصير مُقنَّع ليس يُرضي

فالمؤمن يعرف طريقه بقلب مطمئن، وضمير مستريح، في طمأنينة وثقة ويقين يؤمن بالقضاء والقدر فيختفي شعور الضياع والقلق، يعلم أنه

ليس هناك تعب ضائع، يرى عبودية الكائنات لربها، وهذا كسب ضخم في عالم الشعور وعالم التفكير، والأعصاب.

✍ يعلم الرجل من أهل السنة والجماعة معنى التوكل على اللَّه عز وجل فيذوق حلاوته ولا يضطرب.

✍ يعلم الرجل من أهل السنة عقيدته في الإيمان بالقضاء والقدر، و«أن اللَّه قدّر مقادير الخلائق قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة» كما قال رسول اللَّه ﷺ فيقدم على عظائم الأمور بثبات وعزم وثقة.

فيصطدم بالشدائد التي تزلزل، والنوازل التي تزعزع، فيثبت ولا يضطرب، ويثق فلا يرتاب عندما يدلهم الأفق ويظلم الجو، وتتناوحه العواصف والرياح.. وله من العبودية للوكيل الكافي ما يثبته على الطريق.. وهو يحدو بهدي السماء ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾.

✍ يعلم أن الإيمان تصديق القلب باللَّه ورسوله وعمل ونطق بالشهادتين، تصديق لا يرد عليه شك ولا ارتياب، تصديق مطمئن ثابت مستيقن، لا يتزعزع ولا يضطرب، ولا تهجس فيه الهواجس، ولا يتلجلج فيه القلب والشعور.. ومتى تذوق القلب حلاوة هذا الإيمان واطمأن إليه وثبت عليه، جرت منه الأعاجيب في واقع الحياة وفي دنيا الناس وكم سجّل التاريخ ألوفًا والوفًا من النماذج في كل اتجاه، كلها قمم على أعلى مستوى بلغته البشرية، ثبتوا على طريق الإيمان وتذوقوا معناه.

✍ إن هذه العقيدة المصفّاة، التي كُحِّلت بالوحيين هي الركيزة الثابتة في حياة المؤمن، تثبته، تضطرب الدنيا من حوله فيثبت هو على هذه

الركيزة، وتتجاذبه الأحداث والدوافع فيتشبث هو بالصخرة التي لا تتزعزع، وتتهاوى من حوله الأسناد فيستند هو إلى القاعدة التي لا تحول ولا تزول.

* وكذا الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب:

هذه قيمة عقيدة أهل السنة في حياة المؤمن. ومن ثَمّ يجب أن يستولي عليها، متمكنًا منها، واثقًا بها، لا يتلجلج فيها، ولا ينتظر عليها جزاء، فهي في ذاتها جزاء. ذلك أنها الحمى الذي يلجأ إليه، والسند الذي يستند عليه. أجل هي في ذاتها جزاء على تفتّح القلب للنور، وطلبه للهدى، ومن ثم يهبه اللَّه العقيدة ليأوي إليها، ويطمئن بها. هي في ذاتها جزاء يدرك المؤمن قيمته حين يرى الحيارى الشاردين من حوله، تتجاذبهم الرياح، وتتقاذفهم الزوابع، ويستبد بهم القلق، بينما هو بعقيدته مطمئن القلب، ثابت القدم، هادئ البال، موصول باللَّه، مطمئن بهذا الاتصال.

✍ انظر إلى أثر هذه العقيدة في ثبات إمام أهل السنة الإمام أحمد، ثبت ابن حنبل في محنة خلْق القرآن فثبّت اللَّه بثباته الأمة بأسرها. ويذكر التاريخ بأحرف من نور، وشذا عطر أرقّ من الورود هذا الموقف الفذ لشيخ الإسلام الفذّ الطاعن في السن.. الثابت حين تزلزلت وتضعضعت الجبال الرواسي، وأعطى المجهود من نفسه.

❑ قال أبو غالب ابن بنت معاوية: ضُرِب أحمد بن حنبل بالسياط في اللَّه، فقام مقام الصديقين، في العشر الأواخر من رمضان سنة عشرين ومائتين.

ودخل بعض حفّاظ الحديث بالرقة على الإمام أحمد وهو محبوس، فجعلوا يذاكرونه بما يروى في التقية من الأحاديث، فقال أحمد: وكيف تصنعون بحديث خبّاب: «إن من كان قبلكم كان يُنشر أحدهم بالمنشار، ثم لا يصدّه ذلك عن دينه»؟ فيئسوا منه.

❑ قال الإمام أحمد: كنت أُصلي بأهل السجن وأنا مقيّد.. وضعوا في رجله أربعة قيود، وهو إمام أهل السنة!!

ويدخل عليه في السجن إسحاق بن إبراهيم يقول: اللَّه يا أحمد، إنها واللَّه نفسك، إنه - أي: الخليفة المعتصم - لا يقتلك بالسيف، إنه قد آلى إن لم تُجبه أن يضربك ضربًا بعد ضرب، وأن يُلقيك في موضع لا ترى فيه الشمس». وجيء إلى أحمد بدابّة، فحُمِل عليها وعليه الأقياد، وكادَ غير مرّة أن يخرّ على وجهه، لثقل القيود، فجيء به إلى دار المعتصم، وأدخلوه في حجرة، وأدخلوه إلى بيت، وأُقْفِل الباب عليه، وذلك في جوف الليل، وليس في البيت سراج، فلما كان الغد، أخرجوه إلى الخليفة ليناظره أحمد بن أبي دؤاد، والمعتصم يقول: واللَّه لئن أجابني لأُطلقن عنه بيدي، ولأركبنّ إليه بجندي، ولأطأن عقبه، ثم قال: يا أحمد، واللَّه إني عليك لشفيق، وإني لأشفق عليك كشفقتي على هارون ابني، ما تقول؟ فقال: أعطوني شيئًا من كتاب اللَّه عز وجل أو سنة رسوله. ومرة أخرى يقول المعتصم لأحمد: ما كنت تعرف صالحًا الرشيدي؟ قال أحمد: قد سمعت باسمه.

قال: كان مؤدبي، وكان في ذلك الموضع جالسًا - وأشار إلى ناحية من الدار - فسألته عن القرآن، فخالفني، فأمرتُ به فَوُطِئ وسُحِب. وبعد ثلاثة أيام من المناظرة والإمام أحمد يُفحم المبتدعة، قال المعتصم:

العقابين والسياط فجيء بها.

◻ قال إبراهيم البوشنجي: ذكروا أن المعتصم رقّ في أمر أحمد، لّما عُلِّق في العقابين، ورأى ثبوته وتصميمه، وصلابته في أمره، حتى أغراه ابن أبي دؤاد، وقـال له: إنْ تركتـه قيل: إنك تـركت مذهب المـأمون، وسخِطت قوله. فهاجه ذلك على ضربه.

قال صالح: قال أبي: لّما جيء بالسياط، نظر إليها المعتصم، فقال: ائتوني بغيرها، فأُتي بغيرها، ثم قال للجلاّدين. فجعل يتقدم الرجل إلى الإمام أحمد فيضربه سوْطين، فيقول له المعتصم: شدّ قطع اللَّه يدك! ثم يتنحى، ثم يتقدم الآخر فيضربني سوطين، وهو في كل ذلك يقول لهم: شدّوا، قطع اللَّه أيديـكم، فلما ضُرب تسعة عشر سوطـا، قام المعتصم إلى الإمام أحمـد فقال: يا أحمد علام تقـتل نفسك؟! إني واللَّـه عليك شفيق. فجعل عُجيف ينخسه بـقائم سيفه ويقول: أتريد أن تغلب هؤلاء كلهم؟ وجعل بعـضهم يقول: ويلك! الخليفة علـى رأسك قائم. وجعل عبد الرحمن يـقول: ويْحك يا أحمد! مَن يصنع مـن أصحابك في هذا الأمر ما تصـنع؟! وجعل المعتصم يـقول: ويحك يا أحمد! أجـبني إلى شيء لك فيه أدنى فرج، حتى أُطلق عنك بيدي. فيقول الإمام أحمد: يا أمير المؤمنين! أعطوني شيئًا من كتاب اللَّه عز وجل أو سنة رسوله؛ حتى أقول به. قال: فرجع فـجلس، فقال للجلاّدين: تقـدّموا، فجعل الجلاّد يتقدّم ويضربـه سوطين ويتنحّى، والمعتصم فـي خلال ذلك يقول: شُدَّ، قطع اللَّه يدك. قال الإمام أحمد: فذهب عقلي، فأفقت بعد ذلك، فإذا الأقيـاد قد أُطلقـت عنه، فقـال له رجل ممّن حـضر: إنا كـببْناك عـلى وجهك، وطرحـنا على ظهرك بـاريّة، ودُسناك، قال الإمام أحـمد: فما شعرت بذلك.

قال بعض الجلادين الذين ضربوا الإمام: لقد بطل أحمد الشطار، واللَّه لقد ضربته ضربًا، لو أبرك لي بعير فضربته ذلك الضرب لنقبت عن جوفه.

وقال شاباص التائب: لقد ضربت أحمد بن حنبل ثمانين سوطًا، لو ضربته فيلا لهدته، وقال محمد بن إبراهيم بن مصعب - وهو على الشُّرَط للمعتصم: ما رأيت أحدًا لم يداخل السلطان ولا خالط الملوك، أثبت قلبًا من أحمد يومئذ، ما نحن في عينه إلا كأمثال الذباب[1].

❑ قال إسحاق بن راهَوَيْه: لولا أحمد بن حنبل وبذل نفسه لما بذلها له، لذهب الإسلام.

❑ ولله درّ مصطفى صادق الرافعي وهو يقول عن ثبات الإمام أحمد: كنتُ لا أزال أعجبُ من صبر شيخنا أحمد بن حنبل، وقد ضُرب بين يدي المعتصم بالسياط حتى غُشي عليه، فلم يتحول عن رأيه، فعلمت الآن أنه لم يجعل في نفسه للضرب معنى الضرب، ولا عرف للصبر معنى الصبر الآدمي، ولو هو صبر على هذا صبر الإنسان لجزع وتحوّل، ولو ضُرب ضرْب الإنسان لتألّم وتغيّر، ولكنه وضع في نفسه معنى ثبات السنة وبقاء الدين، وأنه هو الأمة كلها لا أحمد بن حنبل، فلو تحوّل لتحوّل الناس، ولو ابتدع لابتدعوا، فكان صبره صبر أمة كاملة، لا صبْر فرد، وكان يُضرب بالسياط ونفسه فوق معنى الضرب، فلو قرضوه بالمقاريض، ونشروه بالمناشير، لما نالوا منه شيئًا، إذْ لم يكن جسمه إلا ثوبًا عليه، وكان الرجل هو الفكر ليس غير.

---

(١) «مناقب الإمام أحمد» ص(٤٠٥ - ٤٠٧).

هؤلاء قوم لا يرون فضائلهم فضائل، ولكنهم يرونها أمانات قد ائتمنوا عليها من اللَّه، لتبقى بهم معانيها في هذه الدنيا، فهم يُزرعون في الأمم زرعًا بيد اللَّه، ولا يملك الزرع غير طبيعته، وما كان المعتصم - وهو يريد شيخنا على غير رأيه وعقيدته - إلا كالأحمق، يقول لشجرة التفّاح: أثمري غير التفّاح».

* وانظر رحمك اللّـه إلى الإمام البويطي صاحب الشافعي وتلميذه: لما سعى به أصحاب ابن أبي دؤاد، حتى كتب فيه ابن أبي دؤاد إلى والي مصر، فامتحنه - أي في محنة خلق القرآن - فلم يُجب، وكان الوالي حسن الرأي فيه، فقال له: قل فيما بيني وبينك. قال: إنه يقتدي بي مائة ألف، ولا يدرون المعنى!! فأمر به أن يُحمل إلى بغداد.

◻ قال الربيع بن سليمان: رأيته على بغل في عنقه غُلّ، وفي رجليه قيد، وبينه وبين الغلّ سلسلة فيها لبنة - طوبة - وزنها أربعون رطلاً، وهو يقول: إنما خلق اللَّه الخلق بـ «كن»، فإذا كانت مخلوقة فكأن مخلوقًا خُلِق بمخلوق، ولئن دخلتُ عليه لأصْدُقَنّه - يعني الواثق - ولأموتن في حديدي هذا حتى يأتي قوم يعلمون أنه قد مات في هذا الشأن قوم في حديدهم»[1] .

* والإمام نعيم بن حماد:

كان - رحمه اللَّه - شديدًا في الرد على الجهمية، حُمِل إلى العراق في إبّان تلك الغيمة مع البويطي مقيدَين.

◻ قال ابن يونس: حُمل على القول بتلك الفِرية، فامتنع أن

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٢/ ٥٨).

يُجيب، فسُجِن، ومات في سجنه سنه تسع وعشرين ومائتين، وجُرّ بأقياده، فأُلقي في حفرة، ولم يُكفّن ولم يصلّ عليه، وأوصى نُعيم بن حماد أن يدفن في قيوده. وقال: «إني مخاصم»[١].

* وأبو نعيم الفضل بن دُكين شيخ الإمام أحمد جبل شامخ في الثبات:

◻ قال أبو نعيم للوالي ـ لما امتحنه في خلق القرآن ـ: «أدركت الكوفة، وبها أكثر من سبعمائة شيخ ـ الأعمش فمَن دونه يقولون: القرآن كلام اللَّه. وعنقي أهون من زِرّي هذا. فقام إليه أحمد بن يونس، فقبّل رأسه ـ وكان بينهما شنحناء ـ وقال: جزاك اللَّه من شيخ خيرًا»[٢].

* وشيخ الإسلام الهروي طود راسي في السنّة:

◻ قال الذهبي في «السير»: «كان شيخ الإسلام الهروي طودًا راسيًا في السنّة، لا يتزلزل ولا يلين، وقد امتُحن مرات، وأُوذي، ونُفي من بلده.

◻ قال ابن طاهر: سمعته يقول: عُرِضتُ على السيف خمس مرّات، لا يقال لي: ارجع عن مذهبك. لكن يُقال لي: اسكت عمّن خالفك، فأقول: لا أسكت»[٣].

٤ ـ تدبّر القرآن والإقبال عليه:

«نصّ اللَّه على أن الغاية التي من أجلها أُنزل هذا القرآن منجمًا

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٦١٠).

(٢) «السير» (١٠/ ١٤٩)، و«مناقب الإمام أحمد» لابن الجوزي ص(٤٨١).

(٣) «السير» (١٨/ ٥٠٩).

مفصّلاً هي التثبيت، فقال تعالى في معرض الرد على شُبه الكفار: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ﴿٣٢﴾ وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً ﴾[1] [الفرقان: ٣٢ ـ ٣٣].

* القرآن ودوره العظيم في تثبيت الإيمان في النفس:

✍ القرآن يذكّر دائمًا بعظمة اللَّه التي لا تُحدّ، وآيات قدرته في الآفاق والأنفس، حتى يخشع القلب ويستسلم للَّه.

✍ ويذكّر دائمًا أن اللَّه مع الإنسان يراقبه ويحصي عليه أعماله، ثم يحاسبه عليها يوم القيامة، حتى تصبح تقوى اللَّه جزءًا لا يتجزأ من مشاعر القلب، وركيزة ثابتة في الضمير.

✍ وكذلك يوجه القرآن القلب البشري إلى ذكر اللَّه دائمًا في حالة السرّاء والضراء.

✍ يورد القرآن القصص التي تثبّت الإيمان، قصص الأنبياء وأتباعهم من المؤمنين الذين صبروا على الأذى حتى جاءهم نصر اللَّه، وقصص الكفار الذين كَذّبوا وعاندوا حتى دمّر اللَّه عليهم بكفرهم.

✍ وأخيرًا يرسم القرآن صورة محببة للمؤمنين وصفاتهم، وما ينتظرهم من الجزاء في الآخرة، وصورًا كريهة منفّرة للكافرين وصفاتهم وسوء منقلبهم ومآلهم يظل القرآن يكرّر هذه التوجيهات حتى ترسخ في النفس، وحتى يصبح اللَّه حاضرًا في القلب لا يغفل الإنسان عن ذكره،

---

(١) «وسائل الثبات على دين اللَّه» للشيخ محمد صالح المنجد ص(٨).

فتستقيم مشاعره، ويستقيم سلوكه، ويصبح ربانيًّا ويرزقه اللَّه الطمأنينة والسعادة.

* القرآن العظيم شفاء من الحيرة يردّ على شبهات ودعاوى المبطلين:

مرة بإيقاظ وجدانهم لآيات اللَّه في الكون والحياة، ومرّة بمناقشة عقولهم بالبراهين والأدلة التي تبيّن الحق.

* قال تعالى: ﴿ **وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَارًا** ﴾ [الإسراء: ٨٢].

في القرآن شفاء، وفي القرآن رحمة، لمن خالطت قلوبهم بشاشة الإيمان، فأشرقت وتفتّحت لتلقى ما في القرآن من رَوْح، وطمأنينة وأمان.

في القرآن شفاء من الوسوسة والقلق والحيرة، فهو يصل القلب باللَّه، فيسكن ويطمئن ويستشعر الحماية والأمن، ويرضى، فيستروح الرضى من اللَّه والرضى عن الحياة، والقلق مرض، والحيرة نصب، والوسوسة داء، ومن ثَمّ هو رحمة للمؤمنين.

وفي القرآن شفاء من الهوى والدنس والطمع والحسد ونزغات الشيطان.. وهي من آفات القلب تصيبه بالمرض والضعف والتعب، وتدفع به إلى التحطيم والبلى والانهيار، ومن ثَمّ هو رحمة للمؤمنين.

وفي القرآن شفاء من الاتجاهات المختلّة في الشعور والتفكير، فهو يعصم العقل من الشطط والزلل.

لقد تلقَّاهُ جيل الصحابة الجيل القرآني الفريد.. تلقوه توجيهًا يطبّق

في واقع الحـياة كلما جاءهـم منه أمر أو نهي، وكـلما تلقّوا مـنه أدبًا أو فريضة.

لم يأخذوه متعة عقلية أو نفسية ولا تـسلية وتلهية، وإنما تكيّفوا به في حياتهم اليومية، تكيّفوا به فـي مشاعرهم وضمائرهم، وفي سلوكهم ونشاطهم، وفي بيوتهم ومعاشهم فكان منهج حياتهم.

❑ قال ابن مسعود ـ رضي اللَّه عنه ـ: كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن.

جاء القرآن ليربّـي الأمة والفرد، والتربية تحتاج إلـى زمن وإلى تأثر وإلى انفعال بالكلمة، وإلى حركة تترجم التأثر والانفعال إلى واقع..

لقد حقـق القرآن خوارق في تكييـف تلك النفوس التـي تأثرت به يومًا يومًا، وانطبعت به أثرًا أثرًا، أكثر من تسيير الجبال وتقطيع الأرض، وإحياء الموتى، لقد صنع في هذه الـنفوس وبهذه النفوس خوارق أضخم وأبعد آثارًا في أقدار الحياة.

* القرآن يهب الطمأنينة والثبات لمن تدبره وعمل به، فلا يضل ولا يشقى:

من اتـبع القـرآن وتدبره فـهو في نجـوة من الضـلال والشقـاء في الأرض، وما يضـلّ الإنسان عن الـقرآن إلا ويتخبـط في القلـق والحيرة والتكفؤ والانـدفاع من طرف إلى طرف لا يستقر ولا يـتوازن في خطاه، والشقاء قرين الـتخبط ولو كان في المرتع الممـرع، من أعرض عن القرآن فله المعـيشة الضنك.. ضـنك الانقطاع عن الـلَّه، ضنك الحيرة والـقلق والشك ـ فما يشعـر القلب بطمأنينة الاستقـرار إلا في رحاب اللَّه، وما

يحسّ الثقة إلا وهو مستمسك بالعروة الوثقى. إن هذه الطمأنينة تضاعف الحياة طولاً وعرضًا وعمقًا وسعة.

القلوب التي تتدبر القرآن وتعمل به قلوب شفيفة ملؤها الطمأنينة والأنس واليقين.

✍ تطمئن بإحساسها بالصلة بالله، والأنس بجواره، والأمن في جانبه وفي حماه، تطمئن من قلق الوحدة، وحيرة الطريق، بإدراك الحكمة في الخلق والمبدأ والمصير، وتطمئن بالشعور بالحماية من كل اعتداء ومن كل ضر ومن كل شر إلا بما شاء الله، مع الرضى بالابتلاء والصبر على البلاء، وتطمئن برحمته في الهداية والرزق والستر في الدنيا والآخرة.

ذلك الاطمئنان بذكر الله في قلوب المؤمنين حقيقة عميقة يعرفها الذين خالطت بشاشة الإيمان قلوبهم، فاتصلت بالله، يعرفونها، ولا يملكون أن ينقلوها بالكلمات إلى الآخرين الذين لم يعرفوها؛ لأنها لا تنقل بالكلمات، إنما تسري في القلب فيستروحها ويهش لها ويندى بها ويستريح إليها ويشعر بالطمأنينة والسلام، ويحسّ أنه في هذا الوجود ليس مفردًا بلا أنيس، فكل ما حوله صديق، إذ كل ما حوله من صُنع الله الذي هو في حماه.

وليس أشقى على وجه الأرض ممن يحرمون طمأنينة الأنس بالله، ليس أشقى ممن ينطلق في هذه الأرض مبتوت الصلة بما حوله في الكون؛ لأنه انفصم عن العروة الوثقى التي تربطه بما حوله.. ليس أشقى ممن يعيش لا يدري لِمَ جاء؟ ولِمَ يذهب؟ ولم يعاني ما يعاني في الحياة؟ ليس أشقى ممن يسير في الأرض يوجس من كل شيء خيفة؛ لأنه لا يستشعر الصلة الخفية بينه وبين كل شيء في هذا الوجود، ليس أشقى

في الحياة ممّن يشق طريقه فريدًا وحيدًا شاردًا في فلاة، عليه أن يكافح وحده بلا ناصر ولا هاد ولا معين.

إن هناك لحظات لا يصمد لها بشر إلا أن يكون مرتكنًا إلى اللَّه، مطمئنًا إلى حماه، مهما أوتي من القوة والثبات والصلابة والاعتداد.. ففي الحياة لحظات تعصف بهذا كله، فلا يصمد لها إلا المطمئنون باللَّه..

✍ يعيش الإنسان مع القرآن ويتدبره فتتغير نظرته للموازين والمعايير والقيم، ويرى الوجود أكبر بكثير من ظاهره المشهود.. إنه عالم الغيب والشهادة لا عالم الشهادة وحده.. إنه الدنيا والآخرة، لا الدنيا وحدها، وما يناله الإنسان من شيء في هذه الأرض فهو زهيد بالنسبة لما ينتظره في عالم الآخرة فيطمئن ويسكن.

✍ يعيش مع القرآن ويتدبره فيرى أن الحق قوام هذا الوجود، وأن الخير والصلاح والإحسان أصيل كالحق، باق بقاءه في الأرض، فيطمئن، وتغمره السكينة وتفيض على قلبه، ويثبت على الحق والخير والصلاح.

٥- التزام شرع اللَّه والتمسك به والعمل الصالح:

* قال تعالى: ﴿**يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ**﴾ [إبراهيم: ٢٧].

◻ قال قتادة: «أما الحياة الدنيا فيثبتهم بالخير والعمل الصالح، وفي الآخرة في القبر».

* وقال سبحانه: ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا**﴾ [النساء: ٦٦] أي: على الحق»[١].

(١) «وسائل الثبات على دين اللَّه» ص(١١).

يثبت اللَّه الذي آمنوا في الحياة الدنيا بالعمل الصالح المتجدد الباقي في الحياة. . بالإيمان المستقرّ في الضمائر الذي يزيد ويثبت بالعمل الصالح.

* قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾.

● وفي الحديث القدسي: «ما تقرب إليّ عبدي بمثل أداء ما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أحبه...».

الاستقامة على الأمر والنهي. . والاستقامة روح تحيا به الأحوال، وزكاة تربو عليها الأعمال، فلا زكاء للعمل، ولا صحة للحال بدونها.

* قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [فصلت: ٣٠].

* وقال تعالى: ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [هود: ١١٢].

□ قال وهيب بن الورد المكيّ: «لا يجد طعم العبادة من همّ بمعصية».

✍ هذا الصحابي الجليل أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب لم يتنَطَّف بخطيئة منذ أسلم إلى أن مات.

✍ والربيع بن خثيم تأتي إليه ابنته، فقالت: يا أبتاه، أذهبُ ألعب؟ قال: اذهبي فقولي خيراً. فلا ينطق بكلمة اللعب.

✍ وعبد اللَّه بن عون بن أرطبان يقول عنه خارجة بن مصعب: صحبت ابن عون أربعًا وعشرين سنة، فما أعلم أن الملائكة كتبت عليه خطيئة.

◻ وقال طبيب القلوب وهيب بن الورد: لأن أدع الغيبة أحبّ إليّ من أن يكون لي الدنيا ـ منذ خُلقت إلى أن تفنى ـ فأجعلها في سبيل اللَّه، ولأن أغض بصري، أحبّ إليّ من أن تكون لي الدنيا ـ منذ خُلقت إلى أن تفنى ـ فأجعلها في سبيل اللَّه.

◻ وبشر بن الحارث الحافي قال عنه تلميذه إبراهيم الحربي: «ما عُرِف له غيبة لمسلم».

◻ ويحيى بن سعيد القطّان قال عنه بندار: «اختلفت إلى يحيى بن سعيد أكثر من عشرين سنة ما أظنّه عصى اللَّه قط»[1].

◻ وابن دقيق العيد يقول: «ما تكلّمت كلمة، ولا فعلت فعلاً، إلاّ وأعددت له جوابًا بين يدي اللَّه عز وجل»[2].

◻ قال الضياء المقدسي: «سمعت خالي الموفق يقول: من عمري أعرفه ـ يعني العماد المقدسي ـ ما عرفت أنه عصى اللَّه معصية»[3].

◻ وكان شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: «واللَّه إني إلى الآن أجدّد إسلامي كل وقت وما أسلمت بعدُ إسلامًا جيّدًا».

٦ـ تدبّر قصص النبيين والصالحين والتأسي بهم والعمل:

* قال تعالى: ﴿وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ١٢٠].

حين يمرّ العبد ويستعرض قصص الأنبياء في القرآن، ويرى موكب

(١) «السير» (٩/ ١٧٨).
(٢) «طبقات الشافعية» (٩/ ٢١٢).
(٣) «السير» (٢٢/ ٥٠).

الإيمان الكريم الطيب الطاهر المبارك الراسخ الثابت الذي يستعلي على التلاشي والانقراض برغم ضراوة المعركة بينه وبين ركب الباطل وجند الشيطان، يرى المرء ثبات هذا الموكب الطاهر ويقينهم وثقتهم بالله وسط أحلك الظروف؛ فيثبت حين يرى ثبات هذا الموكب الطاهر وهو يهدي للبشرية نماذج إيمانية رفيعة لتكون قدوتها، وقممًا إيمانية رائدة لتحاول السير إليها، ينشر نوره وظلاله وطيبه على الوجود فيحلو ويزكو.. يحثون المؤمنين على السير، ويحدون لهم ليأنسوا.. ويسعونهم بصدورهم وقلوبهم ليتموا الطريق.. ويبقى الموكب الطاهر يسير، وتبقى الطريق سالكة.

❏ يرى الإنسان قول الله عز وجل لنبيه ﷺ: ﴿**فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ**﴾ [الأحقاف: ٣٥].

✍ يرى صبر خليل الرحمن الذي صابر ورابط، وفيه قال الله عز وجل: ﴿**وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ**﴾ [النجم: ٣٧]. وقال تعالى: ﴿**وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ**﴾ [البقرة: ١٢٤].

❏ قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: ما قام أحد بدين الله كله إلا إبراهيم عليه السلام: قدّم جسده للنيران، وطعامه للضيفان، وولده للقربان.. بأبي هو وأمي مَن يصبر صبره ويطيق؟!

يأمره الله بجعل ولده وزوجه في مكان قفر، فيطيع، ويأمره بذبح ولده وهو الشيخ الطاعن في السن فيطيع ويهمّ بذبح ابنه، ولما أُجّجت النيران لإلقائه فيها صبر وقال: «**حسبي الله ونعيم الوكيل**».

✍ وقبله الصبر الكريم النبيل لنبي الله نوح عليه السلام في الدعوة إلى الله عز وجل ألف سنة إلا خمسين عامًا.. يُوقف أنفاسه على

الدعوة إلى اللَّه.. في أطول وأكرم صبر عرفه تاريخ البشرية.

✍ وصبر إسماعيل عليه السلام في الحادث الفريد العظيم.. وروعة إيمانه وعظمة تسليمه.. وراء كل ما يتـعارف عليه بنو الإنسان يبقى منارة وتثبيتًا للسائرين على الدرب.

✍ يرى المرء صبر رسـولنا الكريم ﷺ، وتعرضه لـلإيذاء الشديد كسرت ربـاعيته وشجّ رأسـه، وشد الحجر عـلى بطنه مـن شدة الجوع، وصبره النبيل عـلى إيذاء أهل الطائف له.. حتى أدموا قدمـيه الشريفتين وسالت منهما الدماء.

✍ ينظر المرء فيـرى أبهى صور التوكل لنبينا ﷺ والـصحابة بعد أحد قال تـعالى: ﴿**الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ**﴾ [آل عمران: ١٧٢ ـ ١٧٤].

أعظم درس في الثبات وسط الجراح:

كان يوم «أُحُد» يوم السبت النصـف من شوال، فلما كان الغد من يوم الأحد لـست عشرة لـيلة مضـت من شوال، أذّن مؤذن رسـول اللَّه ﷺ في الناس يطلب العدوّ، وأذّن مـؤذّنه أن لا يخرجنّ معنا أحد إلا من حضـر يومنا بالأمس. دعـاهم الرسول ﷺ إلى الخروج مـعه كرّة أخرى غداة المـعركة المريرة، وهـم مثخنـون بالجراح، وهم ناجـون بشق الأنفس من المـوت أمس في المعركة، وهم لـم ينسوا بعد هـول الدَّعْكة ومرارة الهزيمـة وشدّة الكرب، وقد فقـدوا من أعزّائهم من فـقدوا، فقلّ

عددهم، فوق ما هم مثخنون بالجراح! لقد دعاهم الرسول ﷺ، ودعاهم وحدهم، وكانت هذه الدعوة وما تلاها من استجابة، تحمل إيحاءات شتى، وتومئ إلى حقائق كبرى؛ لعلّ رسول اللَّه ﷺ شاء أن يُشعر المسلمين وأن يشعر الدنيا كلها من ورائهم، بقيام هذه الحقيقة الجديدة التي وُجِدت في هذه الأرض.. حقيقة أن هناك عقيدة هي كل شيء في نفوس أصحابها، ليس لهم من أربٍ في الدنيا غيرها، وليس لهم من غاية في حياتهم سواها، عقيدة يعيشون لها وحدها، فلا يبقى لهم في أنفسهم شيء بعدها، ولا يستبقون هم لأنفسهم بقية في أنفسهم لا يبذلونها لها، ولا يقدمونها فداها.

هذه صورة رفيعة وموقف كريم لنفوس كبيرة لا تعرف إلا اللَّه وكيلاً، وترضى به وحده وتكتفي، وتزداد إيمانًا به في ساعة الشدة.. هذا هو الدرس الجميل في الثبات تتعلمه الأجيال المؤمنة.

✍ يقف العبد طويلاً أمام يقين موسى عليه السلام وثقته بربه في أحلك الظروف ﴿**فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۝ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ**﴾ [الشعراء: ٦١ - ٦٢] كلاّ لن نكون هالكين، كلا لن نكون مفتونين، كلا لن نكون ضائعين، بهذا الجزم والتأكيد واليقين.

وينبثق الشعاع المنير في ليل الكرب، وينفتح طريق النجاة من حيث لا يحتسبون.

لا تــدبِّــرْ لــك أمــرًا فـأولو التـدبير هـلكى
سـلِّـم الأمـر تجـدنـا نحـن أولى بك منكـا

✍ وترى قصص الربانيين على مدار التاريخ تثبت قلوب الراغبين في جوار الرحمن في دار كرامته.. موقف السحرة من فرعون.. موقف آسية التي تترك أبهة الملك والقصور وتتحمّل ما لا يطيقه إلا الأفذاذ من الرجال... وألوف وألوف من مواقف الصحابة وكل منها صفحة نيرة في دنيا الخلود.. أم عمار وخباب بن الأرت، وخبيب، وعمار، وبلال، وعامر بن فهيرة، وعمير بن الحمام، وأم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وسلمان الفارسي الباحث عن الحقيقة وسابق الفرس.. وراء كل قصة معنى جميل يثبت القلوب الطاهرة في سيرها إلى اللَّه عز وجل والدار الآخرة.

٧ـ الزهد:

الذين يقفون عند الحياة الدنيا، بما فيها من نقص وهبوط، ويرضونها ويستغرقون فيها، تهبط بهم ثم تهبط؛ لأنهم لا يرفعون رؤوسهم إلى قمة، ولا يتطلعون بأبصارهم إلى أفق، إنما يخفضون رؤوسهم وأبصارهم دائمًا إلى هذه الأرض وما عليها.. هؤلاء الذين ليس لهم همّ إلا لهو الدنيا ولعبها وتفاخرها وتكاثرها، لم يشبّوا عن الطوق.. هم أطفال البشرية الكبار عالمهم الأرض الضيقة الصغيرة.

الذين تعظم في أعينهم الدنيا ويلهثون وراءها بحثًا عن الرغائب والشهوات وحب الرياسة والجاه، وليس لهم همٌّ إلا الدنيا، وتتشعب قلوبهم في أودية الدنيا يتأرجحون ولا يثبتون.. متذبذبون أبدًا.. إذا بدا لهم عاجل من الدنيا طاروا إليه زرافات ووحدانا..

✍ والزهاد هم الذين تستقر أقدامهم على الأرض وتنزع أرواحهم إلى السماء، وترفرف أرواحهم إلى الآفاق اللائقة بكمال الإنسان..

صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالملأ الأعلى، يؤثرون الآخرة وهي خير وأبقى، يعلمون خسّة الدنيا وقلتها وانقطاعها وسرعة فنائها ويقيم اللَّه في قلوبهم شاهدًا يعاينون به حقيقة الدنيا والآخرة.

● يعلمون قول رسولهم ﷺ: «**طوبى لمن هُدي للإسلام، وكان عيشه كفافًا، وقنع به**»[(١)].

● وقول نبيهم ﷺ: «**صلاح أول هذه الأمة بالزهد واليقين، ويهلك آخرها بالبخل والأمل**»[(٢)].

❑ قال ذو النون المصري: «تجوّع، وتخلّ، وتفرّد، ترى العجب»[(٣)].

وقال: «ما رجع من رجع إلاّ من الطريق، ولو وصلوا إلى اللَّه ما رجعوا، فازهد يا أخي تر العجب»[(٤)].

والزهد في الدنيا يجمع الهمّ ويجعله في طلب الآخرة، ولا يشتت القلب وإنما يجمع عليه أمره، ولا يوهن القلب بحب الجاه والرئاسة والسعي وراء الشهوات والحزن على فقدها وضياعها، فيطلب القلب الجنة في غدوه ورواحه طلب من لا بد له منها.

كتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز: «إن رأس ما هو مصلحك ومصلح به على يديك: «الزهد في الدنيا، وإنما الزهد باليقين، واليقين

---

(١) صحيح: رواه الترمذي، وابن حبان، والحاكم عن فضالة بن عبيد، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٩٣١).

(٢) حسن: رواه أحمد في «الزهد»، والطبراني في «الأوسط»، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن ابن عمرو، وحسّنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٨٤٥).

(٣) «الزهد الكبير» للبيهقي ص(١٠١).

(٤) «الزهد الكبير» ص(٨٨).

بالتفكر، والتفكر بالاعتبار، فإذا أنت فكّرت في الدنيا لم تجدها أهلاً أن تتبع بها نفسك، ووجدت نفسك أهلاً أن تُكرمها بهوان الدنيا، فإن الدنيا دار بلاء ومنزل قُلْعَة»[١] .

عزيز علينا أن تذيب الدنيا أكباد قوم وَعت صدورهم القرآن. . القلب السليم المخبت أعظم من أن تشغله زخارف الدنيا فيتطلع إليها ويؤثرها على غيرها، فيميل مع الدنيا حيث مالت ولا يستقر به قرار إلا مع شهواته ورغائبه.

◻ قال الإمام أحمد: إنما هو طعام دون طعام، ولباس دون لباس، وإنها أيام قلائل.

٨ـ قصر الأمل:

◻ وقصر الأمل دافع لحسن العمل. . قال الربيع بن أبي راشد: لو فارق ذكر الموت قلبي لخشيت أن يفسد.

◻ قال الربيع: لو غفل قلبي عن ذكر الموت ساعة واحدة لفسد قلبي.

◻ وقال القعقاع بن حكيم: قد استعددت للموت منذ ثلاثين سنة! فلو أتاني ما أحببت تأخير شيء عن شيء»[٢] .

◻ وقال سفيان الثوري: رأيت شيخًا في مسجد الكوفة يقول: أنا في هذا المسجد منذ ثلاثين سنة أنتظر الموت أن ينزل بي، فلو أتاني ما أمرته بشيء ولا نهيته عن شيء[٣] .

---

(١) أي: انقطاع وارتحال.

(٢، ٣) «إحياء علوم الدين» للغزالي (٤/ ٦٦٣).

❑ قال داود الطائي في جنازة تدفن:

«من خاف الوعيد قصر عليه البعيد، ومن طال أمله ضعف عمله، وكل ما هو آت قريب».

❑ وقال الحسن: ما أطال عبد الأمل إلا أساء العمل.

❑ وقال بعض الحكماء: الأمل سلطان الشيطان على قلوب الغافلين.

❑ وقال أعرابي: مضى أمسُك، وعسى غدًا لغيرك.

❑ وقال الفضيل بن عياض: إنما أمس مثل، واليوم عمل، وغدًا أمل.

❑ وقال يحيى بن معاذ: أدم جهازك، وهيئ زادك، وتهيأ للعرض على ربك جلّت عظمته.

وقال: المغبوط من ترك الدنيا قبل أن تتركه، وبنى قبره قبل أن يدخله، وأرضى ربه قبل أن يلقاه.

❑ ولما عوتب عطاء السلمي في الرفق بنفسه قال: أتأمرونني بالتقصير والموت في عنقي، والقبر بيتي، وجهنم أمامي، ولا أدري ما يصنع بي ربي عز وجل؟!

❑ قال حاتم الأصم: سمعت شقيقًا يقول: استعد إذا جاءك الموت أن لا تسأل الرجعة وقل لنفسك كل صباح: آكل الموت، وألبس الكفن، وأسكن القبر، مثّل لبصر قلبك حضور ملك الموت وأعوانه لقبض روحك، فانظر كيف تكون.

❑ قال ابن المبارك: «استعد للموت ولما بعد الموت».

* **أخي:** أنذرتك سوف؛ فإنها جند من جنود إبليس.

٩ـ اليقين والثقة بالطريق:

اليقين روح أعمال القلوب التي هي روح أعمال الجوارح.

● قال رسول الله ﷺ: «**نجا أول هذه الأمة باليقين والزهد، ويهلك آخرها بالبخل والأمل**»(١).

❑ قال الشعبي: اليقين: الإيمان كله.

أصحاب الدعوة إلى عز وجل لهم أسوة حسنة في رسل الله عز وجل، وإنه لينبغي لهم أن تمتلئ قلوبهم بالثقة حتى تفيض.. وإذا طال الطريق على العصبة المؤمنة، فيجب أن تعلم أن هذا هو الطريق الذي سار عليه ركب النبيين الأطهار من لدن آدم.. فلا يستوحش الصادقون من طريق النور وإن قلّ عليه السالكون.. فإن أمير القوم يرعى القافلة.

إذا نحن أدلجنا وأنت إمامنا كفى بالمطايا طيب ذكراك حاديا

على الطريق معك النبيون والصديقون والشهداء والصالحون.. الحَقْ بناديهم وسر في واديهم يصل إليك صوت حاديهم.. ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ**﴾ أنت منهم.. ومثلما اصطفى اللّه الأنبياء فلرجال الدعوة نصيب من هذا الاصطفاء بما ورثوه من علوم الأنبياء.

* انظر إلى مقالة أول رسول أُرسل، نوح عليه السلام: ﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً**

(١) حسن: رواه ابن أبي الدنيا في «العقل وفضله واليقين» عن ابن عمرو، وحسّنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦٧٤٦).

ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلا تُنظِرُونِ ﴾ [يونس: ٧١].

لقد كان مع نوح عليه السلام الإيمان واليقين الذي تتضاءل أمامه الكثرة.. لقد كان معه اللَّه الذي لا يدع أولياءه لأولياء الشيطان.

* وانظر إلى نبي اللَّه هود تجد الثقة واليقين والطمأنينة وعزة الإيمان واستعلاءه يقول لقومه: ﴿ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَابَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [هود: ٥٣ ـ ٥٦].

يا لروعة اليقين الذي يغمر قلب نبي اللَّه هود، وهو فرد يواجه قومًا غلاظًا حمقى! يسفّه عقيدتهم ويقرعهم عليها ويؤنبهم، ويهيج ضراوتهم بالتحدي، ولا يطلب مهلة ليستعد استعدادهم، ولا يدعهم يتريّثون فيفثأ غضبهم..؛ لأنه يرى وعد اللَّه بالنصر حقيقة ملموسة في قلبه، لا يشك فيها لحظة، يراه وكأنه حاضر واقع تتملاه العين والقلب.

* وانظر إلى خليل الرحمن إبراهيم وعلو يقينه: ﴿ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٠ ـ ٨٢].

كيف يخاف من عنده هذا اليقين؟ كيف يخاف من وجد اللَّه؟ وماذا يخاف؟ ومَن ذا يخاف؟!

* وانظر إلى اليقين الذي يملأ على إبراهيم عليه السلام قلبه ومشاعره وجوارحه وهو يقول لقومه: ﴿ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلاَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾ [الشعراء: ٧٥ ـ ٨٣].

* وقال لقومه: ﴿ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴾ [العنكبوت: ٢٥].

● ورسول اللَّه ﷺ يأمر صحابته أن يقولوا لأبي سفيان يوم أحد: «الله مولانا ولا مولى لكم».

* ويُسطر في القرآن الكريم اليقين العالي لرسولنا ﷺ: ﴿ قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٥، ١٩٦].

صاحب الدعوة وليه اللَّه.. يرتكن إلى حماه.. يعتز بأنه يمضي على صراطه المستقيم.. وبثقته في مولاه، وبيقينه بطريقه يثبت مهما أسفر الباطل من تعدّ، وبغى في وجه كلمة الحق الهادئة.

إن نفس المؤمن حين تشف وترقّ باليقين، وحين تستعلق فيها حقيقة الإيمان، تستعلي على قوى الأرض، وتنتصر فيها العقيدة على الحياة.

✍ ماذا يملك كل من على وجه الأرض إذا فاض اليقين الذي لا

يتزعزع على القلوب، اليقين في الطريق، اليقين الذي يطمئن إلى النهاية فيرضاها، ويعلم الرجعة إلى ربه فيطمئن إلى جواره.

✍ ماذا يملك كل من على وجه الأرض إذا رغبت القلوب في طريق اللَّه، وإذا اشتاقت إلى جواره؟

✍ انظر إلى الأنصار ويقينهم يوم العقبة حين قالوا عن رسول اللَّه ﷺ: «إنا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف».

✍ وفي أحد لما أسقط في أيدي المسلمين يوم صاح الشيطان بأحد «ألا إن محمدًا قد مات» صاح بهم ثابت بن الدحداحة: «يا معشر الأنصار، إليّ إليّ، أنا ثابت بن الدحداحة، إن كان محمد ﷺ قد قُتِل، فإن اللَّه حي لا يموت، فقاتلوا عن دينكم؛ فإن اللَّه مظهركم وناصركم»[1].

* يا إخوتاه.. يا حملة مشاعل النور:

إذا عرفتم اللَّه صغر عندكم مَنْ سواه وما سواه، بل ذاب في أعينكم وفنى في قلوبكم كل ما عداه، ولم يعد يستأهل الطلب والنصب إلا قربه ورضاه، وإذا استشعرتم رابطتكم بربكم وعونه لكم، وأيقنتم أنه معكم.. رأيتم أنفسكم أقوى من كل قوى الشيطان والطغيان!! وهكذا يولد المسلم ولادة جديدة، من عقيدته لا من رحم أمه، وينبعث بمعرفته باللَّه وحرارة إيمانه به.

لقد أحسّ جند اللَّه المؤمنون المخلصون الذين فرغوا من أنفسهم، ووهبوا حياتهم ـ كل حياتهم ـ لربهم فلم يتحرّكوا ولم يقفوا، ولم يُعطوا

---

(١) «الاستيعاب» (١/ ١٩٥).

ولم يمنعوا، ولم يحبوا ولم يبغضوا، ولم يحاربوا ولم يُسالموا، إلا به وفيه ومن أجله عز وجل، لقد أحسوا أنهم قدر من قدر اللَّه الغلاّب، لا تصده ولا ترده قوة في الأرض إلا أن يشاء اللَّه»[1].

قد اختارنا اللَّه في دعوتهْ ... وإنا سنمضي على سنته
فمنا الذين قضوا نحْبَهم ... ومنّا الحفيظ على ذِمّته

❑ وللَّه در القائل:

يقين تنوء به الراسيات ... ويكبر عن قبضة المجرم
ويا إخوتي.. يا مناط العلا ... ويا صيحة الحق ملء الفم
ويا جرح آمالنا الغاليات ... توهّج كالشرر المضْرَمِ
ويا صحوة الفكر.. أرواحنا ... بغير البطولات لم تَحْلُمِ
يجلجل فينا نداء السماء ... ويجأر كالقدر المبرم
يحيي الرجال ذوي العزمات ... ويُهدي الضياء لعَيْنِ العَمِي
يُحيل المشاعر ناراً ونوراً ... يشقّ سجوف الدجى المظلم
ويشرح للدهر معنى الثبات ... على الحق في نهجه القيِّمِ

❑ وللَّه ما أحلى قول القائل:

الموقنون الصادقون مشاعل ... خَلَلَ الظلام تُسَلْسِلُ الأضواءَ
سيُنَشِّئون على المحجة فتيةً ... ورجال صدقٍ في الورى أمناءَ
هي دعوة للَّه أقبل فجرها ... بالنور يخفق مشرقًا وضاءَ
ضربت بأعماق النفوس جذورُها ... وسَمَتْ مناراً للهدى ولواءَ
تمشي على هام النجوم عزيزةً ... تُذكي النفوس توثبًا ومضاءَ

(١) «أزمة روحية» لعصام العطار.

* **أخــي:** يا من شعارك: ﴿ **لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [المجادلة: ٢٢].

يا أهل اللَّه.. يا مـن تجمّعتم تحت لوائه، وتحرّكتـم على صراطه، واهتديتم بهديـه، وحققتم منهجه.. أنتم قدر من أقـدار اللَّه.. مقامكم عالٍ رفيع.. صراطكم مستقيم طاهر.. انقطعتم عن كل شيء فوصلكم اللَّه به، تقبّلكم في كنفه، وصلى عليكم هو وملائكته، وأفسح لكم في جنابـه، وأشعركم بـرضاه، فرضيتـم.. رضيت نفـوسكم بهـذا القرب وأنسـت به واطمأنـت إليه، كتـب في قلـوبكم الإيمان فـلا زوال له ولا اندثار، ولا انطماس فـيه ولا غموض أيّدكم بروح منه فأشـرقت قلوبكم بهذا الروح، مَنْ يُفلح إذن إذا لم تفلحوا أنتم أيها المختارون؟!.

١٠ـ ذكر الله تبارك وتعالى:

الذكر منـشور الولاية، الذي من أُعـطيه اتصل، ومن مُـنعه عزل، وهو قوت قلـوب القوم، الذي متى فـارقها صارت الأجساد لـها قبورًا، وعمارة ديارهم التي إذا تعطلت عنه صارت بورًا.

✍ هو منزل الـقوم الذي منه يتـزودون، وفيه يتجرون، وإلـيه دائمًا يترددون، وهو سلاحهـم الذي يقاتلون به قُطّاع الطـريق، وماؤهم الذي يطفئون به التهاب الحريق، ودواء أسقامهم الذي متى فارقهم انتكست منهم القلوب، والسبب الواصل والعلاقة التي كانت بينهم وبين علاّم الغيوب.

إذا مرضنا تداوينا بذكركُمُ ونترك الذكر أحيانًا فننتكسُ

✍ به يستدفعون الآفات، ويستكشفون الكُرُبات، وتهون عليهم به المصيبات، إذا أظلهم البلاء فإليه ملجؤهم، وإذا نزلت بهم النوازل فإليه مفزعهم، فهو رياض جنّتهم التي فيها يتقلّبون، ورءوس أموال سعادتهم التي بها يتجرون.

✍ الذكر عبودية القلب واللسان وهي غير مؤقتة، وكما أن الجنة قيعان، وهو غراسها، فكذلك القلوب بور وخراب، وهو عمارتها وأساسها.

✍ وهو جلاء القلوب وصقالها، ودواؤها إذا غشيها اعتلالها، يحفظ اللَّه به على المؤمن كل شيء، ويكون عوضًا له عن كل شيء.

✍ به يزول الوقر عن الأسماع، والبكم عن الألسن، وتنقشع الظلمة عن الأبصار.

✍ وهو باب اللَّه الأعظم المفتوح بينه وبين عبده ما لم يغلقه العبد بغفلته.

✍ وبالذكر يَصْرَع العبد الشيطان، كما يصرع الشيطان أهل الغفلة والنسيان.

قال بعض السلف: «إذا تمكن الذكر من القلب، فإن دنا منه الشيطان صرعه كما يُصرع الإنسان إذا دنا منه الشيطان، فيجتمع عليه الشياطين فيقولون: ما لهذا؟ فيقال: قد مسّه الإنسي»[1].

✍ والذكر يجمع المتفرّق، ويفرّق المجتمع، ويقرّب البعيد، ويبعد القريب، فيجمع ما تفرّق على العبد من قلبه وإرادته، وهمومه وعزومه،

---

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ٤٢٢).

والعذاب كل العذاب في تفرقها وتشتتها عليه، وانفراطها له، والحياة والنعيم في اجتماع قلبه وهمه، وعزمه وإرادته.

ويفرّق ما اجتمع عليه من الهموم والغموم والأحزان والحسرات على فوت حظوظه ومطالبه.

ويفرّق أيضًا ما اجتمع عليه من ذنوبه وخطاياه وأوزاره.

✍ ويفرّق ما اجتمع على حربه من جند الشيطان، فإن إبليس لا يزال يبعث له سرية بعد سرية، وكلما كان أقوى طلبًا للَّه سبحانه وتعالى، وأمثل تعلقًا به وإرادة له، كانت السرية أكثف وأكثر وأعظم شوكة، بحسب ما عند العبد من مواد الخير والإرادة ولا سبيل إلى تفريق هذا الجمع إلا بدوام الذكر.

✍ ويقرّب إليه الآخرة، فلا يزال يلهج بالذكر حتى كأنه قد دخلها وحضرها.

✍ والذكر ينبّه القلب من نومه، ويوقظه من سِنَته، والقلب إذا كان نائمًا فاتته الأرباح والمتاجر، وكان الغالب عليه الخسران، فإذا استيقظ وعلم ما فاته في نومته، شد المئزر، وأحيا بقية عمره، واستدرك ما فاته، ولا تحصل يقظته إلا بالذكر، فإن الغفلة نوم ثقيل.

✍ والذكر شجرة تثمر المعارف والأحوال التي شمّر إليها العابدون.

✍ والذكر يثمر المقامات كلها من اليقظة إلى التوحيد، ويعدل عتق الرقاب والحمل على الخيل في سبيل اللَّه، ويعدل الضرب بالسيف في سبيل اللَّه عز وجل، وهو خير الأعمال على الإطلاق، كما قال رسول اللَّه ﷺ: **«ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الوَرِق والذهب، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا**

أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟» قالوا: بلى يا رسول اللَّه. قال: **«ذكر اللَّه»**(١).

* وذكر اللَّه من أعظم أسباب الثبات على الطريق قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [الأنفال: ٤٥]. وفي موكب الإيمان التاريخي نجد الذكر أكبر العون في قلوب العصبة المؤمنة.

* يواجه فرعون بالتهديد المروّع البشع الطاغي السحرة بعد إيمانهم فقالوا له: ﴿ **وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ** ﴾ [الأعراف: ١٢٦].

* وواجهت العصبة المؤمنة القليلة جالوت وجنوده وتحصنوا بالذكر ﴿ **وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ** ﴾ [البقرة: ٢٥٠].

* والمؤمنون على مدار التاريخ حصنهم الذكر ﴿ **وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (١٤٦) وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ** ﴾ [آل عمران: ١٤٥ ـ ١٤٦].

* والصحابة الأبرار بعد ما أصابهم القرح في أحد فلما دُعوا إلى الخروج ثاني يوم كان حاديهم قول اللَّه عز وجل: ﴿ **الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ** ﴾.

---

(١) صحيح: رواه الترمذي، وابن ماجه، والحاكم عن أبي الدرداء، وصححه الحاكم والنووي، والألباني في «صحيح الجامع» رقم (٢٦٢٩).

* إن ذكر اللَّـه اتصال بالقاهر القوي الذي لا يغلب، وثقة باللَّه الذي ينصر حزبه وأولياءه؛ ولذا لا ينسى في أحلك المواقف فهو أعظم معين للثبات.

١١ ـ الدعاء:

سبحان من جعل خلقه يفزعون في حاجاتهم إليه، ويعوّلون عند الحوادث والكوارث عليه، سبحان من جعل الدعاء عبادة وقربى، وأمر عباده بالتوجه إليه لينالوا عنده منزلة وزلفى.

* قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

الدعاء يسكب في قلب المؤمن نداوة حلوة، وودًّا مؤنسًا، ورضا مطمئنًا، وثقة ويقينًا.. يعيش المؤمن في جناب رضيّ وقربى نديّة، وملاذ أمين وقرار مكين، وهو يدعو من ليس له مثيل ولا نظير.. ينطرح على عتبة العبودية يلوذ بأقصر طريق إلى مولاه.. يلوذ بالدعاء يسأل مولاه بعزه وذله وبغناه وفقره أن يمنّ عليه بنعمة التثبيت ولا يمنحها عبده إلا هو، ولا يتفضل بها عليه سواه.

● قال رسول اللَّه ﷺ: «**أفضل العبادة الدعاء**»[(١)].

● وقال ﷺ: «**من سرّه أن يستجيب اللَّـه له عند الشدائد والكُرَب فليكثر الدعاء في الرخاء**»[(٢)].

---

(١) صحيح: رواه الحاكم في «المستدرك» عن ابن عباس، وابن عدي عن أبي هريرة، وابن سعد عن النعمان بن بشير، وصححه الحاكم، وأقرّه الذهبي، وصححه السيوطي، والألباني في «صحيح الجامع» رقم (١١٢٢).

(٢) حسن: رواه الترمذي، والحاكم عن أبي هريرة، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦٢٩٠).

والسالـك إلى اللَّه عـلى درب الدعاء، وطـريق الذل والانكـسار، والافتقار إلى اللَّه، وازدراء النفس ورؤيتها بعين الضعف والعجز والعيب والنقص والذم، على طريق سماها الربـانيون طريق الطير وهو غاية شمّر إليها السالكون، وأمّها القـاصدون، وهو طريق أقرب من كل طريق إلى الودود، لا مزاحم فيه، فـلانكسار القلب تأثير عجيـب في الثبات، وما أقرب الجبر من هذا الـقلب المكسور، وما أدنى النصـر والرحمة والرزق منه، وما أنفع هذا الذل له وأجداه عـليه، وذرة من هذا ونَفَس منه أحب إلى اللَّه من طاعات أمثال الجبال من المدلّين المـعجبين بأعمالهم وعلومهم وأحوالهم.

وأحب القلوب إلى اللَّه سبحانه قـلب قد تمكنت منه هذه الكسرة، وملكته هذه الذلة، فهو ناكـس الرأس بين يدي ربه، لا يرفع رأسه حياءً من اللَّه.

❑ قيل لبعض العارفين: أيسجد القلب؟ قال: نعم يسجد سجدة لا يرفع رأسه منـها إلى يوم اللقاء. فهـذا سجود القلب، فقلـب لا تباشره هذه الكسرة فهو غير ساجد السجود المراد منه.

وإذا سجد القلب للَّه ـ هذه السجدة الـعظمى ـ سجدت معه جميع الجوارح، وعنا القلب للحي القيوم، وخشعت الجوارح والأصوات كلها، وذل العبد واستكان، ووضـع خدّه على عتبة العبودية، ناظـرًا بقلبه إلى ربه ووليـه نظر الذلـيل إلى العـزيز الرحيـم، فلا يُرى إلا متـملقًا لـربه خاضعًا له، ذليلاً مستعطفًا له يقول: كيف أُغْضِبُ مَن حياتي في رضاه؟ وكيف أَعْدلُ عمّن سعادتي وفلاحي وفوزي في قربه وحماه؟!

وما الـظن بمن هـو أرحم بعـبده مـن الوالد بـولده، ومن الـوالدة

بولدها؟ إذا فرّ عبده إليه، وهرب من عدوه إليه، وألقى نفسه طريحًا ببابه، يمرّغ خده في ثرى أعتابه، باكيًا بين يديه، يقول: يا رب، يا رب! ارحم من لا راحم له سواك، ولا ناصر له سواك، ولا مأوى له سواك، ولا مغيث له سواك، مسكينك، وفقيرك، وسائلك، ومؤملك ومرجيك، لا ملجأ له ولا منجا له منك إلا إليك، أنت معاذه وملاذه.

يا من ألوذ به فيما أؤمله ... ومن أعوذ به مما أحاذره

لا يجبر الناس عظمًا أنت كاسره ... ولا يهيضون عظمًا أنت جابره

✍ إن دعاءً حُفَّ بآدابه يجزم به صاحبه ويوقن بالإجابة ويلح فيه على مولاه وتعظم فيه المسألة، ويدعو فيه العبد ربه باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب ـ لحريّ أن يُستجاب كرمًا من اللَّه وفضلاً ومنّة.

● قال رسول اللَّه ﷺ: «**إذا تمنّى أحدكم فليكثر، فإنما يسأل ربه**»(١).

فيعظم العبد المسألة ويسأل ربه باسمه الأعظم الثبات على دينه.

●«**اللَّهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان، بديع السماوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم**»(٢). اللَّهم صلي على محمد وآله.

* ﴿**رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ**﴾ [آل عمران: ٨].

* ﴿**رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن**

---

(١) صحيح: رواه الطبراني في «الأوسط» عن عائشة، وصححه المناوي (١/ ٣٢٠) «فيض القدير»، وقال الهيثمي: «رجاله رجال الصحيح»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٤٣٧).

(٢) جزء من حديث صحيح أخرجه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، والنسائي، وأحمد، والحاكم، وابن حبان عن أنس. في الدعاء باسم اللَّه الأعظم.

لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٠].

● «اللَّهم إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وأن تغفر لي وترحمني وتتوب عليّ، وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون».

● «اللَّهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، اللَّهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها».

● «اللَّهم يا ولي الإسلام وأهله، مَسِّكني بالإسلام حتى ألقاك عليه».

● «اللَّهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك...».

● «اللَّهم إني أسألك من فضلك ورحمتك، فإنه لا يملكها إلا أنت».

● «اللَّهم اجعل في قلبي نوراً، وفي لساني نوراً، وفي بصري نوراً، وفي سمعي نوراً، وعن يميني نوراً، وعن يساري نوراً، ومن فوقي نوراً، ومن تحتي نوراً، ومن أمامي نوراً، ومن خلفي نوراً، واجعل لي في نفسي نوراً، وأعظم لي نوراً»[١].

● «اللَّهم احفظني بالإسلام قائمًا، واحفظني بالإسلام قاعداً، واحفظني بالإسلام راقداً، ولا تشمت بي عدواً حاسداً، اللَّهم إني أسألك من كل خير خزائنه بيدك، وأعوذ بك من كل شر خزائنه بيدك»[٢].

● «اللَّهم اغفر لي ذنوبي وخطاياي كلها، اللَّهم انعشني واجبرني، واهدني

(١) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم، والنسائي عن ابن عباس.
(٢) حسن: رواه الحاكم عن ابن مسعود، وحسّنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (١٢٦٠).

لصالح الأعمال والأخلاق؛ فإنه لا يهدي لصالحها ولا يصرف سيئها إلا أنت»[1].

● «اللَّهم اغفر لي خطيئتي وجهلي، وإسرافي في أمري، وما أنت أعلم به مني، اللَّهم اغفر لي خطئي وعمدي، وهزلي وجدي، وكل ذلك عندي، اللَّهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت؟ أنت المقدم وأنت المؤخر، وأنت على كل شيء قدير».

● ولقد كان رسول اللَّه ﷺ يكثر أن يقول: «يا مقلّب القلوب ثبّت قلبي على دينك»[2].

□ وللَّه ما أحلى دعاء أيوب السختياني:

«اللَّهم ألحقنا بنبينا غير خزايا ولا نادمين، ولا خارجين ولا فاسقين، ولا مبدلين ولا مرتابين، واجعلنا من الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقًا»، «اللَّهم أسألك الإيمان وحقائقه ووثائقه».

* **أخي:** كيف لا يثبت على دين اللَّه من أمات بالذل عزته، وجعل إلى الرب حاجته، وذكر في الخلوات خطيئته، وأرسل على الوَجْنة عبرته، وشكا إلى اللَّه غربته، وسأله بالتوبة رحمته، جأَّر الليل والنهار: بكّاء إلى اللَّه بالأسحار: «اللَّهم أسألك تذللاً، فأعطني تفضلاً.. اللَّهم يا واسع المغفرة، ويا باسط اليدين بالرحمة، افعل بي ما أنت أهله.. يا

---

(١) حسن: رواه ابن السني، والطبراني في «الأوسط»، و«الصغير»، والحاكم عن أبي أيوب، وحسّنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (١٢٦٦).

(٢) صحيح: رواه الترمذي عن أنس مرفوعًا، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٨٦٤).

منتهى السـؤالات، يا موضع الحاجات، يا من لا تمـلّ حلاوة ذكره ألسن الخائفين، ولا تكلّ من الرغبات إليـه مدامع الخاشعين يا واهب المواهب، ومجزل الرغائب، أعوذ بك من الحور بـعد الكور، أعوذ بك من النزول بعد الـوصول، ومن الكدر بـعد الصَّفا، رَقٍّ فـي ذرا الكرامة مهـجتي، ونضّر بالكمال لـديك بهجتي، وعزّفني عن الدون، سهّـرني فيما نامت عنه أعين الغافلين.

◻ اللَّهم يا وارث الأرض ومـن عليها، ويا باعث جميـع من فيها، ورّث أملي فيك مُنى أملي، وبلِّغ همي فيك منتهى وسائلي.

اللَّهم لا تجعل الدنـيا أكبر همنا ولا مبلغ علمـنا.. واجعل العيون منا فوّارة بالعبرات، لك الحمـد يا ذا المنّ والطول والآلاء والسعة، إليك توجهنا وبفنائك أنخنا، ولمعروفك تعرضنا، يا حبيب التائبين، ويا سرور العابدين، ويا أنـيس الذاكرين، ويا حرز اللاّجين، ويا ظهـر المنقطعين، أنت أصلحت الصالحين فاجعلنا من الصالحين..

ربـاه عـفـوك إنـي ... لـلـنـور مُـدَّتْ يـدايـا
أبـكي وأُبـكَى ويـبـكي ... دمـعي ويـبـكي بـكـايـا
وحـفـنـة مـن دعـاءٍ ... غـرفـتُـه مـن دمـايـا
ولا لـغـيـرك دوّى ... يـا رب يـومًـا نـدايـا
فـاسـكـب ضـيـاءك إنـي ... ظـمـآن ضـلّ صـدايـا

* إلهي:

إلـهي أقلني عـثرتي وامح زلـتي ... فـإنـي مـقـر خـائـف مـتـضـرّعُ
إلـهي ترى حالي وفقري وفاقتي ... وأنـت مـنـاجـاتي الخـفـيّـة تـسـمـعُ

إلهي حليفُ الحب بالليل ساهر ... يناجي ويبكي والغَفُول يهجَّعُ
إلهي لئن تعفو فعفوك منقذي ... وإني يا رب الورى لك أخضعُ

◘ وأخيراً:

وما لي غير باب اللَّه بابٌ ... ولا مولى سواه ولا حبيب
كريم منعم بر لطيف ... جميل الستر للداعي مجيب

واللَّه إن دعاءً يُرفع إلى المنان الودود الكريم.. تسح معه الدمع على الوجنات.. في الخلوات والأسحار من قلب حاضر خاشع يسأل ربه الثبات، ويعوذ به من العثار.. لحريّ أن تُفتّح له أبواب السماوات.

١٢ـ التفكر:

◘ قال الحسن البصري: أوصيكم بتقوى اللَّه وإدمان الفِكْر، فإن الفكر أبو كل بر وأمه، مفتح خِلال الخير كله، وبه يحضر تسديد اللَّه عز وجل كل موفق.

◘ وقال سفيان بن عيينة: التفكر مفتاح الرحمة، ألا ترى أنه يتفكر فيتوب؟!

◘ وقال أبو سليمان الداراني: «إنما يُعاينون إذا تفكّروا».

أي: يصلون إلى مرتبة الإحسان، كأنهم يؤمنون بعد مشاهدتهم للَّه ومعاينته.

◘ قال ابن القيم: الفكرة فكرتان: فكرة تتعلق بالعلم والمعرفة، وفكرة تتعلق بالطلب والإرادة.

فالتي تتعلق بالعلم والمعرفة: فكرة التمييز بين الحق والباطل، والثابت والمنفي.

والتي تتعلق بالعلم والإرادة: هي الفكرة التي تميّز بين النافع والضار.

ثم يترتب عليها فكرة أخرى في الطريق إلى حصول ما ينفع فيسلكها، والطريق إلى ما يضرّ فيتركها.

«فهذه ستة أقسام لا سابع لها، هي مجال أفكار العقلاء»[1].

❏ قال الحسن: التفكر مرآة تريك حسناتك وسيئاتك.

❏ وقال وهب بن منبه: «ما طالت فكرة امرئ قط إلا فهم، وما فهم امرؤ قط إلا علم، وما علم امرؤ قط إلا عمل»[2].

❏ وقال خليفة العبدي: واللَّه ما زال المؤمنون يتفكرون فيما خلق ربهم تبارك وتعالى حتى أيقنت قلوبهم بربهم عز وجل، وحتى كأنما عبدوا اللَّه تبارك وتعالى عن رؤية.

فإذا تفكر المرء في طريقه وغايته ومآله وربه، والحياة وزوالها وسرعة انقضائها ووازن بين الثبات والنكوص، أو قارن بين الثبات والذبذبة، وما له وما عليه استقام على الدرب.

١٣ ـ مجاهدة النفس:

* قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

من حسّنَ ظاهره بالمجاهدة زين اللَّه باطنه بالمشاهدة.

جاهد بقلبك قبل جوارحك. . جاهد لتكن عبد اللَّه وحده، فحقيقة

(١) «مدارج السالكين» (١/١٤٦).

(٢) «العظمة» لأبي الشيخ الأصبهاني ص(٢٢١ ـ ٢٢٢) ـ دار العاصمة ـ الرياض.

الحرية في كمال العبودية.

قل لقيود الأرض وزخرفها: لا، لا يا قيود الأرض، فالملك يدعوني إلى جواره في فردوسه.. فجاهد نفسك يا أخي تثبت على الطريق وتصل إلى الشرف كل الشرف.

❑ قال بشر بن الحارث: «لا تجد حلاوة العبادة حتى تجعل بينك وبين الشهوات حائطًا من حديد».

❑ وقال أبو سليمان الداراني: أفضل الأعمال خلاف هوى النفس.

❑ وقال عمر بن عبد العزيز: أفضل الأعمال ما أُكرهت عليه الأنفس.

❑ وقال السري السقطي: لن يكمل رجل حتى يُؤثر دينه على شهوته، ولن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه.

❑ وقال السري أيضًا: أقوى الفتوة: غلبتك نفسك.

❑ وقال أحمد بن خضرويه: أَمِتْ نفسك تُحييها.

❑ وقال حاتم الأصم: الموت الأحمر مخالفة النفس.

*** نعم يا أخي:**

من صبر على مخالفة نفسه أوصله اللَّه إلى مقام أُنسه. إن أهل الحزم يعوّدون أنفسهم مخالفة هواها وإن كان مباحًا، ليقع التمرين للنفس على ترك الهوى مطلقًا.

والنفس كالطفل إن تهمله شب على ... حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

يجاهد العبد نفسه اللوّامة حتى تستقيم على شرع اللَّه وطريقه، وتصير نفسًا مطمئنة تلزم أمر اللَّه عز وجل..

◻ مرّ الجنيد برجل يقول:

منازل كنت تهواها وتألفها ... أيام أنت على الهوى منصورُ

فبكى الجنيد بكاءً شديدًا وقال: «ما أطيب منازل الألفة والأنس، وأوحش مقامات المخالفة، لا أزال أحنّ إلى أول بدء إرادتي وجدّة سعيي»

فلو شريت بعمري ساعة سلفتْ ... من عيشتي معكم ما كان بالغالي

◻ قال أحد الصالحين: كنت اثنتي عشرة سنة حدّاد نفسي، وخمسين سنة مرآة قلبي، ولقد أحببت اللَّه حتى أبغضت نفسي.

ومجاهدة النفس قد تشق، ولكنها طريق أكيد للثبات.

● عن فضالة بن عبيد ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«المجاهد من جاهد نفسه في اللَّه»**[1].

● وعن ابن عمرو ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجرُ مَنْ هجر ما نهى اللَّه عنه»**[2].

✍ إن فتنة النفس والشهوة، وجاذبية الأرض والدَّعة والاطمئنان، وصعوبة الاستقامة على صراط الإيمان والاستواء على مرتقاه، مع المعوّقات والمثبطات في أعماق النفس هي الفتنة الكبرى.

والنفس تصهرها المجاهدة، فتنفي عنها الخبث، وتستجيش قواها المذخورة فتستيقظ وتستقيم على الطريق.

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي، وابن حبان، وأحمد، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦٦٧٩).

(٢) رواه البخاري، وأبو داود، والنسائي، وأحمد، والدارمي، والطيالسي.

١٤- العلم والبصيرة:

العلم يورث صاحبه الثبات.. والسالك على حسب علمه تكون معرفته بالزيادة والنقصان في حاله وإيمانه.

وبالعلم يُميِّز العبد بين الحق والباطل، والصدق والكذب، يميِّز بين ما يحبه اللَّه وما يبغضه من الأعيان والأقوال والأعمال، ويميِّز بين الخبيث والطيب، ويعرف عيوب النفس، وآفات الأعمال العائقة عن سلوك طريق المرسلين.

✍ والبصيرة نور في القلب يُبصر به الوعد والوعيد والجنة والنار، فيُفتح في قلبه عين يرى بها ذلك، ويقوم بقلبه شاهد من شواهد الآخرة يريه الآخرة، ودوامها، والدنيا وسرعة انقضائها.

والبصيرة نور يقذفه اللَّه في القلب، يرى به حقيقة ما أخبرت به الرسل، كأنه يشاهده رأي عين، فيتحقق مع ذلك انتفاعه بما دعت إليه الرسل.

وبالعلم تزول الشبهات التي تثبّط الإنسان وتعرقل سيره إلى اللَّه عز وجل فيثبت.

١٥- علو همة السالك:

«لا يزال العبد مقرونًا بالتواني، ما دام مقيمًا على وعد الأماني» قالها يحيى بن معاذ، ولِلَّه دره.. وما اختار أحد الأماني تقوده إلا كان أثقل ما يكون خطوًا، ووجد ثمَّ السراب الخادع، وعَدِم الماء وقت العطش، وأما المضيء النفس، ومَن لا أمنية له من الدعاة، فإنك تجده سبّاقًا إلى الخير إلى كل خيرٍ أبدًا، وتجده على ريٍّ دومًا، فإنه إن كان

ذا قوة استسقى لنفسه أو استسقى لغيره، فيجيبه اللَّه بهطل من السماء، وإن كان مستضعفًا وجد وَرِيثًا لموسى عليه السلام يسقي له ويزاحم الرعاع»[1].

والسير مع الهمم العالية لا زال هو الطريق المعبد الوحيد في خارطتنا للثبات، أما الجبن والانزواء والتأوه فصحاري مهلكة وذبذبة وتأرجح، لا ترضى بها نفس عالي الهمة.

فمن لا تنهض به همته لا يزال في حضيض طبعه محبوسًا، وقلبه عن كماله الذي خُلِق له مصدودًا مذبذبًا منكوسًا، قد أسمت نفسه مع الأنعام، راعيًا مع الهمل، واستطاب لقيمات الراحة والبطالة، واستلان فراش العجز والكسل، لا كمن رُفِع له علم فشمّر إليه، وبورك له في تفرده في طريق طلبه فلزمه واستقام عليه، قد أبت غلبات شوقه إلا الهجرة إلى اللَّه ورسوله، ومقتت نفسه الرفقاء إلا ابن سبيل يرافقه في سيره.

✍ إن حياة النفس في السموّ، ونجاتها في العلو، بل نجاة الأمم. والهمة مقدمة الأشياء، فمن صلحت له همته وصدق فيها، صلح له ما وراء ذلك من الأعمال، ويمثل لها ابن القيم بمثل لطيف فيقول:

«مثل القلب مثل الطائر، كلما علا بَعدُ عن الآفات، وكلما نزل احتوشته الآفات»[2].

فكما أن الاستعلاء بالهمة يُبقي القلب نظيفًا بريئًا من المعنى الخسيس، مشغولاً بالعظام، فإنه يقي القلب من الآفات والأمراض

(١) «الرقائق» لمحمد أحمد الراشد ص(٤٥ ـ ٤٦).

(٢) «الجواب الكافي» لابن القيم ص(٧٠).

وسهام الشيطان، والمنازل العالية والأماني الغالية تحتاج إلى همم موّارة وعزائم جبّارة.

فكن رجلاً رحله في الثرى ... وهامة همّته في الثريا

✍ ألا فليهنأ أرباب الهمم، وصفوة الأمم - بطيران أرواحهم إلى مراقي الصعود، ومطالع السعود، ومراتب الخلود، فليهنئوا بالثبات على الطريق بل ووصول القمم.. وليخسأ العاكفون على غفلاتهم في الذبذبة والحضيض، فلن يشفع لهم عند ملكوت الفضل نومهم العريض، وقل لهؤلاء الراقدين: ﴿ **إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ** ﴾.

لا بد للهمم المتوثبة أن تنال مطلوبها.. ولا بَدَلَ للعزائم المتوثبة أن يثبت أصحابها وتدرك مرغوبها، سنّة لا تتبدل، وقضية لا تتحول.

سوف تأتيك المعالي إنْ أتيْتَا ... لا تقل سوف عسى أينَ وليْتا

✍ فالعذاب بالهمة عذب، والهمة توقد القلب، واستسهال الصعب، وركوب الخطب.

ومن عنده همة عارمة وعزيمة صارمة، اقتحم بها سور المعالي، وصار ثباته على دينه قصة الليالي.

١٦- معرفة قيمة النفس:

من عرف قدر نفسه ونفاستها وأنه يثامن بها ربها لا يرضى لها ثمنًا دون الجنة.. لا يرضى لها الحضيض، وصفات تتفق مع ثقلة الأرض التي تلصقها بالتراب فلا تنطلق ولا ترتفع، وإنما تهبط بهم ثقلة المطامع والرغائب والضعف والخور إلى صفات مهينة من الذبذبة، والأرجحة، والاهتزاز وعدم الاستقرار.. صفات رزية تثير الاحتقار والاشمئزاز،

والضعف الذاتي.

✍ من عرف قيمة نفسه علم أنه في الخليقة شيء آخر لا يشبهه أحد، فيرفع قيمته ويغلي ثمنه بعمله الصالح وبثباته، لتكون قيمته غالية عالية.

✍ يا هذا، عندك بضائع نفيسة؛ دموع ودماء، وأنفاس وحركات، وكلمات ونظرات؛ فلا تبذلها فيما لا قدر له. أيصلح أن تبكي لفقد ما لا يبقى؟ أو تتنفّس أسفًا على ما يفنى؟ أو تبذل مهجة لصورة عن قليل تمحى؟ ويحك!! دمعة منك تُطفئ غضب ربك، وقطرة من دم في الشهادة تمحو زللك، ونَفَس أسف ينسِف لك ما سلف، وخطوات في مرضاتهم تغسل الخطيئات، وتسبيحة تغرس لك أشجار الخلد في الجنات، ونظرة بعبرة تثمر الزهد في الفاني.

✍ يا من هو من أرباب الخبرة، هل عرفت قيمة نفسك؟! إنما خُلِقت الأكوان كلها لك، يا مَنْ غُذِّي بلبان البِّر وقُلِّب بأيدي الألطاف، يا زرعًا تهمي عليه سحائب الإنعام؛ كل الأشياء شجرة وأنت الثمرة، وصورة وأنت المعنى، وصَدَف وأنت الدرّ، ومخيض وأنت الزبد، لو عرفت قدر نفسك عند مولاك ما أهنتها بالأرجحة.

١٧ـ الغيرة:

على قدر الغيرة يكون ثبات من ثبت. غيرة العبد من نفسه على نفسه، كغيرته من نفسه على قلبه، ومن تفرقته على جمعيّته، ومن إعراضه على إقباله، ومن صفاته المذمومة على صفاته الممدوحة.

وغيرته لربه ولمحارمه أن تنتهك، وغيرته لدينه أن يصبح مزقًا بأيدي أصحاب الأهواء، حين تصح غيرته ويصدق فيها يبذل النفس والنفيس ويستقيم على الدرب.

وحين يتتكس الإنسان ولا يغار لربه ودينه ونفسه يهوي إلى الدرك الذي لا يبلغ إليه مخلوق قط، حين تصبح البهائم أرفع منه وأقوم، حين يرتكس مع هواه إلى درك لا تملك البهيمة أن ترتكس إليه، يرتكس في المنحدر الهابط إلى أسفل سافلين، ويتمخض للسفول، وإذا ماتت فيه الغيرة على نفسه وعلى المحارم، يصبح أسفل من البهائم.

١٨ـ التوكل على الله عزوجل:

● عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصًا وتروح بطانًا**[١]»[٢].

✍ وأهم الرزق رزق القلوب فهو أولى من رزق الأبدان، ومنه الثبات على الدين، وإن كان التوكل مركب من مجموع أمور. منها معرفة العبد بالرب وصفاته من قدرته وكفايته، وقيوميَّته، وانتهاء الأمور

(١) خماصًا: أي: ضامرة البطون من الجوع، وبطانًا: أي: ممتلئة البطون.

(٢) صحيح: أخرجه ابن المبارك في «الزهد»، والطيالسي في «مسنده»، والترمذي، وابن ماجه والنسائي في «الكبرى»، وأبو نعيم في «الحلية»، والبغوي في «شرح السنة»، وأخرجه أحمد في «المسند»، والفسوي في «المعرفة»، وابن حبان، والحاكم، وصححه، ووافقه الذهبي، والبيهقي في «الشعب»، وأخرجه أبو نعيم في «أخبار أصفهان»، وصححه المناوي في «التيسير»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥٢٥٤)، و«الصحيحة» رقم (٣١٠).

إلى علمه، وصدورها عن مشيئته وقدرته، ولا يصح توكل العبد حتى يصح له توحيده، بل حقيقة التوكل توحيد القلب، واعتماد القلب على اللَّه واستناده إليه وسكونه إليه، وحسن الظن باللَّه عز وجل، واستسلام القلب له، وانجذاب دواعيه كلها إليه.

✍ وانظر إلى أعلى التوكل وهو توكل الأنبياء في نصرة دين اللَّه ودفع فساد المفسدين - وهو توكل ورثتهم أيضًا - كيف يجعل الإنسان جبلاً راسيًا شامخًا.

✍ وللَّه در الخليلين إبراهيم ومحمد - صلى اللَّه عليهما وسلم -.

● عن ابن عباس - رضي اللَّه عنهما - قال: حسبنا اللَّه ونعم الوكيل، قالها إبراهيم ﷺ حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا له: ﴿**إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**﴾ [آل عمران: ١٧٣].

✍ عندما يتوكل القلب على اللَّه، ويتصل باللَّه، وينفض يده من كل الأشباح الزائفة والأسباب الباطلة للنصرة والحماية والالتجاء، ويتوكل على اللَّه وحده يأتي نصر اللَّه وفرجه.

✍ يتوكل المؤمن على اللَّه وحده، وهو مطمئن إلى موقفه وطريقه، مالئ يديه من وليه وناصره، يعلم أن اللَّه الذي يهدي السبيل لا بد أن ينصر ويعين ويثبت، يحس القلب أن عناية اللَّه سبحانه تقود خطاه وتهديه السبيل.

وهذه حقيقة تستشعرها القلوب، حقيقة الارتباط في قلب المؤمن بين شعوره بهداية اللَّه وبين بديهية التوكل عليه..

* قال تعالى: ﴿**وَمَا لَنَا أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ**

عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [إبراهيم: ١٢].

✍ تستشعر القلوب التي تسير على درب اللَّه وترجو رحمة اللَّه وعنايته وهي تفتح كوى النور، فتبصر الآفاق المشرقة، وتستروح أنسام الإيمان والمعرفة، وتحسّ الأنس والقربى، فلا تتخلى عن دربها والتزامها، وماذا يخاف القلب الموصول باللَّه على هذا النحو؟!

* ﴿ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا ﴾ لا نتزحزح، ولا نضعف، ولا نتراجع، ولا نهن، ولا نتزعزع، ولا نشك، ولا نفرّط، ولا نحيد.

* ولعل في الموقف الباهر لنبي اللَّه هود ﷺ الفهم كل الفهم لمعنى التوكل في أبهى صوره ﴿ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَابَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [هود: ٥٤ ـ ٥٥].

✍ حين يستيقن العبد أن ربه آخذ بناصية كل دابة، وأن الناس ـ كل الناس ـ إن هم إلا دوابّ من الدواب، وأن اللَّه عز وجل يُعطي ويسلب حين يشاء كيف يشاء بعموم قدرة، وكمال ملك، وتمام حكمة وعدل وإحسان، يملك العبد حينئذ أن يقف بإيمانه في استعلاء أمام كل قوى الأرض ويرسخ إيمانه ويشتد ويثبت.

✍ انظر إلى أم إسماعيل ـ رحمها اللَّه ـ تقول لخليل الرحمن إبراهيم حين وضعها عند البيت: يا إبراهيم، أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي، الذي ليس فيه إنس ولا شيء؟ آللَّه أمرك بهذا؟ قال: نعم. قالت: إذن لا يضيعنا.

✍ وقالتها لجبريل حين قال لها: إلى مَن وكلكما؟ قالت: إلى اللَّه. قال: وكلكما إلى كاف. لا تخشي الضيعة، إن اللَّه لا يضيع أهله.

وورثت أم إسماعيل منارة التوكل العظيمة هذه إلى الأمة، «هذا ما أورثتكموه أم إسماعيل»، وهبّت رياح نسمات التوكل على القلوب فملأتها إيمانًا ويقينًا.

١٩ ـ الحياء أكبر عون على الثبات:

والحياء من أعظم وسائل الثبات.. حياء يتولد من علم العبد بنظر الحق إليه، فيجذبه إلى تحمل المجاهدة، ويحمله على استقباح الجناية، وهذا الاستقباح قدر زائد على استقباح ملاحظة الوعيد، وهو فوقه.

وفوق هذا الحياء حياء يتولد من النظر في علم القُرْب، تحقق القلب بالمعية الخاصة مع اللَّه، فيدعوه إلى ركوب المحبة، ويربطه بروح الأنس، ويُكرّه إليه ملابسة الخلق.

إذا انجذب الروح والقلب من الكائنات، وعكف على رب البريات فلا يخطر بباله في تلك الحالة سوى اللَّه وحده.. فيا لها من جمعيّة على اللَّه ما أحلاها!

✍ الحياء من اللَّه عز وجل يجعل العبد لا يضيّع فريضة، ولا يرتكب خطيئة، لعلمه أن اللَّه يراه، وأنه لا بدّ أن يقرّره يوم القيامة على ما عمله، فيخجل ويستحيي من ربه.

✍ فيا سوأتاه ويا خجلاه من ربه حين يراه لا يثبت على طريقه، ولا يرعى عهده معه، ويجعله أهون الناظرين إليه.

✍ من استحيا من اللَّه حق الحياء، فليحفظ الرأس وما وعى،

والبطـن وما حوى، وليذكر المـوت والبلى، ومن أراد الآخرة تـرك زينة الدنيا، من فعل ذلك فقد استحيا من اللَّه حق الحياء.

✍ من أراد اللَّـه تعالى عمـل على إجلال الـلَّه وتعظيـمه، ورفض جميع ما سواه، استحياءً منه، بحيث لا يرى إلا إياه.

يـا مَـن يُـشِـيـرُ إليـهـمُ المتـكـلـمُ	وإلـيـهـم يـتـوجـه المـتـظـلّـمُ
وشغلتمُ كـلـمي بكم وجوارحي	وجـوانـحـي أبـدًا تحـنّ إلـيـكـمُ
وإذا نـظرتُ فلستُ أنظرُ غيركمْ	وإذا سـمـعتُ فـمنكـمُ أو عـنكـمُ
وإذا نطقت ففي صفات جمالكمْ	وإذا سـألـتُ الـكـائنـات فـعـنكـمُ
وإذا رَويتُ فـمِن طَهُـور شرابـكـمْ	وبـذكـركـم فـي خـلـوتـي أتـرَنَّـمُ

* * *

✍ والاستحيـاء من الملائكة.. بإكـرامهم وإجلالهم أن يـروا العبد متأرجحًا لا يثبت في طريق اللَّه عز وجل، ولا يوفي بحق مولاه وعهده مع ربه، يقول للـملائكة على الدوام: أهلاً بملائكـة ربي.. لا أعدمكم هذه اللحظة خيرًا.

✍ ويستحيي من نفسه أن يراهـا على الحقير من الأمور.. لا ترعى للَّه عهدًا ولا تتحلى بجميل ما أمر اللَّه به.

✍ ويستحـيي من الناس ومن صـالحي الأمة أن يروه بعيـدًا عنهم، راغبًا عن طريقهم..

✍ قالت الـسيدة عائـشة ـ رضي اللَّه عـنها ـ: الحيـاء رأس مكارم الأخلاق.

والحياء العلم الأكبر، وإذا ذهب الحياء من القلب لم يبق فيه خير.

🖎 يحفظ العبد حتى خواطره حياءً من اللَّه عز وجل، ويستحيي من اللَّه في خلوته، ولا ينظر إلى صغر الخطـيئة، ولكن ينظر إلى كبرياء من واجهه بها. ولا يعمل سرًّا يُفتضح به يوم القيامة.

٢٠ـ المراقبة للّه عزوجلّ:

وهي ثمرة علـمه بأن اللَّه سبحانـه رقيب عليه، ناظر إلـيه، سامع لقوله، مـطّلع على عمله كـل وقت وكل لحظة، وكل نَفَـس وكل طرفة عين، والغافل عن هذا بمعزل عن الطريق المستقيم.

والسالك يحفـظ مع اللَّه الأنفاس، ويخلص سره وعلانـيته للَّه عز وجل.

ومراقبة الحق على دوام الأوقات أفضل الطاعات.. حفظ السرائر، فإنه مطلع على الضمائر.

◻ قال الجنيد: قـال لي إبراهيم الآجري ـ رحمه الـلَّه ـ: يا غلام، لِئن تردَّ من همّك إلى اللَّه ذرة، خير لك مما طلعت عليه الشمس.

يتعـبد العبد لربـه بأسمائه الـرقيب، الحفيـظ، السميع، العـليم، الخبير، المحصي، البصير، الشهيـد.. فمن عقل هذه الأسماء وتعبّد بها حصلت له المراقبة.

فالمراقبة أن يصير الغالب على العبـد ذكْره بقلبه أن اللَّه مطلع عليه على الدوام؛ فيخاف سطوات عقوبته في كل نَفَس، ويهابه في كل وقت.

كـأن رقيـبًا منـك يـرعى خـواطري وآخـر يـرعـى مـهـجـتـي ولـسـانـي

مراقبة قبل العمل، ومراقبة في العمل.

مراقـبته فـي الطاعـة: بالإخلاص، والـكمال، ومـراعاة الأدب، وحراستها عن الآفات.

❑ قال محمد بن علي الترمذي: اجعل مراقبتك لمن لا تغيب عن نظره.

❑ قال عامر بن عبد قيس: ما نظرتُ إلى شيءٍ إلا رأيت اللَّه تعالى أقرب إليه مني.

❑ قال الجنيد: اعلم أن اللَّه عز وجل يقرب من قلوب عباده على حسب ما يرى من قُرب قلوب عباده منه، فانظر ماذا يقرب من قلبك.

٢١ـ التربية:

التربية الإيمانية العلمية الواعية المتدرجة عامل أساسي من عوامل الثبات.

التربية الإيمانية: التي تحيي القلب والضمير بالخوف والرجاء والمحبة المنافية للجفاف الناتج من البعد عن نصوص القرآن والسنة، والعكوف على أقاويل الرجال.

التربية العلمية: القائمة على الدليل الصحيح، المنافية للتقليد والإمعية الذميمة.

التربية الواعية: التي تعرف سبيل المجرمين، وتدرس خطط أعداء الإسلام وتحيط بالواقع علمًا، وبالأحداث فهمًا وتقويمًا، المنافية للانغلاق والتقوقع على البيئات الصغيرة المحدودة.

التربية المتدرّجة: التي تسير بالمسلم شيئا فشيئاً، ترتقي به في مدارج كماله بتخطيط موزون، والمنافية للارتجال والتسرع والقفزات المحَطِّمة»[1].

---

(١) «وسائل الثبات على دين اللَّه» ص(١٩).

بهذه التربية العميقة من مشكاة النبوة ثبت بلال وخباب ومصعب وخبيب وآل ياسر. . ثبتوا وضربوا أروع الأمثلة في تاريخ البشرية وسجّلوا صمودًا في دنيا الواقع أغرب من الخيال. . في حين لم يصمد مسلمة الفتح وحديثو العهد بالإسلام يوم حنين. . ولم يثبت إلا أصحاب السمرة حين سمعوا صوت مربيهم: أنا النبي لا كذب. . أنا ابن عبد المطلب.

ولا بد في التربية أن يربى العبد على مزج العلم بالعمل وقرنهما معًا، وإحياء الربانية في هذه الأمة، فالعلم يهتف بالعمل فإن أجابه حلّ وإلا ارتحل. . ولا يكون الإنسان مثل الإبرة يكسو الناس وهو عريان أو كالشمعة يضيء للناس ويحرق نفسه. . والناس في حاجة إلى من يصدق قوله فعله بعيدًا عن التشدق والتفيهق والثرثرة من غير ما عمل.

* ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ** ﴾ [الصف: ٢، ٣].

وهذا توجيه أخلاقي دقيق نظيف لضمير المسلم وشخصيته يليق بمن يقوم أمينًا على منهج اللَّه في الأرض. . وأفضل الأمر استواء العلانية والسر والباطن والظاهر. . حتى لا يصاب الإنسان بالانفصام بين واقعه ومثله وعلمه فيخسر نفسه قبل أي شيء. . يخسر طمأنينته وقراره. . وثقته بطريقه.

٢٢- تدبر الأسماء والصفات والتعبد للَّه بمقتضاها:

العلم بأسماء اللَّه وصفاته أشرف العلوم، والتعبد للَّه بها يورث العبد اليقين. . والثبات على دين اللَّه. . يقف الإنسان طويلاً أمام آيات اللَّه ويتدبرها: ﴿ **أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ** ﴾. . ﴿ **وَهُوَ**

﴿الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾، وقوله: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾، وقوله: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾، وقوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾، وقوله تعالى: ﴿مَّا مِن دَابَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾، وقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ﴾، وقوله: ﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾. يعلم أن الأمر كله للَّه، ولا يكون في الكون إلا ما يشاء رب العالمين.

يتدبر الإنسان أسماء اللَّه الحسنى: الفتّاح، الوهاب، الرزاق، والمعطي، والمحسن، والمعز المذل، والخافض الرافع، يرى العبد سعة رحمة ربه، وتمام كفايته وحسن ولايته له، وأسماؤه: «الرقيب، الحفيظ السميع، العليم، الخبير، البصير، الشهيد، المحصي، الوكيل، والقوي، والمتين، والأول، والآخر، والجميل.. وغيرها إذا تعبد العبد بمقتضاها كملت سعادته وأفلح، وجرت ينابيع المعرفة من قلبه على جوارحه.. فسلّم أموره كلها إلى البصير الكافي الودود، وأخبت لربه وتبتل.

٢٣ـ ممارسة الدعوة إلى الله عز وجل:

الدعوة إلى اللَّه عز وجل أحسن كلمة تقال في الأرض، وتصعد في مقدمة الكلم الطيب إلى السماء مع العمل الصالح.. وصاحبها هو حبيب اللَّه وهو ولي اللَّه.

أنـت كـنـز الـدُّرِّ والـيـاقـوت فـي لُـجَّـةِ الـدنـيـا وإنْ لـم يـعـرفُـوكَ
مَـحْـفَـلِ الأيـام فـي شـوقٍ إلـى صَوتِكَ العالي عساهم يسمعوك

والدعوة لرئة الأحياء هواء، ولكبد الدنيا ماء.

قال ابن القيم: «مقام الدعوة إلى اللَّه أشرف مقامات التعبّد».

والمبلّغون ما أمر الرسول ﷺ من خلفاء الرسول ﷺ في أمته، لهم من حفظ اللَّه وعصمته إياهم بحسب قيامهم بدينه، وتبليغهم له.

وتبليغ السنن لا تقوم به إلا ورثة الأنبياء، وهو أفضل من تبليغ السهام إلى نحور العدو، وهو جهاد الخاصة، وممارستها تحتاج إلى طهارة القلب والخلق والعمل، فمزاولة الدعوة في وسط التيارات والأهواء والمداخل والدروب، وما يصاحب هذا ويلابسه من أدران ومقاذر وأخلاط وشوائب، تحتاج من الداعية إلى الطهارة الكاملة كي يملك استنقاذ الملّوثين دون أن يتلّوث، وملابسة المدنسين من غير أن يتدنس.

والداعية إلى اللَّه كالطبيب يحارب المرض بخبرته وعلمه، وبمحاربته في الآخرين، فهو أبعد من غيره عن الوقوع فيه و«النفس إن لم تتحرك تأسن، وإن لم تنطلق تتعفن، ومن أعظم مجالات انطلاق النفس: الدعوة إلى اللَّه، فهي وظيفة الرسل، ومخلّصة النفس من العذاب، فيها تتفجّر الطاقات، وتنجز المهمات.

والدعوة إلى المنهج الصحيح، ببذل الوقت، وكدّ الفكر، وسعي الجسد، وانطلاق اللسان، بحيث تصبح الدعوة همّ المسلم وشغله الشاغل ـ تقطعُ الطريق على محاولات الشيطان بالإضلال والفتنة»[1].

---

(١) «وسائل الثبات» ص(٢٣ ـ ٢٤).

✍ الدعاة إلى اللَّه عز وجل يقدّمون الكثير، ويبذلون للدعوة الكثير، ويلقون الكثير من الجهد والتضحية والعناء، يستقيمون على الدرب، بقدر استقامتهم على الدعوة، وهذه الدعوة لا تستقيم في نفس تحس بما تبذل فيها، فالبذل فيها من الضخامة، بحيث لا تتحمله النفس إلا حين تنساه، بل حين لا تستشعره من الأصل؛ لأنها مستغرقة في الشعور باللَّه، شاعرة بأن كل ما تقدمه هو من فضله وعطاياه ولذا يفترشون الغبراء، ويلتحفون السماء.

وَمُشَتَّت العزمات لا يأوي إلى سكن ولا أهل ولا جيران
ألف النَّوَى حتى كأن رحيله للبيْن رحْلَته إلى الأوطان

✍ «زد على ذلك ما يحدث في نفس الداعية من الشعور بالتحدي تجاه العوائق، والمعاندين، وأهل الباطل، وهو يسير في مشواره الدعويّ، فيرتقي إيمانه، وتقوى أركانه».

والدعوة إلى اللَّه عز وجل معركة شاقة.. معركة مزدوجة مع شهوات النفوس وأهواء القلوب، ومع أعداء الدعوة الذين تقودهم شياطين الشهوات، وتدفعهم شياطين الأهواء، وهي معركة طويلة عنيفة تصقل روح الداعية إنها ليست تطوعًا يتقدم به صاحب الدعوة، وليست لذة ذاتية في حمل الهدى والخير للناس، إنما هو الأمر العلوي الذي لا يمكن التفلّت عنه ولا التردد فيه، لا يصلح له من يصمت ويتخارس، ويظلّ الأخرس قلقًا أبدًا، محرومًا من الطمأنينة والسكينة الإيمانية، فإنها حكر خالص لأصحاب اللسان الناطق بالحق. من ذا يقاتل العدو غير الدعاة، ومَن يردّ كيد الصهيونية والماسونية، والشيوعية الإلحادية غيرهم؟ فالدعاة إلى اللَّه مجاهدون مهاجرون أبدًا.

الداعي إلى اللَّه يرفع للخير راية، ويكبّر تكبيرًا يُنبِّه ويوقد نارًا تلفت، يبصرها أهل الخير، وينوي المرابطة للدعوة، فهذه أرض الإسلام لا تُترك لغيره. إن في أنفس الدعاة ومن حولهم نزوعًا إلى العلاء، وشغفًا بالارتقاء، وحنينًا إلى المكارم، وشوقًا إلى العظائم.

إن في أرض الإسلام جمرة يغطيها الرماد، وشرارة يقدحها الزِّناد، فإن وجدت نافخًا في جمرها، وقادحًا لشررها، استيقظت، وتحفّزت وعملت، وصعدت، وكلما زادت لذة العمل والرقي، زادت حبًّا له وهيامًا به وقلوب الدعاة تضيء لهم وللسالكين، وتتوقد شوقًا للعمل لدين اللَّه قلوب الأحرار لا أنوار الثريات.

تنصب خيمتك في صحراء جاهلية القرن العشرين، وتضرم نارك ليراها التائهون والمنقطعون فيقصدونها وينزلون خيمتك.. وتنادي بنات عزائمك لُبينى وسعدى.. وعزة.. ليزدن لهب النار.

يا لُبينى أوقدي طال المدى	أوقدي علَّ على النار هُدَى
أوقدي يا لُبْنَ قد حار الدليل	أوقدي النار لأبناء السبيل
ارفعي النار وأذكي جمرها	علّ هذا الركب يعشو شطرها
شرّدي هذا الظلام الجاثما	أرشدي هذا الفراش الهائما
حَبّذا النار بليل توقدُ	حَبّذا المُؤنِس هذا الموقِدُ
حبذا عندك هذا النُّزُلُ	لو حوانا في سفارٍ منزلُ
مَا لذا المنزلِ قد سار الفريقْ	إنما النيران أعلامُ الطريقْ
زوّدينا بهُيام ووجيب	زوّدي يا لُبْنَ من هذا اللهيبْ[1]

(١) لعزام من قصيدة «اللمعات» التي ألحقها بترجمته لديوان «رسالة المشرق» لإقبال.

✍ وفوق هذا كله الدعوة إلى اللَّه ونصرة رسوله بيعة مع اللَّه وعهد معه، ورحم اللَّه الزاهد جعفر الخالدي حين قال: «ما عقدتُ للَّه على نفسي عقدًا فنكسته»، وللدعاة في عهودهم سمت الوفاء. فكيف بعهدهم مع اللَّه؟!

٢٤ـ مصاحبة ذوي الهمة العالية والالتفاف حول العناصر المثبتة:

✍ يصحب الإنسان في سيره إلى اللَّه عز وجل من يحمله في سيره إلى اللَّه عز وجل ويطير به طيرانًا لا من يحمله هو ويعوقه في سيره إلى اللَّه.

ولا تتخذ بالسير رفقة قاعد ودعه فإن الشوق يكفيك حاملا

ومن أراد الثبات يحتاج إلى قمم تثبته عند النوازل والخطوب.

✍ انظر إلى الصحابة وهم أفذاذ الرجال والقمم السامقة كيف احتاجت إلى الصّديق ليعلمها الثبات عند موت رسول اللَّه ﷺ وفتنة الردّة، وانظر إلى الأمة كيف احتاجت إلى الإمام أحمد يتحمل عنها عبء هذه المحنة العظيمة.. حتى قال علي بن المديني: «إن اللَّه أعز الإسلام برجلين لا ثالث لهما: أبو بكر يوم الردة، وأحمد بن حنبل يوم المحنة».

✍ وابن تيمية تكالب عليه أهل البدع وسُجن فما رجع، خوّفوه السلطان، وأخرجوه من الأوطان، فما لانت له عريكة، وما ذابت له سبيكة، كان يرهب الملوك، وهو الذي يتواضع لكل مسكين وصعلوك، له ثبات كأن الموت عنده عطية، والهلاك مطية، والمنيّة هدية.. بطل هزّ

الدول، وأتبع القول العمل.

رأيته فرأيت الناس في رجل   كالفجر في شرف والدُّرُّ في صدف
حروفُه كشعاعِ الشمس لوْ قطرت   ألفاظهُ قلتَ هذا الزهر في ترفِ

✍ ما نقول في رجل جنته في صدره: قرآنه وذكره، أينما راح فهي معه، يقول: «ما يصنع أعدائي بي.. أنا جنتي وبستاني في صدري، أينما رحت فهي معي.. إن معي كتاب اللَّه وسنة رسوله.. إن قتلوني فقتلي شهادة، وإن نفوني عن بلدي فنفي سياحة، وإن حبسوني فأنا في خلوة مع ربي.

☐ يقول عنه ابن القيم: «كان أطيب الناس عيشًا، وأشرحهم صدرًا، وأقواهم قلبًا، وأسرّهم نفسًا، تلوح نضرة النعيم على وجهه، وكنا إذا اشتد بنا الخوف، وساءت منا الظنون، وضاقت بنا الأرض أتيناه، فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه، فيذهب ذلك كله، وينقلب انشراحًا وقوة ويقينًا وطمأنينة»(١).

☐ يقول يحيى بن معاذ الرازي: «وليّ اللَّه ريحان في الأرض، فإذا شمّه المريدون ووصلت رائحته إلى قلوبهم اشتاقوا إلى ربهم»(٢).

● قال رسول اللَّه ﷺ: **«أولياء اللَّه الذين إذا رُئوا ذُكِر اللَّه تعالى»**(٣).

إن كان هذا في رؤية وجوههم فكيف بجوارهم وسماع كلامهم؟!

---

(١) «الوابل الصيب» ص(٧٦).
(٢) «تنبيه المغترين» للشعراني ص(١٧).
(٣) حسن: رواه الحكيم عن ابن عباس، والطبراني في «الكبير»، والمروزي، وأبو نعيم، والضياء، وابن المبارك عن سعيد بن جبير مرسلاً، وحسّنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (٢٥٥٤).

❑ قال عبد اللَّـه بن المبارك شيخ الإسلام: «إذا نظرت إلى الفضيل جدّد لي الحزن، ومَقَتُّ نفسي، ثم بكى»[1].

❑ وقال الفضيل: «نظر المؤمن إلى المؤمن يجلو القلب».

فطوبى لمن اتخذ ذوي الهمم العالية أعوانًا، وخلط نفسه مع الأبرار وصحب أهل المعاني، وترك أصحاب الدعاوى.

ولدوام الصحبة أثر: هذا الطاووس يحب البساتين، فهو يوافق الأشجار، إذا ألقت ورقها ألقى ريشه، فإذا اكتست اكتسى.

تأثير الصحبة لا يخفى، أما ترى دود البقول خضر؟

تشبه بالموقنين تعدّ في الجملة.. لو سرت في حزب الثابتين على الدرب الصادقين مع اللَّه لعرفوا لك حق الصحبة.. إن وقعت ببعضهم حملك إلى أرضهم، إن صدقت في طلبهم فبادر، ولا تستصعب طريقهم فالمعين قادر، وسَلْ فمولاك مولاهم.

فلا تلتفت إلاّ إلى من دلّك على اللَّـه وعلى الطريق الموصلة إليه، واسلك جَادّة القوم لعلّ مشاعلهم تلوحُ لكم، تعلّق بغبارهم لعلّ الحادي ينوه بكم، صوِّتوا بالقوم عسى يقف بعض الساقة لكم، ابكوا على تأخّركم وترددكم لعلّ عطف الرحمة تنعطف نحوكم.

ترفَّقْ رفيقي إن بدت نار أرضهم ... أم الوجد يذكي ناره ويثيرها

* * *

* **أخي:** إن الأكابر من العبّاد والعلماء يحتاجون إلى مَن يُفتِّش لهم

---

(١) «السير» (٨/ ٤٣٨).

ويُخرج لـهم الخبايا مـن الزوايا التي قـد تذهب بنـور العمل فمـا الظن بغيرهم؟!

◻ قال أبو عبد اللّـه الأنطاكي: «اجتمع الفضيـل والثوري فتذاكرا، فرَقّ سفيـان وبكى، ثم قال: أرجو أن يكـون هذا المجلس علينـا رحمة وبركة. فقال له الـفضيل: لكني يا أبا عبد الـلّه أخاف أن لا يكون أضرّ علينا منه، ألـست تخلّصت إلى أحسن حديثك، وتـخلصت إلى أحسن حديثي، فتـزيّنتَ لي وتزيّنت لك فعبـدتني وعبدتك فبكى سـفيان حتى علا نحيبه، ثم قال: أحياك اللّه كما أحييتني»[1] .

فإن كان سفيان وهو مَن هو يحتاج إلى توجيه الفُضيل، فكيف بمن لا يساوي غبار نعل الثوري؟!

◻ قال إبراهيم النخعي: «جالسوا التوّابين؛ فإنهم أرقّ الناس قلوبًا، ورحمة اللّه إليهم أقرب»[2] .

✍ وكان الإمام أحمد إذا بلغه عـن شخص صلاح أو زهد، أو قيام بحق أو اتـباع للأمر، سأل عـنه، وأحبّ أن يجري بيـنه وبينه مـعرفة، وأحب أن يعرف أحواله.

من دنا من الصالحين وخالطهم ناله الأجر العظيم.

✍ خدم أبو بـكر المروزي الإمام أحمد فلما مات أحـمد.. خرج المروزي إلى الغزو فشيّعه الناس إلى سامرا، فجعل يَردُهم فلا يرجعون، قال: فحرزوا فإذا هـم بسامرّا ـ سوى من رجع ـ نحو مـن خمسين ألف

(١) «حلية الأولياء» (٧/ ٦٤)، و«السير» (٨/ ٤٣٩).
(٢) «والموعد اللّه» لخالد محمد خالد ص(٣١).

إنسان. فقيل: يا أبا بكر، احمد اللَّـه فهذا علم قد نُشِر لك. فبكى، ثم قال: ليس هذا العلم لي، وإنما هذا علم أحمد بن حنبل[1].

✍ وانظر إلى ابن العطار خادم النووي وتلميذه. يقول عن شيخه النووي: «كان رحمه اللَّـه تعالى رفيقًا بي، شفيقًا علي، لا يُمكِّن أحدًا من خدمته غيري، على جهد مني في طلب ذلك منه، مع مراقبته لي - رضي اللَّه عنه - في حركاتي وسكناتي، ولطفه بي في جميع ذلك، وتواضعه معي في جميع الحالات، وتأديبه لي في كل شيء حتى الخطرات، وأعجز عن حصر ذلك».

وانظر إلى قول النووي عن تلميذه وخادمه ابن العطار يقول: «قد أخبرني من أثق بخيره وصلاحه وكراماته وفلاحه» فهذا حال الخادم من جرّاء الصحبة.

فصاحب يا أخي أهل المعاني المتيقظين للدقائق والثواني.

✍ كتب الأحنف بن قيس: «إذا قدم عليك أخ لك موافق، فليكن منك مكان سمعك وبصرك، فانظر إلى هذا وأشباهه فاجعلهم كنوزك وذخائرك، وأصحابك في سفرك وحضرك».

✍ وما أحلى قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي اللَّه عنه - إذ يقول: «عليك بإخوان الصدق، فعِشْ في أكنافِهم؛ فإنهم زين في الرخاء وعدّة في البلاء».

٢٥ـ قراءة تراجم وسير سلف الأمة الصالحين:

ماذا يفعل الرجل منا وقد تبدّل الزمان وأهله، إلا قراءة سير

---

(١) «مناقب الإمام أحمد» ص(٦١١).

وتراجم الصادقين الراسخين في العلم والعمل؟

ومِن عجب أني أحنّ إليهم ... وأسأل شوقًا عنهمُ وهمُ معي
وتبكيهمُ عيني وهم في سوادها ... ويشكو النوى قلبي وهم بين أضلعي

✍ تزوّج عثمان بن أبي العاص امرأة من نساء عمر بن الخطاب فقال: «والله ما نكحتها رغبة في مال ولا ولد، ولكني أحببت أن تخبرني عن ليل عمر»(١).

✍ وعن أبي ليلى: تزوّج رجل امرأة ابن رواحة، فقال لها: تدرين لم تزوّجتك؟ لتخبريني عن صنيع عبد الله في بيته»(٢).

إن أخبار العلماء العاملين والنبهاء الصالحين من خير الوسائل التي تغرس الفضائل في النفوس، وتدفعها إلى تحمّل الشدائد والمكاره في سبيل الغايات النبيلة والمقاصد الجليلة.

و«الحكايات جند من جنود الله يثبّت الله بها قلوب أوليائه».

❑ وقال الجنيد: الحكايات جند من جنود الله عز وجل، يُقوّي بها إيمان المريدين، إن التملي من اجتلاء مناقب الصالحين الربانيين لخير معين لإنارة القلوب وإخلاص النيّات، والصبر على اجتياز العقبات، والصدق مع الله والثبات.

هؤلاء قوم سيط الحق بدمائهم، فسبر مواطن العظمة في حياتهم، ومطالعة سيرهم وسيلة هامة من وسائل الثبات، فإن الحي لا تُؤمن عليه الفتنة.

---

(١) «الزهد» لابن حنبل ص(١١٨ ـ ١١٩) ورجاله ثقات.

(٢) «الإصابة» لابن حجر (٦/ ١٧٨ ـ ١٧٩) وصحح سنده الحافظ ابن حجر، وذكره الذهبي في «السير» (١/ ٣٣).

ما في الديار أخو وجد يريحك إن بثثته بعض شأن الحب فاغترب

٢٦ـ معرفة حقيقة الباطل وعدم الاغترار به:

* قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٥].

إن المنهج القرآني لا يُعنى ببيان الحق وإظهاره حتى تستبين سبيل المؤمنين الصالحين فحسب، إنما يعنى كذلك ببيان الباطل وكشفه حتى تستبين سبيل الضالين المجرمين أيضًا.

إن التمسك بالحق لا ينشأ فقط من شعور صاحب الحق أنه على الحق، ولكن كذلك من شعوره بأن الذي يحاده ويحاربه إنما هو على الباطل وأنه يسلك سبيل المجرمين إن سفور الكفر والشر والإجرام ضروري لوضوح الإيمان والخير والصلاح لا بد من استبانة طريق المجرمين، حتى لا تختلط الشعارات والعناوين والأسماء والصفات، والتيه الذي لا تتحدد فيه مفارق الطرق.

● فلا تلميع ولا تلبيس ولا تخليط كما جاء في الحديث: **«يصدّق فيها الكاذب ويُكذّب فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن، ويخوّن فيها الأمين، وينطق فيها الرويبضة»**.

إذا عَيّر الطائي بالبخلُ مادرٌ وعَيّر قسًّا بالفهاهة باقِلُ
وقال الدجى للشمس أنت كسيفةٌ وقال السُّهى للبدر وجهكَ حائِلُ
وطاولت الأرضُ السماء سفاهةً ونافست النجم الحصى والجنادلُ
فيا موتُ زُرْ إن الحياة ذميمةٌ ويا نفس جدّي إن دهرك هازلُ

* * *

فإذا اجتاز أصحاب الدعوات هذه العقبة، وتمت في نفوسهم هذه الاستبانة، انطلقت طاقاتهم كلها في سبيل اللَّه لا تصدها شبهة، ولا يعوّقها غبش، ولا يميّعها لبس، واحتملوا متاعب الطريق.

✍ وحقيقة أخرى أن الباطل ينتفخ وينتفج وينتفش، ويحاول أن يُموّه على العين، ويبدو عظيمًا كبيرًا ضخمًا راسخًا، ولكنه هش سريع العطب، كشعلة الهشيم ترتفع في الفضاء عاليًا، ثم تخبو سريعًا وتستحيل إلى رماد، بينما الجمرة الذكية تدفئ وتنفع وتبقى، وكالزبد يطفو على الماء، ولكنه يذهب جفاء ويبقى الماء.

حتمًا يتهاوى الباطل، وسينهار وإن بدا للنظرة الأولى أن له صولة ودولة.

٢٧ـ واقع المسلمين المر وآلامهم يثبّت صاحب المروءة ويصنع الرجال:

واقع المسلمين المر البارد الجامد الهامد الشارد الخامد يجعل صاحب المروءة يصيح.

لو كنتُ مِن مازنٍ لَمْ تَسْتَبح إبلي ... بنو اللقيطةِ مِن ذُهلِ ابنِ شيبانا
قومٌ إذا الشَّرُّ أبدى ناجذَيْه لهم ... طاروا إليه زرافاتٍ وَوُحْدانا
لا يسألون أخاهم حين يَنْدُبُهُم ... في النائبات على ما قال بُرهانَا

◻ واقع المسلمين المرّ:

عدد الحصى والرمل في تعْدَادِهم ... فإذا حسبت وَجَدتَّهمُ أصفارا

◻ وا إسلاماه: صرخة مفجوعة، وصيحة مقطوعة. حين يصيح

طفل من الأندلس، لما رأى أمه وهو في حضنها تختلس: «وا أماه»

يا رَبَّ أمٍّ وطفلٍ حيل بينهما ... كما تَفرّقُ أرواح وأبدانُ

☐ وا إسلاماه:

كنا أُسودًا ملوك الأرض ترهبنا ... والآن أصبح فأر الدار نخشاهُ

☐ وا قدساه:

مررتُ بالمسجد المحزون أسأله ... هل في المصلى أو المحراب مروانُ

تغيّر المسجد المحزون واختلفت ... على المنابر أحرارٌ وعبدانُ

فلا الأذان أذان في منائره ... من حيث يُتلى ولا الآذان آذانُ

☐ يا أمة الإسلام يا أماه:

أتلقّاك وطرفي مُطْرَقٌ ... خجلاً من أمسك المنصرم

ويكاد الدمعُ يَهْمِي عابثًا ... ببقايا كبرياء الألمِ

أُمّتي كَمْ غُصَّةٍ دامية ... خَنَقت نجوى عُلاك على فمِي

أي جُرحٍ في إبائي راعفٌ ... فاته الأسَى فلم يلتئِمِ

ألإسرائيلَ تعلُو راية ... في حمى المهد وظِلُّ الحَرَمِ؟

كيف أَغْضيْت على الذُّلّ ولم ... تنفضي عنك غُبار التُّهَمِ

أوَ ما كنتِ إذا البَغيّ اعتدى ... موجةً من لهبٍ أوْ من دَمِ

كيف أقدمتِ وأحجمتِ ولَمْ ... يشتَفِ الثار ولم تنتقمي

اسْمَعي نوح الحَزَانَى واطْرِبي ... وانظري دمعَ اليتامى وابسمي

ودَعي القادةَ في أهوائها ... تتفانى في خسيسِ المَغْنَمِ

رُبَّ «وا معتصماهُ» انطلقتْ ... ملءَ أفواه الصبايا اليُتَّمِ

لامستْ أسماعَهمُ لكنها ... لَم تُلامِسْ نَخوةَ المعتصِمِ

أمـتـي كـم صـنـم مـجـدتـه ... لـم يكـن يحمل طُهر[1] الصنم
لا يُـلام الـذئـب فـي عـدوانـه ... إن يـكُ الـراعـي عـدوّ الـغـنـم
فـاحبـسي الشـكـوى فـلولاكِ لما ... كـان فـي الحُـكـم عَبيـدُ الـدِّرهـم

❑ يا رباه:

رُحماكَ هل نحن أحفادُ الأُلَى رَكِبُوا ... مَوْجَ البحارِ بدينِ الواحدِ الصمدِ؟
فَما دَهانا رَجَعْنا القَهْقَرى كسلاً ... أَشُكُّ يا دهرُ في قومي وفي بلدي

❑ وا إسلاماه.. وا أُمتاه.. أين شبابُكِ؟:

لو أن للدهرِ عينًا منهمُ دَمَعَت ... أَوْ أن للصخر قلبًا نابضًا لبَكَى
أَزْرَوا بأمتهم من سوءِ سيرتِهمْ ... لأجلهم كم سألنا الموتَ لو فتكَا

❑ يا أمتي يا أماه:

أمـتـي يـا أعـزّ شـيءٍ بـقـلـبـي ... رحـل الـعُـمـر والجـنـاحُ مـهـيـضُ
رحـل الـعـمـرُ والمـآسـي خِـضَـمٌّ ... جـازه غـيـرُنـا ونـحـن نـخـوضُ
رحـل العُـمـر والـلـيـالـي اكـتـئـاب ... مُـعـتِـم لـم يُـشـر إلـيـه ومـيـضُ
أمـتـي هـذه المـصـائـب زنْـدٌ ... يُشعِل العَزْمَ حين يغفو النهوضُ[2]

❑ أيها النائمون الغافلون:

عار عليكم أيها المستسلمونْ
وطنٌ يُباعُ وأمة تنساقُ قطعانا
وأنتم نائمونْ

(١) أي: لو كان للصنم أي طهر.. ما حمله أولئك فهم أنجس من الأصنام.
(٢) ديوان «نقوش على واجهة القرن الخامس عشر» شعر لعبد الرحمن العشماوي ص(٨١) ـ مكتبة العبيكان.

❑ أيها الغافلون:

كيف ارتضيتُم أن ينام الذئبُ في وسط القطيعِ وتأمنونْ

❑ أيها النائمون:

القدس تسألكم أليس لِعرْضِها حقٌّ عليكُمْ

أين فرّ الرافضونْ

وأين غاب البائعونْ

وأين راح الهاربون

الصامتون.. الغافلون الكاذبون؟

❑ وا إسلاماه: آهِ وألف آهٍ من قوافل الضياع المشردة في كل مكان.

قوافلُ تمضي بين أفواجِ رُضَّعٍ ... وأحزانِ ثَكْلى أو تباريحِ أَيِّمِ

وبين صبايا يا لَذُلٍّ دموعها ... وأفواجِ أطفالٍ وأفواجِ يُتَّمِ

قوافِلُ تمضِي وهي تسحبُ خَطْوَها ... ذليلاً على شَوْكٍ مُدَمٍّ ومُوضِمِ[1]

تكادُ عيونُ الطفلِ تسألُ مَنْ أنا ... إلى أين أمضي يا فيافي تكلَّمِي؟

أتحمِلُني دورُ النصارى وبيعةٌ ... وساحاتُ شِرْكٍ أو منازلُ سُوَّمِ

لتُنزَعَ مني فِطرَةٌ وطهارةٌ ... ويُغْرَسُ بي شرك وفتنةُ مأثَمِ

❑ ولكن:

من آلامنا تبزغ آمالنا.. والرجال تصنعهم المحن.. من للأمة غير أبنائها.. أيدافع عن الحنيفية غير رجالها؟.. وإن تزعزع رجالها ولم يثبتوا على دين اللَّه عز وجل فمن يثبت؟ أيحمي الدين الزنادقة، لا وألف لا،

---

(١) موضم: مؤلم.

فلعظمة الشمس أصابها الخسوف، ولجلالة القمر رمي بالكسوف.

قل للذي بصروفِ الدهر عَيَّرَنا ... هل حاربَ الدَّهْرُ إلاَّ من له خطرُ؟
أما ترى البحرَ تعلو فوقه جِيَفٌ ... و تستَقِرُّ بأقصى قعره الدُّرَرُ
وفي السماء نجومٌ لا عِدادَ لها ... وليس يَكسِفُ إلا الشمسُ والقمرُ

❑ وا إسلاماه.. آن أن يقول الرجال:

لا تُهيىء كفني ما مِتُّ بَعْدُ ... لم يَزَلْ في أضلُعي بَرْقٌ ورَعْدُ
أنا تاريخي ألا تعرِفُهُ ... خالدٌ ينبِضُ في قلبي وسَعْدُ

❑ نعم وألف نعم.. هذه الأمة لن تموت:

سَيَصْغَى لها من عَالَمِ الغيبِ ناصرٌ ... ولله أوس آخرون وخزرجُ

هذا الواقع المر يحرّك القلوب التي بها حياة، يحرّك الساكن ويُعلي الهمم.

❑ ولله در القائل:

أرى البلايا تحيطُ المرءَ تحصنُه ... حتى لئن صَحّ ذَوب الصَّخْرِ لم يذُبِ
أو صَحّ أن قناة الصلْب قد وَهنت ... فلا يلينُ إذا ما صُبّ في اللهبِ
ما حصحص الحقُ إلا بعد ما انسلختْ ... مِن عمر يوسف أعوامٌ من النّصَبِ

❑ ولله در الدكتور «صالح آدم بيلو» حين يقول:

كلما ازدادت عليّ المِحَنُ
وتوالتْ إِحَنٌ لا تَهِنُ
وكروبٌ يصطفيها الزمنُ
وظلامٌ كافِرٌ أو فِتَنُ
فلتطهير وتدريبٍ عميق

واختبارُ الذهب الصِّرْف الحقيقي
وإذا عاندت يومًا يا «رفيقي»
فلأني قد تبيّنتُ طريقي
إنْ ذَوتْ في الغُصْنِ بعضُ الورقاتِ
وتهاوتْ للثرى مستبقاتِ
ورَمتْها الريحُ في وادي الشتَّاتِ
فعلى الأغصان زاهي الزهراتِ
وهنا طلع رضيٌّ النفحاتِ
فتعَلَّمْ.. ذاك عنوانُ الحياةِ
خَسِئَ الساقطُ من ماضٍ وآتِ
إن مضى فليمض ملعونَ المماتِ
وإذا ما حِرْتَ يومًا يا صديقي
لنمائي ولإيماني الوثيقِ
فاعتبر.. أني تبيَّنتُ طريقي..

٢٨ـ الثقة بنصر الله وأن المستقبل للإسلام:

والمبشرات.. والثقة بوعد اللَّه ونصره وبفجرنا الآتي تملأ النفوس بالأمل واليقين بأن المستقبل كل المستقبل للإسلام، فيثبت على طريق اللَّه مَن أراد اللَّه له الثبات، ولا عذر لمتخاذل كسول قانط يائس.

إذا أنت غُمّتْ عليك السماءُ — وضلّت حواسك عن صبحها
فعش دودة في ظلام القبورِ — تغوص وتسبحُ في قيحها

□ يا عاشق الفجر:

يا عاشق الفجر هذا الفجر يرمقنا وقد تضاءل في وجدانه الفلقُ

□ إنه الفجر:

إني لأسمع وقع الخيل في أذني وأبصر الزمن الموعود يقترب

□ هو ذا الفجر آت.. يبث المسك لهفته في عبيره.. ويخضرّ المكان.. هو ذا الفجر.. بسمة الإسلام في ثغر الزمن.

فيا سيد العالمين تَمَرّدْ

وسارع إلى الضوءِ حيث انفساح المدى

فليس لقاداتنا الزائفين

مواعيد أو أمل أو هدى

سوى أن نظلّ نعاني الأنين

وتخنقنا الحفر الضيّقة[1].

□ يا عاشق الفجر:

لا مكان لليأس مع بزوغ الفجر.. لا مكان له في زمن اللَّه القادم.

سأحكي عنكم وعني

وعن عودة المرهقين

من اليأس والذكريات البليدة

إلى زمن اللَّه حيث العقيدة

ستنفخ في لحظة كالسنين

مشاعر ألف زمان طويل[2].

(١) «تأملات في الرحلة والمصير» ـ لعماد الدين خليل.

(٢) «العودة إلى زمن اللَّه» ـ لعماد الدين خليل.

٢٩ـ البعد عن البيئة المثبطة وقطاع الطريق إلى الله عز وجل:

على المرء أن يحترز من مجالسة البطّالين وأهل المعاصي؛ ليُقصي ولاية شياطين الجن والإنس مِن صحْن قلبه، فيُصفى من لوثة شيطانية.

والمخالطة بأهل العصيان توجب التخليط وتشتيت الهم فلا تصادقنَّ فاسقًا فإن من خان أول منعم عليه لا يفي لك.

«وأشد الناس حاجة إلى تجديد البيئة المثبطة وتنشيط الهمة: الحديث العهد بالتوبة؛ فإن من شأن التحول من بيئة المعصية إلى بيئة الطاعة أن ينسيه ما يجذبه إلى صحبة السوء وأماكن السوء، فيجتمع قلبه، ويلتئم شمله، وتتوحد همته... وهذا عين ما أشار به «العالم» الواعي على قاتل المائة حين شفّع قوله: «نعم، ومن يحول بينك وبين التوبة؟» بقوله: «انطلق إلى أرض كذا وكذا؛ فإن بها أناسًا يعبدون اللَّه تعالى، فاعبد اللَّه معهم، ولا ترجع إلى أرضك؛ فإنها أرض سوء»[1] .

* أخي:

إن الماء يفسد بقربه من الجيف وكذا الهواء، وإذا بعدت قليلاً عن مكان الجيف، يزول ما كنت تجده، فكيف بأنفاس العصاة، والنظر في الصور يُورث في النفوس أخلاقًا مناسبة لخُلُق المنظور إليه! فإياك من أهل التبطّل والتعطل واللهو والعبث.

ولا تجلس إلى أهل الدنايا … فإن خلائق السفهاء تعدي

(١) علو الهمة ـ لمحمد أحمد إسماعيل ص(٣٥٠ ـ ٣٥١).

صحبة البطّالين والكسالى عن الطاعات تُطفئ نور القلب، وتعوِّر عين بصيرته، وتُنكسه إلى ورائه، ومن لا شعور له بهذا فميت القلب.

فالبطّالون قطّاع الطريق إلى اللَّه عز وجل والدار الآخرة، فمعاشرتهم سم، والقرب منهم هلاك.. كلٌّ منهم زَمِن مريض يسعى إلى زمنى مثله، قبر يسعى إلى قبور مثله.. وامتلاء القلب من دُخان أنفاسهم يُسَوّده ويوجب له تشتتًا وتفرّقًا، وهمًّا وغمًّا، وضعفًا وتردّدًا، فماذا يبقى منه بعد ذلك للَّه وللدار الآخرة؟

*** أخي:**

من واصل أهل الجهالة أُلبس ثوب البطالة. هذه القلوب البطّالة تشغل عن اللَّه والدار الآخرة، هممها تدور حول الأنتان والحش، ذكر الناس فاكهتها وقوتها، وذكر اللَّه حبسها وموتها.. ينادى صاحبها إلى اللَّه وإلى الدار الآخرة من مكان قريب فلا يجيب النداء.

فلا تتخذ بالسير رفقة قاعد ... وَدَعْه فإن الشوق يكفيك حاملا

ورحم اللَّه من قال:

مَشوا يعبرون الظلال

بلا فكرة أو حنين

ولا نفثة من جوى القانتين

سوى خفقة الموت عند الرقاد

وإيماءة الذابلين.

٣٠ـ الحرص على نصح الصالحين ووصاياهم:

أصدق الوصايا وأنفعها ما ورد في الكتاب العزيز وعلى لسان رسول اللَّه ﷺ: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾؛ ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾.

* وقوله تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾.

● وقوله ﷺ: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل».

✍ ووصايا الربانيين والصالحين خير معين على الثبات والاستقامة على الدرب: «قال رجل لمحمد بن واسع: أوصني. قال: أوصيك أن تكون ملكًا في الدنيا والآخرة. قال: كيف؟ قال: ازهد في الدنيا.

□ وقول عثمان ـ رضي اللَّه عنه ـ: «أنتم إلى إمام فعّال أحوج منكم إلى إمام قوّال».

□ وللَّه در القائل: «أنفع اليقين: ما عظّم الحق في عينك، وصَغّر ما دونه عندك، وأثبت الخوف والرجاء في قلبك».

□ وقال هرم بن حيّان: «أوصيكم بخواتيم سورة النحل»، وقال: «أوصيكم بخواتيم سورة البقرة».

□ وقال داود الطائي لعبد اللَّه بن إدريس يوصيه: «ارض باليسير من الدنيا مع سلامة الدين، كما رضي أهل الدنيا بالدنيا مع فساد الدين. ثم زاد: اجعل الدنيا كيوم صمته ثم أفطر على الموت».

□ وقال أيضًا ـ رحمه اللَّه ـ لرجل يوصيه: «يا أخي، إنما الليل والنهار مراحل تنزل بالناس مرحلة مرحلة، حتى ينتهي بهم ذلك إلى آخر سفرهم، فإن استطعت أن تقدّم في كل يوم مرحلة زادًا لما بين يديك فافعل؛ فإن انقطاع السفر عن قريب، والأمر أعجل من ذلك، فتزوّد لسفرك، واقض ما أنت قاض من أمرك، فكأنك بالأمر قد بغتك!!».

وقال لرجل آخر: «عسكر الموتى ينتظرونك».

□ قال ابن المبارك: قال لي سفيان: إياك والشهرة؛ فما أتيت أحدًا

إلا وقد نهى عن الشهرة[1] .

◘ وقال علـي بن المديـني: «ودّعت أحمـد بن حنـبل فقلـت له: تُوصيني بشيء؟ قال: نعم؛ اجعل التقوى زادك، وانصب الآخرة أمامك».

✍ وانظر إلى إمام أهل السنة أحمد بن حنبلٍ وهو من هو يقوّي اللَّه عزمه في المحنة بنصيحة الصادقين.

◘ فعـن أبي جعـفر الأنبـاري قال: «لما حُمل أحـمد إلى المـأمون أُخبرتُ، فعبرت الفرات، فإذا هو جالس في الخان فسلّمت عليه، فقال: يا أبا جعفر تـعنَّيت. فقلت: يا هذا، أنت اليـوم رأس، والناس يقتدون بك، فوالـلَّه لئن أجبت إلـى خلق القرآن لـيُجيبن خلْق، وإن لـم تُجب ليمتنعن خلق من الناس كثير، ومع هذا فإنّ الرجل إنْ لم يقتلْك، فإنك تموت، لا بـد من الموت، فـاتق اللَّـه ولا تُجب. فـجعل أحـمد يبـكي ويقول: ما شاء اللَّـه. ثم قال: يا أبا جعفر، أعِدْ. فأعـدت عليه، وهو يقول: ما شاء اللَّه»[2] .

◘ قال الإمام أحمد في سياق رحلته إلى المأمون: «صرنا إلى الرَّحْبَة، ورحلنا منهـا في جوف الليل، فعرض لنا رجل، فقـال: أيّكم أحمد بن حنبـل؟ فقيل له: هـذا. فقال للجَمّـال: على رسْلك... ثـم قال: «يا هذا، ما عليك أن تُـقتل ها هنا، وتدخل الجنة؟»، ثـم قال: «أستودعك اللَّه». ومضى. فسألت عنه، فقيل لي: هذا رجل من العرب من ربيعة، يعمل الصوف في البادية، يُقال له: جابر بن عامر، يُذكر بخير»[3] .

---

(١) «السير» (٧/ ٢٦٠).
(٢) «السير» (١١/ ٢٣٨).
(٣) «السير» (١١/ ٢٤١).

وفي «البـداية والنهاية» أن الأعـرابي قال للإمام أحمـد: «يا هذا، إنك وافد الناس فلا تكن شؤمًا عليهم، وإنك رأس الناس اليوم فإياك أن تجيبهم إلى ما يـدعونك إليه، فيجيبوا فتحمل أوزارهـم إلى يوم القيامة، وإن كُنت تحب اللَّه، فاصبر على ما أنت فيه، فإنه ما بينك وبين الجنة إلاّ أن تُقتل. قال الإمام أحـمد: وكان كلامه ممّا قوّى عزمي علـى ما أنا فيه من الامتناع عن ذلك الذي يدعونني إليه»[١].

◻ وفي رواية أن الإمام أحمـد قال: «ما سمعتُ كلمـة منذ وقعت في هذا الأمر أقوى من كلمة أعرابي كلمني بها في «رحبة طوق»؛ قال: «يا أحمد، إن يقتلك الحق متّ شهـيدًا، وإن عشت عشت حميدًا فقوّى قلبي»[٢].

◻ وقال الإمام أحمد عن رفيقه الشـاب محمد بن نوح الذي صمد وثبت في الفتنة: «ما رأيت أحدًا ـ عـلى حداثة سنه، وقدر علمه ـ أقوم بأمر اللَّه من محمد بن نوح؛ إني لأرجو أن يكون قد خُتِم له بخير؛ قال لي ذات يوم: «يا أبا عبـد اللَّه، اللَّه اللَّه. إنك لست مـثلي؛ أنت رجل يُقتـدى بك، قد مَدّ الخلق أعـناقهم إليك، لمـا يكون منك. فاتـق اللَّه، واثبت لأمر اللَّه» فمات وصليت عليه ودفنته»[٣].

◻ وأسماء بنـت أبي بكر ـ رضي اللَّه عنـهما ـ تقول لعبـد اللَّه بن الزبير ابنها ـ رضـي اللَّه عنهما ـ: «اللَّه اللَّه يا بنـي، إن كنت تعلم أنك

---

(١) «البداية والنهاية» (١/ ٣٣٢).
(٢) «السير» (١١/ ٢٤١).
(٣) «السير» (١١/ ٢٤٢).

على حـق تدعو إليه فامـض عليه، وإن كنت أردت الـدنيا فبئس الـعبد أنت، أهلكت نفسك ومَن معك، وإن قلت: «إني كنتُ على حق، فلما وهن أصحابي ضعفت نيتي»، فليس هذا فعل الأحرار ولا مَن فيه خير، كم خلـودك في الدنيا؟! القـتل أحسن ما يقـع بك يا ابن الزبيـر، واللَّه لضربة بالسيف في عز أحب إلـيّ من ضرب بالسوط في ذلّ». فقال: يا أماه، أخاف إن قتلني أهل الشام أن يمثّلوا بي ويصلبوني. قالت: «يا بني إن الشاة لا يضرّها السلخ بعد الذبح، فامض على بصيرتك، واستعن باللَّه».

◘ وقالت أم سفيان الثوري له: «يا بُني لا تتعلم العلم إلا إنْ نويت العمل به، وإلا فهو وبال عليك يوم القيامة».

◘ ومن وصايا الجنيد ـ رحمه اللَّـه ـ: «متى أردت أن تشرف بالعلم وتُنسب إليه وتكون من أهله قبل أن تُعـطي العلم ما له عليك؛ احتجب عنك نورُه، وبقي عليك وسمه وظهوره، ذلك العلم عليك لا لك».

◘ وكتب الأوزاعـي إلى أخ له: «أما بعـد؛ فإنه قد أُحيـط بك من كل جانب، واعـلم أنه يُسار بك في كـل يوم وليلة، فاحذر الـلَّه والمقام بين يديه وأن يكون آخر عهدك به. والسلام».

◘ وعندما طلب من سيد قطب قـبل إعدامه الاعتذار مقابل إطلاق سراحه قال: «لن أعتذر عن العمل مع اللَّه».

وقال ـ رحمه اللَّه ـ: «كل كلمة عاشت قد اقتاتت قلب إنسان! إن أصحاب الأقلام يستطيعون أن يصنعوا شيئًا كثيرًا، ولكن بشرط واحد.. أن يموتوا هم لتعيش أفكارهم، أن يُطعموا أفكارهم من لحومهم ودمائهم.. أن يقولوا ما يعتقدون أنه حق، ويقدّموا دماءهم فداءً لكلمة الحق!.

إن أفكارنا وكـلماتنا تظـل جثثًا هامدة، حتـى إذا متنا في سبـيلها

وغذّيناها بالدماء، انتفضت حية، وعاشت بين الأحياء»[1] .

٣١ـ الصبر والمصابرة والمرابطة:

* قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

□ قال ابن تيمية: «إنما تُنال الإمامة في الدين بالصبر واليقين».

□ وقال سفيان بن عيينة: «لما أخذوا برأس الأمر جعلناهم رؤوسًا».

«طالب اللَّه والدار الآخرة لا يستقيم له سيره وطلبه إلا بحبس قلبه في طلبه ومطلوبه، وحبسه عن الالتفات إلى غيره، وحبس لسانه عما لا يفيد، وحبْسه على ذكر اللَّه وما يزيد في إيمانه ومعرفته، وحبس جوارحه عن المعاصي والشهوات، وحبسها على الواجب والمندوبات، فلا يفارق الحبس حتى يلقى ربه فيخلّصه من السجن إلى أوسع فضاء وأطيبه، ومتى لم يصبر على هذين الحبسين وفرّ منهما إلى فضاء الشهوات، أعقبه ذلك الحبس الفظيع عند الخروج من الدنيا، فكل خارج من الدنيا إما متخلّص من الحبس وإما ذاهب إلى الحبس»[2] .

وقُل ساعدي يا نفسُ بالصبر ساعة   فعند اللقا ذا الكدّ يصبح زائلاً
فما هي إلا ساعة ثم تنقضي   ويصبح ذو الأحزان فرحان جاذلاً

□ والصبر مع اللَّه عز وجل هو أشد أنواع الصبر وأصعبها، وهو صبر الصدّيقين يدور العبد مع مراد اللَّه الديني منه، ومع أحكامه الدينية، صابرًا نفسه معها، سائرًا بسيرها، مقيمًا بإقامتها، يتوجّه معها

(١) «مذابح الإخوان في سجون ناصر» ص(١١٨).
(٢) «الفوائد» لابن القيم ص(٧٢).

أين توجهت ركائبها، وينزل معها أين استقلّت مضاربها، فهو قد جعل نفسه وقفًا على أوامره ومحابه.

❑ قال الجنيد: «السير من الدنيا إلى الآخرة سهل هين على المؤمن، وهجران الخلق في جنب اللَّه شديد، والمسير من النفس إلى اللَّه صعب شديد، والصبر مع اللَّه أشد».

✍والصبر مع اللَّه وفاء، لا يزيغ القلب عن الإنابة، ولا الجوارح عن الطاعة، فتُعطى المعية حقها من التوفية.

✍ والصبر من آكد المنازل في طريق المحبة وألزمها للمحبين، وهم أحوج إلى منزلته من كل منزلة، وبقوة الصبر على المكاره في مراد المحبوب يُعلم صحة محبته.

✍ ويصبر الإنسان عن المعصية بمطالعة الوعيد: إبقاء على الإيمان وحذرًا من الحرام، وأحسن منها الصبر عن المعصية حياء.

✍ ويصبر الإنسان عن التقاعس لنصرة دين اللَّه، يصبر عن التردد والشك، يصبر عن كل معصية إجلالاً للَّه تبارك وتعالى أن يُعصى وهو يرى ويسمع، ويترك المعاصي حبًّا للَّه عز وجل، وأفضل الترك ترك المحبين، ويترك المعصية ظفرًا بعدوه، وقهر الشيطان له حلاوة ومسرة وفرحة أي فرحة عند الصابرين.

✍ يصبر عن المعصية وينقاد إلى الجاذب الأعلى، ويصعد درجات وترفرف روحه إلى المحل الأعلى وإلى الرفيق الأعلى.

✍ ويصبر على الطاعة وهو أفضل أنواع الصبر يصبر على البذل في طاعة اللَّه، ويصبر على التبذل للَّه في مرضاته وطاعته.

✍ ويصبر على البلاء وهو بضاعة الصديقين.. يصبر على الجوع

والفقر والحرمان والإيذاء.. يصبر على الفتن ويسأل ربه الثبات.

✍ فتنة الغربة والاستيحاش بالعقيدة، حين ينظر المؤمن فيرى كل ما حوله وكل من حوله غارقًا في تيار الضلالة، وهو وحده موحش غريب طريد.

✍ فتنة أن يجد المؤمن دولاً وأممًا غارقة في الرذيلة، والكفر، وهي مع ذلك راقية في مجتمعها، متحضرة في حياتها وهي غنية قوية، وهي مشاقة للَّه!.

✍ ويصبر على فتنة إقبال الدنيا على المبطلين، ورؤية الناس لهم ناجحين مرموقين، وتهتف لهم الدنيا، وتتحطم في طريقهم العوائق، وتُصاغ لهم الأمجاد، وتصفو لهم الحياة. وهو مهمل منكر لا يُحِس به أحد، ولا يحامي عنه أحد، ولا يشعر بقيمة الحق الذي معه إلا القليلون من أمثاله الذين لا يملكون من الدنيا شيئًا.

✍ ويصبر المؤمن وهو يرى الشر نافشًا، والخير ضاويًا، لا يجد نصيرًا من أبناء الأرض يدافع عنه.

وفتنة النفس والشهوة، وجاذبية الأرض، والدعة والاطمئنان والرغبة في المتاع والسلطان. وفتن الشبهات، وفتنة المحيا والممات، وفتنة المسيح الدجال.

وبالصبر تصهر النفس، وينفى عنها الخبث وتثبت على الطريق.

✍ الصبر مع نفسك، والمصابرة بينك وبين عدوك، والمرابطة لزوم ثغر القلب لئلا يهجم عليه الشيطان، فيملكه أو يخربه أو يُشعثه.

***

٣٢- جعل الموت منك دائمًا على بال، وجعل الجنة والنار نصب العين:

من علم أن الأنفاس تعدّ، وأن النفس قد يخرج ولا يعود، وأن العين قد تطرف ولا تطرف الأخرى إلا بين يدي اللَّه عز وجل، وأن يومه أو ليلته آخر ما بقي له من الدنيا أعطى المجهود من نفسه يومه وليلته، وأحسن عمله، واستقام على الدرب بعد يقينه أن العبد يحشر ويُبعث على ما مات عليه، فيجتهد في تصحيح المعاملة على أحسن ما تكون، وهو يوقن أيضًا أن العبرة بالخواتيم فيضع نصب عينيه أن لا يفضحه ميراثه يوم موته..

ولذا نصح رسول اللَّه ﷺ بالإكثار من ذكر هادم اللذات من أجل هذا.

وكان الربيع بن خثيم قد حفر لنفسه قبرًا في داره ينزل إليه في اليوم مرات، ثم يخرج ويقول: «يا ربيع ها قد خرجت فاعمل لقبر إن نزلت فيه تقول: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ ولا تجاب إلى يوم القيامة». وكان أحد السلف يقف على شفير القبر ويقول: «أنت واللَّه بيتي حقًّا، وإن استطعت أن أعمرك لأفعلن».

٣٣- ومن وسائل الثبات تذكّر الجنة أبدًا:

فالجنة بلاد الأفراح، وسلوة الأحزان، ومحطّ رحال المؤمنين، والنفس مفطورة على عدم التضحية والعمل والثبات إلاّ بمقابل يُهوِّن عليها الصعاب ويذلّل لها ما في الطريق من عقبات ومشاق.

فالذي يعلم الأجر تهون عليه مشقة العمل، وهو يسير ويعلم بأنه

إذا لم يثبت فستفوته جنة عرضها السماوات والأرض، ثم إن النفس تحتاج إلى ما يرفعها من الطين الأرضي ويجذبها إلى العالم العلوي.

● وكان النبي ﷺ يستخدم ذكر الجنة في تثبيت أصحابه، ففي الحديث الحسن: مرّ رسول اللَّه ﷺ بياسر وعمّار وأم عمار وهُم يُؤْذَوْن في اللَّه تعالى، فقال لهم: **«صبراً آل ياسر؛ فإن موعدكم الجنة»**[1].

● وقال رسول اللَّه ﷺ: **«ما رأيت مثل الجنة نام طالبها ولا مثل النار نام هاربها»**[2].

وانظر إلى من اشتاقوا إلى الجنة بأي عمل ودّعوا الدنيا: أنس بن النضر، وجعفر الطيار، وحرام بن ملحان، وعمير بن الحمام، وعبد اللَّه ابن رواحة.

* وذكر النار:

ينصب الأبدان ويذبل الأرواح خوفًا من سعيرها وزقومها فيحول بين المؤمنين وبين التردد وعدم الاستقامة خوفًا من حجبهم عن مولاهم وفتنتهم على النار. وأخبار الربيع بن خثيم، وطاووس، وشداد بن أوس ومحمد بن المنكدر، وعلي بن الفضيل وسفيان الثوري وابن المبارك لا تخفى على أحد في الدنيا.

* * *

(١) حسن صحيح: رواه الحاكم (٣/ ٣٨٣)، وهو حديث حسن صحيح. انظر «تخريج فقه السنة» للألباني ص(١٠٣).

(٢) حسن: أخرجه الترمذي عن أبي هريرة، والطبراني في «الأوسط» عن أنس، وحسّنه الألباني في «الصحيحة» رقم (٩٥٣).

٣٤ـ معرفتك بقدر رسولك ﷺ :

متى استقر في القلب قدر رسـول اللَّه ﷺ . . وعلم السائر على الدرب مَن يتبع؟ ومن رسـوله؟ استحيى السائر من نفسـه ألا تثبت قدمه في سيره علـى محجته البيضاء، ومتـى أيقن العبد أنه سيلقـاه يومًا على حوضه في عرصات القيامة، فإما أن يطرد عن حوضه وإما أن يسقى من حوضه. . استـحيا من نبيه ﷺ وخـشى عتابه له في الـعرصات: هل وجدت خيرًا مني ففررت عني؟

● «**أمُتَـهَوِّكـون**[1] **أنتم كما تهـوّكت اليهود والنصارى؟! لقد جئتكم بها بيضاء نقية، ولو كان موسى حيًّا ما وسعه إلا اتباعي؟**».

● ولفظ الدارمي: «**والذي نفس محمد بيده، لو بدا لكم موسى فاتبعتموه وتركتموني، لضللتم عن سواء السبيل، ولو كان حيًّا وأدرك نبوتي لاتبعني**»[2] .

❑ وللّه در من قال:

وإذا نـظـرت إلـى أمـيـري زادنـي ... حـبًّـا لـه نـظـري إلـى الأمـراء

❑ وقول من قال:

ومـمـا زادنـي شـرفًـا وتـيـهًـا ... وكـدت بـأخـمـصي أطـأ الـثُّـريَّـا

دخولي تحت قولك يا عبـادي ... وأن صيّرت أحمـد لي نبيّـا

❑ وإذا علمت أنه ﷺ صاحب الشفاعة العظمى في الخلق جميعًا

---

(١) أمتهوّكون: أي: أمتحيرون؟

(٢) حسـن: رواه أحمد والبيهقي في «شعب الإيمـان»، والدارمي عن جابر، وقال الألباني في التعـليق على مشـكاة المصابيح (١/ ٦٣): «وفـيه مجالد بن سـعيد وفيه ضعـف، ولكن الحديث حسن عندي؛ لأن له طرقًا كثيرة عند اللالكائي والهروي وغيرهما».

يوم القيامة، وكونه سيد ولد آدم، وغفر اللَّه له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر، ويخر ساجدًا تحت العرش فيفتح اللَّه عليه من محامده وحسن الثناء عليه شيئًا لم يفتحه على أحد قبله، ويقف ﷺ على منبر أطول المنابر وأنورها، ويتجلى له الرب ولا يتجلّى لنبي قبله ﷺ، وهو أول من يؤذن له بالسجود يوم القيامة، وأول من يُؤذن له أن يرفع رأسه، وفتح اللَّه به، ويأتي آمنًا يوم القيامة صلوات اللَّه وسلامه عليه.

✍ وهو ﷺ قائد المسلمين، وإمام المرسلين وأول شافع وأول مشفع، وأكثر الأنبياء عليهم السلام تبعًا، ولم يصدّق نبي من الأنبياء ما صُدِّق صلى اللَّه عليه وآله وسلم، وأول من يشفع في الجنة، وأول شفيع يوم القيامة، وأول من يقرع باب الجنة أو يحرك حلق الباب، وأول من يأخذ بحلق باب الجنة فيقعقعها، ولا يفتح باب الجنة لأحد قبله، وأول من يدخل الجنة، وأعظم الخلق أجرًا يوم القيامة، وذلك لاجتهاده ﷺ في العبادة ولكثرة أتباعه الذين يشاركهم في الأجر.

✍ وهو ﷺ أول من ينشق عنه القبر، وأول الناس خروجًا إذا بعثوا.

✍ لواء الحمد بيده ﷺ، فما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائه ﷺ، وهو خطيبهم وقائدهم إذا وفدوا، ومبشِّرهم إذا أبلسوا، وأكرم ولد آدم على ربه، والكرامة والمفاتيح يومئذ بيده.

✍ أول من يجيز على الصراط يوم القيامة، وأقربهم مجلسًا من الرب تبارك وتعالى إذا اجتمعوا، وهو أول النبيين وآخرهم، وهو خاتم النبيين لا نبي بعده، وهو صاحب الوسيلة وهي أعلى منزلة في الجنة، وهو صاحب المقام المحمود، وأُعطي ﷺ جوامع الكلم وخواتمه،

وأُوتي بمفاتيح خزائن الأرض، ونُصر بالرعب من مسيرة شهر، وجعلت له الأرض مسجدًا وطهورًا، وأُحلت له الغنائم ولم تحلّ لأحدٍ قبله، وبُعث ﷺ إلى الناس عامة إلى الأحمر والأسود.

✍ ونزل عليه ملك لم ينزل على أحد من قبله، وبشّره بنورين لم يؤتهما نبي قبله ألا وهما فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة، وأوتي حوضًا أبرد من الثلج وأحلى من العسل وأطيب ريحًا من المسك، أكوابه مثل نجوم السماء أو أكثر، وأباريقه من الذهب والفضة، وأعطاه ربه الكوثر وهو نهر في الجنة ترد عليه الأمّة، وحافتاه قباب الدر المجوّف، وطينه مسك أذفر، يجري على الدرّ والياقوت، وطعمه أحلى من العسل، وماؤه أشد بياضًا من الثلج.

✍ وجعله اللَّه عز وجل خير الناس نفسًا ونسبًا وبيتًا، وجعل كل نسب وسبب منقطعًا يوم القيامة إلا ما كان من نسبه وسببه، وكثرة أسمائه تدل على رفيع منزلته وكريم صفاته، فهو محمد وأحمد والحاشر والعاقب والمقفى ونبي التوبة ونبي المرحمة ونبي الملحمة، وقد سمّاه اللَّه رءوفًا رحيمًا.

✍ شقي عبد ذُكر عنده النبي ﷺ ولم يصلِّ عليه، ومن صلى عليه واحدة صلى اللَّه بها عليه عشرًا، وما بين منبره وبيته روضة من رياض الجنة، وفُضّل ﷺ بالمفصّل، فقد أعطي مكان التوراة السبع الطوال، ومكان الزبور المئين، ومكان الإنجيل المثاني، وفُضّل بالمفصل، ومعجزته ﷺ باقية وهي القرآن، وغيره من الأنبياء عليهم السلام كانت معجزاتهم لمن عاصرهم، ومَنّ اللَّه عليه بالإسراء والمعراج، وشُقّ صدره الشريف، فأُخرج نصيب الشيطان منه، وقد أخذ اللَّه على النبيين

من قبله ﷺ أن يؤمنوا به، وهو أول المسلمين، وأقسم اللَّه عز وجل بحياته ﷺ ولم يفعله لنبي غيره، وكذا أقسم ببلده حال حلوله ﷺ فيها. وناداه اللَّه عز وجل بالرسالة والنبوة وخاطب غيره بأسمائهم وهذا لمزيد شرفه وفضله ﷺ.

الشمس مِنْ حُسّاده والنصر من ... قرنائه والسيف من أسمائهِ
أين الثلاثة من ثلاث خلاله ... مِنْ حُسْنه وإبائه ومَضائه
مضتِ الدُّهورُ ومَا أَتَيْنَ بمثله ... ولقد أتى وعجزْنَ عن نظرائهِ

«أُلبس إهاب الهيبة، وتُوِّج تاج السيادة، وضُخَّ بأذكى خَلوق أذكى الأخلاق، وأُعطِي لقطع مفارة الدنيا جواد الجود، فهو هلال شهر الكمال، وأمير جيش الجود، ورُوح جثمان الكون، وحشاشة نفس المملكة، خرست لما جاء به ألسن الفصاحة. كل نبي معجزته مخلوقات اللَّه تعالى، ومعجزة نبينا كلام الحق.

ولقد شارك الأنبياء في فضائلهم وزاد، أين سطوة ﴿لاَ تَذَرْ﴾ من حلم «اهدِ قومي»؟ أين انفراق البحر من انشقاق القمر؟ أين انفجار الحجر من نبع الماء بين الأصابع الشريفة؟ أين التكليم عند الطور من قاب قوسين؟ أين تسبيح الجبال في أماكنها من تقديس الحصا في الكفّ؟ أين علو سليمان بالريح من ليلة المعراج؟ أين إحياء عيسى الأموات من تكليم الذراع؟ كل الأنبياء ذهبت معجزاتهم بموتهم، ومعجزة الأكبر قائمة على منار: ﴿لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾، تنادي: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾، كسّر سلطانه كسرى، وأسرى رُعبَه فصارت الملوك أسرى»[1].

---

(١) «من مقامات ابن الجوزي».

صلّى عليك اللَّه يا عَلَم الهـدى   واستبشرت بقدومِك الأيّـام
هتفتْ لكَ الأرواحُ من أشواقها   وازّيّنت بحديثك الأقلام

✍ إذا تحدّثنا عنه تدفّق الخاطر، بكل حديث عاطر، وجاش الفؤاد، بالحب والوداد، ونسيت النفس همومها، وأغفلت الروح غمومها، وسبح العقل في ملكوت الحب، وطاف القلب بكعبة القرب، هو الرمز لكل فضيلة، وهو قبة فلك كل خصال جميلة، وهو ذروة سنام المجد لكل خلال جميلة...

يا مَن تَضوَّعَ بالرِّضوان أَعْظُمُه   فطاب من طيب تلك القاعُ والأكَمُ
نفسي الفداءُ لقبرٍ أنت ساكِنُه   فيه العفاف وفيه الجودُ والكَرمُ

❑ صلى عليك اللَّه يا رسول اللَّه.

الفرسُ والرومُ واليونانُ إن ذُكِروا   فعند ذكركَ أَسْمَالٌ على قَزَمِ
هُمْ نَمّقُوا لوحةً بالرِّق هائمةً   وأنتَ لوحُك محفوظٌ من التُّهَمِ

✍ وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم، وإنك لعلى خُلُق عظيم، وإنك لعلى نهجٍ قويم، ما ضلّ، وما زلّ، وما غلّ، وما ملّ، وما كلّ.

فما ضَلّ؛ لأن اللَّه هاديه، وجبريل يكلّمه ويناديه، وما زلّ؛ لأن العصمة ترعاه، واللَّه أيّده وهداه، وما ذلّ؛ لأن النصر حليفه، والفوز رديفه، وما غلّ؛ لأنه صاحب أمانة وصيانة، وديانة، ومَا ملّ؛ لأنه أُعطِي الصبر، وشرح له الصدر، ومَا كَلّ؛ لأن له عزيمة، وهمّة كريمة، ونفسًا طاهرة مستقيمة.

إذا حضر الشتاء فأنت شمسٌ   وإن حَلَّ المصيفُ فأنت ظِلٌّ

* * *

صلى الله عليه وسلم.

أُثني على مَن؟ أتدري من أُبَجِّلُهُ؟ ... أما علمت بمن اهْتَدَيْتُه كَلِمي
أَبْهى من البدرِ في قلب التمام وقُلْ ... أسخَى مَن البَحْرِ بَلْ أرسى مِنَ العَلَمِ
أَغَرُّ تُشرِق مِن عَيْنَيْه مَلْحَمةٌ ... مِن الضياء لتجلو الظُّلْمَ والظُّلَمِ
بنُورِ هَدْيِكَ كَحَّلْنَا محاجرنا ... لما كتبنا حروفًا صُغْتُها بِدَمِ
مَن نحنُ قبلَكَ إلا نقطةٌ غَرَقَتْ ... في اليمِّ بَلْ دَمْعَةٌ خَرْسَاءُ في القِدَمِ
أهدَيتنا مِنبرَ الدنيا وغار حرا ... وليلةَ القدر والإسراءِ للقمم
والحوض والكوثر الرَّقْراق جئتَ به ... أنت المُزَمِّل في ثوب الهُدى فقُم
بك اسْتَفَقْنَا على صُبْحٍ يُؤَرِّقُهُ ... بلالُ بالنغمة الحَرّا على الأَطَمِ

فمن كانت هذه نقطة من بحر فضله وخصاله فكيف تعرف النفس طريقًا غير طريقه، وكيف ترنو العين إلى غير نور هديه؟

وليعدّ كل منا جوابًا عند الوقوف على حوضه.

أنت القتيل بكلّ من أحببته ... فاختر لنفسك في الهوى مَن تصطفي

* * *

٣٥ ـ جعلُ الهمّ همًّا واحدًا، وجعلُه في الله والدار الآخرة، وحُبّ الله والشوق إلى لقائه:

من جعل الهمَّ همًّا واحدًا وجعله في اللَّه، «لا يزال اللَّه يرقِّيه طبقًا بعد طبق ومنزلاً بعد منزل، إلى أن يوصله إليه، ويُمكِّن له بين يديه.. والسعيد كل السعيد، والموفَّق كل الموفق: مَن لم يلتفت عن ربه تبارك وتعالى يمينًا ولا شمالاً، ولا اتخذ سواه ربًّا ولا وكيلاً، ولا حبيبًا ولا

مدبرًا، ولا حكمًا ولا ناصرًا ولا رازقًا.

فإن استمرَّ على حاله واقفًا بباب مولاه لا يتلفت عنه يمينًا ولا شمالاً، ولا يجيب غير مَن يدعوه إليه - رُجِي له أن يستغرق قلبه في أنوار مشاهدة الجلال بعد ظهور أنوار الوجود الحق، فيبقى قلبه سابحًا في بحرٍ من أنوار آثار الجلال، فتنبع الأنوار من باطنه، حتى يجد الملكوت الأعلى كأنه في باطنه وقلبه، ويجد قلبه عاليًا على ذلك كله، صاعدًا إلى من ليس فوقه شيء، ثم يرقيه اللَّه سبحانه، فيُشهده أنوار الإكرام بعدما شهد أنوار الجلال، فيستغرق في نور من أنوار أشعة الجمال، وفي هذا المشهد يذوق المحبة الخاصة المُلهبة للأرواح والقلوب، فيبقى القلب مأسورًا في يد حبيبه ووليِّه، ممتَحنًا بحبِّه.

فيا له من قلب ممتحن مغمور، مستغرق بما ظهر له من أشعة أنوار الجمال الأحَدي، والناس مفتونون ممتحنون، بما يفنى من المال والصُّور والرياسة، معذَّبون بذلك قبل حصوله، وحال حصوله، وبعد حصوله، وأعلاهم مرتبة مَن يكون مفتونًا بالحُور العين، أو عاملاً على تمتُّعه في الجنة بالأكل والشرب واللباس والنكاح، وهذا المحبُّ قد ترقَّى في درجات المحبَّة على أهل المقامات، ينظرون إليه في الجنَّة كما ينظرون إلى الكوكب الدُّري الغابر في الأفق؛ لعلوِّ درجته وقرب منزلته من حبيبه ومعيَّته معه، فإن المرء مع من أحبَّ، ولكلِّ عمل جزاء، وجزاء المحبَّة: المحبَّةُ والوصول والاصطناع والقرب، فهذا هو الذي يصلح، وكفى بذلك شرفًا وفخرًا في عاجل الدنيا، فما ظنُّك بمقاماتهم العالية عند مليك مقتدر»[1].

(١) «مدارج السالكين» (٣/ ٣٨١، ٣٨٢) بتصرُّف.

✍ ولله درُّ ابن القيم حيث يقول: «إن الله سبحانه أبى أن يجعل ذخائره في قلب فيه سواه، وهمته متعلقة بغيره، وإنما يُودع ذخائره في قلب يرى الفقر غنًى مع اللـه، والغنى فقرًا دون الله، والعزَّ ذلاً دونه، والذل عزًّا معه، والنعيم عذابًا دونه، والعذاب نعيمًا معه، فلا يرى الحياة إلا به ومعه، والموت والألم، والهم والغم والحزن، إذا لم يكن معه؛ فهذا له جنتان: جنة في الدنيا معجَّلة، وجنة يوم القيامة.

ولله ما أحلاه! عكوف القلب على الله عز وجل وحده كعكوف البدن في المسجد لا يفارقه!! وإن كانت الملائكة لا تدخل بيتًا فيه صورة، فكيف تدخل محبة الله عز وجل قلبًا مُلئ بالصُّور والأغيار؟!

أردناكم صِرْفًا فلمَّا مُزِجتمُ بعُدْتمْ بمقدارِ التفاتكُمُ عنَّا
وقلنا لكم: لا تُسكِنوا القلبَ غيرَنا فأسكَنتُمُ الأغيارَ ما أنتمُ منَّا

ومَن لم يعكُف قلبه على الله وحده؛ عكف على التماثيل المتنوِّعة، كما قال إمامُ الحنفاء لقومه: ﴿مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٢]؛ فاقتسم هو وقومه حقيقة العكوف، فكان حظُّ قومه العكوف على التماثيل، وكان حظّه العكوف على الربِّ الجليل»[1].

«فيا حسرةَ المحِبِّ الذي باع نفسه لغير الحبيب الأول بثمن بَخسٍ، وشهوة عاجلة، ذهبت لذتها، وبقيت تبعتها، وانقضت منفعتها، وبقيت مضرتها، فذهبت الشهوة، وبقيت الشقوة، وزالت النشوة، وبقيت الحسْرة!!

✍ فوا حسرتاه لصبٍّ جُمع له بين الحسرتين: حسرة فوت المحبوب

---

(١) «الفوائد» ص(٢٥٥ ـ ٢٥٦) بتصرف.

الأعلى والنعيم المقيم، وحسرة ما يقاسيه من النصَب في العذاب الأليم!! فهنالك يعلم المخدوع أيّ بضاعةٍ أضاع، وأن من كان مالِك رِقِّه وقلبه لم يكن يصلح أن يكون له من جملة الخدم والأتباع.

✍ فأيُّ مصيبة أعظم من مصيبة مَلِكٍ أُنزل عن سرير ملْكه، وجعِلَ لِمَن لا يصلح أن يكون مملوكَه أسيرًا، وجُعِلَ تحت أوامره ونواهيه مقهورًا؟! فلو رأيتَ قلبه وهو في يد محبوبه، لرأيته:

كعصفورةٍ في كفِّ طفلٍ يسومها ... حياضَ الرَّدى والطفلُ يلهُو ويلعبُ

✍ ولو شاهدتَ حالَهُ وعيْشَهُ؛ لقلتَ:

وما في الأرض أشقى من مُحِبٍّ ... وإنْ وجد الهوى حُلوَ المذاقِ

تراهُ باكيًا في كلِّ حينٍ ... مخافة فُرقْةٍ أو لاشتياقِ

فيبكي إن نأوْا شوقًا إليهمْ ... ويبكي إن دَنَوْا حذَرَ الفراقِ

فهل يليق بالعاقل أن يبيع هذا المَلِك المطاعَ لمن يسومه سوء العذاب، ويُوقع بينه وبين وليِّه ومولاه الحقِّ الذي لا غناء له عنه ولا بد له منه ـ أعظمَ الحجاب؟! فالمحب بمن أحبه قتيل، وهو له عبد خاضع ذليل؛ إن دعاه لبَّاه، وإنْ قيل له: ما تتمنَّى؟ فهو غاية ما يتمنَّاه، لا يأنس ولا يسكن إلى سواه، فحقيقٌ به أن لا يُملِّك رِقَّه إلا لأجَلِّ حبيب، وأن لا يبيع نصيبه منه بأخس نصيب». اهـ[1].

فوا حسرتاه على بصيرة شاهدت هاتين الحياتين على ما هما عليه، وعلى همة تُؤثر الأدنى على الأعلى، وما ذاك إلا بتوفيق مَن أزِمَّة الأمور بيديه، ومنه ابتداء كل شيء وانتهاؤه إليه؛ أقْعَدَ نفوس من غلبت عليهم

(١) من «إغاثة اللهفان».

الشقاوة عن السفر إلى ربهم وهذه الدار وأطيب الجوار، وجذب قلوب من سبقت لهم منه الحُسنى، فأقامهم في الطريق، وجعل همهم واحدًا وجعله فيه، وسهَّل عليهم ركوب الأخطار. فأضاع أولئك مراحل أعمارهم مع المتخلِّفين، وقطع هؤلاء مراحل أعمارهم مع السائرين، وعُقدت الغَبَرة وثار العَجَاج، فتوارى عنه السائرون والمتخلفون، وسينجلي عن قريب، فيفوز العاملون ويخسر المبطلون.

□ **أخي:** وجِيبُ القلب وخفقانه لمن له نُعوت الجمال والجلال والكمال.

قومٌ تخلَّلهُمْ زهْوٌ بسيِّدهمْ ... والعبدُ يزهو على مقدار مولاهُ
تاهُوا به عمَّنْ سواهُ لهُ ... يا حسْنَ رؤيتهم في حُسْنِ ما تاهوا

* * *

نحنُ الذين استيقظتْ بأذانِهم ... دنيا الخليقةِ مِنْ تهاويلِ الكَرَى
نحن الذين إذا دُعوا لصلاتِهم ... والحربُ تسقي الأرض جامًا أحمرا
جعلوا الوجوه إلى الحجاز وكبّروا ... في مَسْمَع الكَوْنِ العظيمِ فكَبّرا
مَن غيرنا هدمَ التماثيل التي ... كانت تُقَدِّسُها جَهالات الورى
حتى هوتْ صُورُ المعابدِ سُجَدًا ... لجلالِ من خَلَقَ الوجودَ وصَوَّرَا
ومن الذي بَذَلَ الحياةَ رخيصةً ... ورأى رِضاكَ أعزَّ شيء واشترى

* * *

بلغت نهايةَ كلِّ أرضٍ خيلُنا ... وكأن أبحرها رمال البيدِ
في محمل الأكوانِ كان هلالُنا ... بالنصر أوضحَ من هلالِ العيدِ

فـي كـل مـوقـعـة رفـعـنـا رايـةً ... للمـجد تـعلـنُ رايـةَ التوحيــد
أمُ البَـرِيَّـة لـم تـكـن مـن قـبـلـنـا ... إلا عـبـيـداً فـي أســـار عـبـيــد
بـلـغـت بـنـا الأجـيـالُ حُـرِّيَـاتِـهـا ... مِـن بَـعْـدِ أصـفـادٍ وذُلِّ قـيـــودِ

* * *

طريـــق
العــودة لأمجادنــا
«لن يصلح آخر هذه الأمة
إلا بمـا صلح بــه أولهــا»

طريق العودة لأمجادنا

• ما الطريق لعودة مجدنا؟ وما هو السبيل؟

إن المشوار طويل طـويل، وإن الجهد المطلوب غاية فـي الضخامة، وإن الوسائل المطلوبة أكثر بكثير مما هو مُعَدّ.

إن الأمة ـ إلا مـا رحم ربـك ـ في حالـة «الغـثاء» التـي وصفـها رسول اللَّه ﷺ قـبل أربعة عشر قـرنًا حين قال: «**يُـوشك أن تـداعـى عليكم الأمم كما تداعى الأكـلة إلى قصعتها**»، قالوا: أَمِن قلة نحن يومئذ يا رسول اللَّـه؟ قال: «**بل أنتم يومئذ كـثير، ولكنكم غثاء كغثاء الـسيل، ولينزعن اللَّه المهابة من صدور أعدائكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن**»، قالوا: وما الوهن يا رسول اللَّه؟ قال: «**حب الدنيا وكراهية الموت**»[1] .

✍ وهناك معالم لا بدّ من مراعاتها للعودة لمجدنا:

أولاً: التصفية والتربيــة:

تصفية الـعقيدة مما شابها من الـعقائد الباطلة والـفاسدة والخرافات والشركيات، وتـصفية السنة مما أُدخل فيـها مما ليس منها، وذلك بـتمييز الصحـيح والحسن من الـضعيف والموضـوع، وما لا أصل له، وتصـفية الفقه مما شابه من الآراء والمحدثات المخالفة.

□ يقول الشـيخ الألباني ـ رحمه الـلَّه ـ: [« أنا أرى أن أي إصلاح يجب أن يقوم بـه الدعاة إلى الإسلام، والناشدون لإقـامة دولة الإسلام بإخلاص هو أن يعودوا إلى أن يُفَهِّموا أولاً أنفـسهم؛ ويُفَهِّموا الأمة ثانيًا الدين الذي جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام، وذلك لا سبيل إليه إلا

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الملاحم، باب في تداعي الأمم على الإسلام.

بدراسة الكتاب والسنة».

✍ ويقول: «نحن نعتقد أن كل ما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام يجب أن نتبناه دينًا أولاً، مع وزنه بأدلة الشريعة؛ إن كان فرضًا ففرض، وإن كان سنّة فسنّة».

✍ ويقول: «الرجوع إلى الدين هو الرجوع إلى الكتاب والسنة؛ لأن ذلك هو الدين باتفاق الأئمة، وهو العصمة من الانحراف والوقوع في الضلال».

✍ ويقول: «إذا أردنا العزة من اللَّه تبارك وتعالى، وأن يرفع عنا الذل وينصرنا على العدو؛ فلا يكفي لذلك ما أشرنا إليه من وجوب تصحيح المفاهيم، ورفع الآراء التي أوّلت الأدلة الشرعية عند أهل العلم.

وإنما هناك شيء آخر مهم جدًّا ـ هو بيت القصيد ـ لتصحيح المفاهيم؛ ألا وهو العمل؛ لأن العلم وسيلة للعمل، فإذا تعلّم الإنسان، وكان علمه صافيًا مصفّى، ثم لم يعمل به؛ كان بدهيًّا جدًّا أن هذا العلم لا يثمر، فلا بد من أن يقترن مع هذا العلم العمل.

ويجب على أهل العلم أن يتولَّوْا تربية النشء المسلم الجديد على ضوء ما ثبت في الكتاب والسنة، فلا يجوز أن ندع الناس على ما توارثوه من مفاهيم وأخطاء؛ بعضها باطل قطعًا باتفاق الأئمة، وبعضها مختلف فيه وله وجه من النظر والاجتهاد والرأي، وبعض هذا الاجتهاد والرأي مخالف للسنة.

فبعد تصفية هذه الأمور، وإيضاح ما يجب الانطلاق والسير فيه، لا بد من تربية النشء الجديد على هذا العلم الصحيح.

وهذه التربية هي التي ستثمر لنا المجتمع الإسلامي الصافي وبالتالي تقيم لنا دولة الإسلام.

✍ ويدون هاتين المقدِّمتين: «العلم الصحيح»، و«التربية الصحيحة» على هذا العلم الصحيح يستحيل في اعتقادي أن تقوم قائمة الإسلام أو حكم الإسلام أو دولة الإسلام.

✍ وإذا كان الرسول عليه الصلاة والسلام جعل العلاج في رفع الذل المخيِّم علينا إنما هو بالرجوع إلى الدين، فيجب علينا إذن أن نفهم الدين بواسطة أهل العلم فهمًا صحيحًا موافقًا للكتاب والسنة، وأن نربي النشء الصالح الطيب على ذلك، وهذا هو الطريق لمعالجة المشكلة التي يشكو منها كل مسلم.

✍ وقد أعجبتني كلمة ـ هي في الواقع كأنها خلاصة لما قلته أو بيَّنْتُه آنفًا ـ لبعض المصلحين في العصر الحاضر، وهي في رأيي كأنها من وحي السماء؛ يقول: «أقيموا دولة الإسلام في قلوبكم تُقَمْ لكم على أرضكم».

ولا بد من أن نصلح نفوسنا على أساس من إسلامنا وديننا، وهذا لا يكون بالجهل؛ وإنما بالعلم؛ حتى تقوم دولة الإسلام على أرضنا هذه»}[(1)] .

* تربية الناس على عقيدة أهل السنة والجماعة:

◻ يقول الشيخ الألباني: «إن كثيرًا من المسلمين يشهدون أن

(1) نقولات من كتاب «التصفية والتربية وحاجة المسلمين إليهما» للشيخ الألباني ـ المكتبة الإسلامية بالأردن.

إلا اللَّه وأن محمداً رسول اللَّه، وهم لا يلتزمون لوازم هاتين الشهادتين، وهذا بحث طويل؛ فكثير من المسلمين اليوم ـ حتى الذين يُعَدّون من المرشدين ـ لا يعطون (لا إله إلا اللَّه) حقها من التفسير، ولقد انتبه لهذا كثير من الشباب المسلم والكُتّاب المسلمين؛ وهو أنّ من حق هذه الشهادة أن الحكم للَّه، نعم؛ أريد أن أقولها صريحة: لقد انتبه الشباب المسلم والكُتّاب المسلمين اليوم إلى هذه الحقيقة؛ وهي أن الحكم للَّه عز وجل وحده، وأن تسليط القوانين الأرضية، واعتمادها لحل المشاكل القائمة اليوم؛ ينافي كون الحكم للَّه عز وجل»[1] .

*** قاعدة هامة:**

◻ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه اللَّه ـ:

«فأما بعدما بعث الرسول ﷺ ، فالجاهلية المطلقة قد تكون في مصر دون مصر كما هي في دار الكفار، وقد تكون في شخص دون شخص، كالرجل قبل أن يُسلم فإنه يكون في جاهلية وإن كان في دار الإسلام. فأما في زمان مطلق فلا جاهلية بعد مبعث محمد ﷺ فإنه لا تزال من أمته طائفة ظاهرين على الحق إلى قيام الساعة.

والجاهلية المقيّدة قد تقوم في بعض ديار المسلمين، وفي كثير من المسلمين»[2] .

✍ هذا في زمان ابن تيمية فكيف لو رأى زماننا هذا؟

---

(١) «التصفية والتربية» للألباني ص(٢٥ ـ ٢٦).

(٢) «اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم» ص(٧٨ ـ ٧٩).

✍ «إن بعض الدعوات والانحرافات التي نشأت في المسلمين تنادي بتوجه المسلمين إلى عبادة غير اللَّه، واتباع منهج غير منهج اللَّه، فعادت في ديار المسلمين كثير من مظاهر الشرك...

وقد تبنت كثير من الفرق مناهج مضادة للمنهج الإسلامي، ومن ذلك تبني المنهج الفلسفي الكلامي في إرساء العقيدة والإيمان، وهذا المنهج مزاحم للمنهج الإيماني القرآني القائم على الوحي، وعمدة المنهج الفلسفي الكلامي نظريات عقلية، وأصول فلسفية، ومصطلحات منطقية، وهذا المنهج يختلف عن المنهج الإيماني القرآني في طريقة الاستدلال وفي المقصد والهدف»[1] .

✍ ومن المناهج المخالفة للمنهج الإسلامي الصحيح المنهج الصوفي الذي يغرق في الفلسفة من الحلول ووحدة الوجود، والتواكل.

✍ وهناك لوثة الفكر الإرجائي التي تخرج العمل عن مسمى الإيمان، فضلاً عن الفكر العلماني والدعوات التي تناقض الإسلام من الشيوعية والبعثية والدعوات التي تنادي بالاعتزاز بالحضارات الكافرة البائدة كالفرعونية والآشورية والبابلية، والدعوات التي تقوم على المبادئ الضالة على أساس القومية والوطنية وهي دعوات تضاد الإسلام وتحاده.

✍ فلا بد من تربية سليمة على أساس من العقيدة السليمة عقيدة السلف وتجلية قضايا التوحيد كلها: قضية لا إله إلا اللَّه، والحاكمية، والقضاء والقدر، ومسائل الكفر والإيمان..

---

(١) «كيف تستعيد الأمة الإسلامية مكانتها من جديد» للشيخ عمر سليمان الأشقر ص(٣٩ - ٤٤) - دار النفائس.

✍ إن مصدر الهداية الوحيد كتاب اللَّه وسنة رسوله ﷺ بفهم سلفنا، والهدى هدى اللَّه.

✍ وعقيدة السلف قواعد وضوابط تعصم من الخطأ في مجال الاعتقاد وهناك لون آخر من العقيدة يبعث العباد إلى العمل بما جاءهم من عند اللَّه مخلصين دينهم للَّه، وهذا اللون هو الذي يجعل المسلم قوة حية متحركة عاملة، وهذا اللون من العقيدة حتى يعطي ثماره لا بد من دراسته من خلال النصوص»[1] .

ثانيًا: إيجاد الكوادر والقاعدة الصلبة التي تحمل همّ الإسلام:

لا بد من إنشاء القاعدة الصلبة وتربيتها على أعلى ما يتاح لنا من مستويات التربية، وتنقيتها من الشوائب بأقصى ما يُتاح لنا من وسائل التنقية.

✍ «ووسيلتنا في التربية هي ذات الوسيلة التي استخدمها المربي الأعظم ﷺ : تعميق الإيمان باللَّه واليوم الآخر، وتعميق الصلة باللَّه، وتعويد النفوس على الحياة في معية اللَّه، والتدريب على ممارسة السلوك الإيماني في عالم الواقع. . ثم تعميق الوعي، بالوسائل التي تؤدي إلى تعميقه، على أن نأخذ في اعتبارنا أن القدوة هي الوسيلة الأولى - والكبرى - في عملية التربية، ثم تأتي بعدها الموعظة والنصائح والدروس مع الرعاية والمتابعة والدأب والصبر، حتى تستجيب النفوس ثم تستقيم.

---

(١) المصدر السابق ص(٦٩ - ٧٠).

جهد ضخم في الحقيقة، وهو على ضخامته لا يؤتي ثماره في يوم وليلة ولا يمكــن استعجاله، ولا يمكن تــخطيه، إذا كنا جادين فــي القيام بعمل ينقذ الأمة مما هي فيه ويسعى إلى تحويل الجاهلية عما هي فيه»[1] .

✍ «والدرس الأول في بنــاء القاعدة الصلبة مــن كوادر الإسلام هو درس لا إله إلا اللّٰه، علمًا بها، وتربية على مقتضياتها.

لا بد من التربيــة البطيئة الشاملة ولو استـغرق ذلك عدة أجيال.. فإن دولة الخـلافة التي احتــاجت إلى قرون طويلــة لإسقاطها تحـتاج إلى قرون لإقامتها.

❑ ولا بد من استخدام كل الوسائل المتاحة في التربية:

١ـ الوعظ: وهو وسيلة ذات إغراء شديد عند كثير من الناس واستخدام الموعظة في الـدعوة أمر رباني ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥].

ولكنها حين تـستخدم وحدها لا تُؤتي ثمارهــا.. إن اللّٰه عز وجل أرسل بالمـوعظة رسولاً يـكون هو بذاته الـقدوة للناس لـكي يستـوعبوا الموعظة أولاً ثم يطبقوا مقتضاها بعد ذلك.

❑ لقد وصفت السيدة عائشة ـ رضي اللّٰه عنها ـ رسول اللّٰه ﷺ فقالت: «كان خُلُقه القرآن».

لم يكن الرسول ﷺ مجرد خطيب يقف على المنبر ليعظ الناس، إنما كان قــبل ذلك مربيًا بــالقدوة في شخـصه الكريم، وكانت المـوعظة

---

(١) «كيف ندعوا الناس» محمد قطب ص(١٣٨ ـ ١٣٩) ـ دار الشروق.

وسيلة من وسائله لتوصيل الدعوة للناس.. بل إنه ﷺ هو الذي قال الصحابة - رضوان اللَّه عليهم - إنه كان يتخولهم بالموعظة، أي بين الحين والحين، مخافة السآمة! السآمة من أي شيء؟ من موعظته ﷺ ؟! وفي نفوس مَنْ؟! في نفوس الصحابة - رضوان اللَّه عليهم - الذين كانوا يلتقطون كل كلمة يقولها ﷺ بالإقبال والرغبة والحب، ليقينهم أنها طريقهم إلى الجنة! فكيف بنا نحن البشر العاديين حين تكون كل بضاعتنا هي الوعظ والإرشاد؟!

✍ نحن لا نقول: إنَّ الموعظة وحدها لا تؤتي ثمارًا أبدًا - حاشا للَّه - وإنما نقول: إنها وحدها إنْ صلحت في أحوال معينة في إصلاح أفراد، فإنها لا تصلح لإصلاح أمة بلغ الفساد فيها مبلغه، ولا تصلح لإقامة دعوة تريد أن تعيد بناء أمة وصلت إلى درجة الغثاء.

٢- التربية الروحية: ضرورة لا غنى عنها في البناء.. بل لا يُتصور أن يقوم بدونها عمل دعوي على الإطلاق، إذا عنينا بالتربية الروحية تعميق الصلة باللَّه، وترقيق القلب لعبادته سبحانه، وتذكير الإنسان باليوم الآخر، وربط مشاعره بالموقف الذي يلقى اللَّه فيه.. وقد كان هذا جزءًا بارزًا وأساسيًّا من عمل الرسول ﷺ في تربية أصحابه - رضوان اللَّه عليهم - في مكة خاصة، حين فُرِض عليهم قيام الليل لتعميق هذه الصلة وتثبيتها وترسيخها.

✍ إن الإنسان في حلبة الصراع يُجهَد ويتعب، ويحتاج إلى سند يقويه، يمنعه من السقوط، ويمنع عنه الوهن الذي قد يعتريه، وهنا تبرز تلك الطاقة الروحية تقيه من الوهن، وتقوّيه على الصمود، بما تمده من

طاقة، وتشع في كيانه من نور.

✍ والإنسان في حلبة الصراع قد يستوحش، حين يتكاثر عليه الأعداء، ويجد نفسه وحده، أو يجد من حوله مستضعفين مثله لا يملكون نصره، وهنا تبرز تلك الطاقة الروحية تؤنسه بذكر اللَّه فلا يستوحش، وتذكّره بالثمرة الجنيّة في اليوم الآخر فيجدّ في السعي.

✍ والإنسان في حلبة الصراع قد يفتقد المتاع الحسي، والأهل والأصحاب، والفراش الوثير، والطعام الوفير، فتحنّ نفسه لذلك كله، أو لشيء منه، فيثّاقل إلى الأرض، وهنا تبرز الطاقة الروحية توازن في حسّه ثقلة الأرض، وتعوّضه عن حرمانه بمتاع أعلى: معية اللَّه، ورضوان اللَّه، والجنة.

إنها الزاد التي يحتاج إليه المسافر ليقطع الرحلة في أمان، إن هذه التربية الروحية هي زاد الطريق ومدد الروح وجلاء القلب، إنها تفتح القلب، وتوثق الصلة باللَّه، تشرق بالنور، وتفيض بالعزاء والسلوى والراحة.

✍ لا بد من الربانية لبعث الأمة الإسلامية.

✍ «إن سر الأسرار في نواقض العمل الإسلامي في القرن الرابع عشر يكمن في الانطلاق إلى الدعوة وطيّ فكرة الإنضاج في الربانية»[1].

✍ ولا ربانية بلا عبادة، بل الربانية علَم على العبادة، ومبنى العبادة على الذكر، والذكر الكثير هو الطريق للوراثة النبوية ﴿**قَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً**﴾ [الأحزاب: ٢١]، ولا ربانية بلا علم ﴿**وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ**

(١) «إحياء الربانية» لسعيد حوى ص(١٩) ـ دار السلام.

الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩]. ولا ربانية إلا ببيئة تربي على العلم وعلى الذكر، ويتحرك فيها الرباني نحو الخارج: بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والعلم والتعليم والنصيحة والخدمة»[1] .

إن معاني الإيمان تحتاج إلى تجديد.. والأمة محتاجة إلى إحياء مراتب الصديقية والشهادة والصلاح.. وهي من الأهمية في المكان الكبير والتفتيش على الدقائق الإيمانية والقلبية من الإخلاص والزهد والمحبة والتسليم والرضا من الخير والأهمية في ذروة سامية.

وبقدر ما يوجد في الأمة الإسلامية صدّيقون وشهداء وصالحون تكون القدوة موجودة في حاضر الأمة.

✍ ولطالما علت أصوات المخلصين الذين يريدون الخير لأمتهم: عندنا نقص وجفاف روحي... عندنا نقص تربوي... وسيبقى هذا الكلام مستمرًا حتى توجد كوادر عريضة قد تحققت بمعاني الربانية.

✍ التزكية هي ربع الرسالة المحمدية ومطلب عظيم أقسم اللَّه عليه أحد عشر قسمًا متتالية ما أتت إلا في موضع واحد من كتابه الكريم في سورة الشمس ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾.

إن الذي نال قسطًا من التزكية من مدرسة التهجد والصيام والذكر والإخلاص هو الذي يؤثر في الأجيال التي من بعده إلى ما شاء اللَّه... والمتخلف عنها يابس قاس، تقسو قلوب الناظرين إليه.

❑ قال بشر بن الحارث الحافي: «بحسبك أن قومًا موتى تحيى القلوب بذكرهم، وأن قومًا أحياء تموت القلوب برؤيتهم».

---

(١) المصدر السابق ص(٢١).

✍ إن إحياء الإخلاص والإحسان وفقه الباطن من أكبر واجبات ومهمات هذا العصر وفريضة الداعي.

✍ ولكن ليست هي نهاية الشوط فالأمر ليس مجرد سبحات روحية وإشراقات، مهما يكن عمق هذه السبحات، ووضاءة تلك الإشراقات.. إنه جهد وجهاد، وصراع حاد مع الباطل، يهدم الباطل ويشيد الحق.

ولا تغيّر التربية الروحية وحدها من واقع الأمة الهابط إلى الحضيض.

حقًّا إنها تنقذ أفرادًا من الضياع القاتل، وتبني لهم سياجًا يحميهم من المهلكات، ولكنها لا تنقذ الأمة من الضياع؛ لأنها لا تدفع بجنود إلى حلبة الصراع، ولا تشارك في التدافع الذي قال اللَّه إنه هو الأداة الربانية لحفظ الأرض من الفساد ﴿**وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾ [البقرة: ٢٥١].

٣ـ الشحن العاطفي:

مطلوب أن يتحمّس الناس لما يؤمنون به ولا يكونوا كالخُشب المسنّدة، لا تتحرك ولا تحدث حركة، فالدعوة لا تنتشر بأمثال هؤلاء، ولو كانوا هم أنفسهم مستجيبين وملتزمين، ولكنها بمفردها لا تؤدي إلى شيء. ولكن الحماسة كثيرًا ما تكون على حساب الوعي، وعلى حساب العلم الصحيح، وعلى حساب الخبرة فتفقد كثيرًا من مزاياها وتنشأ عنها أضرارًا كثيرة.

أما حين تكون الحماسة مع العلم والخبرة والوعي فللَّه ما أحلاها حين يغرّد الإنسان ويحدو!

لإســلامـي ولــو حـتــى إلــى الجـدران شـدّونــي
لإسـلامـي ولــو حـتــى إلــى الـنـيــران زفّـونــي
لإسـلامـي لإسـلامـي ولو فـي السوق باعـوني
وإسـلامـي لـه عــرقـي لـه نـبـضـي وتـكـويـنـي
ثـــارات لإســـلامـــي تـعـايـشـنـي تـغـذيـنـي
تـبـث الـنـور فـي روحـي وتــنـبـض فـي شـرايـنـي

٤ـ التوعية والبصيرة:

البصيرة من ألزم اللوازم للقاعدة الصلبة وهي ضرورة لا غنى عنها. قال تعالى: ﴿**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ [يوسف: ١٠٨].

فالغبش الذي أحاط بالإسلام وحقائقه في نفوس الناس غبش كثيف شامل، يحتاج إلى توعية شاملة بحقائق الإسلام ومفاهيمه بدءًا بلا إله إلا الله ونواقضها، ومفهوم العبادة، والقضاء والقدر، والدنيا والآخرة، ومفهوم عمارة الأرض، ومفهوم الجهاد.

والبصيرة مطلوبة لمعرفة واقع الأمة والأسباب التي أدّت إليه، فبغيرها لا تستطيع وضع المنهج المناسب للدعوة، وخطورة الانحراف لا يقدرها حق قدرها كثيرون.

✍ والتوعية مطلوبة لمعرفة مكائد العدو ومخططاتهم للقضاء على الإسلام، ووسائلهم في ذلك، والجهل بمخططات الأعداء ربما تستدرج بسببه جماعات في مواقف لا تخدم الدعوة مطلقًا، هؤلاء يكيدون ويمكرون بالإسلام مكر الليل والنهار يتابعون كل ما يدور في العالم

الإسلامي من أفكار وحركات، ويخططون على علم.

✍ وهذه البصيرة تكتسب بالتعلم والتعرف على السنن الربانية تارة، وتدبر التاريخ تارة، وبالخبرة تارة، وبالتربية تارة، وبالمشاورة التي يتم فيها تمحيص الآراء، وبيان وجهات النظر.

✍ ولكن التوعية الفكرية وحدها لا تؤدي إلى شيء حقيقي ما لم تكن زادًا لعقيدة صحيحة وحركة واعية، تزيدها المعرفة وعيًا وتبصّرها بمزالق الطريق، أما حين تتحول إلى ثقافة ـ مجرد ثقافة ـ فهي ترف عقلي لا يغيّر واقع النفوس.

٥- التربية الجهادية:

النفوس الرخوة التي لا تقدر على تكاليف الجهاد لا تصلح لحمل الدعوة، ولا للتحرك في وسط الأشواك، وفي مواجهة الوحوش الضارية التي تفتح أفواهها وتمدّ مخالبها لتنهش من تطوله من جنود الدعوة، وتفتك به بعد أن تذيقه العذاب الأليم.

ولكن التربية الجهادية ـ وحدها ـ لا تكفي لإقامة دعوة، بل لا تكفي حتى لحماية الدعوة من الأعداء، بل كثيرًا ما تكون سببًا في ضراوة الضرب من قبل الأعداء حين تنقصها الخبرة السياسية والخبرة الحركية، أو العلم، أو حين تبتعد عن العلماء العاملين وتسفّه آراءهم، وتتهمهم بأنهم لا يحيطون علمًا بالواقع أو ينقصهم الإحاطة «بفقه الواقع» هذه العبارات الرنانة المطاطة التي أقصت الشباب عن العلماء ودورهم الريادي حتى وقعت المصائب والطّوامّ الجسام التي منيت بها الدعوات في واقعنا.

كيف ينصر اللَّه عز وجل شبابًا أكلوا لحوم علماء السُّنَّة، وخاضوا

في أعراضهم.. وسخروا منهم بأن فقههم فقه دورات المياه حتى أصيبت الدعوات في مقتل.

✍ واشتطت فصائل فدخلت في معارك دموية مع الناس والسلطات، وكان لهذا أسوأ الأثر على العمل الإسلامي كله، ففضلاً عن النفور العام عند الناس من هذه الأعمال التي لا سند لها من شرع اللَّه، وما أقرّها عالم جهبذ ربانيّ؛ فقد وجدت وسائل الأعلام المتربصة بالإسلام فرصة مواتية لتلوين الساحة كلها بلون الدم المراق، ووصمت كل عمل إسلامي أيًّا كان نوعه بأنه عمل إرهابي ينبغي أن يحارب وتجفف منابعه! وما كانت وسائل الإعلام العالمية في حاجة إلى مَن ينبهها أو يحفزها إلى انتهاز الفرصة فاستغلت هذا بأقصى حدود الاستغلال.

وهذا كله نتيجة حتمية لنقص العلم الشرعي الذي يُشكل الضوابط الضرورية للفكر وللسلوك، وأيضًا البعد عن العلماء.

✍ وما أصيبت الدعوات في مقتل إلاَّ بسبب مثل هذه العجلة، وسبب آخر يوازيه هو تغليب العمل السياسي والاشتغال بالقضايا الوطنية والاجتماعية قبل التربية على العقيدة الصحيحة.. فاستهلكت طاقات الشباب في قضايا لا طائل منها.. قبل أن يتربوا التربية الإيمانية الكافية ليكونوا أصلب عودًا، وأكثر دراية، وأطول نفسًا وأقل تعجلاً حتى لا ينساقوا وراء عواطفهم فقط، ويظنوا أن أهدافهم سهلة المنال قريبة التحصيل.

* تصحيح المسار واجب على كل حال:

هام هام: ﴿ادخلوا في السلم كافة﴾:

إن مجموع الأمراض التي أصابت الأمة وحوّلتها إلى غثاء كغثاء السيل، ثم جلبت لها الأعداء يتداعون عليها كما تتداعى الأكلة على قصعتها أخطر من أن تعالج علاجًا سطحيًّا، بالوعظ أو التوجيه الروحي، أو الشحن العاطفي، أو التوعية الفكرية، أو التربية الجهادية، إذا استعملت أي واحدة من هؤلاء بمفردها على أساس أنها العلاج الوحيد السريع الذي ينقذ الأمة من واقعها وينقلها من حال إلى حال لا بد من الشمولية والدخول في «السلم كافة».

ويُرجى من الذين تعجّلوا في شتى الاتجاهات أن يراجعوا مسيرتهم، ويصحّحوا ما وقعوا فيه من أخطاء، ويبدءوا من جديد على هدي من المنهج النبوي السديد.

وأي بناء لا يكون على أساس من عقيدة سلفية فانفض يدك منه.

* كلنا على ثغر من ثغور الإسلام فليخش أحدنا أن يُؤتى الإسلام مِن قبله:

إن دولة الخلافة الفتيّة التي هي على منهاج النبوة والتي نأمل أن تقام على أرض الإسلام تحتاج إلى كوادر على مستوى فائق وتربيتها على أعلى ما يتاح لنا من مستويات التربية، وتنقيتها من الشوائب بأقصى ما يتاح لنا من وسائل التنقية.. هذه الكوادر تشمل كل مجالات الحياة فالتحديات التي ستواجه هذه الدولة تفوق الخيال، وتحتاج إلى رجال ربُّوا

على منهاج النبوة ووعوا المراد منهم جيدًا.

❑ وسنضرب أمثلة:

✍ نحتاج إلى كوادر تحمل العلوم الشرعيـة وتعيها جيدًا وتستوعبها جيدًا، تجيد تدريسـها جيدًا... تحمل الفقه المقارن بين عـيونها... تبلغ درجة الاجتهاد في المذهب لتولي مناصب القضاء الشرعي في طول البلاد وعرضها وهـي غير متوفرة... فالنـاس لا يصبرون على الوعـظ فكيف على التخصص والمثابرة على العلوم الشرعية دراسة وتدريسًا؟

✍ نحتاج إلى كوادر طـبية فقد قال الشافعي: «إنما ضـيّع المسلمون ثلث العلم بتضييعهم للطب وتركه لليهود والنصارى».

نحتاج إلى مهندسين في كل فروع الـهندسة، نحتاج إلى عسكريين وقادة في أركان الحرب والتخطيط، نحـتاج إلى اقتصاديين يديرون حركة الاقتصـاد الإسلامي بدلاً من هـذا الاقتصاد الـربوي، نحتاج إلـى أعلى التخصصات في نظم الإدارة والتخطيط.. وإلا فكيف تقوم الدنيا؟.

إن في كل مِـنّا طاقات وطاقـات نريد أن نوظـفها لإحياء المجـتمع الإسلامي في الواقع وشموله لكل جوانب الحياة.. من الناس من يبزّ في ميدان التجارة ولا يفيد في مجال العـلوم الشرعية، ومن الناس من يجيد الوعظ ولا يجيد إلقاء الدرس التخصصي.. هل نريد من الناس كلهم أن يكون كل منـهم كالشيخ الألبانـي أو الشيخ ابن باز ـ رحمهـما اللَّه ـ ما كان هذا ولا يكون..

✍ نـريد كـوادر تقـوم بـإنشـاء الصـحـف الإسلامـية والمجـلات الإسلامية، وينشئون الإذاعات الإسلامية. نـريد كوادر في الترجمة تنقل

لنا أحدث ما عند غيرنا من علوم.. وتنقل لهم ديننا المصفى.

✍ نريد من ينذرون أنفسهم للعناية بالبيت المسلم والأسرة المسلمة ويحتضنون النشء المسلم في محاضن تبتعد به عن هجير دنيانا الكالح..

✍ نريد كوادر تعنى بالجانب الاعتقادي يعلّمونه للأمة حتى تعلم كل الكوادر عقيدة أهل السنة والجماعة كل كادر بقدره.. فالعامي يحتاج إلى مجمل الاعتقاد، والمتخصص الذي يحارب أهل البدع ويناظرهم ويجادلهم يحتاج إلى مفصل اعتقاد أهل السنة.

* العمل الجماعي ضرورة لإعادة مجد الأمة:

سمّوه ما تسمون: التعاون على البرّ والتقوى.. العمل الجماعي.. لا بد من الانخلاع من الفردية.. والانضواء تحت عمل منظم.. والتعاون على البر والتقوى.. إن من يكيدون للإسلام ليل نهار مؤسسات وتنظيمات غاية في الدقة والتخطيط فلماذا لا ننخلع عن الفردية، وقد قال تعالى: ﴿**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي...**﴾ [يوسف: ١٠٥]. وهذا من أثمن النصوص في التعاون على البر والتقوى.

هناك من «آثر العمل الفردي، وظهرت التجمعات حول أشخاص الدعاة دون وجود أي نظام للعمل على استكمال العمل الإسلامي والقيام بفروض الكفايات إلا نظام الشيخ والتلميذ، وما قد يقتنع به البعض من أعمال الخير.

ولا يخفى أن هذه النظرة تفقد الرؤية الصحيحة لمستقبل العالم الإسلامي ولا تحدد خطوات محددة لتطور العمل والقيام بفروض الكفايات الضائعة، كما أن هذه التجمعات إن قويت فهي جماعة دون

مسمى، أو أن مسمّاها هو اللاجماعة، أو هم اسم قائدها ومعلمها وآراؤه، وليس منهجًا متكاملاً قابلاً للاستمرار والبقاء بعد غياب القائد بموت أو عجز أو غيره.

وهذا ما لا بد للصحوة أن تتنبه له، فعمر الأمم والدعوات ليس بعمر الأشخاص، بل عمرها يقاس بالأجيال وتغيّرات الشعوب ربما يحتاج إلى عقود أو قرون، فهل نعدّ دعوتنا لتحمل هذه الرحلة الشاقة أم هي مرتبطة بأشخاصنا تذهب بذهابها وتمرض بمرضها وتموت بموتها؟ لا شك أن البقاء بإذن اللَّه هو للنظام والمنهج والجماعة.

✍ والبعض من أصحاب الاتجاهات الإسلامية يعتبر أن جماعته هي المصيبة دائمًا في كل خلاف، وأن كل مَن خالفها فعليه أن يترك جماعته لينضم إليهم، وهي نظرة ضيّقة فيها من الغلو وعدم تقدير واقع أيّ من الجماعات والاتجاهات الموجودة على الساحة»[1].

✍ واختلاف التنوع ـ الموجود في ساحة العمل ـ من مقتضيات الرحمة ومظاهرها ولا بد من استثماره لتحقيق التكامل بين المسلمين، ولا بد من أجل ذلك أن نتجنب ترك الواجبات العينية الأخرى، وتحقير العلوم والأعمال الصالحة التي تقوم بها الاتجاهات الإسلامية الأخرى، والتعصب على اسم أو عمل معين، بل لا بد أن يكون الولاء على المنهج الإسلامي الصافي النقيّ منهج أهل السنة بشموله وتوازنه: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾ [المائدة: ٥٥].

(١) «فقه الخلاف بين المسلمين» للشيخ ياسر برهامي ص(٩٠) ـ دار العقيدة للتراث.

✍ أما اختلاف التضاد غير السائغ، فيجب علاجه بمحاربة البدع والضلالات والأقوال الباطلة، والاجتماع على منهج أهل السنة والجماعة، والعمل على نشره بتفاصيله وهذا يقتضي تحقيق هذا المنهج وتحديده تحديداً مفصلاً في قضايا العقيدة والعمل والدعوة ومناهج التغيير وغير ذلك، ولا شك أن أفضل المؤهلين لتحقيق هذه المعالجة المطلوبة هم الجماعات الملتزمة بمنهج أهل السنة على طريقة السلف.

وهي تحتاج إلى توحيد جهودها وتقارب صفوفها، وبذل الوسع في نشر منهجها. ووحدتها واجتماعها فريضة منشودة، فإن تعدد القيادة في مكان واحد في زمان واحد من الاختلاف المذموم الذي يجرّ الصراع على الرياسة وما معه من مفاسد ومحن، نسأل اللَّه العافية منها، فلا بد لهذه الاتجاهات أن تضع في أولويات عملها تحقيق التواصل فيما بينها للوصول إلى هذه الغاية المقصودة، ووجود منهج أهل السنة في جماعة واحدة قوية كفيل بإذهاب الدّخن من الاتجاهات الأخرى على الأقلّ إن لم يوحّد صفوف الأمة كلها خلف قيادة أهل العلم من أهل السنة وتحت لوائها: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧].

وليست هذه بأحلام وردية غير قابلة للتطبيق، بل مع التجرد والإخلاص والعمل المستمر نرجوا اللَّه أن يمن على هذه الأمة بوحدتها ورشدها وصلاحها»[1].

(١) «فقه الخلاف بين المسلمين» لياسر برهامي ص(٩١ - ٩٢).

* الوحدة الإسلامية أمل القلوب المسلمة الصادقة:

نريد وحدة صادقة تقوم على أصول قوّية ثابتة:

❑ **الأصل الأول: الانتماء للإسلام دون سواه:** فأفضل الناس هم الذين يعلنون انتسابهم إلى الإسلام ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ** ﴾ [فصلت: ٣٣].

❑ **الأصل الثاني: توحيد مصدر الهداية، والرجوع إلى النبع الصافي: الكتاب والسنة..** «إذا جاء نهر اللَّه بطل نهر معقل».

ونشرب إن وردنا الماء عذبًا ويشرب غيرنا كدرًا وطينا

● وللَّه كم أجملها من عبارة نطق بها رسولنا ﷺ:

«والذي نفسي بيده لو أصبح فيكم موسى عليه السلام، ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم، إنكم حظي من الأمم، وأنا حظكم من النبيين»[1].

❑ **الأصل الثالث: وحدة العقيدة:** عقيدة أهل السنة والجماعة عقيدة السلف الصافية المنصوص عليها في الكتاب والسنة، والتي يمكن التدليل على كل أصل من أصولها، أو جزئية من جزئياتها.

❑ **الأصل الرابع: جعل الكتاب والسنة محور الدراسة ومصدر التشريع.**

❑ **الأصل الخامس: إقامة دولة الإسلام وإرجاع دولة الخلافة الراشدة:** «لا يمكن أن تنتهي فرقة المسلمين السياسية إلا بإقامة دولة إسلامية راشدة تقيم فينا دين اللَّه وشرعه، وتحكمنا بالإسلام، وتُسمع العالم صوت اللَّه، وتقوم بواجب البلاغ الذي كُلِّفنا به، وتحمي حمى الإسلام، وتحرس هذا الدين، كما تحمي ديار المسلمين، وتحفظ حرمات المسلمين، وترد كيد

---

(١) «مسند أحمد» عن عبد اللَّه بن ثابت ـ رضي اللَّه عنه ـ.

الكائدين. نريد دولة الإسلام كي نتوحد في ظلها لنعود مرة أخرى دولة واحدة وأمة واحدة تختفي في ظلها النعرات الجاهلية، والعصبيات المقيتة.

إن الطريق إلى إقامة دولة الإسلام لا يتحقق بمجرد الأماني، الطريق ليس مفروشًا بالورود والرياحين، بل تعترضها عقبات جسام، ولكن لا بد من بذل الغالي والنفيس من أوقات المخلصين الصادقين وأموالهم وأنفسهم، حتى لو شردوا وعذبوا وقُتلوا.

* حاجة الدعاة الماسة إلى التجرد لله:

«من مداخل الشيطان إلى نفوس ذوي المواهب خاصة، فتنة «الذات»، فتنة «الأنا». حين يكون الإنسان جنديًّا في الصف يكون أبعد عن كيد الشيطان منه حين يبدأ يبرز بمواهبه، وتكون له مكانة خاصة، فهنا يجد الشيطان فرصة أكبر للغواية! وكلما برز الإنسان كانت محاولة الشيطان لإغوائه أشد! وتكون الفتنة في عنفوانها حين يتهيأ الإنسان لمركز من المراكز القيادية، أو لمركز الزعامة ذاته.. هنا يختلط الأمر في كثير من النفوس إذا لم تكن قد تربّت على التجرد للَّه، بين الدعوة وبين «الأنا» القائمة بالدعوة.

أنا ممثل الدعوة! أنا الذي تتوفر فيّ الصفات المطلوبة للقيادة! إذن فما يصيب شخصي يصيب الدعوة! وما يريحني وترتاح إليه نفسي هو صالح الدعوة! هكذا يتدسس الشيطان إلى النفوس فيجعل ذواتنا مركز اهتمامنا ومركز تحركنا.. إن فلانًا يقف في طريقي.. يناوئني أو يعارضني، أو لا ترتاح إليه نفسي. إذن فوجوده ليس في صالح الدعوة بل قد يكون خطرًا على الدعوة؟ لا بد من وقفه عند حدّه، لا بد من تحجيمه إن لم يكن الأفضل فصله من الجماعة لتسير الدعوة في طريقها

المستقيم أي الطريق الذي يكون فيه عزي وجاهي وسلطاني!!

آفة من أشد آفات العمل الإسلامي.. آفة أدت في الجهاد الأفغاني إلى إهدار دم مليون ونصف مليون شهيد والعبث بمقدرات أمة، وضياع أمل تعلّق به المسلمون في كل الأرض.. وما زالت تتسبب فيما يصيب بعض الجماعات من تشقق وتحزب وتشرذم وعداوة وخصام، وإنْ تَلَفّع الخصام بخلاف على المبادئ أو الخطط أو الأساليب.

حين نكون متجردين للّه نحتمل النقد سواء كان لأشخاصنا أو لأفكارنا أو لتصرفاتنا.

ترى كم أميرًا من أمراء الجماعات الإسلامية يطيق أن يوجّه إليه النقد من أحد أتباعه؟ وكم أميرًا يرجع إلى الحق حين يكون الذي وجهه إليه أخ من إخوانه في اللّه فضلاً عن جندي من جنوده؟

✍ حين نكون متجردين للّه لا تكون ذواتنا محور اهتمامنا ولا محور تحركنا، ولا نحس بالغيرة من بروز غيرنا حين يبرز عن جدارة ولا بالتفاف الناس حوله وإعجابهم به، ولا يدفعنا ذلك إلى محاولة للانتقاص منه أمام أتباعنا لكي لا يتحول «ولاؤهم» عنا إلى ذلك «المنافس» الذي التف حوله الناس!!

✍ وحين نكون متجردين للّه لا يكون «الولاء» لأشخاصنا أو لجماعتنا، الأولى أن نقول «حزبنا» هو محك الحكم على صلاحية الآخرين وجدارتهم بل يكون المحك هو المحك الرباني.

وحين لا نكون متجردين للّه بالقدر الكافي يحدث كثير مما يحدث في واقعنا المعاصر»[١].

---

(١) «كيف ندعوا الناس» لمحمد قطب ص(١٣٥ ـ ١٣٧) ملخصًا.

□ للَّه در إبراهيم بن أدهم حين يقول: «ما صدق اللَّه عبدٌ أحب الشهرة»[١].

□ وعبد اللَّه بن المبارك شيخ الإسلام القائل: قال لي سفيان: إياك والشهرة، فما أتيت أحدًا إلا وقد نهاني عن الشهرة[٢].

□ وسفيان الثوري القائل: «قلّ عالم تكبر حلقة درسه، إلا ويدخله العجب.

✍ نعم نعم.. كم من الأهواء تختفي في مسارب النفس وتكوّن لها أعشاشًا وأوكارًا.

✍ أشد الزهد: الزهد في النفس.

□ قال ذو النون: حقيقة الزهد: الزهد في النفس[٣].

□ قال الحسن: الزاهد: الذي إذا رأى أحدًا، قال: هذا أفضل مني.

□ وقال سفيان الثوري: «الزهد في الدنيا هو الزهد في الناس، وأول ذلك زهدك في نفسك»[٤].

✍ كم من الدعاة والمشاهير يحتاجون إلى التطامن والتواضع والمسكنة وترك الأبهة والجاه.. واللَّه إن الكثيرين والكثيرين قد وقعوا في ترف وأبهة يعجز أبناء الدنيا عن أن يجاروهم فيه.. وكم من كبائر القلوب: من عُجْبٍ وكِبْرٍ تلطخوا بها لا تجدها عند عوام الناس..

(١) «سير أعلام النبلاء» (٧/ ٣٩٣).
(٢) «حلية الأولياء» (٧/ ٢٣).
(٣) «مدارج السالكين» لابن القيم (٢/ ١٢).
(٤) «السير» (٧/ ٢٦٨)، و«الحلية» (٧/ ٦٩).

فاللَّهم استرنا بفضلك واجعلنا من الصالحين.

✍ لقد تشرذم العمل الإسلامي لأسباب متعددة.. منها غياب قيادة كبيرة تضم العمل الإسلامي وتوحده، أو في القليل تقرّب بين مختلف اتجاهاته، ووجود قيادات صغيرة، كل منها يعتد بنفسه ورأيه، ويرى أنه وحده على صواب والكل غيره مخطئون..

وجدنا «الأنا» تسري مسرى النار في الهشيم.. تنتقل من الأفراد إلى الجماعات..

✍ واللَّه، لقد سمعت بأذني من أكبر قيادة في جماعة حماسية من يقول: ابن باز وابن عثيمين ليسا بعالمينِ ولا يصلحا للإفتاء، لمجرد أنهما يخالفانه في تسرعه وتعجله الذي أصاب الدعوة في مقتل.. فكيف يرجى الخير مع وجود هذه الزعامات؟

✍ إن كثيرًا من الشباب القائم بالدعوة لم ينشأ في داخل تجمع يربي فيه روح التجرد والمثابرة على طلب العلم والحق، إنما نشأ على ترابط فكري هش، يسهل فسخه عند وقوع أي خلاف في التفسير أو التأويل، أو الفهم، فسرعان ما تنقسم الجماعات، وينقلب بعضها على بعض.. فالنقص في العلم الشرعي الذي يشكّل الضوابط الضرورية للفكر والسلوك أصاب الدعوة في سويداء قلبها.

* حاجة الأمة الملسة إلى الالتفاف حول العلماء الربانيين:

لا بد من التفاف الناس وجمعهم حول علمائهم الربانيين الصادقين المخلصين الورعين [«فهم في الحقيقة أولو الأمر منهم؛ لأنهم هم الذين يمكنهم أن يقودوهم بكتاب اللَّه وسنة رسوله ﷺ.

واجتماع الناس عليهم من أسباب قوة الصحوة وتأثيرها في المجتمعات المسلمة الجريحة بجراح الكفار والمنافقين، ثم هؤلاء العلماء عليهم أن يختاروا من بينهم أمثل من يقود المسلمين في ملماتهم ومهماتهم، ولا سبيل إلى أن يصبح أهل الحل والعقد الحقيقيون الذين هم أهل العلم من أهل السنة والجماعة أهل قوة وتأثير إلا بجمع الناس عليهم وردّ أمرهم إليهم، فإن واجب المسلمين حال غياب الإمام أن يكون العلماء هم ولاة الأمور.

◻ قال الجويني ـ رحمه اللَّه ـ: «قال العلماء: لو خلى الزمان عن السلطان فحق على قطَّان كل بلدة وسكان كل بلدة أن يقدّموا من ذوي الأحلام والنهى وذوي العقول والحجج من يلتزمون امتثال إشارته وأوامره وينتهون عن مناهيه وزواجره»(١).

◻ وقال أيضًا: «ثم كل أمر يتعاطاه الإمام في الأموال المفروضة إلى الأئمة، فإذا أشغر الزمان عن الإمام وخلى عن سلطان ذي نجدة واستقلال وكفاية ودراية، فالأمور موكولة إلى العلماء، وحق على الخلائق أن يرجعوا إلى علمائهم ويصدروا في جميع قضايا الولايات عن رأيهم، فإن فعلوا ذلك فقد هدوا إلى سواء السبيل وصار علماء البلاد ولاة العباد، فإن عسر جمعهم على واحد استبد أهل كل صقع وناحية باتباع عالِمهم، وإن كثر العلماء في الناحية فالمتَّبع أعلمهم، وإن فُرِض استواؤهم وهو فرض نادر لا يكاد يقع، فإن وقع، فإصدار الرأي عن جميعهم مع تناقض المطالب والمذاهب محال، فالوجه أن يتفقوا على

(١) «غياث الأمم» للجويني ص(٢٨٠).

تقديم واحد منهم»[(١)] [(٢)] .

□ قال عمر بن الخطاب ـ رضي اللَّـه عنه ـ: «من سوّده قومه على الفقه كـان حياة له ولهم، ومن سوده قـومه على غير فقه كـان هلاكًا له ولهم».

إن العلماء الربانيين هم ورثة الأنبياء عـلمًا، وخلقًا رفيعًا، وشفافية روحية لا تجارى، وفهمًا لواقع عصرهم وأوضاعه.

هم أولو الحكمة والشهادة العادلة على الناس وعلى الواقع، قادرون على الـعطاء، سائرون عـلى قدم الأنبيـاء، جأَّارون بالتضـرع والدعاء، و«الأصل أن عامة المسـلمين ينتظرون من عـلمائهم كلمة الـفصل، ومن خلال الـعلمـاء يثقـون أوْ لا يثقـون، والأصل أنه فـي قضايـا الإسلام والمسلمين أن يكون العلماء هم القادة وهم السادة وإليهم مرجع الناس في كل ما حزبهم»[(٣)] .

العلـماء العامـلون الصادقـون الربانيـون الزهاد هم حـاجة الأمة، وحاجة الناس إليـهم أشد من حاجتهم إلى الهـواء والطعام والشراب.. إنما العيش معهم، فهم الذين يـحسنون بناء النفوس وبناء الأمم، وهؤلاء هم الذين يجبرون ضعف المسلمين، ويقيلون الأمة من عثرتها، ويعيدون لها عزتها، وعلى أيـديهم يشرق على المسلمين فجرهم ويمـنّ اللَّه عليهم فيجعلهم أئمة ويجعلهم الوارثين.

---

(١) «غياث الأمم» ص(٢٨٢).
(٢) «فقه الخلاف بين المسلمين» ص(٥٥ ـ ٥٦).
(٣) «إحياء الربانية» لسعيد حوى ص(٤٨ ـ ٤٩).

يا ابن الإســـلام
أنت يوسف هذه الأحلام

يا بن الإسلام
أنت يوسف هذه الأحــلام

أخي:

صــباحُــكَ لـلـروح كـالـبَـلْـسَـمِ   بــهـيـج الـضـحـى رائــق المـبـسـمِ
يــحــرك في الــنـفـس وجــدانــهــا   ويــطــلـقـهــا مــن إســـارِ الـــدمِ
ويــرفـعـهـا مـن حــضـيـض الـترا   ب إلــى الأفــق الأرحـــب الأكــرمِ
ويـغـمـرهــا بــحــنــان الـــســمــا   ء ويمـــنــحــهــا هــيــبــة المـسـلـمِ
فـتـشـرق فـــي الـقـلــب أنـــواره   ويـــتـبـض بــالحــمــد لـلـمـنـعـمِ
ويــعــبــق فــيــه أريـــج الــهــدى   زكــيًّـــا يــطــولُ عـــلى المــوســمِ
أرقّ وأنـــــدى مــــن الـيـاســـمــيـ   ــن وأبـــهـــى جمـــالاً مـــن الـــبرعـمِ
ونـــــورك يـــــا فـــجـــر إســـــلا   مـنـا سـنـاه يـنـير الـقـلـوب الـعـمي
ويـــروي غـلـيـل العـطـاش الــذيـن   يــرون الــســراب كـسـيـلٍ طـمـي

* * *

أخي:

أنت أيها المسلم نبع في الأرض لمعاني النور بإزاء الشمس نبع النور في السماء، كأنما خـرجت نفسك من صيغة كصيغـة الدرّة في محارتها، أو تركيب كتركيب الماس في منجمه، أو صفة كصفة الذهب في عرقه.

للَّه درّك وما أودع الإسلام فيك من خصال، ففي موقف أنت جبل صامد يشمخ، وفي آخر أنت ماء عذب يجري.

أخي:

أنت كنز الفضائل ما من فضيلة فيك إلا ويطبع الإسلام عليها صورة الجنة، ولارذيلة تتحاشاها إلا والإسلام يضع عليها صورة النار التي وقودها الناس والحجارة.

كان التاريخ واقفًا لا يتزحزح، ضيّقًا لا يتسع، جامدًا لا ينمو حتى جاء المسلم أخو الشمس يطلع بنوره كل يوم على الدنيا.

أخي:

أنا على يقين دائمًا أن المسلم معه الغد وآتيه، وإن أدبر عنه اليوم وذاهبه، إن المسلم ليس رجل الأرض في الأرض، ولكنه رجل السماء في الأرض، إنه يتسع في الزمان والمكان من حيث لا يرى ذلك أحد ولا يعلمه، وكأنما كانت شمس فجره الآتي الذي سينتصر فيه، قبل أن تشرق على الدنيا مشرقة في قلبه.

أخي:

أنت للدنيا كالمنارة على الساحل تهدي الحائرين وترشد الأدلاء.

أنت أولى الناس بقول القائل:

وحقيقتي نورٌ فما لي سابحًا ... في لجة الظلمات والأشجانِ
أنا أمّة فيما أريد لأمتي ... وولايتي دنيا من الأجيال
فاخلق لنفسك نشوة ... في المجد ترهب في العرين أسودا
واجعل نشيدك قول ربك لا تخف ... حتى يهاب البرق منك رعودا[1]

(١) إقبال الشاعر الثائر ص (٦٩) لنجيب الكيلاني.

□ يا بن الإسلام:

إن هذه الشعلة من طين، عندما تتحلى بالتوحيد والإيمان واليقين، تكتسي بجناحي الروح الأمين، وتطير بهما في العالمين.

كن عبدًا لربك تكن حرًّا تقول لكل قيود الأرض: لا، لا يا قيود الأرض، فإنه لا تغني السيوف الصارمة، والعقول الراجحة، في الرقّ والعبودية فتيلاً، ولا تتحطّم سلاسل العبودية وأصفاد الذل والصغار إلا بطعم الإيمان وذوق التوحيد واليقين.

□ أخي:

إن البصيرة الإبراهيمية والعزة بالإسلام والتوحيد لا تتأتّى بسهولة، ولا توهب مجانًا، فكم من الأهواء تختفي في مسارب النفس وتكوّن لها أعشاشًا وأوكارًا.

*** يا بن الإسلام ويا يوسف الأحلام:**

كن نغمة الأخوة الحانية، ولسان الحبّ البليغ.. انطلق للدعوة إلى اللَّه عز وجل.. لا تحدّك حدود، ولا تغلّك قيود، رفرف بجناحيك يا طائر الحرم، وقبل أن تحلّق في الفضاء، انفض عنك غبار اللون والنسل والوطن والتراب، شقّ لك الطريق في اليباب القفار، وحطّم الجبال بسيلك العرم وتيارك، وإن اعترضتك حديقة في الطريق فناغمها بجدولك الجميل المنساب، الذي له خرير يُسكر النفوس ويبهر الألباب.

✍ علّم البلابل دروس التغريد ولحن التوحيد، وانفخ في الطيور روح الخفة، وافتح أكمام الزهور والرياحين، فأنت نسيم سحر العالم، ونفحة روضته الندية.

فدت نفسي وما ملكت يميني فوارس صَدَّقتْ فيهم ظنوني
فوارس لا يملّون المنايا إذا دارت رحى الحرب الزّبون(١)

يا بن الإسلام:

أحب شيء إلى نفسي أعزّه وجودًا وأبعده منالاً.. أبحث عن عملاق من الرجال وبطل من الأبطال، يملأ عيني برجولته، ويروّح نفسي.. مسلم يمتاز بين أهل الشك والظن بإيمانه ويقينه، وبين أهل الجبن والخوف بشجاعته وقوته الروحية، وبين عُبّاد الرجال والأموال والأصنام والملوك بتوحيده الخالص، وبين عُبّاد الأوطان والألوان والشعوب بآفاقياته وإنسانيته، وبين عُبّاد الشهوات والأهواء والمنافع بتجرّده من الشهوات وتمرّده على موازين المجتمع الزائفة وقيم الأشياء الحقيرة، وبين أهل الأثرة والأنانية بزهده وإيثاره وكبر نفسه، يعيش برسالته ولرسالته.

إنك أيها المسلم في العالم وحدك، وأما ما عداك سراب خادع ودرهم زائف.

أنت نقطة دائرة الحق، وكل ما عداك سراب خادع ودرهم زائف.

أنت أنت لا تتغير ولا تتحول، وأما ما عداك فزبد يذهب جفاء.

أنت الشجرة الطيبة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء، وما عداك شجرة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار.

بقاؤك كبقاء الشمس والكواكب النيّرة، لأنك تحمل رسالة خالدة، وتحتضن أمانة خالدة، وتعيش لغاية خالدة، أنت رمز لرسالات الأنبياء،

---

(١) لأبي الغول الطهموي. والحرب الزبون هي: التي تصدم الناس وتدمغهم.

وأذانك إعلان للحقيقة التي جاء بها إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى اللَّه عليهم وسلم.

أنت رسالة اللَّه الأخيرة، فلا يعتريها النسخ والتبديل.

أنت موج من أمواج بحر الإسلام الخضم، يأتي موج ويذهب موج، وتترامى الأمواج في أحضان البحر وتتلاشى في وجوده، والبحر لا يتغيّر؛ فالبحر امتداد دائم، كبحر الحياة وبحر الوجود تتبدّل أمواجه ولا يتبدّل كيانه.

إن العالم تراث للمؤمن ، لا يشاركه فيه أحد، خُلق وسُخّر له.

على الأذان الصارخ والنداء العالي، الذي ارتفع من جبل «أبو قبيس» قبل ثلاثة عشر قرنًا، استيقظ هذا الكون بعد السبات العميق، وكان نفخة صور للإنسانية الميتة والعالم المحتضر، وهو الكفيل الآن لإيقاظ الإنسانية وإحياء الضمير البشري.

إن المؤمن إذا نادى في الآفاق بأذانه، أشرق العالم واستيقظ الكون.

إن الفجر الذي سيهتز له هذا العالم المظلم ويُولي به ليل الإنسانية الحالك إنما ينشأ بأذان المؤمن.

إن المسلم حقيقة عالمية لا تنحصر بين حدود الجنسية والوطنية الضيقة، بل تتخطى حدود المكان والزمان، وتفيض كالطبيعة البشرية، وكالإنسانية العامة، في مساحة زمانية شاسعة، كمساحة التاريخ الإسلامي، وفي مساحة مكانية واسعة كمساحة العالم الإسلامي.

* * *

الصين لنا والعرب لنا ... والهند لنا والكلّ لنا
أضحى الإسلام لنا دينًا ... وجميع الكون لنا وطنا
توحيد اللَّه لنا نور ... أعددنا الروح له سكنا
الكون يزول ولا تُمْحَى ... في الدهر صحائف سؤددنا
بُنيت في الأرض معابدنا ... والبيت الأول كعبتنا
هو أول بيت نحفظه ... بحياة الروح ويحفظنا
في ظلّ الدين تَرَبَّيْنا ... وبنينا العزّ لدولتنا
عَلَمُ الإسلام على الأيام ... شعار المجد لملّتنا
وأذان المسلم كان له ... في الغرب صدى من همّتنا
قولوا لسماء الكون ... لقد طاولنا النجم برفعتنا
يا دهر أمَا جَرّبت على ... نيران الشدّة عزمتنا
طوفان الباطل لم يُغرق ... في الخوف سفينة قوتنا
يا ظل حدائق أندلس ... أنسيت مغاني عشرتنا
وعلى أغصانك أوكار ... عمرت بطلائع نشأتنا
يا دجلة هل سجّلت على ... شطيك مآثر عزتنا
أمواجك تروي للدنيا ... وتعيد جوانب سيرتنا
يا أرض النور من الحرمين ... ويا ميلاد شريعتنا
روض الإسلام ودوحته ... في أرضك روّاها دمنا[1]

* * *

(١) لمحمد إقبال.

✍ إن المسلم لا تعرف أرضه الحدود، ولا يعرف أفقه الثغور، ليس النيل والفرات، وسيحون وجيحون إلا أمواجًا صغيرة في بحره المتلاطم. عصوره عجيبة وأخباره غريبة، نسخ العهد القديم، وغيّر مجرى التاريخ. هو في كل عصر ساقي أهل الذوق، وفي كل مكان فارس ميدان الشوق، شرابه رحيق دائمًا، وسيفه ماض في كل معركة.

✍ إن المؤمن هو الميزان العادل، والقسطاس المستقيم، به يُعلم رضا اللَّه وسخطه، وبه يعرف الحسن من القبيح، فما راق في نظره فهو حسن، وما استقبحه فهو طائش، وفي عزائمه تتجلى الإرادة القوية، وهو الدين يسعى على قدميه، هو صاحب معان كثيرة، وشدو واحد، فهو كسورة الرحمن في القرآن، تتجدّد معانيه وتتكرر فيه آية ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾، ينير ظلمات كل عصر بنوره وضيائه، ويكرر رسالة الأنبياء، ويقول لكل جيل ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾.

✍ هو كالصبح جديد وقديم، فهو في جدّته ليس أجدّ منه، وهو في قِدَمه ليس شيء أقدم منه؛ هو قديم لكنه يتجدّد به العالم، وتتجدّد به الكائنات، وتنتعش به القوى، وتستيقظ به الأجسام والقلوب، والعقول؛ ثم جديد بنفسه، تتجدّد قواه ويتجدّد نشاطه، وتتفتح قريحته مع العصور، علمه سيّار، وعقله مبتكر، ونفسه طموح، وهمّته وثّابة، وهو كالمطر كل قطرة غير الأولى، ولكنها قطرات، كلها تحيي الأرض، وكلها تنبت النبات، وكلها تسقي الزروع والأشجار، وكلها تفتح الأزهار، وكلها تكوّن الأنهار.

● قال رسول اللَّه ﷺ: «مثل أمتي مثل المطر ....».

عجبًا لك أيها المسلم! تجلّت لك الآفاق، وغابت عنك نفسك؟ إلى متى تظل غافلاً جاهلاً؟ وتجلس ضائعًا عاطلاً، إن نورك الوهّاج أنار العالم القديم، ونسخ الليل البهيم، ولا تزال اليد البيضاء التي ورثتها عن موسى في كمّك، تتخطى حدود الآفاق الضيّقة، فأنت السابق لها والفائق عليها، هل تخاف الموت؟ لقد كان جديرًا بالموت أن يخافك، فأنت تكمن له وترصد به.

اعلم يقينًا، أن الكريم اذا وهب شيئًا، لا يسلبه ولا يشرده، وليس حتف ابن آدم في فراق الروح، إنما حتفه في ضعف الإيمان والحرمان من اليقين.

◻ أخي:

افتح عينيك أيها الزهر النائم مثل النرجس الذي لا يطبق عينيه لحظه، ولا يعرف الكرى إليه سبيلاً، لقد أغار على وكرنا الأعداء، ونهبوا كل ما فيه من كنوز وخيرات، ألا يكفي هدير الحمام، وصفير الآذان وأنين القلوب والأرواح، وبكاء الثكالى واليتامى، وصراخ السبايا أن يوقظك، انتبه من هذا السبات العميق، الذي طال أمده واشتدت وطأته.

لقد بدأت الشمس رحلتها المباركة، وارتفع عمود الصباح المنير في بحر الظلمات، وحزمت القوافل في الجبال والصحاري أمتعتها، وضُرِب نفير الرحيل، فما لك أيتها العين الساهرة! التي خُلِقت لمراقبة الإنسانية، وحراسة الضعفاء تنامين؟

* * *

□ يا بن الإسلام:

لقد أصبح بحرك هادئًا ساكنًا كالصحراء، لقد فقد طبيعته، فلا مدّ فيه ولا جزر، عجبًا لهذا البحر الذي لا يهيج ولا يموج، وليس فيه تمساح طموح مغامر، ولا موج ثائر عارم!.

اقفز من حدودك الضيّقة الهادئة لتفيض على البراري والقفار والنجاد والأغوار.

بك قِوام العالم وبقاء الأمم فاشرب كأسًا فائضة من اليقين، وانهض من حضيض الظن والتخمين.

□ يا بن الإسلام:

الغياث من الإفرنج الذين خلبوا العقول، وسحروا النفوس، الغياث من هؤلاء الذين خدعوا مرّة بالرقة والدلال، ومُرّة بالقيود والأغلال.

إن الذي عرف نفسه وعرف قيمته لا يليق به إلا عروش الملوك وأسرّة السلاطين، إنه لا حياة لك ولا قوام، ولا شرف ولا كرامة إلا بهذه المعرفة، فإذا لملكتها ملكت العالم، وإذا فقدتها، أصبحت من سقط المتاع.

□ يا يوسف هذه الأحلام:

إن كل ما في العالم من الظواهر الكونية، أو الأجرام الفلكية، راحل زائل، وغائب آفل، وأنت أيها المسلم، بطل المعركة، وكل ما حولك من سافلٍ وعالٍ، ورخيص وغال، من جنودك وأتباعك.

□ أخي:

يا وارث التوحيد يا أنا! هل أصبحت كسائر الناس لا تحمل روحًا ولا تجذب نفوسًا؟

إن السجدة التي كانت تهتز لها روح الأرض، طال عهد المحراب بها، واشتاق إليها المسجد كما تشتاق الأرض الجديبة الخاشعة إلى المطر؛ لم أسمع ذلك الأذان الذي ارتعشت له الجبال بالأمس.

لم أر في محيطك أيها المسلم لؤلؤة الحياة، قد بحثت عنها موجة موجة، وتفقدتها صَدَفة صَدَفة.

◻ أخي:

إذا رأيت النجوم شاحبة منكدرة تخفق، فاعلم أن الفجر قريب، ها هي الشمس قد ذرّ قرنها من الأفق، وولى الليل على أدباره. إن عاصفة الغرب على الإسلام قد أعادت المسلم إلى الإسلام، فإنما تتكون اللآلئ في البحر المتلاطم الهائج، لقد دب دبيب الحياة في المسلم، وجرى الدم في عروقه.

◻ يا يوسف هذه الأحلام..لله ما أحلى هذه القصيدة يشدو بها فمك الطاهر:

وأقول للجيل الجديد..
أقول للجيل المحصّن بالعقيدة والمتوّج بالصباحْ..
وأقول يا رمز الفلاح..
إنّا بلونا الليل والأشباه والموت المؤجّل والجراحْ..
وأقول يا جيل المصاحف..
يا خمير الأرض..يا طلق الولادةْ..
ها أنت كالينبوع تَدفقُ في صحارينا..
وتمنحنا الوثيقة والشهادة..

أنت الذي سيُبدِّل الأوزان والأحزان..
يزرعُ في العيون نخيلها..
فلكم تباطأ في الرحيل عن القرى عامُ الرمادةْ..
وأقول حيّ على الفلاح..
فإنّ فيك النبض يورق بين ترتيل الظهيرة والمساء..
وأقول يا جيل الفداءْ..
أكلت مواسمَنا الجنادبُ..
واستبدَّ بنا الحُواة..
وغادَرتْنا آخرُ السحبِ الحميمة في السماء..
أنت الذي تقتاتُ جمر المرحلةْ..
ها إن أحبار اليهود تجمّعوا..ها إنهم حشدوا لنا..
فاقرأ على تلك الرؤوس «الزلزلة»..
اقرأ علينا باسم ربك يا بلالْ..
الشمس في كبد السماءْ..
ونحن في وَقْدِ الظهيرة..
كم نتوق إلى الظلالْ..
اقرأ علينا «المؤمنون» وشدّ قوسك..
إن قوسك لا تطيش بها النبالْ..
كم ذا سألتَ فلم يجيبوا..
كم سألتَ فلم يجيبوا..
أنت وحدك من يُجيب عن السؤال..

يا أيها الجيل الجديدْ.. ويا سليل الطهر.. يا برد اليقين..
كن باسم ربك قلعة للخائفين.. ومنهلاً للظامئين..
كن جذورًا.. كن طيورًا..
كُنْ كما شاءت لك «الأعراف» في الزمن العجين[1]..
يا أيها الجيل الجديد..
وقفتُ مندهشًا على عتبات خطوتك الجديدةْ..
وقرأتُ نبضك وانطلقتُ بلا عِنانْ..
من سورة «الإسراء» جئت.. ومن نقاء الفجر..
والسبع المثاني..
ورأيتَ من خلف الدخان وجوهَهم..
وبلوت عربدة الدخانْ..
وحملت جُرحَك والهجير..
حملت جرحك والعبير..
فما الذي حملته أغربة الزمان[2]!؟؟

✍ يا حُرّاس الدين وأمناء اللَّه في العالمين، يا من لو أقسمتم على اللَّه لأبركم، إذا تألّق نجمكم في آفاق السماء أفلت نجوم الآخرين، وطُوي بساطهم، لن تسعكم الصحراء والفيافي، فاضربوا خيمتكم في وجودكم، الذي يسع الآفاق، كونوا أسرع من العاصفة وأقوى من السيل، حتى تسرع ركائبكم في مضمار الحياة وتسبق الريح.

---

(١) العجين: المسن.. المخنث.. الأحمق.
(٢) قصيدة «جيل الصحوة» من ديوان «إنها الصحوة» لمحمود مفلح ص (٣٧ ـ ٣٩).

امتلكوا ناصية الأيام، خذوا عنان التاريخ، وقودوا قافلة البشرية إلى الغاية المثلى.

من الذين أكرمهم اللَّه بالسبق إلى قراءة القرآن سواكم، من الذي دوّى أذانه في العالمين غيركم هل العلم إلا فتات مائدتكم، وهل قوله تعالى: ﴿ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ إلا وصف حالكم؟!.

مرّ الإسلام على صحرائكم فأنبتت الأزهار والرياحين، صهيل خيل أبي سليمان خالد بن الوليد، وسيف صلاح الدين، ونظرة الزاهد الأواب بشر بن الحارث، وذكر الفضيل بن عياض، فكر ابن تيمية، ودوي التكبير والصلوات، وزمزمة جلَبَة الحروب والفتوح بين الخافقين.

◘ أخي:

إني أرى في مرآة المستقبل عصرًا لا يزال في طيّات الغيب، قد بدت تباشيره، وظهرت طلائعه لعيني، ولكنها لا تزال محجوبة عن أعين الناس، لو كُشف الغطاء عن وجه هذا الفجر المرتقب، لشقّ ذلك على أوروبا، وفقدت رشدها وجُنّ جنونها. هذا الفجر سيوقظ العقول، ويهزّ النفوس، ويزهر الآمال في الصدور، قد آن أن تشرق الأرض بنور ربها، ويعيش العالم من جديد.

◘ يا بن الإسلام:

أنت البغية المنشودة، وبحرك زاخر بالدرر واللآلئ.

◘ أخي:

لا تربط نفسك وقلبك بالتراب، والحمأ المسنون، والحجارة والقرميد. إن الصقور لا تستريح ولا تهدأ في الأوكار.

أتهوي من القمة العالية، وتهبط من تلك العلياء التي زفعك إليها الإسلام، أصبحت لطول عهدك بالفتوحات، لا تفهم لغة الصهيل والسيوف، وإهابة الشجعان المجاهدين، ألفت نغمة المغنيين، وعشت بين الآهات والزفرات والأنين، فقدت عيناك النور، وحرم قلبك لذة السرور.

◘ يا يوسف هذه الأحلام:

جدّد فيك الإيمان واليقين، فقد عراك الظن والتخمين، إن مقامك ومنزلك وراء هذه القبة الزرقاء والسماوات العلى، وإن ركبك يمشي فوق النجوم النيّرة والكواكب المتلألئة.

◘ يا بن الإسلام:

أنت وحدك تملك الآماد والأبعاد، أنت رسالة اللّه الأخيرة، وأنت خالد بخلود رسالتك، دائم بدوام دورك ومهمتك.

* أخي:

إن ما حملته النبوة من تحفة غالية وهدية ثمينة، من عالم الماء والتراب إلى عالم الجنان والخلود الذي لا يزول ولا يحول، إنما هي أنت، وقد انكشف هذا السر الدقيق بماضي الأمة الحنيفية والملة السمحة البيضاء، أنت متصل النسب المعنوي بأبيك إبراهيم، خلقت لتحيا مع اللّه في جواره في فردوسه في دار غرس غرسها الرحمن بيده.

إلى متى تتمتع برفقة الطيور المغرّدة في الحديقة الفيحاء بين الأغصان الرطبة البليلة، أليس بجناحيك قوة طيران الصقور المحلقة في الفضاء، التي تنشئ أوكارها في الجبال الجرداء الشماء.

*** أخي:**

ما أعذب هذه الكلمات على شفتيك:

أنا مسلم والنور ينبض في دمي ... ولسان كل المكرمات لساني
أنا مسلم والشمس تألف هامتي ... والسائرون بدربها إخواني

◻ يا يوسف هذه الأحلام:

أنت وحدك من يعي ويفهم قول الصادق الأمين ﷺ: «إنما الناس كإبلٍ مائة لا تكاد تجد فيها راحلة»[(١)].

أردد قولك وأسطره في فهمك للحديث: «إنما قال: الناس كإبلٍ مائة» ولم يقل: «الدعاة كإبل مائة» بل نحن الرواحل كلنا فاقتحم فأنت لها.

قد غرسنا الدينَ في أرض القلوب ... وجلوْنا الحق من ستر الغيوبْ
ومن الدنيا حللْنا العقدا ... واستنار التُّرْب منا سجدّا
من دنان الحقّ صرّفنا الرحيق ... وهدمنا حانة الكفر العتيق
كأسنا كانت سراج المحفل ... صدرنا كان لقلب مشعل
إن هذا العصر من آثارنا ... من عجاج ثار في تسيارنا
نحن ورّاث هداة للبشر ... نحن عند الحق سرٌّ مدّخر
لا تزال الشمس تُبدي نورنا ... غيمنا فيه بروقٌ وسنا[(٢)]

* * *

(١) أخرجه البخاري، ومسلم، وأحمد، والترمذي وابن ماجه، عن ابن عمر - رضي الله عنهما -.

(٢) من كتاب «تأملات» لمحمد إقبال - ترجمة الدكتور عبد الوهاب عزام.

* يا بن الإسلام.. يا يوسف الأحلام:

يا أيها النَّسْرُ المشوقُ إلى الذرى ... يطوي الفضاء بلهفة وحنانِ
أتُراك بعد البَيْن تعرفُ ما الذي ... يُشْجِي الفتى في غُربةِ الأوطانِ؟
قم وانتفض يا بْنَ العلاءِ مُبَشِّرًا ... بتَفَتُّحِ النِّسْرينِ والرَّيحانِ
ولتركب الرِّيحَ الغضوبَ.. يَهيجُها ... قَدَر.. ويطلقها بغير عِنانِ
واحمل إلى الآفاق مُزْعَةَ راية ... سَقَطت.. وتأبى ذلة القيعانِ
مغموسة بجراحنا.. منسوجةً ... من رُوحنا بالصدق والإيمانِ
مِن كهفنَا المَقْرورِ في غسقِ الدُّجى ... مِن عضّةِ الآلام والأحزانِ
مِنْ صَرْخَةِ الموتورِ.. في أحشائه ... حِمَمٌ تثور بجاحِمِ النيرانِ
مِنْ دمعةِ الطفل البريء تعاظمتْ ... حتى غدت في الأرض كالطوفانِ
مِن لوعة الأمِّ الرؤوم.. مهيضةً ... بالثُّكلِ.. تَسْبيها يَدُ الطُّغْيانِ
ودم الشهيد على الرُّغام مُجَدَّلاً ... أنفاسُهُ طُوِيَتْ بلا أكفانِ
مِنْ كُلِّ مَن ذهبوا.. سياطُ الظُّلْم في ... أعقابهم.. وسلاسلُ السجّانِ
مِن عمقِ هاتيك الجراحِ شموسُنا ... وُلدتْ.. وتُسقى بالطَّهور القاني
إنّ النفوسَ إذا تَمَخَّضَ سَعْيُها ... فثمارها يوم الحصادِ دَواني
قد أبرمت بجهادها.. وثباتها ... عهداً يدومُ غداً مع الرحمنِ
ولها مع الأمجادِ وعدٌ صادق ... قد سُطِّرَت بُشراه في القرآنِ
وإذا الرجال على العقيدة بايعوا ... يا صدق أحلامٍ لهم وأماني[1]

* * *

(١) قصيدة «عودة النسر» من ديوان «قادمون مع الفجر» لأحمد محمد الصديق ص(٦٨ ـ ٧٠).

*** أخي: ألا تشتاق لحمل راية الإسلام في فجره الآتي:**

يـا رايـة بـالـنـور خـافـقـةً ... يـهـفـو إليـكِ الـسـمـعُ والـبـصـر
هـيّـا.. فـإن الـدهـر مُـرتَـقِـبٌ ... ومـواكـب الـتـاريـخ تـنـتـظـر

* * *

*** يا يوسف الأحـلام:**

أخي إن فجرك آتٍ، . .
وصبحك يركض نحو بلادٍ
يُعَشعشُ في قلبها العنكبوتْ
الضياءُ الذي في فؤادك يَصْهلُ . .
والليلُ ليلٌ مقيتْ
وهل أنتَ إلا جوادٌ يخبُّ . .
وسيف مُجرَّدْ؟
فهل نفروا مثلما قد نفرتَ . . ؟
وهل سهدوا مثلما . . أنت مُسْهَدْ؟
وهل عرفوا لغة السيف يأبى المذلّة.
يا سيفنا المشرئب الذي . .
ليس يُغمدْ؟
وها أنت طاولت كل النجوم . .
وها هم عبيد القرود
وها هم وطاءٌ لكل مشرّدْ

تساميت كالأقحوانِ..
وأُرهفتَ.. والكل جَلْمدْ
فهُمْ كالحجارة.. لا حسّ فيها
ولكنك الآن نَبْعٌ تَوَلَّدْ
وهل أنتَ إلا كتابٌ..
سيقرؤهُ القادمون حروفًا تُغَرِّدْ؟
وهَلْ أنت إلا الثباتُ الأبيُّ..؟
وهل أنت إلا التجرّدْ
وهل أنت إلا الزمان التقيُّ
يخاطبنا عبر هذي الفيافي
فنصحو ونسعَدْ؟
ويدمغ من يذبحون الرجولة فينا
ويدحض من يفقدون اليقين المؤكد
وصوتك يا حبَّنا
منذ حلَّ المساءُ..
وأوغل هذا الظلام المعربدْ
وعادت خفافيشه ترصَّدْ
يسافِرُ في زمرةِ القابضين
على الجمر.. والجمرُ مُوقَدْ
فلا تبتئِس،
إنّ فينا من الذِّكر آيًا
تُصبِّرُنا في التهجّدْ

وفينا من القبس النبويِّ . .
مشاعل ضوء تبث اليقين . . بأرواحنا
في زمان التردُّدْ[١] .

* * *

شَوْقٌ وبَوْحٌ

* قال شقيقي عبد الله بن حسين العفاني:

إن الحضارة الغربية وإن كانت قد ارتقت مرتقى عظيمًا في أعطياتها المادية، إلاَّ أنَّها قد تَدنَّت . . في أخلاقياتها تدنِّيا رهيبًا، وقرَّت بقعر هذا المستنقع الآسن الذي ما عادت تصلح معه لقيادة البشرية، وإنَّ الإسلام بأطروحاته وأعطياته لهو الدين الوحيد الذي يستطيع قيادة هذه البشرية الحائرة، والوصول بها لبرِّ النجاة وإني لأكاد أسمع ضمير ذلك العالم ينادي الإسلام قائلاً:

يَقولونَ:
إنْ طالَ ليلُ الدُّجى
فَمِنْ حُلْكَةِ الليلِ
نورُ الهُدى . .
جميلُ المُحَيَّا[٢] ، وضيءُ الغُرَرْ
وقَدْ طالَ ليلي

---

(١) من قصيدة: «لأنك لا تعرف العيش إلا حُسامًا» من ديوان «الجواد المهاجر» لطاهر العتباني ص(٢١ ـ ٣٠).
(٢) المُحَيَّا: الوجه.

وما عادَ يدري..

سِوى ضَجَّة المُترفينَ السَّكارَى

وتِيهِ الحيارى

وعَهرِ البَغايا

وطَفْحِ البَطَر[1].

ومُذْ عافت[2] الأرضُ نورَ السَّماءِ

ومُذْ غال[3] جيشُ الخفافيشِ..

بدرَ الضِّياء

وأَرضي مَتاهَاتُ ليلٍ طويلٍ..

كريهِ الأفاعي

عميقِ الحُفرْ.

وما عادَ سمعي سِوى نَعْقَةِ البُومِ..

مِنْ كُلِّ جانب

«لِتنعي» مَواتَ النفوسِ الخرائبْ

وزُورًا يُذيعونَ:

تَشْدُوا، «لِتُحْيي» لَيالي السَّمَرْ.

وما عُدْتُ أُبْصِرُ شَيْئًا بِدَرْبي

وما عادَ ذاكَ السَّنَا..

(١) البَطَرُ: شدةُ المرح.
(٢) عَافَتْ: عاف الشيء: كَرِهَهُ وأعرضَ عنهُ.
(٣) غالَ: اغتالَ: أهلكهُ وأخذهُ من حيثُ لَمْ يدرِ.

مِلءُ قَلْبِي.
فَقَدْ عَافَتِ العَيْنُ دَمْعَ السَّحَرْ.
فهيَّا ائْتِنَا بِالضِّياءِ القَدِيمِ..
الضِّياءِ المُصَفَّى
فما عَادَ يكفي لِتِلْكَ الدَّيَاجِيرِ
ضَوءُ القَمَرْ.

* * *

يقولونَ:
إنْ طالَ عَهْدُ السِّنِينَ العجافِ
وأجهضَ رَحْمَ السَّنَابِلِ..
جَوْرُ الجفافِ
فمِنْ تَوْبَةِ الأرضِ
مِنْ ضَارعاتِ الشُّقوقِ
يسَوقُ الرَّحيمُ هَطُولَ السحابِ
فَيَخْضَرُّ وجهُ اليَبابِ[1]
ويَجْري لدى كُلِّ شقٍّ نَهَرْ
ومُذْ خَبُثَ القَلْبُ..
مُذْ رَدَّ غَيْثَ الهُدى
وما عَادَ «يَلفِظُ» غيرَ القذى:

(١) اليَبابُ: الخراب الذي ليسَ فيه أحدٌ.

خُرافاتِ عَقْلٍ..
مُحيطَاتِ قيحٍ..
وغابَاتِ شوكٍ..
مَريرِ الثَّمَرْ.
فَطُفْ بي سَحَابةَ غَيْثٍ
وطُفْ بي عُيونًا
تَفجَّرُ مِنْ ذا الفؤادِ الحَجَرْ.
وطُفْ فوقَ ربعي..
يبابًا.. يبابًا
وأَنْبِتْ مِنَ الحُشِّ[1]..
حُلْوَ الزَّهَرْ.
وطُفْ فَوقَ قلبي
ودَعنيْ أُطَهِّرُ قَلْبي
بِماءِ المَطَرْ.

* * *

وأَقْبِلْ عَلَى الكَوْنِ
رَوْحًا نَديًّا
فقد دَوَّخ السالِكينَ الشَّقاءُ
وشَقَّ على الناسِ..

(١) الحُشُّ: مكان النخل المجتمع، وكانَ لقضاءِ الحاجة.

جَهْدُ السَّفَرْ.

* * *

وأقْبلْ عَلَى الكَوْنِ

ريًّا[1] جنَان

فَقَدْ أنْتَنَ الرَّحْبَ..

رِيحُ الخطَايَا

ومِنْ فَيْضِ فَوْحِكَ..

فَوحُ النَّسِيمِ العَطِرْ.

وأقبلْ لِتُرْجِعَ للكَوْنِ

عَيْشًا هَنِيئًا

فما عادَ في الناسِ

مِنْ أُعطياتِ النُّبوَّةِ

غَيْرُ الأثَر

وما عادَ في النَّاسِ

غَيرُ الدنايا

تَلوحُ لذي اللُّبِّ

خَلفَ الصُّوَرْ.

* * *

وأقْبِلْ فَمذْ قَدْ رَحَلْتَ عَنِ الصَّدْرِ..

(١) ريًّا: الريَّا: الرائحة الطيبة.

والرَّكْبُ حَائِرْ
تَقَاذَفَهُ هَائجاتُ الأعَاصيرِ..
والموجُ ثَائِرْ..
شَديدُ النُّذُر
وربَّانُهُ القِزْمُ
قَدْ تَاهَ كِبْرًا.. وما زَالَ غِرًّا[1]..
وما عَادَ يدري لدى الخطبِ أمْرًا
وقَدْ صَارَ في لُجَّةِ اليَمِّ
أعْمى البَصَرْ.
فأقْبِل وقُدْنا لبَرِّ الأمانِ
فقَدْ ضَلَّ بالرَّكْبِ
طَيشُ الحُمُرْ.

* * *

وأَقْبِلْ.. وأقْبِلْ
ففي كُلِّ طَرْفَةِ عَيْنٍ..
أحِنَّ
ويَزْدَادُ شوقي إليكَ
لأرتاحَ يَوْمًا على رَاحتَيْكَ
فَيَوْمًا مَعَ اللَّهِ..

(١) غِرًّا: الغِرُّ: قليل الفِطنةِ والحُنكةِ.

يَعْدِلُ عندي جَمِيعَ العُمُرْ.

وَلَوْ عِشْتُ ـ باللَّهِ ـ عُمْرِي

وَسَبْعًا كَعُمْرِي

فَلستُ أَراني

سأَقْضِي من الأُمْنِيَاتِ الوَطَرْ

* * *

فَيَا لَيتَ شِعْرِي

أَمَا للأَنَامِ ارْتَضَاكَ الإِلـهُ؟!

فَكَيْفَ إِذًا

قَدْ جَفَاكَ[1] البشَرْ؟!

ومَنْ لَيسَ يَرْضَى بشَرْعِ الخَبِيرِ

فَقُلْ لِي:

مِنَ اللَّه أَيْنَ المَفَرُّ؟!

ومَنْ لَمْ يَسَعْهُ الفَضَاءُ الرَّحِيبُ

فَأَولَى بِهِ..

ضَيِّقَاتُ الحُفَرْ[2].

✍ للَّه دَرُّك أبا حسين، بارك اللَّه في قلمك وشعرك وجعله وقفًا على الدعوة للإسلام.

---

(١) جَفَاكَ: الجفاءُ: ضد البرِّ والصلة، وهو أيضًا الغلظَةُ وسوءُ الخُلُقِ.

(٢) شعرُ: عبد اللَّه العفَّاني صباح الجُمُعةِ الموافقِ: ٢٩ رجب سنة ١٤٢١ هجرية ـ ٢٧ أكتوبر سنة ٢٠٠٠ ميلادية.

* **إخوتي:** . . . يا كل الطهر يا نبع الكوثر في دنيانا. . يا طيب الجنة وشذاها في أرضنا. . فجرنا آتٍ أرقبه. . أشم عبيره. ونسيمه. . يكحل عيني صبحه.

بدمي أخطُّ رسالتي.. وأُسطِّرُ — وأزفّ مبعث أمتي وأبشِّرُ
إني أرى عجبًا.. وملءُ مسامِعي — كالرَّعدِ صيحاتُ الرِّجال تُكَبِّرُ
الصحوةُ الكبرى.. ومنشأُ نورها — في القلب..يغذُوه اليقين فيكبرُ
جاءت بأمر اللّه تحدوها المنى — ملء الصدور..وللحنيفة تثأرُ
فمتى يُطلُّ على الحياة مشعشعًا — فَجْرُ الحنيفة وهو طلق نيِّرُ؟
تهفو جوانحنا إليه مشوقةً — وكأنه غضن الرجاء الأخضرُ
أو نفحةٌ ميمونةٌ هبّتْ على — أرواحنا..فإذا بها تتنضَّرُ
ديني منار السالكين.. شعاعه — يَهْدي..وآيتهُ العظيمة تَبْهَرُ
هيّا انهَجُوا نحو الأماني نهجَه — إنِ الصباح على يديكم يُسفِرُ

وأخيراً: المستقبلُ كل المستقبلِ لنا سنُطبُّ المريض بدوائنا.. صُمَّتْ أذن الدنيا إن لم تسمع لنا صُمَّتْ أذن الدنيا إن لم تسمع لنا .

* * *

وآخر دَعْوَانا أن الحمدُ للَّه رب العالمين.

مصر ـ بني سويف ـ بني عفان.

سيد بن حسين العفاني

فهرس الأحاديث والآثار

طرف الحديث	الصفحة

طرف الحديث	الصفحة

طرف الحديث	الصفحة
* أنا أولى الناس بعيسى	٢٨٥
* أنتم الغر المحجلون	٣٩٢
* إنكم أمة	٣٦٥
* إنكم تتمون سبعين أمة	٣٤٥
* إنكم لتنتظرون صلاة	٣٧٤
* إنكم مفتوح عليكم	١٠٣
* إنكم وفيتم سبعين أمة	٣٤٥
* إنما النساء شقائق الرجال	٣٢٢
* إنما يفعل ذلك النصارى	٤١٢
* إنه عذاب	٣٨٢
* إنها بركة	٣٧٩
* إنها ستأتي على الناس	٣٠٩
* إنها صلاة رغبة ورهبة	٣٦٠
* إنها صلاة اليهود	٤١١
* إنهما يوما عيد	٤١٢
* إني صليت صلاة رغبة	٣٥٩
* أهل الجنة	٤٠٠
* أوصيك بتقوى اللَّه	٣٦١
* أولياء اللَّه	٥٠٠
* إياكم وهاتان	٤١٧
* أيما مسلم شهد له	٣٥٧

طرف الحديث	الصفحة

طرف الحديث	الصفحة

طرف الحديث	الصفحة

طرف الحديث	الصفحة

طرف الحديث	الصفحة

طرف الحديث | الصفحة

طرف الحديث	الصفحة

طرف الحديث	الصفحة

* * *

فهـرس المراجـع

﴿أ﴾ التفسير

١ ـ «تفسير الطبري» ـ لابن جرير الطبري ـ مطبعة مصطفى الحلبي.
٢ ـ «تفسير الطبري» ـ لابن جرير ـ طبع دار المعارف ـ تحقيق محمود شاكر وأحمد شاكر.
٣ ـ «تفسير القرطبي» ـ للإمام القرطبي ـ كتاب الشعب.
٤ ـ «تفسير ابن كثير» ـ للحافظ ابن كثير ـ كتاب الشعب.
٥ ـ «زاد المسير» ـ ابن الجوزي ـ المكتب الإسلامي.
٦ ـ «روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني» للعلامة الألوسي ـ طبعة دار الفكر.
٧ ـ «الكشاف» ـ للزمخشري.
٨ ـ «في ظلال القرآن» ـ للشيخ سيد قطب ـ دار الشروق.
٩ ـ «تفسير المنار» للشيخ محمد رشيد رضا ـ طبع دار المعرفة.
١٠ ـ «مفاتيح الغيب» للرازي ـ طبع دار الغد العربي.

﴿ب﴾ السنة

١ ـ «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» ـ للحافظ ابن حجر العسقلاني ـ طبعة السلفية.
٢ ـ «شرح مسلم للنووي» ـ للإمام محيي الدين النووي ـ دار الشعب.
٣ ـ تحفة الأحوذي في شرح سنن الترمذي» ـ للمباركفوري ـ طبعة الهند.
٤ ـ تحفة الأحوذي في شرح سنن الترمذي» ـ للمباركفوري ـ طبعة المكتبة السلفية بالمدينة المنورة.
٥ ـ «عون المعبود شرح سنن أبي داود» ـ للطيب أبادي.
٦ ـ «بذل المجهود» ـ سنن أبي داود.

٧ ـ «حاشية السيوطي على النسائي».
٨ ـ «مختصر سنن أبي داود» للمنذري ومعه معالم السنن للخطابي ـ مكتبة أنصار السنة المحمدية.
٩ ـ «سنن ابن ماجه» ـ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.
١٠ ـ «مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه».
١١ ـ «موارد الظمآن في زوائد ابن حبان».
١٢ ـ «مسند أحمد بن حنبل» ـ تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر ـ طبع دار المعارف.
١٣ ـ «جامع الأصول لابن الأثير» ـ تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ـ دار الفكر.
١٤ ـ «الفتح الرباني في ترتيب مسند أحمد بن حنبل الشيباني على أبواب البخاري» ـ للساعاتي.
١٥ ـ «صحيح ابن خزيمة» ـ تحقيق د. مصطفى الأعظمي والشيخ الألباني ـ المكتب الإسلامي.
١٦ ـ « مجمع الزوائد» للهيثمي ـ مكتبة القدسي.
١٧ ـ «المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية» ـ لابن حجر العسقلاني ـ المكتب الإسلامي.
١٨ ـ «صحيح الترغيب والترهيب» ـ للشيخ الألباني ـ المكتب الإسلامي.
١٩ ـ «صحيح الجامع الصغير» ـ للشيخ الألباني ـ المكتب الإسلامي.
٢٠ ـ «فيض القدير» للمناوي المكتبة التجارية.
٢١ ـ «مشكاة المصابيح» للتبريزي ـ تحقيق الشيخ الألباني ـ المكتب الإسلامي.
٢٢ ـ «السلسلة الصحيحة» ـ للشيخ الألباني ـ المكتب الإسلامي.
٢٣ ـ «شرح السنة» للإمام البغوي ـ تحقيق شعيب الأرناؤوط وزهير الشاويش.

٢٤ ـ «إرواء الغليل» ـ للشيخ الألباني ـ المكتب الإسلامي.
٢٥ ـ «تمام المنة في تخريج أحاديث فقه السنة» ـ الألباني ـ المكتب الإسلامي.
٢٦ ـ «خطبة الحاجة» ـ للشيخ الألباني ـ المكتب الإسلامي.
٢٧ ـ «المستدرك» للحاكم.
٢٨ ـ «المصنف» لعبد الرزاق الصنعاني.
٢٩ ـ «السنن الكبرى» للبيهقي.
٣٠ ـ «المعجم الكبير» للطبراني تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي.
٣١ ـ «الزهد» للبيهقي.
٣٢ ـ «الزهد» لأحمد بن حنبل.
٣٣ ـ «تلخيص الحبير» لابن حجر دار المعرفة.
٣٤ ـ «تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف» ـ للحافظ المزي ـ المكتب الإسلامي.
٣٥ ـ «لسان الميزان» لابن حجر.
٣٦ ـ «ميزان الاعتدال» للحافظ الذهبي.
٣٧ ـ «تهذيب التهذيب» لابن حجر.
٣٨ ـ «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم.
٣٩ ـ «شعب الإيمان» للبيهقي طبع الهند.
٤٠ ـ «المصنف» لابن أبي شيبة طبع الهند ـ دار الفكر.
٤١ ـ «صحيح الترغيب والترهيب» للألباني.
٤٢ ـ «مشكل الآثار» للطحاوي.
٤٣ ـ «تغليق التعاليق» لابن حجر ـ تحقيق سعيد بن عبد الرحمن ـ المكتب الإسلامي.
٤٤ ـ «تذكرة الحفاظ» للذهبي.

٤٥ ـ «صحيح سنن أبي داود» للشيخ الألباني ـ مكتب التربية.
٤٦ ـ «ضعيف سنن أبي داود» للشيخ الألباني مكتب التربية.
٤٧ ـ «صحيح سنن الترمذي» للشيخ الألباني مكتب التربية.
٤٨ ـ «ضعيف سنن الترمذي» للشيخ الألباني مكتب التربية.
٤٩ ـ «صحيح سنن النسائي» للشيخ الألباني مكتب التربية.
٥٠ ـ «ضعيف سنن النسائي» للشيخ الألباني مكتب التربية.
٥١ ـ «صحيح سنن ابن ماجه» للشيخ الألباني مكتب التربية.
٥٢ ـ «ضعيف سنن ابن ماجه» للشيخ الألباني مكتب التربية.
٥٣ ـ «الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان» لعلاء الدين الفارسي ـ تحقيق شعيب الأرناؤوط ـ مؤسسة الرسالة.
٥٤ ـ «مسند أبي يعلى الموصلي» تحليق حسين سليم أسد ـ دار المأمون.
٥٥ ـ تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة» لابن عراق الكناني ـ دار الكتب العلمية.
٥٦ ـ «العلل للدارقطني» تحقيق د. محفوظ الرحمن السلفي ـ طبع دار طيبة.
٥٧ ـ «تخريج الأحاديث الضعاف من سنن الدارقطني» للحافظ الغساني ـ تحقيق أشرف عبد المقصود ـ دار عالم الكتب ـ الرياض.
٥٨ ـ «علل الحديث» لابن أبي حاتم الرازي ـ طبع دار السلام بحلب.
٥٩ ـ «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للشوكاني تحقيق عبد الرحمن المعلمي اليماني ـ مطبعة أنصار السنة.
٦٠ ـ «موسوعة أطراف الحديث النبوي» ـ لمحمد السعيد زغلول ـ دار الفكر.
٦١ ـ «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» للقاري ـ دار الكتاب الإسلامي.
٦٢ ـ «مرشد المحتار إلى ما في مسند الإمام أحمد من الأحاديث والآثار»

لحمدي عبد المجيد السلفي ـ طبع عالم الكتب.
٦٣ ـ «المنهج الأسعد في ترتيب أحاديث مسند الإمام أحمد» لعبد اللّه بن ناصر رحماني ـ دار طيبة.
٦٤ ـ «أطراف مسند الإمام أحمد» للحافظ ابن حجر تحقيق د. زهير بن ناصر الناصر ـ دار ابن كثير.
٦٥ ـ «تبيض الصحيفة في أصول الأحاديث الضعيفة» ـ محمد عمرو عبد اللطيف ـ مكتبة التوعية الإسلامية.
٦٦ ـ «نصب الراية» للزيلعي.

﴿ ج ﴾ مصطلح الحديث وعلومه

١ ـ «فتح المغيث» للسخاوي.
٢ ـ «شرح المواهب اللدنية» للقسطلاني.
٣ ـ «تدريب الراوي» للسيوطي.
٤ ـ «قواعد التحديث» لجمال الدين القاسمي.
٥ ـ «فهرس الفهارس» لجمال الدين القاسمي.
٦ ـ «شرف أصحاب الحديث» للخطيب البغدادي.
٧ ـ «الكفاية» للخطيب البغدادي.
٨ ـ «شرح نخبة الفكر» للحافظ ابن حجر.

﴿ د ﴾ الفقه

١ ـ «التمهيد» لابن عبد البر القرطبي ـ مكتبة ابن تيمية.
٢ ـ «مجموع فتاوى ابن تيمية» لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ مكتبة ابن تيمية.

* * *

﴿هـ﴾ عقيدة

١ ـ «الإسلام» لسعيد حوى.
٢ ـ «المهدي حقيقة لا خرافة» لمحمد إسماعيل المقدم.
٣ ـ «اقتضاء الصراط المستقيم» لابن تيمية.
٤ ـ «العظمة» لأبي الشيخ الأصبهاني ـ دار العاصمة.
٥ ـ «أشراط الساعة» ليوسف الوابل ـ دار ابن الجوزي.
٦ ـ «بداية السول في تفضيل الرسول».

﴿و﴾ الرقائق

١ ـ «االرقائق» لمحمد أحمد الراشد ـ الرياض.
٢ ـ «الجواب الكافي» لابن القيم.
٣ ـ «ذم الكلام» للهروي.
٤ ـ «تنبيه المغترين» للشعراني.
٥ ـ «التبصرة» لابن الجوزي.
٦ ـ «الروضتين في أخبار الدولتين».
٧ ـ «عيون الروضتين».
٨ ـ «مقامات» لابن الجوزي.
٩ ـ «إحياء علوم الدين» للغزالي.
١٠ ـ «الفوائد» لابن القيم ـ طبع دار الصفا.
١١ ـ «المقامات» لعائض القرني ـ نشر مكتبة الصحابة ـ الإمارات.
١٢ ـ «مدارج السالكين» لابن القيم ـ أنصار السنة المحمدية.
١٣ ـ «إغاثة اللهفان» لابن القيم.
١٤ ـ «طريق الهجرتين» لابن القيم ـ المكتبة السلفية بالروضة.

١٥ ـ «الوابل الصيب من الكلم الطيب» لابن القيم.

﴿ز﴾ التراجم

١ ـ «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي.
٢ ـ «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر العسقلاني ـ دار الكتاب العربي.
٣ ـ «سير أعلام النبلاء» للذهبي ـ مؤسسة الرسالة.
٤ ـ «البداية والنهاية» لابن كثير.
٥ ـ «خلفاء الرسول» لخالد محمد خالد ـ طبع دار الجيل.
٦ ـ «الاستيعاب» لابن عبد البر.
٧ ـ «تاريخ دمشق» لابن عساكر.
٨ ـ «طبقات الشافعية».
٩ ـ «حلية الأولياء» لأبي نعيم.
١٠ ـ «مناقب الإمام أحمد» لابن الجوزي.

﴿ح﴾ منوعات

١ ـ «الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي».
٢ ـ «لم هذا الرعب كله من الإسلام» لجودت سعيد.
٣ ـ «جند اللَّه» لسعيد حوى.
٤ ـ «الاتجاهات الحديثة في الإسلام».
٥ ـ «الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر».
٦ ـ «شريط المستقبل للإسلام» لمحمد إسماعيل المقدم.
٧ ـ «الإسلام في الفكر الغربي» للواء أحمد عبد الوهاب ـ مكتبة دار التراث.

٨ ـ «الإسلام والمسيحية اليوم» لمونتجمري وات.
٩ ـ «كشف الغمة ببيان خصائص رسول الـلَّه والأمة» لمصطفى بن إسماعيل ـ مكتبة ابن تيمية.
١٠ ـ «قضاء الحوائج» لابن أبي الدنيا.
١١ ـ «المستقبل لهذا الدين» لسيد قطب.
١٢ ـ «معالم في الطريق» لسيد قطب.
١٣ ـ «أفول شمس الحضارة الغربية من نافذة الجرائم» لمصطفى فوزي غزال.
١٤ ـ «الإسلام أيدلوجية المستقبل» للدكتور مهدي عبود.
١٥ ـ «الغرب» لراشد الغنوشي.
١٦ ـ «طريقنا إلى النصر» لراشد الغنوشي.
١٧ ـ «الإسلام يتحدى» لوحيد الدين خان.
١٨ ـ «الإسلام ومستقبل البشرية» لعبد اللَّه عزام ـ دار ابن حزم ـ بيروت.
١٩ ـ «فوضى العالم في المسرح الغربي المعاصر» لعماد الدين خليل.
٢٠ ـ «الإسلام حضارة الغد» للقرضاوي.
٢١ ـ الخمر بين الطب والفقه» للدكتور محمد علي الباز.
٢٢ ـ «السقوط من الداخل» ـ ترجمة ودراسات في المجتمع الأمريكي للدكتور محمد بن سعود البشر ـ دار العاصمة.
٢٣ ـ «الإيمان والحياة» للقرضاوي.
٢٤ ـ «الإنسان ذلك المجهول» ترجمة شفيق أسعد فريد ـ مكتبة المعارف ـ بيروت ـ الطبعة الرابعة.
٢٥ ـ «إنسانية الإنسان» ـ ترجمة الدكتور نبيل صبحي الطويل ـ نشر مؤسسة الرسالة.

٢٦ ـ «العودة إلى الإيمان» ـ ترجمة ثروت.
٢٧ ـ «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين» لأبي الحسن الندوي.
٢٨ ـ «قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام أبيدوا أهله» لجلال العالم.
٢٩ ـ «السنن الإلهية» للدكتور عبد الكريم زيدان ـ مؤسسة الرسالة.
٣٠ ـ «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» لابن تيمية ـ تحقيق صلاح الدين المنجد.
٣١ ـ «الإسلام عام ٢٠٠٠» لمراد هوفمان ترجمة عادل المعلم ـ دار الشروق.
٣٢ ـ «الإسلام في مفترق الطرق».
٣٣ ـ «أفول شمس الحضارة من ناحية الشذوذ الجنسي» لمصطفى فوزي غزال.
٣٤ ـ «المرأة بين شريعة الإسلام والحضارة الغربية» لوحيد الدين خان ـ نشر دار الصحوة ـ القاهرة.
٣٥ ـ «تأملات في الرحلة والمصير» لعماد الدين خليل.
٣٦ ـ «العودة إلى زمن اللَّه» لعماد الدين خليل.
٣٧ ـ «علو الهمة» لمحمد أحمد إسماعيل.
٣٨ ـ «مذابح الإخوان في سجون ناصر».
٣٩ ـ «التصفية والتربية وحاجة المسلمين إليهما» للألباني ـ المكتبة الإسلامية بالأردن.
٤٠ ـ «كيف ندعو الناس» لسيد قطب ـ دار الشروق.
٤١ ـ «كيف تستعيد الأمة مكانتها من جديد» لعمر سليمان الأشقر ـ دار النفائس.
٤٢ ـ «إحياء الربانية» لسعيد حوى ـ دار السلام.
٤٣ ـ «فقه الخلاف بين المسلمين» لياسر برهامي ـ دار العقيدة للتراث.

٤٤ ـ «غياث الأمم» للجويني.
٤٥ ـ «تأملات» لمحمد إقبال ـ ترجمة الدكتور عبد الوهاب عزام.
٤٦ ـ «القول الأحمد في خصائص أمة محمد» للشيخ حاي الحاي ـ نشر دار النفائس ـ الكويت.
٤٧ ـ «وسائل الثبات على دين اللَّه» لمحمد صالح المنجد.
٤٨ ـ «أزمة روحية» لعصام العطار.
٤٩ ـ «والموعد اللَّه» لخالد محمد خالد.
٥٠ ـ «الإسلام ومستقبل البشرية» لعبد اللَّه عزام.
٥١ ـ «المبشرات بانتصار الإسلام» للقرضاوي.
٥٢ ـ «مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق» لابن النحاس ـ طبع دار البشائر.
٥٣ ـ «إنه الحق» ـ كتاب هيئة الإعجاز العلمي.
٥٤ ـ «الإسلام يتحدى» لوحيد الدين خان.

﴿ط﴾ شعر ومجلات

١ ـ «ديوان إنها الصحوة» لمحمود مفلح ـ دار الوفاء.
٢ ـ «وحي القلم».
٣ ـ «ديوان لأنك مسلم» لمحمود مفلح.
٤ ـ «ديوان تراتيل للغد الآتي» لوليد قصاب.
٥ ـ «جراح وكلمات» لأحمد محمد صديق.
٦ ـ «قصيدة شباب الإسلام» من ديوان هاشم الرفاعي.
٧ ـ «ديوان الصنعاني».

٨ ـ «ديوان رسالة المشرق» لإقبال.
٩ ـ «قصيدة ذكريات المجد والعار في أرض الأبرار» ليوسف العظم.
١٠ ـ «قصيدة سيرة الأبطال» للشيخ عائض القرني.
١١ ـ «ديوان قادمون مع الفجر» لأحمد محمد صديق.
١٢ ـ «ديوان نقوش على واجهة القرن الخامس عشر» ـ مكتبة العبيكان.
١٣ ـ «ديوان الجواد المهاجر» لطاهر العتباني.
١٤ ـ «إقبال الشاعر الثائر» لنجيب الكيلاني.
١٥ ـ جريدة الأهرام.
١٦ ـ جريدة عكاظ.
١٧ ـ جريدة الكفاح الإسلامي.
١٨ ـ مجلة الأسبوع العربي.
١٩ ـ جريدة الشرق الأوسط.
٢٠ ـ مجلة المجتمع.
٢١ ـ مجلة المسلمون.
٢٢ ـ جريدة الشرق الأوسط.

* * *

فهرس الموضوعات

الموضـــوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الصفحة | الموضوع

الموضـــوع الصفحة

الصفحة　　　　　　الموضــوع

الموضــوع	الصفحة

الموضــوع | الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الصفحة | الموضـــوع

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضــوع — الصفحة

الموضـــوع | الصفحة

الموضـــوع	الصفحة
* العمل الجماعي ضرورة لإعادة مجد الأمة	٥٥٣
* الوحدة الإسلامية أمل القلوب	٥٥٦
* حاجة الدعاة الماسة إلى التجرد للَّه	٥٥٧
* حاجة الأمة الماسة إلى الالتفاف حول العلماء الربانيين	٥٦٠
يا بن الإسلام	**٥٦٣-٥٨٣**
* أنت يوسف هذه الأحلام	٥٦٥
* أخي	٥٦٥
* يا بن الإسلام	٥٦٥
* أخي	٥٧٢
* يا بن الإسلام	٥٧٣
* يا يوسف هذه الأحلام	٥٧٨
* قصيدة عبد اللَّه بن حسين بن العفاني	٥٨٣
فهرس الأطراف والآثار	**٥٩١**
فهرس المراجع	**٦٠٥**
فهرس الموضوعات	**٦١٩**

* * *